

نزل فن المغرب

القصة

الدكتور
عباس بن عبد الله الجباري
أستاذ بكلية الآداب
جامعة محمد الخامس

كلمة شكر

أتوجه بها للفاضل المحترم الحاج
عبد القادر المكناسي الذي أنفق على
طبع هذا البحث فأتاح له ان يعرف النور

إلى أبي

تصدير

بقلم الدكتور عبد العزيز الاخوانى

اختلف موقف القدماء من الادب العامى وما يتصل به اختلافًا يسترعى النظر . فلو بدأنا بفرع من فروع هذا الادب - يعتبر اقرب ما يكون للادب المغرب وهو التوشيح - لوجدنا ان احد المؤلفين الاندلسيين ، وهو أبو الحسن بن بسام ، يرفض أن ينقل منه شيئًا إلى كتابه «الذخيرة» ، على الرغم من أن ابن بسام ألف هذا الكتاب غضبًا لاهل الاندلس ودفاعًا عنهم ، وعلى الرغم من أن رأى ابن بسام فى الموشحات الاندلسية انها «أوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب» وحجته فى رفض هذه الاوزان أن «أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» لذلك اسقط الموشحات من ديوانه ، وراها خارجة عن غرض تأليفه .

ومع ذلك فقد عاش فى القرن السادس نفسه شاعر مصرى مجيب ، هو ابن سناء الملك ، وقف من هذا الفن الجديد موقفًا مناقضًا لزميليه الاندلسي ، فقد افرد ابن سناء الملك كتابًا خاصًا لفن التوشيح ، هو كتابه «دار الطراز» استقبل فيه هذا الفن الاندلسي استقبالًا رائعًا جعله يقول : «ان الموشحات مما ترك الاول للآخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وغادر بها الشعراء من متردم» ويمضى ابن سناء الملك فى التعبير عن إعجابه الشديد بالموشحات فيقول عنها «صار المغرب بها مشرقًا لشروفيها بأفقه ، واشراقها فى جوه ، وصار أهله بها أغنى الناس لظفرهم بالكنز الذى ذخرت له الأيام ، وبالمعدن الذى نسام عنه الانام .»

وإذا كان موقف ابن بسام هو هذا من التوشيح الذى يستخدم اللغة العربية أداة للتعبير ، فماذا يكون موقفه من فن الزجل الذى يستخدم اللغة العامية ، والذى ينشر أصعابه من الاعراب نفورا جعل ابن قزمان يرى أن الاعراب «أقبح ما يكون فى الزجل ، وأثقل من اقبال الاجل» ؟

ومع ذلك فإن أبا محمد الحجارى الاندلسى - وهو من عصر ابن بسام أيضا - قد أودع كتابه «المسهب فى غرائب المغرب» عددا ضخما من الأزجال ، فضلا عن التوشعات ، نقل منها وأضاف إليها ما أضاف على بن سعيد فى كتاب «المغرب فى حل المغرب» ، وكذلك ألف ابن الدباغ المالقى «هراج الزجالين» ثم ألف لسان الدين بن الخطيب «جيش التوشيح» وذكر ابن خلدون ألفين فى مقدمته ، ونقل نصوصا منهما .

وكذلك كان موقف القدماء من الامثال العامية : يغرد لها أبو يعقوب الزجالى القرطبى فصلا فى كتابه «رى الاوام» وابن عاصم الغرناطى فى «حدائق الاذاهر» ويتحاشى ذلك غيرهما مسن مؤلفى كتب المسامرات والمعاضرات .

وما يقال عن فنون الادب العامى فى المغرب يقال عن نظائرها فى المشرق ، وعن مواقف مؤرخى الادب المتعارفة منها . وما يقال عن المؤرخين يقال أيضا عن الادباء من شعراء ونثرين ، فمنهم من شارك فى النوعين جميعا ، ومنهم من اقتصر على الادب التقليدى أو الرسمى وحده ، ومنهم من انقطع الى الادب العامى دون سواه .

ولا شك أننا واجدون أسبابا شخصية أو فردية وراء كلا الموقفين حين نريد معرفة الدوافع التى جعلت أحد الادباء يتجه وجهة غير التى يتجه إليها الآخر . ولكن هذه الاسباب الشخصية والمواقف المتناقضة بين أصحاب الافلام من المؤرخين والادباء ، ومن يمتلكون القدرة على التدوين والتصنيف ، لا ينبغي أن تحجب عنا القضية الكبرى .

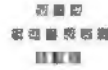
تلك القضية هى أن عبقرية الامة ، ممثلة فى جماهيرها الفقيرة ، لابد أن توجد لها متنفسا ومثقفا للتعبير عن مشاعرها ، ولابد أن تصطنع لها

من أساليب الفنون ما تصور به ذات نفسها . فإذا ما سد أمامها باب فتحت
لنفسها بابا آخر ، وإذا كثرت العقبات والعراقيل فى طريق سلكت طريقا
آخر ، وإذا لم تجد عند الاديب المتفصح الاستجابة الكاملة لذوقها وشعورها
وفهمها بحثت عن الاديب العامى والفنان الشعبى ، غير مقتصرة على فن
القول وحده ، بل متجاوزة ذلك الى فنون التعبير الاخرى من موسيقى وغناء
وتصوير ونحت وعمارة وزخرفة وصنائع يدوية . وكل هذه الفنون ، جملة
وتفصيلا ، ميراث لهذه الامة ، يحمل فيها من مواهبها ، ويبرز جوانب من
عبقريتها ، ويظهر سمات وخصائص من حياتها الطويلة العريضة .

وقد أتى على الامة العربية حين من الدهر صار فيه أدباء العربية
- لاسباب كثيرة - فى عزلة أو شبه عزلة عن مجموع الشعب . لقد أخذ
هؤلاء الادباء يدورون حول أنفسهم فى نطاق ضيق خائق من الموضوعات
ومن المعانى والاخلية ، ويعنون بالصنعة اللفظية ، ويتلاعبون بالصيغ أو
الحيل البلاغية تلاعبا باعد بين ادبهم وبين الحياة العامة . وهناك اتسع
المجال أمام الآداب الشعبية ، فعوضت هذا النقص بما انتجه مواهب اصحابها
فى ميادين القصص والحكايات والخرافات ، وفى ميدان الشعر بأنواعه
المختلفة وأساليبه المتعددة ، وكان الازدهار الذى يعرفه مؤرخو هذه الفنون
ابتداء من القرن السادس الهجرى وما تلاه ، فلما عاد أدباء العربية فى
نهضتهم الحديثة الى ممارسة مهمتهم الاصلية ، والى أداء رسالتهم الثقافية
الكبرى نحو أممتهم ، أخذت حواجز العزلة ترتفع ، وأخذت الصلات الطبيعية
بين صاحب الفن وشعبه تعود سيرتها الاولى شيئا فشيئا ، واقتربت المسافة
بين الادب الرسمى والادب الشعبى ، وأصبح الاخير مصدرا الهام وإيحاء
للاول ، بل اقتربت المسافة بين لغة الثقافة ولغة الحديث اليومى ، اذ ارتفع
مستوى الاخيرة بانتشار التعليم وذوب الثقافة ، ومالت الاولى الى السلاسة
والمرونة وابتعدت عن التكلف والتعقيد ، وفى هذا كله ما فيه من كسب
ثقافى ومن تفاعل مشر خصب ، ومن رد الامور الى مجاريها الاصلية .

وهذه الظروف الثقافية والاجتماعية التى ردت أدباء العربية الى

مشاركة الجماهير تعبيراً وأداءً في العصر الحاضر ، هي أيضاً التي جعلت المحدثين من مؤرخي الأدب العربي يعيدون النظر في تاريخ أمتهم الثقافي ، فلا يقفون بهذا التاريخ عند حدود الأدب الرسمي وحده ، وإنما يمدون دراساتهم إلى الآداب الشعبية ، ليشعروا أبناء الجيل الحديث بأن تراثهم الأدبي أكثر غنى وثراء وخصوبة وتنوعاً مما كانوا يظنون من قبل ، فتعود إليهم بذلك الثقة بآمتهم وبماضيها وتراثها . هذا فضلاً عن أن دراسة هذه الآداب الشعبية واجب مفترض على كل مؤرخ متى كان عازفاً حدود مهنته ، صادقاً في أداء مهمته التاريخية .



وهذه الدراسة المستفيضة التي بين أيدينا للدكتور عباس الجاردي حلقة في سلسلة طويلة لدراسات جامعية شملت كثيراً من أقطار العروبة ، نهض بها وينهض أبناء من علماء تلك الأقطار . ولقد أخذ كثير من هذه الدراسات طريقه إلى المطابع شرقاً وغرباً .

ولا شك أن الجهد الذي بذله الباحث جدير بكل تقدير وثناء ، وأنه به يسدى باباً إلى تاريخ الثقافة العربية ، لاسيما وميدان هذه الدراسة هو هذا المغرب العربي الذي قام بدور رائع في الأدب العامي ، حيث استحدثت فنين ذاعا في الوطن العربي كله ، هما التوشيح والزجل ، بل إن الرهما تجاوزا الوطن العربي إلى الآداب الأوروبية في القرون الوسطى ، فكان لهما فضل - يعترف به اليوم - على تلك الآداب .

ومطالعة هذه الدراسة وقراءة النصوص التي اشتملت عليها يؤكد لدارسي الأدب العربي حقيقتين :

أما أولاهما فهي أن هذا الأدب العامي قد استوعب إلى حد كبير الثقافة العربية في أصولها الكبرى ومنابعها الأصيلة . لقد وجد الشاعر العامي في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وسيرة الرسول والخلفاء من بعده معيناً لا ينضب ، كما وجد في أخبار فرسان العرب وعشاقهم في الجاهلية والإسلام نماذج يشيد بها ، بل أننا لنجد هذا الشعر العامي وثيق الصلة بالشعر العربي فيما يتصل بالآغراض والموضوعات من غزل ووصف

وخمريات ومديح وثناء ، وفيما يتصل بالعاني والصور البيانية والاختنة
وأساليب المعالجة ، فضلا عن المثل العليا المشتركة ، وذلك الى ما يضيفه
هذا الادب العامي من أصالة وصل ، ومن وثبات للمواهب تنطلق بين
حين وحين هنا وهناك ، ومن تعبير رائع عن الجماعة التي عاش فيها بكل
ما لها من أحلام وآمال .

أما الحقيقة الثانية ، وهي بقدر شك مرتكزة على الأولى ، فهي هذه
القربى بين الادب العامي في المغرب والادب العامية في المشرق ، فالدراسة
السريعة المقارنة بين هذه الأشعار المغربية ونظائرها في الجزيرة العربية
والعراق والشام ومصر تكشف عن تشابه لا يمكن أن يكون عرضيا ،
وأحسب أنها لا تترد الى مجرد الشبه الحضاري القائم فعلا بين هذه
المجتمعات كلها في ماضيها وحاضرها ، بل اعتقد أن شعراء العامية هؤلاء
كانوا يتدارسون تراثا عاما مشتركا ، وكانوا على صلة مستمرة فيما بينهم
وإن بعدت الدار . ولعلنا نجد مصداق هذا فيما ذكره ابن سميذ من أنه رأى
أزجال ابن قزمان القرطبي مروية ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب ،
ويؤكد هذا أيضا العناية الفائقة التي خص بها صفى الدين الخليلي رجاله
المغرب في كتابه عن الفنون العامية المسمى «العاطل الخليلي» .

وكم كنت أتمنى أن يبذل الدكتور عباس الجراوي جهدا آخر في
الكشف عن صلة هذا الشعر المغربي بالشعر العربي ، وفي مقارنته بالشعر
العامي المشرقي ، ولكن من الحق أن يقال أننا لا نزال اليوم في مرحلة التجمع
والدراسة في نطاق البيئات الخاصة . حتى إذا قطعت أشواط في هذه المرحلة
جاءت المرحلة التالية : مرحلة المنابع والدراسات المقارنة . وحسبنا أن نجد
هؤلاء الدارسين من أولى العزم في كل قطر عربي لنظامن الى أن ما نطرح
اليه من دراسة شاملة مقارنة سيجيء حتما ، وفي وقت قريب ، وأملنا في
صاحب هذا البحث وزملائه كبير .

القاهرة في مارس 1970

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لكل امة تراث هو عنوان شخصيتها الوطنية يعبر عن قدرة عقليتها ، ويحدد مدى عبقريتها ، ويكشف عن قوة ارادتها ويبرز طابعها القومي الاصيل في مجالي الحضارة والثقافة . وقد مضى زمن غير يسير كان الناس - عامة وخاصة - يظنون ان هذا التراث لا يمثل في غير ما ألف العلماء من كتب تحويها بطون الخزائن والمكتبات ، وفيما اقامت الاجيال خلال حقبة التاريخ من آثار لم يتلقها توالي العصور والازمان ، ويففلون جانبا من التراث ، لعله لا يقل عن هذين الجانبين في توضيح معالم كيان الامة وملامح وحدتها وابرار مقوماتها وقيمها ، ان لم يكن اكثر منها عكسا لروحها القومي وذاتيتها الجماعية ، وهو الجانب الممثل في الآداب والفنون التي صدرت عن الشعب فردا وجماعة ، متخذة وسيلتها في التعبير الوانا من القول والكلام والنغم والايقاع والحركة والاشارة والرسم والتشكيل .

وانطلاقا من هذه الحقيقة بدأنا نهتم بالتراث الشعبي في المغرب ، نحاول جمعه ودراسته ، فالفينا مادته متنوعة غزيرة ، وهي على تنوعها وعزارتها تنقرض وتضيع في غمرة التيار الحضاري الجديد الذي يهر الناس بريقه فجعلهم يدوسون هذا التراث ، جاهلين او متجاهلين انهم يدوسون فيه مقومات ثقافتهم الوطنية ومظاهر حضارتهم الاصيلية .

وكانت رغبتنا ملحة واكيدة حين عزمنا على اختيار موضوع لرسالة الماجستير ، ان نتناول جانبا من الادب الشعبي ، وهو أدب يفرينا ويجذبنا اليه فنحنس له ميلا غير قليل ، فقد رافقنا رفقة عمر منذ عرفناه ثرينا في

المهد ، لاندركه ولا نعيه ، الى ان طربنا له واعين روعته ومدركين جماله ، قاحبيناه وعدونا من حبه نشعر بمزاج متجاوب معه ومنسجم بالطبيعة وائسليقة دون هاتكلف او تصنع ، ولكننا لم نحس الجرأة على مواجهة الجمهور المثقف المغربي بمثل هذه الدراسة ، لاسيما بعد تجربة سابقة عايننا فيها الكثير وكنا قد نشرنا (1) بحثا مسلسلا عن «الفولكلور» .

عدلنا في الماحستير عن الادب الشعبي وسجلنا موضوعا في الادب المغرب المغربي ، متصلا بعهد الموحدين ، ادركنا دراسته حول الشاعر الامير ابي الربيع سليمان الموحدي ، ولكننا وعدنا نفسنا بضرورة انجاز بحث الدكتوراة في احد فروع التراث الشعبي .

وهانحن نفى اليوم بهذا الوعد حيث نقدم اطروحة جعلنا موضوعها لونا من الادب الذي اتخذ اللهجة العامية اداته .

وتعتبر هذه الاطروحة خلاصة جهود متواصلة في الاعتناء بهذا الجانب من التراث الشعبي اكدت لنا الدوافع التي كانت حافزنا الى الاقبال عليه ، وهي :

- 1 - ان الادب الشعبي صورة للشخصية الوطنية ، مهما كانت باهتة فهي اوضح من الصورة التي يعكسها الادب المدرسي المثقف .
- 2 - ان دراسته تعزيز لاقليمية الادب وتقرير لمذهبه الذي تؤيد الداعين له منهاجا للكشف عن ادب الاقاليم العربية المختلفة وسبيل الامة العربية الى لم شتات ادبها المبعثر المجهول .
- 3 - ان الادب الشعبي مكمل للادب المدرسي وان من شأن دراسته ان تساعد على الربط بين الادبيين واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما .

وقد صادفنا في انجاز هذه الرسالة متاعب ومصاعب، بعضها يتصل بموقف المثقفين في المغرب من الادب العامي ، واغلبها يتصل بمصادر الدراسة اما موقف المثقفين فواجهنا فيه انكارا مطلقا علينا ان نتخذ الزجل (1) في مجلة «دعوة الحق» وفي ثلاث حلقات ابتداء من عدد نوفمبر 1962 (السنة السادسة)

موضوعا لرسالة جامعية ، وحاول كثير من الباحثين الاصدقاء تحويل فكرنا عنه واغرادنا بموضوعات في الادب العرب المغربي او بما يروونه التراث الحقيقي لاصيل . وهم في هذا بين عدم معتبر للآداب والفنون الشعبية من اسرار ، لا ينمى قيمتها ولا يراها حديرة بالبحث ، وبين معترف بها ومقتنع بجدية الدراسة التي تدبر عنها ، ولكن يراها تستهدف التسلية والترويح ونأني بذلك في المرحلة الثانية بعد التراث المدرسي ، لا يعدو الاهتمام به أن يكون ترفعا لعمل وترفيها عن النفس ، وآخر يرى ان العامة التي من بمايا مرة التآخر والاحطاط ورواسب عهد الاستعمار ، وان الاعتناء بها يعرف سير المغرب الذي يسعى المغرب الى تحقيقه ، وانه لا يمثل عيسر حركة رجعية هدامة تستمر خلف المحافظة على الآداب الشعبية .

ولعلنا ان نؤكد هؤلاء جميعا ان الادب الشعبي جزء ركين من التراث وأنه تعبير عن مقومات الشخصية الوطنية والداتية الجماعية ، وان الاهتمام به اهتمام بهذه الداتية وتلك المقومات ، وانه لو لم يكن كذلك ما حاول الاستعمار ان يعنى ببعض جوانبه ليثسنى له ان يتسرب من خلالها اليها ليضمهم عقليتنا ويدرك اعماق ثقافتنا واصول حضارتنا ليسهمها من الاساس ونحن مع استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد يونس بخطى من تصور ان الآداب والفنون الشعبية «تستهدف السلية والترويح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل تلتبس لها المواسم وتنتخب لها أماكن التجمع . ان التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، ما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز في امته وتطلب المحافظة على الجماعة كلها في آن واحد (1)» .

ولعلنا ان نؤكد كذلك ان العامة ليست مظهرا من مظاهر اللغة الفصحى في صورة منحطة متأخرة ، وانها مزيج مركب من العربية كما وفدت الى المغرب ومن اللغة المحلية يومئذ ونعنى بها البربرية ، وان العربية التي وفدت لم تكن الفصحى وحدها وانما كانت معها لهجات عربية قبلية ،

(1) من المقال الامتاعي لمجلة (الفنون الشعبية) بعنوان «المأثورات الشعبية» العدد الاول السنة الاولى 1965

وان الصراع اللغوى الذى دار فى المغرب لم يكن بين الفصحى والبربرية وإنما بين هذه ومختلف اللهجات التى كان يتكلم بها العرب الوافدون .
ومن هنا - وإذا ما تهيأت دراسة اللهجات العربية فى كل الاقاليم -
امكن التعرف الى صفاتها وخصائصها والى ما بها من عناصر أصيلة ،
واقضحت بالتالى كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ، بل اذا ما تهيأت
هذه الدراسة سهل تحديد مناطق التفریب بين العاميات وتوحيدها وسهل
كذلك تطوير الفصحى وامتدادها بكثير من الجديد .

ولعلنا ان نؤكد بعد هذا حقيقة أخلا فى ادراكها من كان يتصور ان
الاستعمار كان يحاول القضاء على الفصحى لحساب العامية ، فمن المؤكد
انه كان يقصد الى محوهما جميعا ليحل لفته وينشرها اداة للتخاطب والفكر
على السواء . ولسنا فى حاجة الى القول بأنه لم يعد يخشى على الفصحى
ان يقضى عليها او تزول بعد ان عادت سيادة الوطن العربى الى ابنائه ،
فاللغة العربية الفصحى هى الرباط الجامع لشمى العرب وعماد قوميتهم
وعنوان وحدتهم ، وهو واقع لا يكره الا الجاهلون والمعادون ومن بقيت
فى نفوسهم وأفكارهم رواسب الاستعمار ، ولكنه انكار لا يؤثر على هذا
الواقع فى شىء .

وحقيقة أخرى فى نفسنا نرجو ان نصرح بها للذين يرفضون دراسة
الزحل خشمة على العروبة ولعنها ، وهى ان اتخاذ المغاربة للهجة عامية
عربية اداة للتعبير الشعرى دليل واضح وقاطع على عروبتهم وحيويتهم
وحبهم للغة العربيه ، ولكن حذار الظن بأنا ندعو لها لغة للفكر ، فهى قاهرة
وعاجزة عن ان تمنح نطق ذلك التعبير . ثم اننا فى غنى عنها بلغتنا
الفصحى التى يتوفر لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب كل
حديث .

واما المصادر فعنى اربعة انواع :

1 - الابحاث التى تتصل مباشرة بالدراسة ، وهى جد قليلة لاتتمدى
بضع مقالات . وكان قد ذكر لنا الاستاذ محمد الفاسى انه مهتم منذ
خمس وثلاثين سنة بوضع عروض للشعر الملحون المغربى فاعتبرناه بذلك

رصد البحث في الادب الشعبي ، وسألناه اكثر من مرة - بالاتصال الشخصي
 وانوسبط والرسائل - ورجوانه والحننا في الرجاء عساه يمدنا بما قد
 يفيد ، ولكنه كان ايدا يردنا ويصدنا مهولا لنا امر هذا الادب ، بخيلا علينا
 بما قد يكون جمع من نصوصه او كتب عنه ، وشجبحا حتى بالكلمة الطيبة ،
 سبر لنا الطريق او يبعث الشجيع في نفسنا على الاعل .

2 - الاشياخ : سواء منهم الشمرء او الرواة . وقد اتصلنا في
 محتلف المدن المغربية بعدد منهم غير قليل ، وكان اعتمادنا عليهم كليا في
 التعرف الى الرجل والزجالين ، ولكننا وجدناهم يختلفون في العلم الى
 حد التساؤف في بعض الاحيان ، ويروون اخبارا افسرب الى الخوارق
 والخرافات منها الى الحقائق . وكان علينا ان نلظم ماناخذ عنهم مسن
 معلومات واحبار ، فوضعنا فهرسين بالجداولات احدهما خاص بالزجل
 وانما بالزجلين مرتب ترتيبا تاريخيا ، وكان علينا بعد هذا ان نصفى
 ما ناخذ عنهم من معلومات ونغربنها ونسق فيما بينها . ومع اننا وجدنا
 في ذلك مشقة وصعوبة ، فقد تمكننا في النهاية ان نصل الى تحديد مقاييس
 الزجل وفواعله والتاريخ له .

3 - النصوص الزجلية وتتمثل في :

أ - النصوص المطبوعة : وهي جد قليلة لانتعدى ديوانا صغيرا وبضع
 قصائد متفرقة .

ب - النصوص المخطوطة : تنصسها مجموعة الكنائيش التي وقفنا
 عليها في المكتبات العامة والخاصة . وسجل هنا اننا لم نتمكن من الاطلاع
 على مجاميع الخزانة العامة المرقمة في حرف د : 474 - 1426 - 1504
 1535 ، وقد تبين لنا بعد البحث الطويل عنها انها اخرجت من الخزانة
 وانها في حوزة الاساذ الفاسي . وخاطبناه في ان يسمح باطلاعنا عليها
 ولكنه لم يستجب . كذلك سألناه اكثر من مرة ان يمدنا ببعض القصائد
 وخاصة قصيدة - المصرية - وهي نصيدة طويلة لايحفظها الاشياخ كان
 مد نظمها محمد بن علي العمراني في احلال بونا بارت لمصر . وكنا سألناه
 عنها فأخبرنا انها مدونة لديه . وطلبنا منه - شفاهها وكتابة - ان يطلعنا

عليها او على جزء منها ولكنه للأسف لم يفعل .

ج - لنصوص المروية وقد جمعنا منها عددا غير قليل بواسطة التسجيل الصوتي والندوب الكتابي سواء من الاذاعة أو من أفواه الشعراء والمنشدين . وقد لاحظنا ان الاذاعة لا تتوفر الا على عدد قليل من القصائد بسبب حداثة عهدنا بنظام التسجيل الصوتي . كما لاحظنا ان محفوظات الاشياخ تدور في نطاق عدد معين من القصائد لا تخرج عما يربح الجمهور في الاستماع اليه ، بل ان تقرير جمعيه - هواة اطرب الملحون - بمراكش سنة 64-65 يثبت ان محفوظ اعضاء الجمعية - منشئين ومنشدين وهواة - لا يتعدى سبعا وتسعين ومائة قصيدة ، وان اكثر الشعراء خطأ وهو التهامي المدغري لا يحفظ له اكثر من اثنين وثلاثين قصيدة . ويثبت تقريرها للسنة التالية ان عدد الاشياخ الذين انشدت اشعارهم لا يتعدى الخمسين .

ولم يكن سهلا علينا ان نفهم هذه النصوص ، وخاصة منها المدونه ، بسبب تطور اللهجة وعدم معرفتنا بمعاني كثير من الكلمات وكيفية النطق بها وطريقة قراءة اتبيت بما يقيم الوزن . وحتى بالنسبة للنصوص المفقودة فقد كان الامر غير يسير ، اذ ان الحفاظ يختلفون في نقل النص الواحد ، وغالبا ما يروونه محرفا غير صحيح الا من كانوا منهم عارفين بالحق مدركين لمقاييسه ، ومن هؤلاء يحاولون التصرف في النص بالتبديل والاصلاح .

وكان احساسنا بهذه الصعوبة قويا حين حاولنا - مجتهدين فسي الغالب - ان نصسط المصادر انتهى اوردنا وشكلها لتسهيل قراءتها ويقرب فهمها (1) ولنفس العاية حاولنا كتابة النصوص حسب نطقها او بالاحرى حسب النطق الذي اهتمديا اليه ، بالاضافة الى اننا قدمنا شروحا لما رأيناه غامضا من الكلمات والاسراكيب ، والى اننا لجأنا في باب الموضوعات الى نشر ما استشهدنا به من نصوص .

4 - ماكتب بالعربية او غيرها في الموشحات والازجال واللهجات والتاريخ والسراجم والآداب . وقد حاولنا ان نقف فيها على تجارب الآخرين وخبراتهم العلمية والعملية عسانا نستخرج منها بعض ما قد يساعدنا فيما (1) الاسف شديد اننا لن نتمكن من اثبات الشكل في هذه الطبعة لان الحروف المستعملة في الطباعة بالمغرب لا تتيح ذلك .

نحن نحمدده من دراسة لموضوع بكر جديد . وقد اتيج لنا خلال الرحلة العلمية التي قمنا بها سرليا واسبانيا ان نفق في خزائن اسطنبول ومديره والاسكوريال على مصادر انارت لنا بعض مسالك السير . وكان املنا ان نجد في مصادر الأدب العربي القديمة بعض النصوص الزجلية ، ولكننا وجدنا المؤلفين يعرضون عن ايرادها بل حتى عن ايراد الموشحات عني حد ما يقول عبد الواحد المراكشي متحدثا عن عبد الملك بن زهر . واما الموشحات خاصة فهو الامام المقدم فيها ، وطريقته هي العاية القصوى التي يجري كل من بعده اليها ، هو آخر المعجدين في صناعتها ، ولولا ان العادة لم تجر بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المجلدة لاوردت له بعض ما بقي على حاطري من ذلك» (1)



وكان المنهاج الذي سمرنا عليه في البحث هو نفس المنهاج الذي ندعو له في دراسة كل ادبنا وتراثنا عامه ، ويلخص في اربع مراحل ، يحتاج انجازها - كلها او بعضها - الى جهود فردية وجماعية تعمل في تكتل وتناسق وتكامل ، وهي :

- 1 - التعرف الى المصادر والتعريف بها بوضع فهرس لمخطوطات الخزائن العامة والخاصة .
- 2 - اخراج النصوص محددة أو محققة ان امكن .
- 3 - دراسة هذه النصوص دراسة تحليلية تقوم على الوصف والتفريير
- 4 - دراستها دراسة نقدية ومقارنة .

فقد بدأنا بحصر مصادر الزجل الموجودة في كل المكتبات العامة وبعض الخزائن الخاصة ، بالاصافه التي ما سجلناه من الاداعة واتسواء الاشياخ ، وتجمع لنا من ذلك نحو الف نص ، منه ما يقرب من ربعة مكرر ، ولكن نكراره اتاح لنا مقابلة بين النصوص التي وقفنا منها على اكثر من نسخة . وقد صنفنا هذه النصوص ووسعنا لها فهرس على هذا النحو :

(1) المعجب في تخيص اخبار المغرب من 92 مطبعة الاستقامة - القاهرة سنة 1949

اولا : فهرس لكل مجموع او كنانش .

ثانيا : فهرس بالجداول للقصائد مرتب حسب الموضوعات .

ثالثا : فهرس للقصائد مرتب حسب الشعراء .

رابعا : فهرس للقصائد المنشدة .

خامسا : فهرس للقصائد التي لم نهتد لاصحابها .

سادسا : فهرس للقصائد التي يروي الحفاظ المغاربة لبعض زجالي الحزانر ، وكانوا في معظمهم كثيرى التردد على المغرب والاتصال بأشياخه وجماهيره .

وفى كل من هذه الفهارس اشترنا الى عنوان القصيدة ولازماتها واسم صاحبها ومرجعها وكذلك اسم المنشد ومدة الانشاد بالنسبة للقصائد المسجلة بالصوت .

بهذا التحديد للمصادر وتسهيل الرجوع اليها فيما نعلمنا من فهارس، مهدنا السبيل امام الذين يرغبون فى اخراج النصوص ونشرها ، وما كان فى استطاعتنا أن نقوم بذلك ونحن بصدد انجاز الرسالة لاسيما وأن عددها كثير ، لهذا حاولنا ان نمثل اثناء الدراسة بنماذج متعددة ومختلفة من النصوص وخاصة فى باب الموضوعات . وقد كان فى نيتنا ان نقتطف منها مختارات نلحقها بالرسالة ، ولكننا اعتدنا الحاق - دليل للزجل - أهم من الحاق مختارات . والامل عندنا - اذا ما أتيحت لنا فرص النشر - ان نخرج هذه النصوص سواء فى مختارات او فى دواوين بالنسبة للشعراء الذين تجمع لنا من قصائدهم عدد كثير .

ورائنا ان تكون دراستنا للزجل وصفية نسجية بقصد منها فى اتمام الاول الى التعريف بالزجل تقريراً وتحليلاً ، دون محاولة لمقارنته بالادب العرب او ادب النهجات العامة الاخرى ، وهى طريقة تتفق والمنهاج الذى فرض نفسه علينا بعد ان خططناه والذى اقتضى منا فى هذه المرحلة من الدراسة ان نركز على الوصف والتفريز والتحليل ، وهى مرحلة نراها ضرورية فى الكشف عن اى ادب مجهول . وعسى ان نوفى فى المستقبل الى القيام بدراسة مقارنة يكون اساسها ما أمكننا حصره من الوان الشبه بين

الزجل المغربي والرجل الاندلسي او بينه وبين الادب العرب وما أشار به
عيننا استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني اثناء اشرافه على
مراجعة وتبعية لمراحلها المختلفة .

وما نقوله عن الزجل نقوله كذلك عن لغته ، فقد حاولنا من خلال
اثبت ان نتعرف اليها حيث سجلنا بعض طواجرها وخصائصها في محاولة
اولية لموصف بعيدا عن معارفتها بغيرها من اللهجات والحكم عليها بآى
لون من ألوان الحكم أو محاولة استنباط فواعدها وقوانينها التي خصصت
لها . وقد احسنا في المحاولة البسيطة التي قمنا بها في هذا المجال أن
من المرحلة الوصفية ليس باليسير يحتاج انجازها الى لجان من المتخصصين
لا اى فرد أو مجموعة أفراد ، وأنه منى تهباً انجاز هذه المرحلة امكن تقديم
ماده أوية لدارسى اللهجات وعلماها المقارن .

واقضى منا منهاج البحث ان نقسم الدراسة الى مدخل وثلاثة ابواب

وان نسمعها بملحق :

المدخل : انقصيدة الزجلية والغناء الشعبي .

اسعرضنا فيه محتف انواع الغناء في المغرب وتناولنا القصيدة
الزجلية كلون من اهم ألوان هذا الغناء وما تقوم عليه انشادها من نوبات
الموسيقى الاندلسية ومبزينها ، وما يصاحب هذا الانشاد من آلات وكيفية
ادائه . وناقشنا شعبية الزجل شعرا وغناء ، واثبتناها على الرغم من ان
جمهوره لم يكن محصورا في العوام ، وعلى الرغم من اننا نعرف اسماء
منشثيه ، ومن ان بعض قصائده مدونة .

الباب الاول : الشكل

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الاول : مفهوم الزجل وانواعه

وهو جزءان

1 - مفهوم الزجل .

اوضحنا فيه مدلول كلمة الزجل سواء في اللغة او الاصطلاح الادبي ،

وعلمنا لأصلافتنا هذه الكلمة على الادب الشعبي المغربي بدلا من تسميات اخرى كثيرة يعرف بها عرصاها كذلك .

2 - انواع الزجل

تناولنا فيه اهم انواع الزجل المغربي بعد ان بينا اننا سنقتصر البحث على نوع واحد منها وهو القصيدة المظمه التي يعرف منشئها .

الفصل الثاني : اللغة والفنية .

جعلناه خمسة اقسام :

1 - مراحل التعريب : تحدثنا فيه عن الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى عهد الموحدين الذي اعتبرناه آخر مرحله شهدت تمام استعراب المغاربة .

2 - نشأة العامية : تناولنا فيه طبيعة اللهجات وأسباب نشأتها وأوضحنا ان العربية حين وفدت الى المغرب لم تكن معربة ونقية كما قد يُظنّ وأنها كانت تمثل في الفصحى لغة القراء وفي لهجات الفاتحين القبلية ، وأوضحنا كذلك ان انصراف النغوى في المغرب لم يكن بين البربرية ولغة القراء وانما كان بينها وبين لهجات الفاتحين .

3 - خصائصها : جعلناها على نوعين :

أ - خصائص عامة تشمل اللهجة الدارجة المنتشرة في اهم المدن ومناطق المغربية .

ب - ظواهر خاصة بلغة الزجل كما طورها الزجالون وطوعوها لتغييرهم الفنى .

4 - جوانب بلاغية : عرصناها بعد ان بينا ان البلاغة قد تكون في اشعر العرب والعامى على السواء ، وتمثل عند الزجالين المغاربة في :

أ - التجنيس أو الحساس .

ب - التصريف وهو ان يتصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها

ج - التصمين أو التلزم وهو أن يجعل القافية على أكثر من حرف

د - التشبب وهو أن يستهل الشاعر الشطر بكلمة أو بكلمتين من

... الذي فيه وابيت بسطر من البيت السابق عليه .

هـ - استخدام نوع معين من الكلام كأن يضم الشاعر قصيدة . كل حرف ، مهملة أو آن يلتزم بدء كل بيت من قصيدته أو أسباه بكلمات معينة

ز - منه الأسلوب - ونمثل في .

أ - التشبيه والمفارقة .

ب - الحركة والحيوية والتشخيص .

ج - الحوار .

د - الفصه .

هـ - الرمز .

كما أضعنا إليها بعض المحاب النقدية التي لاحظناها على لسان
الاشياخ سواء منها ما ينص بالشعر أو الشاعر .

الفصل الثالث : العروض

ويتكون من ثلاثة اجزاء :

1 البحور

ناقشنا في اول هذا الجزء ما يقال من ان بحور القصيدة الزجلية غير
محدودة وما يقال كذلك من انها محدودة في نطاق عروض الخليل ، وانتهينا
الى ان هذه القصيدة لا تسير على تفعيلات هذه العروض في تناسبها
معروف ولا تخضع لأوزانه ، وأن كانت لا تبتعد عن ايقاعه . ثم فصلنا القول
في البحور التي تعارف عليها الزحالون ، وهي :

أ - المبيت : وينقسم الى المثنى والثلاثي والرباعي والخماسي .

ب - مكسور الجناح .

ج - المشتب .

د - السوسي .

2 - بناء القصيدة :

ويتكون من :

أ - مقدمة يطلق عليها السرابية .

ب - اجزاء القصيدة ، وهى :

1 - الدخول .

2 - الحزبه (اى اللازمة) .

3 - الافسام (من حيث عددها وعدد الابيات داخل كل قسم)

ج - مقدمات الاقسام ، وتمثل فى :

1 - العروبي .

2 - النواعى .

د - القسم الاخير : ويضمنه الشاعر اسمه - تصريحاً او رمزاً

بالحروف والارقام - وتاريخ النظم واهداء السلام والصلاة والدعاء

وعجاء الخصوم .

هـ - الدريكة : وتتضمن - حين توجد - مايتضمنه القسم الاخير

فى العادة .

وختمنا هذا الجزء بنموذجين يوضحان البناء : احدهما من المبيت

والثانى من مكسور الجناح .

3 - نظام القافية :

تناولنا فيه :

أ - براعة الشاعر فى التقفية ، وتمثل فى نظم القصيدة كلها بقافية

واحدة وفى استعمال قوافى داخلية فى الابيات .

ب - القافية فى الاقسام حيث تتبعها نظامها فى مختلف البحور .

ج - القافية فى المقدمات .

د - القافية فى الدريكة .

هـ - عيوب القافية ، وتمثل فى :

1 - القوافى الصيادية وهى التى لاتسنوى حرفها من موضوع القصيدة

2 - اتخاذ الهمزة قافية .

3 - الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج .

الباب الثانى : الموضوعات

ويتكون من أربعة فصول :

الفصل الاول . المرأة

عرضنا فيه لاربعة جوانب :

1 - المحبوبة : يمثل هذا الجانب نظرة الرجال المغربي للمرأة واقتتانه بحملها كما تهواه نفسه وليس كما هو في الواقع ، فجاءت بذلك الصورة الى رسم لها نموذجاً لاتحذف ملامحه من شاعر لآخر .

2 - المحب : تبيننا في هذا الجانب حال الشاعر في معاناته من حب المرأة ، ضعيفا ذليلا يقاسى مختلف ألوان العذاب ويسعى للوصول اليها بشتى الوسائل .

3 - الحب : ويبدو تمثل المحب له مويًا طاعيا ومتجبرا لا يفوى على مواجهته .

4 - ملاحظات ، تناولنا فيها :

أ - تفضل الشاعر في النص الواحد بأكثر من امرأة واحدة .

ب - التفرغ بالذكر .

ج - الرمز بالفضل في المرأة الى معنى سامي .

د - مدى صدق الشاعر في غزله .

الفصل الثاني : في الحياة

حددنا فيه نظرة الرجال المغربي للحياة في جانبها الحسي والتجردى:

1 - الجانب الحسي : ويمثل ابتسامه للحياة واستمتاعه بملذاتها ، وتناولنا فيه :

أ - اقباله على الخمر .

ب - افتتانه بالكون والطبيعة .

ج - رخصناه بملاحظة عن شعر الفكاهة .

2 - الجانب التجردى . وجعلناه عن «الزهد والحكمة» . فقد عبر

بهما الشاعر عما يمتثل في نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك

المجتمع وما يعلل به للوقائع والاحداث في استسلام لقضاء الله وقدره

وعمل يراه وعظا ناجعا للناس عساهم يحسنون سلوكهم ويقتنعون بأن

الدنيا ليست غير دار عبور لا يفتريها الا مغفل مجنون .

3 - ودلنا الفصل بملاحظات عن :

أ - مدى اتصال الزجال المغربي بالحياة في أبسط مظاهرها وأصغر مشاكنها .

ب - لجوئه في الوعد إلى أسلوب الخطاب يوجهه لنفسه أو لغيره .

ج - تخصيصه قصائد لتذكير بعظمة الله وقدرته بقصد تنبيه الباعدين المتهاوتين على الدنيا .

الفصل الثالث : مع الناس

ساولنا فيه :

1 - المدح : وهو فن لم يعن به الزجال المغربي لما أحس فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع وخلوه نتيجة ذلك من اصاع الذهن والشعور .

2 - الرثاء : وهو كالمدح لم يقبل على النظم فيه ، بل أنه كان أكثر منه عرصة للصيغ لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد .

3 - الهجاء : وكان من أكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الشعراء وجذبت المنشد والجمهور لما يبدو فيه من صدى الدافع وانطباع شخصية صاحبه عليه ولما يترك في نفس السامع عن إحساس بالمتعة وهو بشاهد عروض المنافسة . ويحق به القخر و «السولان» وهي قصائد في السؤال والالغاز ، والخصام او «المحاورة» وهي قصائد في المفاخرة والمنافرة .

والحقا بهذا الفصل ملاحظة عن مدى ولوع الشاعر الشعبي بنفس الخصام ، إذ لم يقصره على الأشخاص فقط ، وإنما تخيله كذلك في النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون .

الفصل الرابع : في حسي الله والرسول

تبعنا فيه مع الشاعر الشعبي حبه للرسول عليه السلام واستعراضه لأوصافه وشماله وجوانب من سيرته كالمولد والوفاة والمعراج ، وما خصه به من صلاة . وهو في ذلك لا يسعى إلى غير زيارة قبره والفوز بشفاعته يوم القيامة ، وهي غاية حملته يتحدث عن هول هذا اليوم وعن شوقه والحنين

الى ابغاع المفسدة . ثم انه لا يلبث ان يكشف عن حال ضعفه ورجائه
لملج في ان ننقده اليه ويدعو عنه متحدا وسيلة اليه او الى رسوله الكريم
وساطات محتله من الاشراف والاولياء يوسل بهم ويمدحهم كذلك .
وحسبنا الفصل بملاحظة عن العشق الالهى الذى يكاد لا يوجد الا نادرا
وعند بعض الزجاليين المصوفين .

الباب الثالث : الاعلام

قصدا منه الى التعريف بطور القصيدة الزجية من خلال التعريف
بأعلامها ، وجعلناه ثلاثة فصول تمثل ثلاث مراحل :

الفصل الاول : مرحلة المنشأة

وجعلناه جزئين :

1 - اسماء ونصوص قديمة .

استعرضنا فيه بعض الاسماء والنصوص التى امكننا العثور عليها منذ
عهد الموحدين فى اوائل القرن السادس حتى عهد المرينيين قبيل
منتصف القرن التاسع الهجرى .

2 - الاصول الاولى للقصيدة الزجية .

حاولنا فيه - استنادا الى ما اهتمت به من اسماء ونصوص - أن نرى
ان كانت القصيدة الزجالية المغربية امتدادا للزجل الاندلسى أم
محاكاة مباشرة لفن التوشيح كما عرفه المغاربة ام تأثرا بشعر اهل
الامصار العرب الوافدين الى المغرب أم استمرارا لعروض البلد الذى
استحدثه اهل المدن بالمغرب أم تطورا للاغاني والمرددات الشعبية
المحلية ؟ وانتهبنا الى ان هذه الاغاني والمرددات هى الاصل الاول
للقصيدة وانها قد تكون حاكت عروض البلد وتأثرت بأشعار العرب
الوافدين وخاصة منهم الهلاليين وحمدتهم ، ثم بالزجل الاستداسى
فيما بعد حين تتلمذت من البيئات الشعبية الصرفة الى بيئات واقية

الفصل الثانى : مرحلة التطور .

بدأت قبيل منتصف القرن التاسع على يد عبد الله بن احساين
وامتدت زهاء ثلاثة قرون حيث وقفنا بها عند المصمودى فى اوائل القرن

الحادى عشر • وهى مرحلة كانت القصيدة الزجلية تكتسب خلالها كثيرا من الحديد وتحاول احراز كيانها انسى ستتستقر عليه سواء من حيث الشكل او المضمون •

ولاحظنا فى ختام الفصل ان هذه المرحلة توقفت ، وان توقفها دام زهاء قرن ونصف ، وملنا فى تعليل ذلك الى اهمال الحفاظ لرواية ازجال المغاربة واقبالهم على ازجال الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب فى هذه الفترة ، وكانت لهم مكانة فى الدولة • وخاصة منهم سعيد التمساني • كما لاحظنا ظاهرة انتشار الزجل فى بيئة المتصوفين المغاربة

الفصل الثالث : مرحلة الازدهار •

بدأت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوى فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، وتجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان الذى كان بدوره من الزجلين • وكان آخر بريق لنهضة الزجل فى هذه المرحلة فى اوائل القرن الحالى ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من كبار علماء عصره وزجاليه •

وتعتبر هذه الفترة من اخصب فترات الزجل لكثرة مانبغ فيها من الشعراء ، وقد حاولنا ان نستعرض اعلامهم الذين آتبع لنا ان نهتدى الى بعض اخبارهم وأشعارهم ، فبدأنا بالجيلالى اميرد ، وختمنا بالحاج محمد العوفير • واذيلنا الفصل باستعراض لاسماء كثير من الزجالين المعاصرين مرتبة حسب مدنهم ، ولاحظنا ان الزجل عند هؤلاء تجدد فى صور ونماذج تقليدية بعيدا عن أية محاولة للتعبير عن الاحساس الذاتى والتكيف مع روح العصر بله التطوير والتجديد •

ملحق :

وقد ارتأينا ان نذيل الرسالة بدليل ضمناه جميع الفهارس التى سبق ان أشرنا اليها (1) •

وبعد ، فلسنا نزع اننا قلنا جميع مايمكن قوله فى الموضوع ولا اننا

(1) نأمل نشره على حدة ان شاء الله •

أتيت بالمول الفصل فيه • وحسبنا اننا فتحنا بابا جديدا للبحث الادبي في المغرب ، واننا بذلنا في سبيل ذلك جهدا يشهد الله أنه كان محلصا ومتواصلا • وأمدنا ان يجد الدارسون من زملائنا الشباب في هذه الرسالة ما يغريهم بمواصلة البحث من أجل احياء التراث بجميع أنواعه ، وأن يجد فيها المسؤولين عن جامعة محمد الخامس ما يفتنهم بضرورة ادراج ادب المغرب الشعبي في مقررات كلية الآداب الى جانب أدبه المغرب الذي نتحمل عبء تدريسه بها •

وواجب علينا ان نرجي الشكر جزيلا الى أسناذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني الذي كان لاشرافه ما انار لنا السبيل وشجعنا على المضى والاستمرار ، وإلى سيدنا الوالد حفظه الله لما قدم لنا من نصائح ونواحيات وفوائد وما بذل من جهد — باتصالاته العديدة وحلال مختلف أسعافه — في البحث لنا عن مزيد من النصوص ، وإلى زوجتنا الحبيبة التي ساعدتنا في التسجيل والتدوين وتحملت في صديق وصبر وتقدير ما كانت تفرضه ظروف انجاز الرسالة من استغراق كلي في البحث وانشغال عما سواه ، وإلى كل من أمدنا بنص أو أشار علينا بفائدة أو دلنا على مصدر ، إلى الاساتذة الاجلاء السادة : ادريس بن الماحي وعبد السلام بن سودة ومحمد الهسكوري ومحمد المنوني وعبد الله گنون وعبد الوهاب بن منصور وسعيد اعراب وعبدالله الرحراحي وابراهيم الكتاني والمهدي الدييرو ومحمد السفاني والصمدي المزوار وحسن الرحراحي وجعفر الكتاني وعبد القادر زمامة ومحمد الشليخ والاخ عبد الواحد الجراحي والدكتور عبد السلام الهراس ، وإلى اشناخ الزجل الافاضل السادة الحاج محمد بن عمر الملاحوني وبعيسى الدراز ومولاي احمد بن عبد السلام العلوي واحمد سهوم والحاج محمد العوفي وعبد القادر الحرازي ومحمد بن الهاشمي وادريس المروني وهاشم السفاني ومحمد حسن التطواني •

والله نسأل ان يوفقنا للخير ويهدينا للصواب •

القاهرة 28 ذي القعدة 1388 — 15 فبراير 1969
عباس بن عبد الله الجراحي

مدخل

القصيدة الزجلية

والغناء الشعبي

يمكن تفسيم الغناء فى المغرب الى انواع تختلف لغة ونعما واداء باختلاف مناطق هذا العناء • ومن الاسوان التى تتخذ العربية اداتها فى التعبير نستطيع ان نذكر

1 - القصيدة الزجلية التى اخذناها موضوعا للرسالة ، وستناول انشادها فى هذا المدخل •

2 - المواويل والعروبيات والسلامات والعيطة والطقطوقة وأعيوع والدقة وغيوان بن يازغة والمزوكى ؛ وستتحدث عنها كأنواع للزجل فى الجزء الثانى من اول فصل فى الرسالة •

3 - الموسيقى الاندلسية وتسمى «الآلة» تطرب لها مختلف الطبقات، وهى تمثل لونا من التراث الذى انتقل الى المغرب من الاندلس ، فحافظ عليه المغاربة و اضافوا اليه • وستستعرض نوباتها وميازينها بعد سطور •

4 - الغناء العصرى وهو متأثر فى أغلبه بالغناء المشرقى والمصرى خاصة •

5 - اغانى العمل وارقاص الاطفال ومآليها من المرددات البيئية اليومية

6 - الاغانى والانشادات الدينية ، وتنقسم قسمين :

أ - الامداح وأغلبها فى المدح النبوى - ومن هنا جاءت تسميتها - وقد اشتهر بأدائها منشدون يطلق عليهم «المسمعين» وهى ابيات ومقطوعات تنشد حسب نوبات وميازين الموسيقى الاندلسية ، ولكن دون أن تصحبها الآلات الموسيقية •

ب - أناشيد الطريقين وفقراء الزوايا ، وهى اشعار فى الذكر أغلبها لان القارض والششبرى والحراق ، او اوراد وأقوال لاشياخ الطرق ، تعتمد فى تلحينها على بعض الطبعوع الاندلسية يصحبها رقص الذاكرين ، وهو رقص يختلف حركة وقوة وحدة باختلاف

صوائف ، هذا بان مثلا رقص درفاوة وانفاسيين هادئا ليس فيه
نير الهز اعمودى للجسم والانتاف فان رقص احماشيه وعيساوة
يعتمد على تحريك قوى للجسم والاصراف مع الضرب العنيف
بالاقدام على الارض . وعانها ما يصاحب الانشاد والرفص عزف على
الالات الموسيقية ، وتختلف هذه الآلات باختلاف الفرق ، فالآلات
درفاوة مثلا هي آلات الموسيقى الاندلسية وان فل اعنادهم عليها ،
وانفاسيون يعتمدون على الطبله ، اما عيساوة واحماشيه فعلى
البنير والغيطة والطبل والدعوى .

ونعبر القصيدة الزجلية من اهم ألوان هذا الغناء يطرب لها العامة
والخاصة من الناس ، يفهم انشادها على نوبات الموسيقى الاندلسية ومياريها .
وعلى الرغم من أنه لم تنهيا لنا دراسة موسيقية من شأنها ان تتيح لنا
بدول هذا الجانب لغنى عن دراية وادراك ، فقد ارتأينا - تكميلا لمختلف
أطراف الموضوع - أن نشير في استعراض سريع الى هذه المياريين وتلك
النوبات ، تسعينا في ذلك بعض المصادر (1) التي عنيت بتسجيلها وبعض

(1) وهي : (1) مجموع يضم قصائد وموشحات في المديح النبوى مرتب على
نوبات في الانشاد جمعه احمد بن محمد العربي احضري
المراكشي (مخطوطة خاصة بالكاتب)
(2) كتاب «الانيس المطرب فيمن تفيبه مؤلفه من أدباء المغرب» لابي
عبد الله محمد بن الطبيب العلمي ت سنة 1134 هـ لدى
ترجمة ابي عبد الله سيدى محمد البوعصامي (ط حجرية
غير مؤرخة) .

(3) كتاب الحايك في الموسيقى الاندلسية ، وهو مخطوط ،
وكان اعناده على مخطوطة الخزنة العباسية . وقد نشره
فرناندو مارتينز وككه اقتصر على ايراد كلام الحايك في
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص :

El concionero de AL-HA'IK : Fernando Valoerrama Martinez
Instituto General Franco de estudios E investigat on hispano-
Arabe Tetuan 1954

(4) منظومة قصيرة للنحوات مخطوطة بالكتبة الملكية رقمها
4229 ، اولها :

وها أنا رتبته منظمة نظم لآل فى سلوك محكمة

(5) منظومة لعبد الواحد الوبشريسى اولها :
==

المعلومات التي اخذناها من المتخصصين في هذا اللون من الموسيقى بالمغرب .

اما اقنوبات فاحدى عشرة ، هي :

- (1) **مهل المائة** : ذكر الحايك عن احد طبوعه (1) وهو الحسين ، انه يستعمل «فى جميع الاوقات ونغمته الذ النغمات والحانة اطيب الالحان» (2)
- (2) **الاصبهان** : ويقال «ويقال ان ملائكة الرحمن يسبحون بهذه النغمة ، ونغمته حادة رقيقة حلوة» (3) ويقال كذلك ان مرددات المتسولين قسامة عليها وان باب الجنة يطرق بنغمتها للملازمة رقتها لتندلج والرجاء والاستعطاف
- (3) **المائة** : قال عنها الحايك «انها تجلب النوم» (4) وتغذر بالفراق ، بذلك فهي عابها ما تؤدي في العشايا والامسيات . ويقال ان السلطان الحسن الاول كان يتشاهم منها ويدعو الى عزف نوبة العشاق بدلا منها ، واشتهر ذلك حتى قيل في المثل : «اعكس لقضيا افلعشيا» .

- (4) **وصد الذيل** : وقد شاع عن رجال الفن انه «اذا طال الليل فعليك برصد الذيل» وهي قولة تدل على ان هذه النوبة تساعد على السهر وما يقتضى

طبائع مافى عالم الكون اربع ففي مثلها اضرب للطبوع مجعلا
وهي واردة في : أ - مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديرية رقمه

5307

- ب - كتاب الحايك مخطوط الخزانة العباسية ص 12 - 13
- ج - مجموعة احضرى ص 20 (بترتيب مختلف للسلايات
منسوبة للامام الوجدى ، ولعله خطأ فى انتساخ اسم
عبد الواحد)

- (1) لكل نوبة مجموعة من الطبوع . يقول الحايك : «ان الطبوع
فى هذا الزمان بهذا المغرب الاقصى اربعة وعشرون طبعا
ويزايد طبع الصيكة وهي من اعذب مايكون ، ولكل تواش
واغنية وطبوع كثيرة ... منها الجرعة والرهاوى والراست
والروكة ... وطبوع كثيرة يطول ذكرها وتنتهى الى
ثلاثمائة وستين كما وقفنا عليه فى غير ما تأليف» (ص 52
من *El Concionero de AL-H'AIK* وفى رأى بعض المعتمدين أن
الطبوع تبلغ ستة وستين وثلاثمائة على عدد ايام السنة
الشمسية بما فى ذلك السنة الكبيسة .

(2) المصدر السابق ص 85

(3) المصدر السابق ص 92

(4) المصدر السابق ص 99

من صبر وتحمل لفراق الاحبة •

(5) **الاستهلال** : ويعتبر مما أضافه المغاربة الى الموسيقى الاندلسية على عهد دولة السعديين ، وهو عند الحايك «من الطبع المجهولين ويقال ان الـدى استخرجه هو رجل يسمى بالحاج علال البطلة فى اوائل ايام مولانا السلطان الاعظم امير المؤمنين عبد الله محمد بن الشيخ الشريف الحسينى استخرجه لمدينة فاس» (1) ويقال فى سبب تسميته انه كان يستهل به (6) **الرصد** : يقال انه يوحى بالدلال والعناد ، وانه «رقيق النفحات حلو الالحان» (2)

(7) **غريبة الحسين** : وهى نوبة حزينة يقال ان مستخرجها سلطان اسمه الحسين كانت له جارية «تسمى بالغريبة لانفرادها عن أهلها وأوطانها وكان السلطان مفرما بها فلذلك سميت بغريبة الحسين ، ولها من الاوقات طلوع الفجر ، وهذا الطبع نفثاته وألحانه تؤثر فى قلوب السامعين الرافة والحنان وسكان عبر المقل» (3)

(8) **الحجاز الكبير** : ويعرف بـ «الحجاز» يوحى بالعمق والسمو (9) **الحجاز المشرقى** : ويعرف بـ «المشرقى» قال عنه الحايك انه «يستعمل فى سائر الاوقات وانما هو حلو رقيقة مفرحة» (4) وقال عنه احضرى : «فيه تفريح لسامعه لانه يزيل الغم ويسلى عن المصيبة» (5) (10) **عراق العجم** : ذكر الحايك ان مستخرجه صيكة بن تميم العراقى وانه «رقيق النفحات حلو الالحان وله تأثيرات فى نفوس المستمعين ويسهل للقلوب الفرح والسرور ويجلى عنها الهموم ٠٠٠ ويكسب الفضل للنفوس والشرف ويقوى عزمها على الخير والعفاف ، وما من انسان كريم الشيم سمعت نفسه نفثاته الا طربت اعضاؤه ورشحت انامله» (6)

(1) المصدر السابق ص 111

(2) المصدر السابق 117

(3) المصدر السابق ص 124 - 125

(4) المصدر السابق ص 138

(5) صفحة 24

(6) صفحة 144

11) **اتعشاق** : قال عنه احصرى : «نغمته حلوة لذيدة وله من الاوقات

من ابتداء الصبح الى الزوال» (1)

وأما الميازين التى تؤدى عليها كل نوبة فخمسة ، هى :

1 - البسيط .

2 - القائم ونصف .

3 - البطايحي .

4 - المدام .

5 - الدرج .

وتكاد اغلب القصائد تؤدى فى الدرج ، وهو ميزان لا يوجد من غير الموسيقى المغربية ، اذ لا اثر له فى «المألوف» و «الغرناطي» وهما الاسمان اللدان يطلقان على الموسيقى الاندلسية التى انتقلت الى تونس والجزائر . ويؤكد اكثر المختصين انه من اضافات المغاربة لهذه الموسيقى ، وقد ذكر احصرى فى مجموعه انه تفرع من «البطايحي» (2)

وتصاحب انشاد قصائد الزجل آلات يطلق عليها «ماعن» او «لواعن» (3)

نجدر ذكر بعضها عند الشعراء على حد ما نقول المدغرى فى «الساحي» :

ماهر ك توشيح * والبستان القيقح

والعيدان اتصيح * والرباب اللى نايح

ويقول فى «الصباحي» :

شف العود والقانون وانجناح اجنت (4) اتمجنا واسنتر احداها

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغايم لوتار

شف الآلى موسيقتو شهاد اعلى حسن انعايمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا اعلى الرضا ماغزلو حرار

ويقول فى «الكاس» :

(1) صفحة 24

(2) صفحة 12

(3) أصلها الموعين ج ماعون .

(4) لم تعد هاتان الألتان تستعملان (الجنك والجنج) ولم نوفق الى التعرف اليهما ، وقد بدالنا من سؤال بعض المختصين انهما

دب الخمر الكافح * اصاحى وتراوح * بالنعريجة واكبح

ويقول الرجراحي فى «الساقى» مشىرا الى بعض الطبوع

شف القانون امع الرباب شف ابجناك الجناح

وانظر للكمناج او شوف العود ارجيح

ينغم بالموال والرصد والسانو مصدوح

شف اصهان امع احسين والمايا فى تنقاح

شف العشق الصافى الزمانعا باش اريج

والتوفيق من الكريم نعم الحى الصوح

ومد تفل الآلات او تكثر حسب الاجواق ، لكنها لا يخرج عن نطاق

الآلات المستعملة فى معظم الوان الموسيقى المغربية وهى :

اولا : آلات النفخ :

1 - البيرة او الليرة : وهى نوع من الناي ، تصنع من القصيب المجوف وتكون مفتوحة من الطرفين وبها ثقب يتراوح عددها بين خمسة وسبعة .

2 - الفبطة : وهى نوع من المزمار تتخذ من الخشب ، تبدأ ضيقة فى طرفها الاعلى ثم تأخذ فى الاتساع حتى طرفها الاسفل . تثبت فى فيها قطعة مدورة من العاج او العظم بها فتحة منها يكون النفخ . ويكون بها فى الغالب سبع ثقب ستة من فوق متساوية الابعاد وواحدة فى الاسفل . وهى سميكة بالمزامير المصرية التى تتخذ احجاما مختلفة وتسمى :

(أ) المزمار البلدى وهو اطولها .

(ب) المزمار الصعيدى : متوسط .

(ج) السببس : وهو اصغرهما .

3 - النقيز : وهو فى شكله كالغبطة الا انه طويل ومصنوع من معدن

آلتن وتريتن شهيديان بالهرب Harpe والدير Lyre العربيتين ، وبالسسمية التى تستعمل فى بور سعيد ، والطنجورة المعروفة فى نوبة مصر ، وهما من عروضات منحف مركز الفنون الشعبية بالقاهرة ، وقد افدنا من هذه العروضات فى مقارنة بين الآلات المغربية والمصرية .

النحاس في الغالب ، وتؤدي به النعومات الغليظة العميقة •

ثانيا : الآلات الوترية ، وهي نوعان :

1 - ما يستخرج نغمها بواسطة القوس ، وهي :

(أ) الرباب الفاسي : وهو عبارة عن صندوق خشبي من كتلة واحدة تعطيه قطعة جلد ماعز ويكون في طرفه الاعلى مشط معوج يشد اليه وتران عليشان يمران وسط الصندوق ، ويثبت في طرفه الاعلى مفتاح لشد الوترين يتخذ شكل زاوية •

(ب) الرباب السوسي : وهو عبارة عن دائرة خشبية تغطيها من الجهتين قطعة مثقوبة من جلد الماعز ، ويمر في وسط الجلد الاعلى مشط ثبت في طرفه مفتاح لشد الوتر وهو وتر واحد مصنوع من شعر الخيل ، اما القوس فعصيب من خشب معوج بعض الشيء يشد طرفيه وتر من نفس النوع •

(ج) الكمان او الكمنجة : وهي آلة معروفة •

2 - ما يستخرج نغمها بالنقر والنبر (1) وهي :

(أ) العود : وهو معروف •

(ب) انقانون : وهو معروف كذلك •

(ج) الماندولين : وهي اصغر من العود وليس لها جوف كبير ، وتكاد تكون اشبه الآلات بالقيتارة الغربية في رقة نغمها وحدته الا ان جوفها صغير ومسدير •

(د) الكمبري : وهو عبارة عن قيتارة بجوف خشبي صغير مغطى بقطعة جلد ماعز مثقوب تشد اليه ذراع طويلة بها مفتاح لشد الاوتار ، وهي لاتزيد عن اثنين او ثلاثة • وذكر هذه الآلة وارد عند ابن بطوطة في رحلته (2) وعند الدنا حفظه انه ان الكمبري نوعان : «ههوج» يحتوى اوتارا ثلاثة ، وسويسد ويحتوى وترين ، واللفطة بربرية الاصل ، جوفها من خشب كغالب الآلات واحيانا تتخذ من ظهور السمكة • والذي يظهر انها

(1) قد يكون انقر والنبر بالمضرب او ما يطلق عليه : الصدعة والوترة والريشة ، وقد يكون بالاصابع وهو ما يسمى بالحس •

(2) ج 2 ص 190 وج 4 ص 106 ط بارين حيث ذكر القنابر •

آلة عربية ، ربواسطها والدرس على أوتارها يبتدىء المتعلمون دراسة الفن» (1)
ومن أنواع الكمبرى كذلك «السميتير» وقد وجدنا ذكره عند العلى فى
«الانيس المطرب» حيث قال : «وأما الآلات التى اتحدت للعتاء فكثيرة منها
لعود وهو أشهرها وأرباب والشجاجة والجناح والسنطير وغير ذلك مما هو
شهير» (2) .

ثالثا : الآلات الإيقاعية ، وهى الآلات التى تعرف بالصدمية .

أ) البندير : وهو عبارة عن دائرة من الخشب شدت عليها قطعة من
جلد الماعز غير مدبوغة يمر فى وسطها قطريا ومن الداخل بعض الأوتار
عددها اثنان فى الغالب ، تزيد الصدى حدة حين الضرب . وبالأطار الخشبى
ثقبه يدخل منها الضارب ابهامه حتى يتمكن من مسك الآلة . ويكون الضرب
باليه اليمنى على وسط البندير او على أطرافه مما يعطى نغمتين أحدهما
رقيقة حادة والثانية غليظة عميقة . ويطلق على البندير فى المصنوع اسم
الطاردة وغالبا ما يكون أطارها أعرض . ونجد الإشارة الى ان هذه الآلة تعرف
فى مصر بنعس الاسماء حيث يطلق عليها البندير والطاردة .

ب) الدف : وهو عبارة عن مربع صغير مفلق بجلد من الجهتين ،
ولعله قريب من الآلة الطبلية التى كانت معروفة عند العرب بالمربع .

ج) الطر : وهو بندير صغير توجد فى أطاره ثقب بها أزواج من
الصنوح المعدنية الرقيقة تضيف الى النغم صدى وحدة ورخفة ، وهو
المعروف فى مصر بالمزهر والرق والدف .

د) الطبل : وهو معروف ويطلق عليه فى مصر الطبل البلى . وتجدد
الإشارة الى انه يضرب عليه بقصبيين أحدهما غليظ ومعوج الرأس يسمى
«السأهلاء» والثانى رقيق ويسمى «الريب» .

هـ) الطبله او الطبله : وهى عبارة عن نقارتين او طبلين صغيرين
ومن حجم مختلف ، تحدا من الطبل الناصح ، نغصهما قطعة جلد يوقع
عليها بقصبيين رقيقين ، وهى أشبه بالنقاير فى مصر ، الا ان هذه تتخذ
1) من مادة «الآلة» (الموسيقى) التى كتب لموسوعة المغرب العربى التى
يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط .

من معدن النحاس فى الغالب وتكون منفصلة .

و) التعريجة : ويطلق عليها فى لهجة اهل الرباط «نكوال» وهى الآلة المعروفة فى مصر بالطبقة وغالبا ماتوضع فوق السركبة او فى راحة اليد وبضرب عليها بالوسطى والسبابة ، وتعتبر اهم آلة يضبط عليها منشد الزجل الايقاع .

ولكن اصل تسميه «لکوال» : «القول» او «الجوال» وهما افتراضان يدلان على أهمية الدور الذى كانت تؤديه هذه الآلة فى مصاحبة المنشد .
ومن انواعها :

1 - الدربوكة : وهى معروفة .

2 - الهرازى : ويطلق عليه فى لهجة اهل الرباط «الدعدوع» وهو عبارة عن تعريجة كبيرة نوصع فوق الكف ويضرب عليها بكلتا اليدين .
ز) الهندفة : وتعرف فى مصر بالصاجات وهى عبارة عن زوجين من الصنوج تثبت فى الابهام والوسطى من كلتا اليدين ، وغالبا ماتتخذ من المعدن لانه يقوى النغم ويحليه ، وقد تتخذ كذلك من الخشب او العظم .
بهذه الآلات وعلى تلك الانغام يؤدى المنشد القصيدة ، والمعادة الا يكون الناظم ، ويطلق عليه «شيخ النشاد» و «الحفاظ» (1) وقالوا فى امثالهم : «السجى تيولد والحفاظ تيربى» يفصدون ان الزجل ينشىء ولا يستطيع ان ينشد ويحتاج فى ذلك الى الراوى الذى يروج له قصائده .

(1) من شهر المنشدين المعاصرين المرحوم المعطى لحسوك من مراكش والمرحوم محمد بوزوبع وانتهاى الهروشى وهما من فاس . وقد ذكرنا اسماء غير قليل منهم فى فهرس القصائد المنشدة بآخر الدليل المدقق بالرسالة . وتجدر الاشارة الى ان كثيرا من شعراء اشهرن بحفظ الزجل وانشاده نذكر منهم : فطومة الشرقاوية ومريم الشاوبه وسلطانة الاسلامية (كانت يهودية وأسلمت) ومن من فاس ، والحجوية ومكة وزهور الضخامة والحاجة زينب والجامعية وفطومة الرباطية وهشومة بزغانو والسعدية الوزانية وبلارة وابريكة ومشطونة وطاطا الغالية التى يقال انها كانت مقربة للسلطان المولى عبد الحفيظ ، والحاجة بنت العنبر ومن من الرباط . ويبدو انهن فى الاصل من فاس وهاجرن الى الرباط بعد ان اوقفهن الباشا البغدادي عن العمل فى فاس .

والمنشد لا يحفظ القصيدة ونغمات الحانها الا سمعا ، او «بالسمعي» كما يقولون ، وحتى لا يقترب في الميزان كسرا او «توكيكا» على حد اصطلاحهم فإنه يستمع الى الذهن ويردده ليستأنس به وتألفه ادنه حتى «ايطييب الميزان» اي يطيحه ان صح التعبير .

ومن براعة المنشد ان «ايركب» اي ان يتسلم اغناء من منشد سابق عليه بقصيدة اخرى يؤديها على نفس الميزان الذي ادى عليه هذا المنشد . ومن براعته كذلك ان «ايفجج» اي يستعرض نغمات وطبوعا مختلفة في القصيدة الواحدة ، وهي عملية اطلقوا عليها «لبدال» ومنه ما يقدم به بعض المنشدين قصيدة «المزيان» التي يقول النعمي في حربها (1) :

حن واشفق واعطف برضاك بالمزيان * لاسماحا ميعد الله بالهاجر
فانهم يبداونها على طبع الاستهلال ثم ينتقلون الى رمل الماية فالهجان
فصسكة .

وقالوا عن المنشد اننى لا يستطيع ذلك انه يغنى «اعلى جنب واحد» وهو دنس على قصر باعه . ومع هذا ففي رأى المنشدين ان بعض القصائد لا تحتمل تغيير الميزان ، او على الاصح حرت العادة بعدم تغييره فيها ويدكرون منها :

1 - «حال وشاما» للمدغرى وحربنها :

اللايم لاش اتلوم رح سالم دعنى كف للام ما حجت امن اغرامى
بين خال وشاما

فانها لا تؤدى الا على عراق المعجم .

2 - ومنلها قصيدة «الكتاوى» للمدغرى كذلك ، وأولها :

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركوسى نواح فالرسام اسميرى كاوى

يحسن عون التي امشاوا ناسو من بعد اكوا

ويقولون ان بعض المنشدين حاول اداء هذه القصيدة على ميزان رمل

(1) الحربة اللازمة (انظر الجزء الخاص ببناء القصيدة من فصل «العروض») .

المائة ولكنه افسدها .

3 - قصيدة «الهاجر» التى يقول العلمى فى حربتها :

آش اعمت اسلطان مهجى حتى سلمت افخلطتى واصحيت من ساحتى اجميل
راغب فيا وحه ايله عى يهاجر لوكر مسجونك سرحو اتقوز بهسمه
فانها لاتنشد الا على الحجاز المشرقى .

4 - قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وحربتها :

باراسى لاتشقى * التاعب لايد من الفراق
دامن فالديا * اباسها عرارا
فانها لاتنشد الا على عراى العجم .

5 - قصيدة «حناة» للحبابى ، وحربتها :

عشقى فحنائا * ياترا فالعاهد والقول ثابتا
من ناهت بحمالها احيائى * راحت روحى الصايلا عن لبدر بنعوت
فانها لاتنشد الا على الصيكة والحجاز .

ومن نصر باع المنشد ان يؤدى الميزان «امصور» اى غير متفنن لاتنسجم
نعماته مع طبقة صوته ومع كلمات القصيدة ولايتجاوب معه الجمهور
وانمازفون ، والتجاوب عندهم دليل الاتقان ، ويقولون عن الميزان السدى
يؤدى فى انسجام انه «دقيق» .

والعادة ان يبدأ المنشد البارع باحدى هذه المقدمات .

1 - السراية (1) وهى قطعة قصيرة تؤدى على غير ماتؤدى بسـه

القصيدة ، وهى اربعة انواع :

(أ) المزلوك : وتنشد رقيقة حادة .

(ب) الكباحى : يصاحبها صرر قوى متواصل بالكف ، وتكاد اغلب

السرايب اليوم تكون من هذا النوع .

(ج) الحضارى : تنشد فى استرسال سريع .

(د) السهاوى : يستهين انشادها ببطء كالموال ثم يأخذ صوت المنشد

فى انعلو والارتفاع كأنه يصعد بها الى السماء . ويطلق على هذا النوع

(1) سنحدث عنها فى الجزء الثانى من فصل «العروض» لدى الحديث

عن بناء القصيدة .

«السرايب الحسناءيين» • ويقال ان اشياح فاس كانوا مشهورين بادشاهه

2 - الموالم : والقلب ان يكون فى لغة معربة ، ومن الامثلة عليه قول

الشاعر (1)

ومن عجب الى احن اليهم * واسال شوقا عنهم وهم معى

وتشتاقهم عيني وهم فى سوادها * ويطلبهم قديى وهم بين اضلعي

وفد يكون فى لغة ملحونة كقولهم (2) :

تـانـحبـبك ونـهـواك * وهى امسبتك ايكـرهـونـى

ماـراحتى حـتى نـدـاك * وعليك يتحلوا عيونى

3 - التـمـويـلة : ويقولون ان لكل قصيدة تمويده تكون على قالبها

وميزانها ، ويذكرون منها :

(أ) تمويده قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وفد تقدمت حريتها ، وتنشد

على ميزان عراق العجم :

آمالى يامالى أسيدى ياسيدى

لا يامولاتى للا

امالى مصبرنى

اغرايبى لامونى

(ب) تمويده لقصيده «الم رسم» لابن على وتنشد على الصيغة :

أنا يامالى للا يامولاتى للا ادوى

حيانا واجا ايلاكى قاوت ابلحى اوجيتنا يالغزال

وهذه حربة القصيدة :

أنا والم رسم يا حيام ثالثت فالزهو انت

(1) ذكرهما العمري فى «مسالك الابصار وممالك الامصار» منسوبين

لابى الصفا خليل الصمدى • (الورقة 59 طهر من مخطوط جامعة

اسطنبول رقم 4355 A 1) حيث اورد الشطر الثانى على هذا

النحو :

واسال شوقا من آتى وهم معى

(2) انظر الموالم كنوع من أنواع الزجل فى الجزء الثانى من الفصل

الاول من باب «الشكل» •

المرسوم يبكي اعلى الشجاعا وانت تبكى اعلى النشا ونا على لغزال
وبتمس التمويلة يقدم كذلك لقصيدم «خنائة» للحبابى ، وقد سبق
ذكر حربتها •

والاسف أن هذه المقدمات فى طريق الضياع بسبب جهل المنشدين
بها نتيجة فلة تداولها •

وبعدر الاشارة الى ان قصائد مكسور الجناح والسوسى - باستثناء
الحراز - يستهل انشادها بمثل هذه العبارات : «قال يانا سييدى» و
«وهو ياسيدى» ويطلقون عليها «الدخول» • ومن الامثلة على ذلك قصيدة
ام الفيث «لحدج ادريس لحنش» ، وحربتها :

قولوا للاعبنا مولاتسى * رف بوصالك عل لعشيق يام الفيث
فان انشادها يبدأ على هذا النحو :

قل ياناسمى عمدا على لعشيق الكاوى كيمى ايمار لبنات
مهم اتقول نارو بردت واطفات

حين ينظر زين الخودات
كيراهها زندب واكدات

ومنها كذلك قصيدة «الفاصى» التى بقول المدغرى فى حربتها :
اقاصى قصا اجرات لى معناها * ماحرات الحد افناس لغرام
ولفسى لك ادعانى

فان انشادها يبدأ هكذا :

وهو ياسيدى قصا احرات سى لحكيها الهل لغرام

ببنى وبنى بوخال اكحل لرماق

فصتى فيها ماسساق

لرخاخ اصماير لمساق

ساس لشواق

وقريب من هاتين العبارتين عبارات اخرى تسمى عندهم «التشجيرة»
و «التوتية» يضبط بها ايقاع الميزان او «يشد» و «يقبص» كما يقولون ،
وغالبا ما تؤدبها المجموعة او من يطبق عليهم «الشهادا» وكان المنشد

يحبس بنقص في الميران وعدم انسجام الكلمات معه فيعوض بهذه العبارات، علما بأنه يلجأ الى اطالة مقاطع بعض الكلمات ومدها حسب احتياجه للنغم، وهى عملية لاشعورية تقترب مما يسمى بـ «الكَم» فى العروض العربى ، على حد ما يبدو من بحر الطويل حيث تحذف نون فعولن الثانية وتصبح فعول ولكن المنشد يمد اللام تعويضاً لسكون النون المحذوف . ومن الامثلة عليـ

- 1 - ياسيدنا : ونجد الشيخ عمر شد بها بين اشطار قصيدته فى «مولاي بوبكر» على حد ما يبدو من الحربة التى يقول فيها :
- تاك اليقبال والسرور اسدوانى * ياسيدنا * بخلاعت عالى لقدر
نجل الملك طلعت البدر السانى * ياسيدنا * سيدى مولاي بوبكر
- 2 - اسيدنا سيدنا : على حد ما عند التهامى المدغرى فى سرابته التى يقول فى اولها :

اسيدنا سيدنا	داك الالمنى فعشوق ولفى والحال الهالك
اسيدنا سيدنا	مادا وعظت فيك ماكفيت امن اعتابك
اسيدنا سيدنا	انصحنك افلمحديث ماوردتى لى سالك
اسيدنا سيدنا	واليوم ابلاك ربنا شف اخدود اغزالك

- 3 - ياللا ياللا : وقد جعلها المدغرى بين اشطار أبيات قصيدته اعشية الجمعاء كما يبدو من حربها التى تقول :

ياللا ياللا	أنا اعشيت الجمعاء شاب اشبابى
ياللا ياللا	ملكتنى عزبا وشابا
ياللا ياللا	من شاهدهم يسخا بشبابو

- 4 - دادامى الالا اهياللا : وهى تشجيرة «طامو» للمدغرى ، وتردد بعد حربتها التى يقول فيها :

حيش لفرام ياطامو مانفدر اعلى الطامو
دادامى الالا اهياللا

ومن الشد ان يلتزم الشاعر كلمة أو أكثر فى البيت تبدو فى سياقها كأنها من صميم الموضوع وصلبه ، وهى قد تتغير فى كل الابيات وقد (3)

لاتتغير ، من ذلك :

1 - قصيدة بوعبيد الشرقى فانه التزم فيها كلمة «الفقى» فى أول البيت ووسطه ، يقول فى أول أبياتها :

الفقى	جيت لك تنظر شوقى	الفقى
من حاطرى ابغيت انسالك		
الفقى	لى نعرف ذوقك	الفقى
الخير واش عندك سالك		
الفقى	فى اشراوى عشقى	الفقى
نفسى انحلىو بمقالك		
الفقى	لحضرت لمدام اترقى	الفقى
افستى امن احسان اكمالك		
	ويقول فى حريتها :	

الفقى	لوشفت اعويشا تسقى
والكاس من يدها يحلالك	

2 - قصيدة «صارم الطمن» للشاوى وحريتها :

آش را من لاجرد صارم الطمن * ويركب اسفون لحروب وايعيط داني
ها حنا هنا ويكون ادراعو ابحال السانو
فان القصيدة من البحر الثلاثى ، ولكنه اضاف اليها بين الشطرين
الثانى والثالث عبارة يتوهم منها أن القصيدة رباعية ، فى حين أن هذه
العبارة لايفسد منها غير قبض الميزان حيث كان يمكن ان يقول بدلا من
«ها حنا هنا» : «أسيدنا» وبلغت براعة الشاوى حدا انه فعل ذلك فى كل
الابيات وعبارات مختلفة على حد ما يبدو فى دخول القصيدة حيث يقول :
آش را من لابات امساهر الجفن * والفكرا جايلا افزاهر لمعانى
بماتنا باش ايسود اعلى لوشا فازمانو
آش را من لابعث الهجد مامكن * واعمل مايرتضى القاصى والدانى
والفراعنا يقطع زى ازعيطا بوزانو
آش را من لالهيل الطايلا اركن * واترك فزوابت لهمل هل لصفانى

والمراكنا
 وأش را من لاصحب الثابت الدهن * بسلك به الطريق جهر اكنمانى
 وقتما بنا
 يبنى بنيانوا على ينقانو
 وأش را من لاله اشياخ افلوطن * واروى منها اكما اروينا بعلاى
 من اشياخنا
 اقليل الطاعا امزدرى شانو

والعادة ان ينشد آخر القصيدة - وخاصة اذا كان ادريكة - (1)

مريعا وقوبا على طريقة الكباحى التى تكون عليها السراية .

والجدير بالملاحظة ان بعض القصائد لاتنشد وتغنى وانما تنلى وتسرد
 ولا يكون ذلك الا فى القصائد الطويلة من امثال «هول القيامة» لعبد العزيز
 المغراوى التى حربتها :

لسم الله المعين افلستار يهدينى منهاج لقوام

وقصيدة «الذرة» لابن على وحربتها :

يالساهى من نومك فق مبيع الرب لنا وانت تايه افلغورور لواب
 الصلاة والسلام اعلى اخيار لفسب سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

وقصيدة «الجمهور» لعبد القادر العلمى وأولها :

يدمن يشفى اضرار عبده بعد السقم ويهرح من اقوات فالصدر احزانو
 والغالب ان تتم «السراية» فى زاوية او مسجد او «لمسيد» كما
 يقولون (2) وفى مناسبات دينية وخاصة ذكرى موبد الرسول عليه الصلاة
 والسلام .

ولسراية مثل الانشاد أسلوب معين وانغام خاصة تختلف من قصيدة
 لآخرى ، وتقتضى التركيز على بعض المقاطع والضغط على حروف القافية
 وإطالة اواخر الكلمات بعنا للتأثير فى نفس السامعين .

ونلفت النظر الى احدى قصائد «السراية» فريدة من نوعها فى البناء
 جمعت أقسامها بين أبيات معربة وأخرى ملحونة ، وهى القصيدة «الفياشية»

(1) انظرها فى الجزء الخاص ببناء القصيدة فى الفصل الثالث من

باب «الشكل» .

(2) المسيد هو الاسم الذى يطلق على الكتاب القرآنى ، ولعن اصله

المسجد .

التي تنسب للشرقي والتي حربتها :

أنا مالي فياش واش اعليا منى

فقد دمه لكل قسم منها بيتين معربين على حد ما يبدو في القسم الثاني

منها حيث يقول :

ويقول لما شاء كن فيكون	ويبدى سبحانه ويعيد
ويحكم في خلقه ما يشا	ويفعل في ملكه ما يريد
في ظلمة الارحام	صورنى من نطفا
وابدانى بالانعام	نعا من كل صفا
واخلق لى ما واطعام	وانعام مختلفا

وكما انفردت هذه القصيدة في بنائها فكذلك انفردت في طريقة تلاوتها ، حيث يسرد البيان على غير طريقة سرد بقية ابیات القسم ، وتكاد تكون تلاوتهما مجرد قراءة حالية من كل لحن على عكس بقية الابیات . ونظن في غير قليل من الميل للترجيع أن هذا الاسلوب السردى اثر باق من الطريقة التي كان يؤدي بها الزجل في مراحله الاولى ، وقبل ان يغنى به ، نقصد من ذلك الى القول بأن تلحين قصائد الزجل واستخدامها في الغناء تم في مرحلة متأخرة لعلها بدأت في الربع الثاني من القرن العاشر ، حين حكم الاشباح على قصائد بوعمرى الغزلية ان تنحى من ميدان السرد في المجالس العامة ، عقابا على نظمه في المرأة . وسنرى (1) أن هذه القصائد انتقلت الى مجالس خاصة كان جمهورها النساء والشباب ، وأن الشاعر اضطر الى مسايرة جمهوره الجديد فأخذ ينظم له قصائد غنائية خفيفة ، لعلها كانت السبب في تحوير انظار الزجالين الى اتخاذ قصائدهم للغناء . وفي هذا العصر سنصادف عند الحاج اعمارة - وهو متأخر قسى الوفاة عن بوعمرى - بيتا يدعو فيه راوى شعره الى التفتى به دون خشية من خصومه ، يقول في آخر قصيدة «فاطمة» :

ياراوى لبيت عنى غنى اوصول لاتخشى من عديانى

ولحاج اعمارة قصيدة في رثاء بوعمرى يصفه في احد ابياتها أنه خير

[1] في الفصل الثانى من باب (الاعلام) لدى الحديث عن بوعمرى .

من غنى وشدا بالشعر وهو قوله :

النبل القد النشاد سيد من غنى او اشدا

بل انا سنرى (1) ان الزجل المغربى حتى بداية الربع الثانى من القرن التاسع لم يكن يخضع لنظام معين فى الوزن والقافية ، وهما حجرا الاساس لتلحين اى كلام . وسجد عند عبد الله بن احساين - وهو أول من سبق للوزان فى الزجل (2) - رفضا لنوع من الشعر لم يكن يخضع للوزن يبدو من تسميه أنه كان يعتمد على القص والحكاية ، وهو «كان حتى كان» يقول ابن احساين فى أول بيت من أول قصيدة موزونة :

نبدا لسم الله انظامى يالى ابغى لوزان

لوزان خير لى انايا من قول كان حتى كان
ويزيد فى تأكيد هذا الرأى أن القصائد تفنى على انغام الموسيقى الاندلسية كما بينا ، ونحن لانستطيع القول بأن انتقال هذه الانغام الى المغرب تم قبل انهيار الاندلس وهجرة مسلميها الى بلاد الشمال افريقى ، بل انا لانجد قبل الحايك - وكان يعيش فى القرن الثانى عشر للهجرة - من غنى بهذه الموسيقى وجمع شتاتها من ميازين ونصوص . ولنا بزعم ان الغناء بالزجل تاخر حتى هذا القرن ، فميازين تلك الموسيقى كانت معروفة لاشك قبل ان يجمعها الحايك ، ولكننا لانعرف ان كانت تلاحين قصائد بوعمر و معاصريه قائمة على هذه الميازين ام انها كانت لها نغمات خاصة . و الاسف انما لانستطيع معرفة اللحن الذى بدأ به غناء الزجل ، كما اننا لانستطيع معرفة الاسلوب الذى كانت تؤدى به القصائد قبل اتخاذها للغناء ، وان كنا لانشك فى ان «السراودة» اثر لهذا الاسلوب . والسبب ان الزجل الذى وصلنا ملفوطا لايسير على غير ميازين الموسيقى الاندلسية .

مهما يكن فان القصيدة الزجلية غدت غناء شعبيا يطرب له الجميع ،

والسر فى ذلك انها جمعت امرين :

(1) فى الفصل الاول من باب (الاعلام) .

(2) حسب ما وصلنا اليه فى البحث .

1 - كلمات يهملها العوام والخواص من الناس .

2 - الحداد قائمة على ميازين الموسيقى الاندلسية ، وهي أغنى وأعذب ألوان الموسيقى في المغرب .

من هنا كان جمهور الزجال أوسع من جمهور الشعاعر المثقف الذي ينظم لطبقة معينة هي طبقة المتعلمين المثقفين بلغة المعربة ، ومن هنا كذلك كان الزجال يحاول أن يرصي هذه الطبقة الخاصة فيقتبس من لغتها غير فنيين من المفردات والتراكيب ، ويضمن قصائده ألوانا من البلاغة وفنية الأسلوب (1) . وليس هذا فحسب بل انه كان يحاول أن يقدم لها معلومات تاريخية او فقهية ، لاشك انه - وهو أمي في الغالب - كان يتعب في جمع مادتها بالسؤال والبحث ومجالسة العلماء وحضور دروسهم .

وسنرى حين نتعرض في الموضوعات للقصائد التي تناولت السيرة النبوية (2) مثلا ان الزجال كان يبذل جهدا غير يسير في عرض جوانب من هذه السيرة تجعل المثقفين لا يرضون عن تلك الازجال فحسب ، وانما يقبلون عليها ويفتحون لها آذانهم وقلوبهم وبيوتهم كذلك .

ويزيد في الدلالة على هذا الجهد ما ينجأ اليه بعض الزجالين من استعراض أسماء بعض الكتب والمؤلفين ، ومن خير الامثلة على ذلك هذه الابيات من آخر قسم في قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوي ، وهي قصيدة شبيهة بـ «الحراز» أخبرته فيها حبيبته بواسطة وصيقتها انها محرومة بسبعة عفاريت ولن يستطيع الوصول اليها اذا لم يهزمهم ، فعزم على مواجعة هؤلاء العفاريت ودرس علم الجدول وما يتصل به من علوم يمكن ان تفيده في الوصول الى مفاتيح النصر . يقول :

حلا انشيتها ياراوى

لعاشقين واللى هاوى

فتراجم اللباقا واعقل واميز والرشادا

صنعت الدهرى ا فقير

(1) انظر الفصل الثاني من باب «الشكل»

(2) انظر الفصل الرابع من باب «الموضوعات» .

فارى علم التوحيد اعلى لشيخ اويتو
واقريت الالفيا والمواق (1) الشهير
وابن عاشر واقريت الرسالا (2)
والخزرجى اوكيد (3)
وابن عطاء الله واسمرقندى واعلوم لكتوب (4)
والدمياطى وامشاكل الزناتى
والسريانى اعلى اوفاه انحو (5)
وابن سيرين والموطا وكذلك اقبلاعا ندرى سيدى خليل (6)
والبخارى وامعاء دعوت البسملا (7)
واكمل بالرضى مقصودى
واطمرت بالسعادا

على أنا لانريد ان ننمى عن الزجال غاية اخرى من هذا الجهد ، غير
ارضاء المتقنين ، كان يقصد بها الى افادة العوام وتنوير فكرهم وفتح
ذهنهم وعيونهم على حبيبات من عالم الخواص ، وهم فى الغالب - وعلى
الرغم من عاميتهم وأميتهم - على جانب غير يسير من الثقافة ، وخاصة منها

- (1) الفية محمد بن مالك الجيانى (ت سنة 672 هـ) فى النحو . اما المواق فهو احد شراح مختصر خليل فى الفقه .
- (2) عبد الواحد بن عاشر صاحب المنظومة المشهورة فى الفقه والتوحيد . والمقصود بالرسالة رسالة ابى زيد القيروانى فى الفقه كذلك .
- (3) ضياء الدين الخزرجى السبئى صاحب المنظومة «الخزرجية» فى العروض ، وتعرف فى المشرق بـ «الراهزة» .
- (4) يقصد ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم «والسمرقندى» المشهور فى علم البيان .
- (5) الدمياطى والزناتى والسريانى اسما مشهورة فى علم الجدول وسر الحرف .
- (6) محمد بن سيرين المشهور فى الرؤيا وتعبيرها ، وصاحب «منتخب الكلام فى تفسير الاحلام» ، اما الموطا فهو كتاب الامام مالك ت سنة 178 هـ ، ولعله من الغريب ان يذكر علم البلاغة ويعتمد على مختصر خليل ، وهو كتاب فى الفقه ، ومانظنه الا يقصد الى مهارته فى فهم بلاغة هذا المختصر وحل رموزه ومعنياته .
- (7) الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور .

ما تحتم معرفته ضروريات الدين .

ولعلنا ان تضيف غاية أخرى لامجال لاعمالها هي وليدة المنافسة التي كانت بين الزجالين ومحاولة اظهار تفوق بعضهم على بعض ، وهو جانب يؤكد لنا الصراع الذي كان ينشب فيما بينهم والذي سنعرض له لدى الحديث عن فن الهجاء (1) .

ولم يكن الزجال يحاول ارضاء المثقفين فحسب ، وانما كان يحاول كذلك ارضاء الحكام والامراء والملوك يسعى الى قصورهم يتمتعهم ويونسهم بقصائده ، وهي ظاهرة اضطرت الى ان يبتعد عن واقع مستوى الشعب ، مصورا حياة القصور تارة ومخلقا بخياله تارة أخرى (2) ولجنا الى الرمز واللميح والاشارة تارة ثالثة .

ومن المتوقع عندنا ان مثل هذا الجمهور الواسع المتباين في مستوى حياته وتفكيره قد يدفع البعض الى الطعن في شعبية الزجل المغربي او انك فيها على اقل تقدير .

ومن المتوقع عندنا كذلك ان تكون ظاهرة تدوين بعض قصائد هذا الزجل ذريعة لكي يتخذ آخرون مثل هذا الموقف من شعبيته ، معتبرين وجوب التداول الشفوي في كل ادب شعبي .

ومن المتوقع عندنا بعد هذا ان معرفة أسماء مشيء هذا الزجل قد تدعو غير هؤلاء وأولئك الى اتخاذ نفس الموقف من شعبيته ، لان تلك المعرفة - في رأيهم - تنفي عنه الجماعية التي تعتبر السمة البارزة لكل ادب شعبي والتي تقتضي أن يكون مؤلف هذا الادب مجهولا .

ولسنا ننكر ان كل هذه ظواهر واضحة في الزجل المغربي لامجال لتجاهلها أو اغعادها ، ولكننا لانرى فيها ما يبعده عن الشعر والغناء الشعبيين فليس فرضا على أى عمل ليكون شعبيا أن يظل محصورا في نطاق طبقة العوام الاميين ، ولعله من التحجير على الفنان الشعبي أن نجسه فسى هذا النطاق ولانبيح له أن يربط علاقات وصلات بطبقات أخرى رافية ،

(1) الجزء الثالث من فصل «مع الناس» .

(2) انظر فصل «المرأة» والجزء الاول من فصل «مع الحياة» .

وأن ينسرب اليها بمنه ويؤثر عليها ويتأثر بها ففى محاولة لاكتساب بعض الجديد مما لاعهد له به فى بيئته . بل انا نذهب الى أبعد من ذلك فى النظر الى هذه الظاهرة بما فيها من رغبة للاقتباس والتنويع ، وفى خلط غير منظم ولامستروس ، فنعتبرها دليلا مؤكدا لشعبية هذا اللون من الشعر . ثم ان المؤلف الشعبى يعبر عن واقع مجتمعه ، ولكن لامناص له من النظر الى عمل غيره والاستفادة منه وتقليد اشكاله وموضوعاته ، وخاصة تلك التى حظيت عند الجماعة بالقبول وعدت انماطلا ينسج عليها ، وقد يسرف فى ذلك فيفدو عمله مجرد نقل وتقليد . وهو كفنان لامناص له كذلك من تحكيم تجربته والاستنتاج منها ، وهى كلها اشياء قد تعدده قليلا او كثيرا عن الواقع .

ومانظن تدوين بعض نصوص هذا الشعر يؤثر على شعبيته طالما أن جماهير توارثته عبر القرون والاجيال وتداولته عن طريق الرواية الشفوية، لم تلحأ فى ذلك الى ما هو مكتوب . ولايساورنا أدنى شك فى أن الذين قاموا بتسجيل نصوص من الزجل فى كتاباتهم هم من غير طبقات العوام ، وأبهم فعلوا ذلك اعجابا بهذا الزجل او تنبية برغبة الكبراء والحكام . اما معرفة منشأ الزجل فلانرى فيها مايننافى والجماعية ، فليست الجماعية ان يجهل الفرد وتهدر الجماعة حقوق انتاجه وتمتص منه وابداعه فيه ، وانما الجماعية أن تنبنى الجماعة انتاج الفرد الذى يستطيع ببراعته وعبقريته ان يقنعها به ، فتقبله وتعجب به ، وترتضيه وتتداوله وتديعه وتحافظ عليه ، طالما ان هذا الانتاج الفردى يلائم ذوقها ، وطالما انه لايصبح له كيان مالم توافق عليه (1) .

(1) لعلنا ان نشير الى ان انتشار الطباعة اليوم سيؤثر على وسائل تداول هذا الشعر ، وسيحافظ على اسم صاحبه وحقه فى الانتاج ، لاسيما ونطاق محو الامية أخذ فى الاتساع .

الباب الاول

الشكل

الفصل الاول

مفهوم الزجل وانواعه

اولا : مفهوم الزجل

إذا رجعنا الى النصوص القديمة نحاول البحث فيها عن ورود كلمة «الزجل» فانا نجدها مستعملة منذ العهد الاولى للعربية . حقا اننا لانعثر لها على ذكر في القرآن الكريم ، ولكننا نصادفها واردة في الحديث النبوي الشريف - يقول ابن كثير في تفسيره لدى اول حديثه عن سورة الانعام: «قال شريك عن بيث عن شهر عن اسماء قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض ...» وقال ابوبكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسي حدثنا ابوبكر بن احمد بن محمد ابن سالم حدثنا ابن ابي فديك حدثنا عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن ابي سهيل عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الحافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترتج» ، ورسول الله يقول : «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبراني عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية بن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت على سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والحميد» (1) ويقول ابن الاثير : «زجل (هـ به فيه) انه اخذ الحربة لابي بن خلف فزجله بها أي رماه بها فقتله ، ومنه حديث عبد الله ابن سلام : فآخذ بيدي فزجل بي أي رماني ودفع بي (ن) ، وفي حديث

(1) تفسير القرآن العظيم لاسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت سنة 774 الجزء الثاني صفحة 122 الطبعة الثالثة مطبعة الاستقامة القاهرة

الملائكة) لهم زجل بالسبب اي صوت رفيع عال» (1)

كذلك نجد الكلمة واردة في الشعر الجاهلي ، يقول الاعشى :

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان برريح عشرق زجل
أي ربح مصوطة •

ويسمى الزبيدي في «تاج العروس» معاني كلمة الزجل فيقول :

« (والزجل محركة اللعب والحلبة و) خص به (التطريب) وانشد سيبويه
له زجل كأنه صوت حاد اذا طلب الوسيفة او زمير

(و) الزجل ايضا (رفع الصوت) وللملائكة زجل بالتسبيح والتهليل

اي صوت رفيع عال وقد (زجل كفرج) زجلا (فهو زجل وزاجل) وربما وقع

الزاجل على الغناء • قال : وهو يغنيها غناء زاجلا (ونبت زجل صوت) كذا

في النسخ والصواب صوتت (فيه الريح) • • • • • والزجل محركة نوع من الشعر

معروف محدث • • • • • (2)

ومثل هذا نجده في كتب الادب على حد ما نقرأ في «العاطل الحالى

والمرخص الغالى» حيث يقول صفى الدين الحلى : «والزجل فى اللغة الصوت،

يقال سحاب زجل اذا كان فيه الرعد ، ويقال لصوت الاحجار والحديد ايضا

والجماد زجل • قال الشاعر :

مسرت على وادى شيات فراعنى • به زجل الاحجار تحت المساو

تسلمها عبل للذراع كأنها • جنى الدهر فيما بينهم حربائل

فقدت له شلت يمينك خلها • لذكر او مخبر او مسائل

منازل قوم اذكرتنا حديثهم • ولم ار احلى من حديث المنازل» 3

ويحاول الحلى أن يجد تعليلاً للربط بين الاستعمال اللغوى والاستعمال

الاصطلاحي فيضيف : «وانما سمي هذا الفن زجلا لانه لايلتذ به ويفهم

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثر للمبارك بن محمد الجزرى المعروف

بابن الاثير الجزء الثانى صفحة 122

(2) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي مادة زجل

الجزء السابع ص 355

(3) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر

مقاطع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت فيزول اللبس بذلك» (1) وليس من شك في أن بداية استعمال كلمة الزجل في معناها الاصطلاحي مرتبطة بظهور هذا الفن . وإذا رجعنا إلى مختلف المصادر التي عنيت بالإشارة إلى نشأته فإننا نجد أنها تكاد تجمع على أن الذي اخترعه هو ابن قزمان . وليست تهجنا في الواقع معرفة اسم السابق إلى نطمه بقدر مساهمنا أن نعرف كيفية انتقال اللفظ إلى الاستعمال الاصطلاحي الأدبي — هنا يعرض أحمد الرباط في كتاب «العقيدة الأدبية في السبعة فنون المعنوية» حكاية تقول « أن أول من تناشد به الشيخ أبو بكر بن قزمان المغربي ، وقيل لما أنه كان في الكتاب وكان مراهق السن ، فدخل على شيخه الفقيه غلام جميل الصورة حسن الوجه حلو الجانب فنده عليه ابن قزمان وأجلسه بجواره ثم صأر يحييه بالسلام ويؤدده بالحديث فبص الفقيه ففهم وعرف ما في ضمير أبي بكر من الحب للغلام فعبس الفقيه في وجه أبي بكر وأمر إلى العريف بضربه ، فضرب العريف ابن قزمان فلما فرغ العريف من ضربه أخذ أبو بكر لوحه ومسك القلم وقد كتب هذا الوزن ، وهو أول أوزان الزجل :

الملاح أولاد أمساره * والوحاش أولاد نصساره

وابن قزمان جا يغفر * ماقيل له الشيخ غفارة

فأحس الفقيه على أبي بكر فأخذ اللوح من يده فرأى فيه ما تقدم ذكره،

فقال الفقيه :

«هجيتنا يا ابن قزمان بكلام مزجول يعني مقطع ، نسموه زجلاء» (2) .

-
- (1) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر و 18 وجه . ونفس الكلام نقرأه في «بلوغ الأمل في فن الزجل» صفحة 68 مخطوطة الزيتونة رقم 4467 . ونقرأ كذلك في «تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحمد المحببي لدى ترجمة أبي بكر بن منصور بن علي العمري الدمشقي المتوفى سنة ثمان وأربعين والـف حيث تعرض للفنون السبعة المستحدثة ومنها الزجل (الجزء الأول 108 - 109 - 110 المطبعة الوهبية بمصر سنة 1284) .
- (2) مخطوط اسعاد افندي (السليمانية - اسطنبول) رقم 2867 الورقة 6 ظهر 7 وجه

ولكننا نجد استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني يرى انه استعمال قبل ابن قزمان وفي نوع من الشعر الشعبي غير الزجل ، يقول : «ولعل لفظ الزجل كان في الاصل يطلق على النوع الشعبي ثم أطلق على النوع الشبيه بالتوشيح لفظ (هزل) ثم اختلط اللفظان فيما بعد (1)» ويعتمد في ذلك على نص ينقله من كتاب «جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس» منسوخ سنة 1046 اي قبل وفاة ابن قزمان بما يقرب من قرن كامل ، جاء فيه : «لايجوز للقلاريق ان يحضروا الملامى والزجل فى العرائس والمشارب بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازقان والتنحي عنهم» (2) ويعلق على هذا النص بقوله : «وهذا نص فيما نعتقد عظيم الاهمية ، وقيمته ليست فى أن الزجل كان موجودا قبل ابن قزمان فحسب بل انه كان شعبياً له مكانة فى العرائس بين الموسيقى والرقص والاغاني» (3) .

ومن لطيف ما يستأنس به فى البحث عن أصل التسمية ماذكر لنا احد المعتنبن من أن لها صلة بسيدي «زجل» صاحب الضريح المعروف فى شمال المغرب . وقد وجدنا له ذكرا عند سديمان الحواث فى «ثمره انسى فى التعريف بنفسى» حيث قال عنه : «... سيدي زجل دفين بومناز من القبيلة النى تنسب اليه (بنى زجل) وقد قدم على المغرب مع موسى بن نصير سنة تسعين من الهجرة فى خلافة الوليد بن عبد الملك واسمه محمد ولقبه زجل وكان خيرا عالما شاعرا ...» (4)

ومع هذا فان المغاربة لا يطلقون الزجل فى الغالب على غير النوع الاندلسى المعروف ، أما شعرهم الشعبى فيطلقون عليه أسماء أخرى أهمها «الملحون» ، فهذا سيدي ابراهيم التادلى فى «فتح الانوار فى بيان مايعين على مدح النبى المختار» يقول : «واعلم ان المديح النبوى يكون بالاشعار

- (1) الزجل فى الاندلس صفحة 59
 - (2) مخطوط المكتبة الاهلية فى مدريد رقم 4879 ورقة 333 وجه . ويشرح القلاريق بأنهم Clérigos اي رجال الكنيسة
 - (3) الزجل فى الاندلس صفحة : 59
 - (4) من مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد اعراب - اللوحة الرابعة .
- (4)

الموزونة ذات البحور الخمسة عشر * * * ويزاد ما اخذ من هذه البحور كمخلع البسيط ومجزو الرمل ومشطور الرمل ومشطور الكامل * ويكون أيضا من الازجال والموشحات وكذا الملحون كالقصاصد والبراول لكن الملحون منه ما يوافق الاوزان الخمسة عشر المتقدمة ومنه ما يخالفها (1)

ونجد التفرقة بين النوعين الاندلسي والمغربى واضحة عند اصحاب الموسيقى الاندلسية الذين يفرقون في الاشعار التي تنشد في هذه الموسيقى بين الازجال ، يقصدون بها الشعر الاندلسي المعروف بهذا الاسم ، وبين البراول (2) ، وهي اشعار عامية مغربية تنشد في بعض ميادين هذه الموسيقى .

لهذا قد يلاحظ علينا في اتخاذ اسم «الزجل في المغرب» عنوانا لرسالة نبحث في لون من الشعر الشعبي المغربي ، طالما أن المغاربة لا يطلقون «الزجل» على شعرهم الشعبي ، وطالما انهم لا يقصدون من هذه التسمية غير النوع الذي عرف في الاندلس . ولكننا نرد على مثل هذه الملاحظة بما يلي من نقاط :

اولا : على الرغم من أن لفظ الزجل شاع اسما للفن الشعري الذي سبق اليه الاندلسيون ، مجردا من الاعراب متعدد القوافي متجدد الاوزان ، فاننا لانشك في أنهم كانوا يطلقون هذه التسمية على كل ما كانوا ينظمون باللغة العامية . وقد سبق أن ذكرنا ما ذهب اليه استاذنا الجليل الدكتور الاهواني من أن الزجل كان في الاصل يطلق على النوع الشعبي وان الهزل كان يطلق على النوع الشبيه بالتوشيح . ونجد الحلى ينسب التعميم لغير الاندلسيين حين يقول معقبا على ذكر الموشح والزجل والمزمن والمكسر : «وباقى البلاد لايعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما اعراب موشحا وكل ماخلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا في أى فن قصه الناظم» (3) . بل انه نجد احمد الرباط يذهب الى «ان الشعر هو أصل كل فن مغرب وأن الزجل هو أصل كل فن ملحون» (4) . كذلك نجد الحلى

- (1) مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 3285 لا صفحة 27 - 28 .
- (2) سنعود اليها في الجزء الثاني من هذا الفصل كنوع من أنواع الزجل .
- (3) العاقل الحللى الورقة 19 وجه 4) العقيدة الادبية الورقة 18 ظهر .

يعتبر من الزجل شعرا عاميا لاسير على نظام الزجل المعروف ، ويعتبر نظم هذا الشعر مرحلة سابقة على نظم الزجل ، فهو يقول : «وأول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغيره بغير الدخول واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية » (1) ثم ذكر ان لمغليس في ديوانه ثلاث عشرة قصيدة من هذا النوع أشار الى مطالعها (2) ، ومنها قوله :

مصى عنى من نحبو وودع * ولهيب الشوق فى قلبى قد اودع
ثانيا : اطلق بعض المغاربة لفظ الزجل للدلالة على ماينظمون من شعر بالعامية ، فعند الشاعر الشعبي سعيد النلمساني فى احدى قصائده متحدثا عن نفسه :

اذا كنت زجال فيها كيف تريد (3)

وعند زجال آخر اسمه على يهجو ويفخر (4) :

انكمل زجلي ولى فالزجول * انكمل زجلي
قولوا للعكلى يتسرك لفضول * قولوا للعكلى
والاديب على ايفوق فى لغزول * والاديب على

وفى «نشر المثانى» لابی عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري لدى ترجمة الشيخ ابي عبد الله محمد بن مبارك الزعري دوين تاسوت :
«وخاطبه سيدي محمد الشرقى :

ياساكن ارض البوادي * لاتتعداشى الموارد
اصحب هداة الطريقا * تحصل له كل الفوائد
فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هذا * الا من مجدوب سالك

- (1) العاقل الحالى الورقة 22 وجه .
- (2) المصدر السابق من الورقة 22 حتى 25 . ويبدو ان الحلى خلط بين الزجل والشعر الملحون الذى كان معروفا فى الاندلس والذى سنعرض له بعد سطور .
- (3) مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1644 صفحة 70 .
- (4) من مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية فى مدريد غير مرتب رقمه 5307 .

يسقى خمر الرجالا ❦ مملوك من الحق مالك» (1)

ثم قال بعد ذلك : «وما جلبه من قوله : يالساكن الخ ... هو زجل فى وزن المجتث» (2) • وعند ابن عسكر فى «الدوحة» لدى ترجمة محمد بن يحيى البهلولي (3) ان «له زجليات» (4) • ويقول محمد الكانوني فى «جواهر الكمال فى تراجم الرجال» فى ترجمة احمد بن على الغنيمي : «له قصائده ملحونة (ازجال)» (5) •

ويقول ابن زيدان فى ترجمة عبد القادر العلى (6) : «وما ينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة» (7) •

ثالثا : يبدو أن المغاربة على الرغم من ميلهم للتمييز بين الفنون ، وقعوا فى خلط بينها وتصور ان لم يكن خاطئا فهو على الاقل غير واضح • يقول التادلى فى «فتح الانوار» متحدثا عن أركان السماع واولها الشعر : «ان الكلام الذى يتكلم به الانسان من حيث هو اما معرب او ملحون ، وكل منهما اما منظوم او منثور ، لكن جرى فى الاصطلاح ان الموزون يطلق على النظم المعرب والملحون يطلق على النظم غير المعرب ... والملحون هو موشحات وبراول وقصدان» (8) • حيث جعل الموشح لونا من ألوان الشعر الملحون (9) • كذلك نجد القادري فى «نشر المثنى» فى تعليقه على الأبيات

(1) الجزء الاول صفحة 47 طبعة فاس • وانظر المساجلة كذلك فى «ممتع الاسماع» صفحة 128 - 129 لدى ترجمة محمد بن مبارك الزعري •
(2) المصدر السابق •

(3) سنعود اليه فى الفصل الثانى من باب «الاعلام» • (4) ص 46 •
(5) ص 26 وسنعود اليه فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة المدغري •

(6) سنترجم له فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» •
(7) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج 5 ص 340 •
(8) صفحة 4 - 5 - 7 •

(9) مع اعتبارنا ان هذا خلط نشير الى ان الموشح الملحون عرف فى اليمن على حد ما يذهب صاحب «سلافة العصر» من ان لاهل اليمن نظما يسمونه الموشح غير موشح اهل المغرب ، والفرق بينهما ان موشح اهل المغرب يراعى فيه الاغراب بخلاف موشح اهل اليمن فانه لا يراعى فيه شيء من الاغراب بل اللحن فيه اعذب وحكمه فى ذلك حكم الزجل •
صفحة (243) •

السابقة يذهب الى ان الزجل كلام مغرب وملحون حيث يقول : «هو زجل في وزن المجتث على طريقة الازجال من كونها ملففة من الكلام الملحون والمغرب» (1) *

رابعا : لم يطلق المغاربة تسمية معينة على شعرهم الشعبي وانما اختلفوا عليه تسميات كثيرة سنستعرضها ومثل لها بعد قليل *

خامسا : قد تكون تسمية الملحون الغالبه على الشعر الشعبي المغربي وما يوحى به الشبه بينها وبين تسمية الملحون التي تطلق على القصائد التي كانت تنظم في الاندلس خالية من الاعراب ، مايدعو الى الظن بان الشعر الشعبي المغربي ربما كان امتدادا لهذا اللون من القصائد وبالتالي امتدادا للتسمية * ولكننا حين ننظر في الشعر الملحون الاندلسي والشعر الملحون المغربي ، نقيسهما بالزجل في الاندلس ، نجد الملحون المغربي في تعدد اوزانه وتنوع قوافيه وعدم خصومه لبجور الخيل اقرب الى الزجل منه الى الملحون الاندلسي الذي التزم شكل القصيدة العربية لم يختلف عنها الا في ابتعاده عن الاعراب * فعند ابن سعيد متحدثا عن احد الشعراء بعد ان اورد له رجلا قال : «وله شعر ملحون على طريقة العامة منه :

صحبتي والعنق لمليح لمخلخل * حبي منك ثابته ودينى مخملخل
وعلام بعث دينى ابحك * لو عطيت مرغوبى فيك لس اتسال
فلقد عندك حلاوى لى منوع * وجسالا طوع الامر يخلخل» (2)

سادسا : ليس من شك في ان اسم الزجل غدا في العصر الحديث وفي معظم البلاد العربية يصق على كل ألوان الشعر التي تنظم باللهجات العامية المحلية ؛ على الرغم من بعد هذه الالوان شكلا ومضمونا عن الزجل الاندلسي الذي لم يعد ينظم، وليس من شك كذلك في ان الناطقين بالعربية في البيئات المختلفة يحسون الفوارق اللغوية التي تحول دون توحيد السنتهم ، وان حاة هذه اللغة يسعون جاهدين الى هذا التوحيد وخاصة في مجال المصطلحات

(1) الجزء الاول صفحة 47 - 48 *

(2) الجزء الثانى من المغرب صفحة 222 ومثل هذا الشعر هو الذى اطلق عليه الحلى «القصائد الزجلية» (انظر العاظم الحالى الورقة 22 وجه)

ونحن نرى فى هذا خطوة بعيدة نحو توحيد الرؤية والتفكير والتعليم فضلا عن معو فوارق التفاهم والتعبير ، ونرى كذلك ان دراسة الاشعار العامية بصفة خاصة واللهجات العربية المحلية بصفة عامة هى السبيل الموصل إلى الوحدة اللغوية المنشودة .

لذا ، واعتمادا على هذه التعليقات ، فانا نفضل اطلاق «الزجل» على كل أنواع الشعر الشعبى المغربى ، وتدعو الى هذه التسمية بدلا من أية تسمية اخرى تطلق عليه مهما بدعت من الديوع والانتشار . ويشجعنا على ذلك اننا لازلنا فى المرحلة الاولى للبحث عن التراث واستخراجه وتنظيمه ووضع معاييرهِ وتحديد مصطلحاته ثم دراسته والتعريف به ، وهى مرحلة اشبه ماتكون بمرحلة وضع الحجر الاساسى لاي بنية - واذا كنا نقول هذا بالنسبة للتراث عامة ، فانا نلح عليه بالنسبة للتراث الشعبى خاصة ، لاسيما فى بلد كالمغرب لايعنى فيه بهذا اللون من التراث ، بل لانبالغ اذا قلنا انه لايعترف به مادة جديرة بالدرس والبحث او أى مظهر من مظاهر الرعاية والاهتمام ، وهو موقف يكاد يتساوى فيه العامة والخاصة من الناس اما الاسماء التى يعرف بها هذا الشعر فى المغرب ، سواء عند الجمهور أو عند الاشياخ منشئين ومنشدين فهى :

اولا : الملحون :

يقول بوعمرى فى آخر القسم الثالث من قصيدة له فى الاخلاق والطباع :

ملحونا اقنادل تضوى فالداج ماخطا سرdaq

والناس رايدا تطعى نور اقنادلو افكل اغسيق

ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرى :

ملت امن السجيا ولى فيها العار والشنار

واغضب اعلى الشعر الملحون اللى ناظمو فاضها

ويقول المصمودى فى آخر قصيدة «الجار» :

انا حر افقلب كل اكريه ازنجار

لوينظم بالذهبي انا لو عيار

بالميزان الرجيج نعرف غايت ملحوني

ويقول المدغري :

فالملحون اعليه لتنظار

واعلى اللفاظ والمعنى حق انظارو

نعنى جوهر تاج خنأر

بها عل لعوارم تفجر خارو

ويقول عبد الرحمن بن لعقبه في آخر قصيدة «للاحسنا» :

حد الحافظ اتراجما

من اصميم لفكر عبد الرحمان بالموازن

خترعها في اتراجم الملحون

ولعنا ، قبل الانتقال الى اللفاظ الاخرى التى اطلقت على هذا الشعر
أن نقف قليلا عند اصل التسمية بالملحون * والحقيقة أنا في محاولة التعليل
أمام افتراضين مصدرهما معنيان من معانى اللحن ، هما الغناء والخطا
النحوي وقد استبعد الاستاذ محمد الفاسي أن تكون التسمية مشتقة من اللحن
بالمعنى الثانى حين قال : «والحقيقة ان لفظة الملحون هنا مشتقة من اللحن
بمعنى الغناء لان الفرق الاساسى بينه وبين الشعر العربى الفصيح
أن الملحون ينظم قبيل كل شئ لكى يفنى به» (1) وقال كذلك : «اول ما يتبادر
لذهن انه شعر بلغة لاعراب فيها فكانه كلام فيه لحن ، وهذا الاشتقاق
بأصل من وجوه لاننا لا نقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ولم يرد هذا
التعبير عند أحد من الكتاب القدماء لا بالمشرق ولا بالمغرب * والسنى أراه
أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التنحين بمعنى التنعيم لان الاصل فى هذا الشعر
الملحون أن ينظم ليتفنى به قبل كل شئ * ونجد ما يؤيد هذا النظر من قول
ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخمسين فى اشعار العرب وأهل
الامصار لهذا العهد بعد ان تكلم على الشعر باللغة العامية فقال : وربما
يلحنون فيه ألحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية» (2) * ونحن
1 مقال : «نظرة عن الادب الشعبى بالمغرب» - مجلة البنية - السنة
الاولى العدد الرابع غشت 1962 *
2 مقال : «الادب الشعبى المغربى الملحون» - مجلة البحث العلمى - العدد
الاول السنة الاولى (يناير - ابريل 1964) *

يرى على العكس من هذا ان التسمية اشتقت من اللحن بمعنى الخطأ النحوى ونعدل لذلك مناقشين رأى الاستاذ الفاسى من وجهات ثلاث :

الاولى : ان هذا الشعر لم يكن ينظم اول الامر ليفنى به وان اتخذه للغناء تم فى مرحلة تالية ، وقد فصلنا فى ذلك القول فى المدخل .

الثانية : اننا حقا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام المملحون لان الفصاحة قد تكون فى المملحون ، وغير المملحون ، كما سنتعرض لذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب . وقد جانب الاستاذ الفاسى الصواب حين استعمل كلمة «فصيح» ليقابل بها كلمة «مملحون» وماطبه يجهل ان لدى يقابل الشعر المملحون هو اشعر العرب وليس الفصيح .

اما ثالث هذه الوجهات فهي ان استعمال هاتين التسميتين : المملح والمملحون متعارف عليه عند كل الذين تعرضوا لبونين من الشعر . فابن سعيد يقول متحدثا عن بعض الشعراء : «وله شعر مملحون على طريقة العامة» (1) ، والحلى يتحدث عن الفنون المستحدثة فيقول «وهى الفنون التى اعرابها لحن وفصاحتها لكن وقوة لفضها وعن ، حلال الاعراب بها حرام وصحة اللفظ بها سقام» (2) ويقول . «... وبعض البلاد لايعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما عرب موشعا وكل ما خلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزجا فى أى فن قصد الناظم» (3) ثم يقول : «ثم تداوله العامة ومن لانسى له بالقواعد ومن عجز عن الاعراب حتى صاروا ينظمونه مملحونا» (4) ، بل اننا نجد الشعراء انفسهم يستعملون الاصطلاحين على حد مايقول ابن مقاتل فى نهاية احد ازجاله :

كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل * وكم ذا فى المحافل
قد انشا غصن حافل * من حل بيت فى مربع * مملحون بالف عرب (5)

(1) الجزء الثانى من المغرب - ص 222 .

(2) العاقل الحالى - الورقة 15 ظهر .

(3) المصدر السابق - الورقة 18 ظهر .

(4) المصدر السابق . (5) روض الآداب لاحمد بن الحجازى مخطوط

آيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) رقم 4017 الورقة 101 ظهر .

أكثر من هذا أن المغاربة استعملوا الملحون في مقابل العرب على حد ما نفراً عند النادلي في «فتح الأنوار» حيث يقول : «والملاحون يطلق على اسظم غير العرب» (1) .

أما استدلال الأستاذ العاسي بكلام ابن خلدون فمطعون فيه من ثلاثة وجوه :

أولها : أن كلام ابن خلدون لا يقصد به الشعر العامي المغربي ، فهو يقول : «وأما العرب أهل هذا الجيل المستعجبون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراب على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطلولات .. فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات .. وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحون فيه الحانا بسيطة» (2) .

ثانيها : أن ابن خلدون لم يذهب إلى أن اللحن الموسيقي والغناء من خصائص هذا الشعر ومميزاته اللازمة له ، وإنما ذهب إلى أنه قد يتخذ لغناء في بعض الأحيان ، وهذا ما يفهم من استعماله «وربما» .

ثالثها : أن ابن خلدون حين تحدث عن «عروض البلدة» الذي استحدثه أهل الأمصار بالمغرب ونسجوا عليه في أشعارهم الشعبية لفت النظر إلى خبو هذه الأشعار من الأعراب ولم يشر إلى أنها كانت تغنى ، ولو كانت كذلك لما أهمل مثل هذه الإشارة ، فقد قال : «واستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافاً» (3) .

ثانياً : العلم الموهوب ، يقصدون أنه هبة من الله مصدره الإلهام :

يقول اللمساني يرثى المفراوى :

بستان الزهر صاحب السر المكنون ✽ علم الموهوب ماتنهيه اقراطس (4)
ويقول المدغري في إحدى قصائده «الساقى» :

(1) صفحة : 5 .

(2) المقدمة صفحة 510 طبعة بولاق .

(3) المصدر السابق صفحة 530 .

(4) الكنش ك 1644 صفحة 31 مخطوط خزانة الرباط العامة .

واسلام الله اعلى اشراف واعلى الطلبا ناس لحديث واعلى شراحو
واعلى من يتنى قول ربنا واقرأ بالترتيل
واعلى ناس الموهوب كافا واعلى من قصد النبى اوزار افر كاحو
واعلى ملت لسلام كلها يبقى جيل افجيل
ويقول شاعر لعنه احمد ابجوات فى آخر قصيدة «الحب احرك لسى
بجيوشى» :

واسلامو بنا للشرفا والفتريين ❁ واعلى اهل العلم الموهوب
ناشأ : السجية :
يقول بوعمرو :

فامهامه انسجيا لغرس حرجات كنها روناق
بالور والنوار والطيب والشجر لبسيق
وانقلب فالسجيا فوتو وامعيشتو اعلى نسق
والعاهمين طرز الغايا يديرو قولتى تحقيق
ويقول حسون ويبر من ابيت يعرض فيها ببوعمر :
مديت امن السجيا ولى فيها اعار والشمار
ويقول الجيلالى امتيرد فى آخر قسم من خلخاله :
ماضرت اعلى طبيا اولا منسى لى عمرو خلخال
غير ابدىوان اشطارتى وعقلى واكمال اسجيتى وترتيب اشغالى
جسب فى هذا السحلا ودرتها فريجا للعقال
ويقول ابن على فى آخر قسم من محاورته :

بطافا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاطها ومعناهم
اذكى امن الزهر واحلا من سكر فقلوب اهل التسليم ولججود اتجيههم زقوم
رابعا : لكلام ، يقصدون انه الكلام الحق الصالح ، وكانهم باستعمال هذه
التسمية على صيغه التعريف المطلق لايعنبرون ماسواه من الكلام ،
يقول المغراوى فى آخر قسم من قصيدة له فى الاشتياق لمكة المكرمة :
ماهوشى من والى اللى ايجيب لكلام
واعسى اللى قاصر فى اهوى افنون الكذب

ويقول ابن على في آخر الحجام :

وامشألى عند الناس يرحأمو

يذكر في ابساط الملوك اكلامنا ويروى القلب الملهوف

ويقول محمد بن على بن ريسون :

والى يحتض هاذ لكلام * ينجا من كل اعداب

ويقول المدنى التركمانى في دريدكة قصيدته في «السولان» :

وايهيت لكلام افختم السولان

سأسا : النظم او النظام :

يقول المفراوى في «هول القيامة» :

نرجع لحديثنا المنظوم * فتمام امشاهد لقصيد

ويقول كذلك في قصيدة الشوق لمكة المكرمة :

يامن يهجرنى هكذا اصيغ النظام * نعت الدر المنظوم في اسلوبك الذهب

ويقول المدعى في آخر قسم من الزهو :

خذ طرز اختيم العنوان

للواسخ فيه اعلوم لكتوب لانقصانى

لازيادا نظم اترجمان

ويقول ابن على المسميوى في آخر «المرسول» :

ياحافظ نظمى بين لمخافل اتحول * كررو بلسانك بكرا مع لصلا

سأسا : الشعر :

يقول بوعمرو :

الشعر فيه اشما لمريض ايلا امنا وزاد ارقاق

ايصيب فيه لونيس الناطق بالسكات والتحقيق

ويقول ابن على في اول سولانه :

بسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

الى ايعاتبك كنو عاتبنا * وغاتبك كنو غاتبنا * وهكذا فالشعر اكتبنا

ويقول فيه كذلك :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولواهب

ويقول في أول قسم من المحاور :
أفراجا مقصيا أكما اسمعت انعود للسامعين ترضاهم

برجاحت لعقل وابلاعت لحبار جبت اخصام الخودات في انهايت شعري منظوم
سابعاً : القريض :

يقول الحاج اعمارة في آخر قسم من فاطمة :

يدراوى لبيات عسى * غنى اوصول لاتخشى من عديانى
انظامى وقريض وزى * شلا يطيق عنو مطموس اعدانى

ويقول ابن عمر الكفيف في حربة «الداعى» :

انا زنجار فى اعيون امن ادعياً * قول للايم السوعد الداعى
برصا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

ويقول احمد ايجيوات في «عرصة الرضا» :

افلمواهب لقريض * ساسو طايح لهما اينوضو

ثامناً : لوزان : اى الاوزان

يقول العلمى في آخر «المزيان» :

لو امدحت من لعجام ارديل فى لوزان * ايعود ساخى مهما فقصايد ينظر
ويقول كذلك في ختام قصيدة «كأن اخلاكى هانى» :

واتهلا فوزانى * واكتم ابياتها عن هل لعقول لخشان
ويقول ابن على المسفيوى في نهاية «الورشان» :

والحاضرين رحموا ناظم لوزان * فى بابكم ديما مسؤول
تاسعاً : اللغا : يقصدون الكلام ، وهى فى الاصل اللغة .

يقول امثيرد هى «ضيف الله» :

قال افصيح اللغا احبر الجيلالى * لفقت اجواهر النظام
ويقول ابن على فى اول قسم من الشمعة :

يسغرب من لاتحدثو بخطابك * لغريم فاللغا يسطابك

ويقول ابن سليمان فى آخر قسم من «خدوج» :

ولعبير اسلامى * لاهل اللغا اعمامت هامى

والجاحدين تحت اقدامى

ويقول ابن عمر الكفيف في آخر «الداعي» :

يا حافظ اللغا اتواضع ✽ لاهل المعنى اتربع
بل انا نجد عبد الله بن احسان في أول قسم من قصيدة له في
مدح الرسول عليه السلام يستعرض ثلاث تسميات هي : اللوغ واللغا
واللغوا ، فيقول :

مداح مادحو بلساني والشوق ليه من لكان
والمادحو ابحر اكناسو يرضاه ما اعيه بلسان
اللوغ واللغا واللغوا بين اللهيا امع لسان
والحب د الشفيغ الشافع فالقلب او لدخال اقصان
وقد شرح لنا بعض الاشياخ هذه الاسماء فذهب الى ان المقصود
باللوغ العربية الفصحى وباللغا العربية الدارجة وباللغوا اللهجة البربرية .
عاشرا : العلم الرقيق :

يقول المدعى في آخر قصيدته في الخصام بين الزهور :
نهيت حلتى لارباب العلم الرقيق
الحادي عشر : تكريجة ، سموه كذلك لصدوره عن القرية .
يقول محمد بن الوليد التنسيطي الدرعي في حربة احدى قصائده :
ناديت بكريحتى اصوتى ✽ وارفعت اكفوفى الرب الملكوت وادعيت
اقلت فى ادعوتى ✽ يامن نجيت يونس فبطن الحوت
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى

ثانياً : انواع الزجل

يقدم لنا عبد الرحمن الفاسي في «الاقنوم في مبادئ العلوم» تحت عنوان «علم ميزان الملحون» (1) انواعاً من هذا الفن يوصيها الى خمسة عشر ينظمها في قوله :

علم بأنواع من الملحون * وردعها لضابط الموزون
له من الاوزان خمسة عشر * على الذي كثر فيه واستنهر
اولها الشرقي الكبير والثاني * شرقي صغير باختلاف الاوزان
والثالث الشرقي الذي قد طرزا * من وزن ذاك العروبي برزا
والرابع الشرقي الصغير صاحب * التاء فيه زائد يناسب
والخامس العواد والمرشوق * ثم المزوج الذي يليق
وبعد البهلون (2) والمسنوي * وبعده القفر كذا العذراوى
وبعد الحورشة العشارى * ثم العروبي والقصيد الجارى

ولكننا باستثناء العروبي الذي سنتحدث عنه بعد سطور ، وباستثناء القصيدة التي هي مدار هذه الرسالة ، لانعرف من هذه الانواع الا العذراوى ، وهو من القطع التي تنشد في الموسيقى الاندلسية ، وقد يكون موشحاً او زجلاً .

فمن التوشيح العذراوى مانجده ينشد في صنعتي الدرج والبسيط من نوبة الاصفهان ، وهو (3) :

(1) من أواخر الجزء الثاني من «الاقنوم» مخطوط الخزانة العامة بالرباط D 24 11 والاقنوم عبارة عن دائرة معارف نظم في حوالي خمسة آلاف بيت مقسمة على مائتين وواحد وثمانين علماً او باباً . وقد كتب عقب الايات المذكورة «بياض قدره ورقة» مع ان الناسخ يقول انه نسخ من نسخة المؤلف .

في نسخة اخرى من «الاقنوم» رقمها ك 15 : البهلون

(3) انظره في «نوبة الاصفهان» ص 20 و 29 تنظيم Arcadio de Larrea .

=

يامن منك عقلى رهين * رأيت على خسته اليمين
الزهر والورد والسوسان والياسمين

قلت له أش ذاك اعلى خدك * قال لى القمر
قلت له أش ذاك اعلى ثغرك * قال لى الصدر
قلت له أش ذاك اعلى شفرك * قال لى الحور
وما هو تحت الجبين * حاجبين امعرقين
قلت له انت المليح بالحق * قال لى ملىح
قلت له انت كحيل الحدق * قال لى وفيح
قلت هن بالوصال تشفق * قال لى شحيح
قلت له اما تبين * وتيل العاشقين
الزهر والورد والسوسان والياسمين

ومما بنشد زجلا من العذراوى هذه القطعة (1) :

لسم المالك الدين * نعم المستعان * نبدا فى اطرز لوزان
نمدح سيد الثقلين * ذو النور والبيان * والآيات والبرهان
لسم الملك الاعلى * جل البسمل * نبدا فى النظام اولا
نمدح سيد الرسلا * مصباح العلا * احمد سيد الفضلا
من به نرغب المولى * يوم الزلزلا * ينقذنا من الوحلا
بمدرة لرسال * غدا يلى صولا
نرجا من المتعال * قسوتى على الملا
وانقول غير محال * لارب غير الله

يبدأ على هذا النحو ثم تستمر الاقسام على حروف مختلفة قلى

Palacin بمساعدة الفريد الهستاني - نشر معهد الجنرال فرانكو
للابحاث العربية الاسبانية تطوان سنة 1956 . وانظره كذلك فى
كتاب «الحايك» ص 47 (مخطوطة الخزنة العباسية) وانظره بعد هذا
غير تام فى الكناش المخطوط بالخزنة العامة بالرباط رقم D 1518
ص : 41 .

(1) الكناش رقم 2097 ص 1 - 2 (مخطوط الخزنة الملكية بالرباط) .
انظر بنفس المصدر نموذجا آخر مما يستعمل من عذراوى الحجازى
الكبير (ص 57) .

القافية مع التزام قافية النون في البيتين اللذين يبدأ بهما القسم .
كذلك يقدم لنا ادريس الادريسي في كتابه «كشف الغطا عن سر
الموسيقى ونتائج الغناء» تقسيما لالوان لكريجة يقول فيه : «فن لكريجة هو
الفن الشائع في المغرب والمعمول به في مدنه وحواضره وهو المعبر عنه ايضا
بالمحون وذلك لان جميع الاشعار التي تستعمل فيه مدحونة يعنى الاشعار
الجارية على السنة العامة والخارجة عن البحور الستة عشر وعن الاوزان
الملحقة بها ، وهذه الاشعار لا تقل عن أربعة فنون هي الزجل والكان كان
والمواليا والقوما» (1) .

وهو تقسيم غريب وبعيد عن واقع المغرب وحقيقة الفن فيه ، بدليل
أن المؤلف حاول أن يخص كلا من هذه الفنون بفقرة فلم يجد غير نقل ماقاله
المشاركة ، دون محاولة للبحث عن نماذج مغربية لهذه الفنون — ان كانت
موجودة — باستثناء فن الزجل الذي مثل له ببينين للشيخ محمد النجار(2)
او محاولة للبحث عن شبيهه لهذه الفنون في المغرب . ولسنا ننكر ان فن
الزجل موجود في المغرب ، وهو المعروف بالمحون ، بل انا نعتبره شاملا
لكل الاشعار الشعبية ؛ ولسنا ننكر كذلك ان للفنون الاخرى ما يماثلها ،
فعندنا الموال وكان حتى كان ، وعندنا اناشيد ونساءات ومرددات والوان
مختلفة من الاغاني والاشعار ، ولكن هذا لا يكفي لحصر انواع الكريجة في
تلك الفنون كما لا يكفي لجعلها فنونا مغربية خاصة وانها غير معروفة بهذه
الاسماء .

والحقيقة أنه يصعب استقصاء كل الوان الشعر الشعبي في المغرب ،
والسبب ان له مواطن مختلفة وأدوات متباينة ، فهناك المدن والقرى
والبوادي والجبال ، وهناك السهول والريف والاطلس وسوس ، وهناك
لهجات متباعدة ، الريفية والشلحية والسوسية والعربية مع تباين بين
البيئات التي تتحدثها سواء في المدن او خارجها . ولكل لهجة من هذه
اللهجات شعر شعبي خاص ، ولكل موطن من تلك المواطن أدبه الذي يختلف

(1) صفحة : 108 الطبعة الاولى (مطبعة الرباط) سنة : 1935 .

(2) انظر صفحة : 109 — من المصدر السابق

شكلاً ومحتوى عن أدب المواطن الأخرى * وعلى الرغم من أننا قصرنا هذا البحث على نوع واحد من الزجل هو القصيدة المنظمة المقننة المعروف مشئها ، فإننا نرى - خاصة ونحن بصدد فصل تعريفي - أن نستعرض أهم ألوان الزجل الأخرى الصادرة ببجة عربية ، لانقصد الى حصر او استقصاء ولا الى دراسة مفصلة وانما نقصد الى التنبيه اليها وتحديد أهم الملامح المميزة لها .

ولعلنا نستطيع أن نعسم أنواع الزجل المغربي الى شقين : احدهما يعرف منشئه وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث ، والثاني لا يعرف منشئه وقد وقفنا منه على هذه الألوان :

اولا : البرولة :

ولعلها أقرب الانواع الى القصيدة من حيث الميزان ونظام القوافي والابيات ؛ وهي من صنائع (1) الموسيقى الأندلسية يغلب وجودها في ميزان القدام والدرج (2) ، وتعتبر بالنسبة لهذه الموسيقى كالديريكة بالنسبة للقصيدة (3) . وادا كانت مجهولة المؤلف فليس لانها من انشاء جماهير الشعب كما هو الشأن بالنسبة لالوان الأخرى المجهولة المؤلف وانما لان اسم منشئها ضاع ولم يعن بذكره ، والسبب ان الكلام في الموسيقى الأندلسية يأتي في المرتبة الثانية بعد النغم ، بل لايفصد منه الا الى حفظ اللحن ، وهذا مايفسر ظاهرة انشاد القطع قبل عزفها بالآلات (4) . وقد اخترنا نموذجين من البرولة : الاول ينشد في قدام الاستهلال والثاني في الحجاز المشرقي :

- (1) الصنائع ج صنعة وهي القطعة في الموسيقى الأندلسية .
 - (2) ميزان الموسيقى الأندلسية اربعة هي : أ) البسيط ب) القايم ونصف ج) الطايحي د) القدام . وزاد المغاربة عليها ميزانا خامسا سموه الدرج وهو غير معروف في الموسيقى الأندلسية التي انتقلت لتونس والتي يطلق عليها (المألوف) وغير معروف كذلك في الموسيقى الأندلسية التي انتقلت للحزائر والتي تعرف بالغرناطي .
 - (3) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من هذا الباب .
 - (4) وهو ما يطلق عليه «لجواب» في الموسيقى الأندلسية .
- (5)

(1) برولة من قدام الاسنهلاك

بالعنس طلعت بدر التمام * يادات المحيا الجميل
فائق اجمالك طلعت التريا * والشمس الواسم
حرمت اجمالك ياخذ لعلام * يامولات التهلين
زرني يازيننت اسميا * بجمالك حاكما
اغزالي كان غشاك لنام * مازال الليل اطويل
غدى راحا سغدى اعليا * مولاتي فاطما
ربي اعطاك صولي * بالحسن ياغزالي
سمعي اغنا اسجولي * والنوم مزهالي
لاتهري ارسولي * يا عنس لغوالي
حضرا انقيم ياريم * يالحط الرشاة الناييم
سالي اسليم ماني اهميم * بين السرور والنعايم
فرح لكريم لنا ايديم * ايعود فرحنا دايم (1)

(2) برولة من الحجاز المشرقي :

غدر كاس الجريال * زار احبيبي واعطف وجاد هذا الوقت ازيان
احي الدبلا ياساقي واسقى جمع الغزلان * اري لي كاسي امكان
نشرب من كف اغزال * حمرا تضوى فالكاس لونها مثل الشمس اتبان
واتلوح اعلى خد مليح تشعل كيف العقيان * وتطرد كل احزان
نعت البرنسي الخصال * مول هما والسر ولها والزيين الفتان
اغزالي اللي خدو اشريف نحكيه البلعمان * او الورد افلفصان
في اعيوبي سحر احلال * واغميني النوم احرام ما نرمش عمري لجفان
طول الدبجور انبات كانراعي للعجر ايبان * غير اموله حيران
يتبسسم عن الآل * جوهر منظوم انفس في الماء احكيت المرجان
والمبسسم خاتم من اذهب صنع الله الرحمان * فيهم حارت لدهان (2)

-
- (1) كناش 8 صفحة 152 (مجموعة الجراي) *
(2) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2097 صفحة 71 ، وانظر كذلك
كناش رقم 17 صفحة 62 (مجموعة الجراي) *

ثانيا : العروبي :

ولعنه تحوير لرباعي ، وكأنه كان في الاصل ينظم على شكله ، وهو في الواقع لا يتقيد بعدد معين من الابيات ولا يخضع لنظام ثابت للقافية ، كما هو الشأن في العروبي الذي يتخذ القصائد (1) وانما يطلق في الالسنه قصيرا أو طويلا ، متعدد القوافي أو محدودها ، ولكنه مع هذا يمتاز بخصائص في انشاده أهمها أنه يستهل بـ «آنانانا» ويختم بالولاويل والزغاريذ * وهو بعد هذا غناء خاص بنساء المدن يرددنه في حفلات التنزه حين يخرجن للحقول والبساتين ، وفي المواسم والاعياد والمناسبات وخاصة موسم «الطيش» الذي يقام في البيوت والمستزعات طوال ايام عيد الاضحى، حيث تعق «المطيشة» (2) لتركبها البنات واحدة تلو الاخرى ، وتأخذ المغنبة في الانشاد ، وهي في الغالب أم أو جدة أو خالة ، فتستهل بمثل هذا القول :

آنانانا والمحبوب اللي اهويت

بقي ديم قدامي

وبعد ان تستعرض بعض أوصاف الصائشة ومحاسنها تذكر اسمها

على هذا النحو :

هاذك هي «افلانة»

لمضويا اعليا قبي واعيانى

والمستعرض للعروبيات — بعد هذا — يجدها تعكس في الغالب وبصدق عاطفة الحب عند المرأة ونظرتها للرجل وتعلقها به ، وكأنها فرصة أناحتها لنفسها لتعبر عما بخالغ قلبها ، بعيدا عن أى حرج ، طالما أنها لا تشهد في غير الحفلات والمناسبات الخاصة بالنساء ؛ ومن نماذج هذه العروبيات :

(1) سنعرض له في الفصل الثالث من هذا الباب لدى الحديث عن بناء

القصيد .

(2) وتسمى في المشرق «المرجيحة» وينطقها أهل الرباط بفتح الميم وكسر

الطاء . أما أهل فاس فيطعنونها بصم الميم وفتح الطاء على صيغة

التصغير .

- (1) اطريق سيدى مخلوف * واطريق سيدى داود
اتنزهوا يا لبنات * والصغر ما ينعاود
(2) اوليد عمى اوليد عمى * ياوريدا فى كمى
كان الدى بيننا * واش جابو لاسى
اوليد عمى اوليد عمى * يا وريدا فالكاس
كان الدى بيننا * واش جابو للناس
اوليد عمى اوليد عمى * يالله السرا
انعلقوا المطيشة * فالليمون بوصرا
(3) ارميت عينى الدراكم ولاصبت انجيكم
* ولبت من وحشكم كيف المطعوما (1)
لو كان صبت طير ايحوم من جهتك
* وايقول شخبار ولكم وكيفانتما
وامحبتكم فى قلبى ملموما
* وامحبت غيركم اعليا محروما
(4) الطير الطير ابنيت لوشباك احير
* ولا انويتو ايطير بعد ما والف
اخوا قفزي وعمر اقفز الغير
* وارمانى فى لبحور خلانى تالف (2)
لاصارى لاقبوع لاباش انقاذف
(5) الطير الحر شفتك فالدلالا
واش دوك العينين امكحلين ولا اخليقت مولانا
كنت فالما انصيفط لك (3) سبع اطور عواما
كنت فالكسما انصيفط لك زوج اطيور حواما
متى نبني اعليك زليجا وارخامما
ابتقيت عايش ما ناخذك غيرانا

- (1) المسحورة •
(2) ضائع هائم •
(3) أرسى لك •

(6) قدك يسوا اميا

وخذك يسوا ثلك اميا

وادراعك يازيست الوقفا

يسوا آلف

ألف فى غشموا

والف فى عشموم

والف من خادم تكدى فالنار

يامحوبى ودنى نوبا فالشهر

واعطىى كلما من لحديث متمورا (1)

دخبت اعليك ابعيك واحواجبك يالبدرا

دخلت اعليك بالنبى زين انصورا

يما يامحيتى للا امنيين الزين

يقلب على لحمورا

وهد عى الاستاذ محمد الفاسى بغنن العروبيات فترجم منها الى
الفرنسية نحو مائة وخمسين اخراجها بعنوان «الاغنيات القديمة لنساء
فاس» (2) ولكننا نأخذ عليه أنه لم يقدم النص العربى واكتفى بالترجمة ،
فكان أن ضيع فرصة التعرف الى هذا الفن فى قالبه ولقطه الاصيين .

ثالثا : المزوكى (3) :

بكثر انتشاره فى مناطق التسهول ، وهو كالعروبى فى البناء لا يختلف
عنه الا فى الاداء حيث لايسهل بـ «آناآناآنا» ، وانما يغنى البيت او
السطر فتجيب المجموعة بـ «يوى» وينتهى مثله بالزغاريد . ويبلغ الشبه
بين النوعين أن كلماتهما تختلط الى حد انه لايفرق بينهما . أما التسمية
فيبدو انها من لزكا اى صوت وصاح .

(1) جدية من التمارا بمعنى الجدد .

(2) « Chants anciens des femmes de Fès » Editions Seghers
Paris 1967.

(3) سمعناه ينطق كذلك بناء بدل الميم : انزوكى .

رابعاً : الموال :

وقد سبق أن رأينا (1) أن الموال عند المغاربة - سواء أكان مستقلاً أو تقديماً للقصيدة - غالباً ما يكون بالعربية الفصحى وقلما يكون عامياً .
والموال المغربي شبيه بالموال المشرقي من حيث الشكل لا يختلف عنه إلا في الأداء والمجن ، ومن خصائصه أنه يستهل بـ «آنانانا» كالعروبي ، وهذه بعض نماذجه :

- (1) تـانـحـبـك ونـهـواك * وفي امسبتك (2) ايكـرهـونـي
ماـراـحـنـي حـنـي نـلـقـاك * واـعـلـيـك يـنـجـو اـعـيـونـي
- (2) مـصـابـنـي (3) طـيـر طـيـار * واـجـوانـحـي تـونـسـيـة
واـنـطـيـر مـن اـبـلـاد لـبـلـاد * واـنـعـود مـاـسـارـبـيا

خامساً : السلامات :

جمع اسلام ، وهي في الغالب لا تتعدى بيتاً يتضمن التحية والشفوق ، تكون أول كلماته «صعطت لك اسلامي» أي أرسلت لك سلامي ، وهي قريبة في أداؤها من العروبي . ومن السلامات :

- (1) صـعـطـت لك اسـلامـي فـالـشـمـاش
واش (4) احـبـيـبي فـالـقـدـب ولا ما ابقاش
- (2) صـعـطـت لك اسـلامـي فـالـنـفـاح
واش احـبـيـبي اـهـنا ولا راح
- (3) صـعـطـت لك اسـلامـي فـالـشـمـوم
واش احـبـيـبي فـارح ولا مـهـمـوم

سادساً : العيطة :

بمعنى النداء من عيط اذا نادى . وقد تحدث عنها الادريسي في «كشف الغطا» فقال : «والعيطة نوعان : ملالية ومرساوية ، اما الملالية فمكانها بني ملال والجبال المجاورة لها وبعض النواحي من تادلا ، ونفقاتها

- (1) انظر المدخل لدى الحديث عن انشاد الزجل .
- (2) سبيك .
- (3) ليتني .
- (4) هل .

دائما فى عاية العلو والارتفاع شبيهة بصياح الندب والبكاء ، والالفاظ المستعملة فيها فى الغالب ممزوجة بكلمات بربرية ، ويتولد منها السوسى ، وهو عبارة عن خفة الميزان وانصراف الدور ، وأما العيطة المرساوية فانها بخلاف ذلك تماما ومكانها بسائر قبائل العرب المنمدنة وهى تفوق الاولى فى كثير من المواد والتأثير كما انها جعلها فنا والطعها صناعة • وكثير منها بقبائل الحوز كعبدة ودكالة والرحامة والشاوية • والمركز الاصلى لها والذى تنشأ فيه وتنظم هو عبدة • ثم من هناك تنعرق فى القبائل وتذاع ، ويوجد مركز آخر بالشاوية مريب من سطات يسمى قبال وبالوادي الاخضر ••• وتنشكّل العيطة المرساوية الى أنواع تتردد فيها وتنحصر وهى اكباح ويؤخذ منه الثمى وهو عبارة عن الميزان الحضارى ثم السوسى ثم الحريزى وهو خاصى بقبائل الشاوية» (1) •

وقد حاول الادريسي أن يخضع فن العيطة الشعبى بكلماته والحانه لشعر العرب على حد ماشرح فى حديث كان القاه بالمؤتمر الاول للموسيقى العربية المعقد بعاس فى سادس مايو 1939 ، حيث قال : «من بضع سنوات وأنا أفكر فى فن العيطة وكيف يمكن أن يصلحه ، والفنم به سريعا الى الامم حنى لايبقى محتقرا فى نظر المتمددين ممقوتا لدى الفضلاء وارباب المروءة والوقار فوجدت الامر لا يخرج عن مسألة واحدة وهى ابدال الالفاظ المستعملة فى أدوارها بالابيات الشعرية فى الادب والاخلاق ، اذ كل ما شاهده من التأخر والتقهقر الواقع بالعيطة وبالمشتغلين بها ليس الا من ناحية تلك الالفاظ الشبيعة والافاويل المملوءة سمها وقبحا» (1) •

وببدو هذا اسرى مشروحا فى مقال كتبه الاديب العباس الشرفسى مشيدا بما قام به الادريسي اذ «اعتبر أن مقام به اصلاح كبير على فن الموسيقى المغربية التى هى الطرب الوحيد الشائع بكثير من جهات القبائل المترامية الاطراف المعبر عنها فى لسان العامة بالعيطة ، وذلك بإجراء ادوارها فى الشعر العربى الفصيح بدلا من الكلام العامى المبثذل المشتمل

(1) كشف الغطا صفحة 117 - 118 •

(2) المصدر السابق - 119 •

فى الغالب على ألفاظ يستحى من ذكرها ومن سمعتها لما فيها من السفه والحث عليه • وقد يكون فى اجلس الرجل وورده والرجل وصهره والتلميذ وشيخه مثلا فيصير ذلك الطرب المقصود به التسلية والانشراح فى نظريهم وسيلة من وسائل الكدر والاتراح يجب نبذه والتزهر عن مجلس يحتوى عليه اذا المؤمن لا يقف مواقف التهم • اما الآن بعد أن ادخل عليها مولاى اديس المذكور هذا الاصلاح الكبير الذى تلقاه آرباب الفن بجريئ السرور والابتهاج فقد اصبح فنا أدبيا لا يستحى منه ولا ينهى عنه «•••» (1)

ولكن المؤلف لم يورد لنا نماذج من هذه الاشعار التى أخضعها لادوار العيطة ، كما أنه لم يذكر ولو نموذجا واحدا من العيطة فى لهجتها المحلية • فكان أن ضاعت ، خصوصا وأن الاذاعة لم تحتفظ بشيء منها لأنها لم تكن قد عرفت التسجيل الصوتى فى ذلك الوقت ، وخصوصا كذلك وان هذه العيطات لم تستمر طويلا على لسان المغنين البدويين الذين لاشك أنهم لم يستسيغوا الشعر العرب فهم واداء • وكان ممكنا تطهير كلمات هذا الفن فى اطار العمية ، فعمل ذلك كان سيخدم العيطة ويطورها ويطهرها من الشوائب • واذا كنا نقول مثل هذا الكلام فليس لاننا ننكر ادخال الفصحى الى العيطة أو الى أى لون آخر من ألوان الغناء الشعبى ، بل لاننا نرى أن الاحتفاظ بفن من الفنون يقتضى الاحتفاظ بأدائه ، وأداة العيطة اللغة الشعبىة • ومن الممكن التطوير داخل هذه اللغة أو بالاحرى اختيار النقى منها والقريب الى الافهام فى البيئات المجاورة •

ثم ان عملا مثل هذا يحتاج الى دراسة موسيقية لهذا الفن يتصرف فيها الى المقامات والنغمات التى يؤدى عليها ، ويحتاج بعد ذلك الى تأليف كلمات تناسب هذه المقامات والنغمات • ثم ان تأليف كلمات لغناء شعبى بدوى كالعيطة ينبغى ان يستوحى البيئة التى تطرب لهذا الغناء ، وتتذوقه حتى تسجم الكلمات مع المحن وحتى يتجرب المطرب وجمهوره مع هذا اللحن وتلك الكلمات • أما أن يأتى أحد الى هذا الفن ويحاول اخضاعه للغة لا يستسيغها أداء واستماعا فنلك جناية على الفن لاخدمة له •

والعينة كما سجلنا من أفواه المغنين نوعان : قصيرة وطويلة :
أما القصيرة فتتكون من بيت واحد يكون فى الغالب قصيرا ومتضمنا

مثلا أو حكما وعطيات ، مثال ذلك قولهم :

- 1 - ماذا بنا * كون اتاويننا (1)
- 2 - ياك اخونا * ابغلو ايغرقونا
- 3 - أنا انتم * واست تفهم
- 4 - ابقى فىا لكرين * اتوسدوه اخريين
- 5 - كملت لك الكليب * لا تخرج عيب

على ان سهولة نظمها جعلت كثيرا من الناس ينشؤونها الى حد خرج
بها كثير من المطفلين عن روحها الحكيمى الوعظى بل خرج بها بعضهم الى
الهل والى ما فيه السفه وينكره الذوق السليم ، مثل قولهم :

- 1 - قلبك عامر * فيه لمسامر
- 2 - الروزى (2) لحنين * تىخلى ديين
- 3 - الدرى مزوينو * شارب البيينو (3)

وأما انطويله فأقرب الى القصيدة من حيث نظام التقمية والتبسيط
واللازمة ، وإن كانت بعيدة عنها فى الملحن والاداء * ومن نماذجها ماغناه
لمرحوم بوشعيب البيضاوى فى نعى المغفور له محمد الخامس وعودته
الى الوطن :

- 1) وامن لقيطر المكناش * تسم انحفر الساس
- لمسمرين ولفراس * شبعوا عافيا (4) وقرطاس (اسيدى)
- اياخوتنا لسلام * عزوا بنا لعلام * سيرو بنا الكدام
- دابا مول الحق ايمان (5)

(1) معنى البيت : ليتنا كنا ننفق *
(2) النبيه الاحمر والكلمة من الدخيل *
(3) الدرى بمعنى الصبى أو الشاب ، مزوينو أى ما أجمله * أما البيينو
فالحمر ، والكلمة من الدخيل الاجنبى *
(4) العافية بمعنى النار *
(5) سوف يظهر صاحب الحق * وهذا البيت هو لازمة العينة

وجدنا والريف * كل شئ اطريف * ابن يوسف يرجع بالسيف
سيدي سيدي ثم اتصاب هو والدراري
أنا خوتنا لسلام ...

الملك امشي وارجع * العديان اقبضهم لوجع
لقيوب ابدات اتشفع * كلاوى والمقرى لقرع
(ياسيدي)
أيا خوتنا لسلام ...

ارجع احبيبي للرباط * والناس اتحييه ابغوا¹
حيو الملك الشجيع * هو والامرا اجميع
أيا خوتنا لسلام ...
الله ينصر السلطان * اولدو مولاي الحسن
ويزين لوطيان * دابا مول الحق ابيان
أيا خوتنا لسلام ...

(2) انا زيني يازيني زيني فالحاما
سيدي مولاي السلطان
نرسل ليه احماما
أيا خوتنا لسلام ...

رحموا الشهداء الى امشوا * عبد الله والزرفطوني اقضوا
والفدائيين الى ابقوا * فيهم هم الرجالا الى اسواوا
أيا خوتنا لسلام ...

أيا خوتنا سلمين * عينوا الفدائيين
ولو ابل كلام الزين * يصمرهم رب العالمين
'يانا يان اوين اوين اوين كلا (2) يلغى بلفاه
أيا خوتنا لسلام ...

والله مأنتحسر ولانرد القلبى
خلي لهموم اتصرف

(1) ابغوات اى بصوت مرتفع .

(2) كل واحد .

دائما يفرج ربي

أياخوتنا لسلام

أنايانا أويين أويين كلا يلغى بلغام

ينشد المغنى البييين ثم تردد المجموعة اللازمة ، ويستمر كذلك مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر نشد المجموعة بعدها اللازمة مع عزف موسيقى قوى وحاد - أو كباحي كما يدل - وينتهي بذلك جزء من العيطة ليبدأ جزء آخر على نفس الأسلوب والنظم . ويلاحظ انه يشد (1) البييين في البداية أو في لنهايه أو فيهما معا بكلمة يقبض (2) بها النغم (سيدي) أما في نهاية النغم أى في الجزء الأخير فالغناء كله كباحي وسريع مع ترديد كلمات القبض (أنايانا ٠٠٠) وأما العزف فيبدأ بجرات لكمان تعقبها موسيقى سريعة تعتمد التعريجة والطارة والهندقة ثم يبدأ الغناء .

سابعاً : الطقطوة (3) :

وهي نوع من الغناء الخاص بالجبل في شمال المغرب ، ولكنها اخذت تنتشر حتى في المدن وتوجد عندها كثيراً من الاقبال . وهي عبارة عن مقطوعة تتكون من عدة مقاطع يركب كل منها من بيتين بقافية واحدة ، والغالب ان تختلف المقاطع فيما بينها تقفية ومعنى . أما الانشاد فيبدأه المغنى ثم تنلوه المجموعة تردد المقطع بعده ، على انه تضاف عند الغناء في نهاية الشطر الاول من كل بيت عبارة «يالولاد» أو «ياسيدي» حتى يشد الميزان ، كما انه يفسر بين المقاطع بعدة كهذه «أيامولات الدلال» يقصد بها المغنى أى ن يسوى نيران او «حاوية» على حد تعبيرهم .

1 - 2) سبق في المدخل ان تعرضنا للشد والقبض في الانشاد . تجدر الإشارة الى أن الطقطوة نوع من الاغاني الشعبية المعروفة في مصر . وقد قامت السيدة بهيجة صدقي رشيد بتدوين كلماتها وأنغامها في مجموعة بعنوان : (الطفاطين الشعبية) وقالت عنها في المقدمة (أن أصلها فطقطوة وهو ما يطلق على الشيء الصغير وانها نوع من الاغاني الخفيفة بسيطة في تركيبها الموسيقي انتشرت في الربع الاول من القرن العشرين) (ح 1 نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقي) .

وقد اخترنا من الطمطوفة هذا النموذج :

(يالولاد) لسم الله ابدينا

وعلى النبي صينا

(يالولاد) سيدنا محمد

هو الشامع فينا

(أيا مولات الدلال)

(يالولاد) يالقابن قل الله

به عمر اوفاتك

(ياسيدي) ماتوجد غير الله

عبد موتك واحياتك

(أيا مولات الدلال)

(يالولاد) أيا نجوم القبلا

هاذي مورا هاذي

(ياسيدي) ارفع عيني لله

برهي لي مرادي

(أيا مولات الدلال)

(يالولاد) أيا جليل زرهون

فيه لحجر فيه الديس

(ياسيدي) الله ايقوى حرمو

سيدنا مولاي ادريس

(أيامولات الدلال)

(يالولاد) جاني النوم وتكيت

مالظل دا لمسكيا

(ياسيدي) دوك لعيون الكوخل

حرقوا التوب اعليا

(أيامولات الدلال)

(يالولاد) أيا بنات العدو

لعدو دابر بكم

(ياسيدى)

سيدى علال الحاج

هو احجاب اعليكم

(أبامولات الدلال)

ثامنا : أعيوع :

وأصله الجبل عند بنى عروس وبنى امسور وجبل حبيب ، ولكنه انتقل الى مدن الشمال . وهو أقرب الانواع الى الطقطوقة بل هو مثلها من حيث أنه مجموعة مقاطع تتكون من بيتين بقافية واحدة قد يكون بينها رابط وقد لا يكون ، والغالب أنه لا يكون وخاصة فى الموضوع ، بل انه قد يفنقد أحيانا حتى داخل المقطع الواحد حيث يكون الشطر الاول او البيت الاول كله بعيدا فى كلماته عن موضوع بقية المقطع ، ولكن الامر عندهم لا يهم طالما أن الوزن يستقيم والقافية تتحد .

ولاعيوع مناسبات ينشد فيها ، هى :

(1) الصيف ، ويقصد به فصل الحصاد حيث يخرج الرجال والنساء والاطفال للحقول يحصدون ويعيعون (1)

(2) الزيار ، أى موسم زيارة الاولياء وخاصة مولاي عبد السلام .

(3) مناسبات الافراح كالأعراس .

أما انشاده فقد يكون فرديا او ثائيا او جماعيا ، ولكنه حتى حين لا يكون جماعيا فان المجموعة تردد ؛ وفى كل الاحوال تلتزم اثر البيت او المقطع كلمة «آباء» ومن الامثلة على أعيوع :

(1) اجديدا السبنيا (2) * اجديدا وماشى انبيعا (3)

ما تسالوشى اعلى الزين * سالوا على الطبيعا

(2) زوج دا المسمرات اجيدود * فالحيط مارا موشى

وخا (4) ايجيولسى عشرا * ابحالك (5) مايكونوشى

(1) يفنون أعيوع . (2) المنديل

(3) أصلها نبييها ولكنهم يحذفون الضمير .

(4) ولسو . (5) مشك .

- (3) التففحات دا الحمر * بين لحزام لايبانو (1)
- ذوك لعيون الكوحل * هما اديالو كانو (2)
- (4) راني افراس النخلا * ربح لهوا يديني
- عيطت يا محمد * من دالعباد نجيني
- راني افراس النخلا * ربح لهوا يديني
- عيني اعلى كل اطريق * آش من اخبر ايجيني
- (5) يالله امعايا يالله * يالله امعايا نلحوز (3)
- الظل والما يجرى * والزاهي تحت الجوز
- (6) صلوا على محمد * صلوا على نبينا
- سيدنا محمد * هو احباب اعلينا
- (7) يايلي احبيبي العالي * عالي اوفيه انزاهي
- ياد العم ياغوتي * غالا (4) انساعف واهي
- سيدي مولاي عبد السلام * عالي اوفيه انزاهي
- الجلسا امع لحباب * عمري مانشاهي

تاسعا : الدقة :

وهي خاصة بمدينة مراكش وتعرف بالدقة المراكشية ، والواقع انها من حيث الشكك والكلمات لا تختلف عن الطقطوقة او اعيوع ، ولكنها تختلف عنهما في طريقة الاداء حيث يسبق الانشاد ويعقبه «التكفاف» . اي الضرب بالاكف ، ومن هنا جاءت تسميتها بالدقة . ومن الدقة هذه الاغنية التي تؤديها احدي فرق مراكش :

آش اداك (5) تمشي للزين

- (1) نهود البنات الحمر اما اضافة لا «في لايبانو» فتفيد عندهم الحال والاستمرار .
- (2) اديالو بمعنى له .
- (3) يستعملون النون بدل لا م الجر .
- (4) تضاف غالا للمضارع فيعيد الحال والاستمرار وهي عندهم ك : «لا» السالفة الذكر في «لايبانو» .
- (5) حملك وأخذك .

وانتیا راجل مسکین
والزمان ایغبتک فالحین
ماسمعشی آش ادانی

کان فالاول حب ازوین
یجمع مایین القلبین
واصبح العاشق مسکین
فالآخر اصبح نصرانی

درتها (1) بیدیا واعلاش (2) مانخمم (3)

کون ماجابونی رجلی ما نجی لیه
اللی دارها بیدیه ایغکها ايسنیه
درتها بیدیا واعلاش مانخمم

عینی تبکی
دمعی یحکی
لما حبو ادمی قلبی
ادمی قلبی

تمصی لیام
وایمر العام
جسمی فییان
یاناس دا حرام

ولما العین شافت فالعین
قلت لو یازین "نا" مسکین
قال لی صافی
صافی صافی

عاشرا : غیوان بن یازغة :

ای غناء بن یازغة ، وهو منتشر فی مدینة صفرو ومنطقة البهالیل

- (1) عملتها (2) اعلاش بمعنی لماذا وأصلها علی ای شیء •
(3) خم بمعنی فکر •

ويازغة والمنزل • ومن اشهر مقطوعاته «فاطما وردا معروفًا» وهي تتكون من ثلاثة اشطار بقافية واحدة ثم شطر رابع بقافية مختلفة :

فاطما وردا معروفًا

هي السندسلا دالشرفا

ماصلحت لى نخطفا (1)

وانعبي لبنات فحوص (2)

ومنها هذه المقطوعة مكونة من أربعة اشطار بقافية واحدة ثم شطر خامس بقافية مغايرة :

خرجوا يالشبايا

لبلا شدت الحريا

وازهور قبضت الصينيا

اتكب غير لك اوليا

كل واحد ايشد كاسو

وقد تكون المقطوعة من ثلاثة اشطار فقط ينفق الاولان فى القافية ويختلف عنهما الثالث كقولهم :

كانخيم والقيت الراس كاع (3) خاوى

كانموت وسطان الزين كايدوى

او ما الطبا (4) والو ماعرفوا اشبيا

ومثلها قولهم :

كانخيم والقيت الراس فيه لفوات (5)

اشحال من كيا فيها اديال حب لبنات

مايدوىها حد ابلا اطبيب تدوا

هذه ألوان من الزجل لم نقصد من ذكرها الا الى اظهار مدى انتشاره

- (1) أصلها نخطفها وكنهم يحذفون الضمير *
- (2) انعبي بمعنى ناخذ وفحوص من حوص اى خطف وسرق *
- (3) كله *
- (4) الاطباء *
- (5) لفوات بمعنى الزائد أى أنه غير طبيعى *

وتكثفه مع مختلف البيئات لغة ونظما وأداء ، وهو انتشار لو شئنا تحديد مداه لاضطررنا الى تتبع كل المرددات والاغنيات • واذا كنا قد قسمنا الزجل الى نوع يعرف منشئه ، وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث وآخر لايعرف منشئه ويمثل بقية اللون ، فان هناك نوعا آخر من الزجل خاصا فى شكله وموضوعه يعرف منشئه ولكنه بعيد عن القصيدة وعن كل الانواع الاخرى ولاينفى به ، وهو «الحكمة» ويتكون من بينين غالبا مايكونان مصرعين ومتضمنين لحكمة او اكثر • وقد اشتهر بضمه الشيخ عبد الرحمن المجدوب (1) الى حد اصبح ينسب له كل مايردد من حكم بين الناس حتى ولو لم تكن له • ومن الامثلة على حكمه :

- (1) سافر تعرف الناس * واكبير القوم طيعو
اكبير الكرش والراس * ابنص فلس بيعو
(2) ولد ابنادم لا تربيه * بعد ماتربيه نادم

1 توفى سنة ست وسبعين وسعمائة للهجرة ودفن بمكناس • انظر فى ترجمته وحكمه

أ - مناقب محمد بن احمد الحضيكي ج 2 من صفحة 190 حتى 197 (الطبعة الاولى)

ب - مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن لابي حامد محمد العربى بن ابي المحاسن الفاسى صفحة 11 - 13 - 18 - 19 - 20 43 - 189 - 190 (الطبعة الحجرية)

ج - كتاب ممتع الاسماع فى ذكر الحزولى والتباع ومالهما من الاتباع من صفحة 101 حتى 107 (ط حجرية) •

د - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد الرحمن الفاسى حيث خصص لترجمته الباب الاول (الباب الاول فى التعريف بالشيخ المجدوب رضى الله عنه) ويستمر من صفحة 14 الى 65 (مخطوط الحزانة العامة بالرباط رقم 326 ك) وتوجد من الابهاج نسخة اخرى بنفس الخزانة مسجلة تحت رقم ك 2302 ويبدو أنها متأخرة عن الاولى •

هـ - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب • تصنيف نور الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية بالجزائر •

و - Les gnomes du Medjdoub - H. Decastries Paris 1896

ز - Les quatrains de Medjdoub - : le sarcastique, Poète maghrébin du XVI^e siècle par J. Scelles-millie et R. Khelifa G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

- ياسايلنى اعلى الغول * الغول هو ابنادام
 (3) المال يا المال * اليه لبنات مالوا
 اللى ما عندوشى المال * مايعمل حتى كلبى ابخالو
 (4) احفر السرك ودكو * فالارض سبعين قاما (1)
 خلى لخلایق ايشكوا * الى يوم القياما
 (5) من لايطعمك عند جوعك * ولايحضر لك فى امصايب
 لاتحسبوا من افزوعك * قد (2) حاضر قد غايب
 (6) الغرب امريض * وابوذنى اسمعت انذيرو
 والله ما يثمنوا لغاربا *
 غير اللى كان شمير اعلى شميرى (3)
 (7) ياسيلنى اعلى قرن الثالث عشر
 * اكحل مافيه مارا
 الكسوا اكسوت لمسلمين * ولقلوب اقلوب النصارا
 (8) ياذا الزمان يالفدار * ياكاسرنى امن اذراعى
 طيحت من كان سلطان * وركبت من كان راعى
 (9) اقبط الاجر اقبل الدوا * واترك اعليك احديث اللى هاوى
 لمريض اذا ابسرا * ينسى خير لمدداوى
 (10) البس قدك والعب امع نذك * واشرب او كل ماتريدو
 وماتخلط غير اللى يعرف * قيمة ابساك وجسدو
 كذلك اشتهر بالنظم فى هذه الحكم الشيخ محمد الشرقى (4) * ومن
 اقواله :

- (1) القامة من مقاييس الطول * (2) قد بمعنى سواء *
 (3) الشمير القبة وهى كناية عن النصارى والكمار *
 (4) توفى سنة عشر وألف ودفن بجعيدان من بلاد تادلة * انظر فى
 ترجمته وحكمه :
 أ - كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر لمحمد
 ابن الصغير الافرانى صفحة 25 - 26 - 27 (ط حجرية) *
 ب - مناقب الحضيكى - الجزء الثانى صفحة 91 - 92 - 93
 (الطبعة الاولى) *

- (1) احفظ العلم واقراء * الجهل ظلما اعظيما
من لا يقرأ ما يلو جاء * في ادنيتهو كالبهيما
(2) حب الناس ريح افريح * من ريحهم اسقيت لمراير
واللي ايكيل امن الريح * ماتمتللو اغراير
(3) خلطت الناس تفسد الدين * ياصاحبي رد بالك (1)
وايفرقوا بين لثنين * وايضيموا راس مالك
(4) لابد من يوم معلوم * ترتد فيه لمظالم
افرحت من كان مظلوم * أوئل من كان ظالم
(5) اطلع الفجر وعلا * يالفاطمين فالنعماسي
انبات نسجد ونركع * اياك (2) ننجا ابراسي

ج - مرآة المعاسن صفحة 266 (ط حجرية) •
د - نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري الجزء الاول صفحة 47 - 48
(الطبعة الحجرية) •

ه - ممتع الاسماع من صفحة : 110 الى 115 •
و - كناش محطوط بخزانة الرباط العامة رقم ك 3027

(1) خذ بالك وانتبه •

(2) علني أنجو •

الفصل الثاني

اللغة و الفنية

مراحل التعريب

لا يخفى أن الفتح الاسلامى كان يستهدف امرين : نشر الدين من جهة ، ونشر العربية أداته ولغة القرآن من جهة ثانية . وكان طبعيا - واللغة تسير الفتح وتواكبه - أن تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وأن ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف .

لذلك تعرضت حركة التعريب فى المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التى تعرض لها نشر الدين (1) ، بل أكثر من ذلك نستطيع أن نقول أنها سارت أبطأ منه ، خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغى أن يكون ، لسبب بسيط هو أن فاتحى المغرب لهذا العهد الاول كانوا فى أغلبهم جنودا «يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم فيفيضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب» (2) .

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجنزون على حد ما يروى من أن موسى بن نصير ترك فى البربر ،

- 1) لم يكن أمر الفتح الاسلامى يسيرا فى المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذى استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة فى المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين فى بلاد الشمال الافريقى والمغرب خاصة . ويكفى للدلالة على ذلك أن نعرف أن البربر ارتدوا اثنى عشرة مرة على حد قول ابي زيد القيروانى ، وأن اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس (انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110) ، وأن نعرف أن الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب أو بالاحرى لمواجهة تفشى المذهب الخارجى فيه سنة 122 - 123 لقيتا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى فى معركة طنجة وقضى على الثانية عند وادى سبو وكانت بقيادة كلثوم .
- 2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة .

«سبعة عشر رجلا من العرب يعدونهم القرآن والاسلام» (1) ؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن أبي المهاجر «عشرة من التابعين أهل علم وفضل ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن موسى التجيبي» (2) *

ويذكر أبو عبد الله المالكي في «رياض النفوس» أسماء تسعة ممن هؤلاء الفقهاء العشرة هم :

- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع (3) *
- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (4) *
- أبو عبد الرحمن الحيلي (5) *
- اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله (6) *
- موهب بن حى المعافري (7) *
- حيان بن أبي جبلة القرشي (8) *
- أبوتامة بكر بن سودة الجذامي (9) *
- أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير (10) *
- اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (11) *

وأغلب الظن أن ما يقال من أن حسان بن النعمان «دون الدواوين» (12) ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة ، وأغلب الظن أن ما يقال كذلك من أن خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة *

وربما كان تسرب المذهب الخارجي إلى المغرب في هذه الفترة (13)

- (1) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان *
- (2) المصدر السابق ص 45 - 46 *
- (3) ص : 72 4 ص : 66 - 67 (5) ص : 64
- (6) ص : 69 - 72 (7) ص : 73 (8) ص : 73
- (9) ص : 74 (10) ص : 75 (11) ص : 75 *
- (12) البيان المغرب ص : 29 *

(13) ما كادت حركة الفتح تبدأ في المغرب حتى بدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق تفقد عليه وخاصة منها الإباضية والصفرية تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم إلى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية أو دينية *

عاملا من أهم عوامل تأخر حركة التعريب عن أن تساير نشر الإسلام ، والسبب أن أمر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة ، فقد أغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى أنها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لاحاجة تدعو اليها في الحياة العامة • ولعل هذا ما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناصق التي انتشر فيها المذهب الخارجي على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد •

وربما كان من الأدلة على ان اللغة كانت لاتزال تتعثر أن العملة التي ضربت في نهاية القرن الاول للهجرة والتي كان بعضها يحمل اسم موسى ابن نصير ، كانت مكتوبة باللاتينية ، على الرغم من أنها متأخرة عن حركة الإصلاح النفدي التي قام بها عبد اسك في المشرق (1) ، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال الدين المسيحي في الاقاليم الافريقية مؤرخة في منتصف القرن العاشر الميلادي ومكتوبة باللاتينية ، مما يدل على ان الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (2) •

ومهما يكن ، فقد استطاع المغرب على عهد الادارسة ان يعيش في ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة في مناطق غير قليلة ؛ ونستطيع أن نعزو توسع حركة التعريب في هذا العهد الى خمسة عوامل :

1 - حالة الاستقرار التي سادت مناطق نفوذ الادارسة ، خاصة وأن مؤسسي دولتهم لم يدخل المغرب غازيا وانما دخله لاجئا ، وخاصة كذلك ان البربر سعوا اليه وولوه أمرهم وباعوه عن رضى وطواعية •

2 - عروبة الادارسة •

3 - انشاء جامع القرويين الذي كان له دور كبير في النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامي في المغرب • وربما كان ذلك الدور ضعيفا في هذه

(1) انظر مقالا حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مارسى W. Marçais « Annales de l'institut d'études orientales ». Faculté des lettres de l'université d'Alger T 4 1938 P. 8

(2) المصدر السابق ، ومن أهم ما تفيد هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وأنه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة •

الفترة ولم يقو الا في الفترات التالية ، ومع ذلك لا نريد ان ننكره حتى في مراحلہ الاولى ، خاصة ونحن نعرف أن المساجد جميعها وفي كل انبلاد الاسلاميه كانت تعتبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة . لذلك لا ينبغي — ونحن نسير في هذا العامل — أن ننسى أثر البجوامع الاخرى ، وخاصة في سببه انى صلت نحمل مشعل الثقافه سره غير قصيرة .

٤ - خروج المغاربة من اندلس حتى وصلت حثيه الى انسى وافيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم وقد صنعت السنتهم ورودوا بأفكار وعلوم جديدة سم يس منهم بها فهد من قبل ، مدور منهم :

- ١ - دراس بن اسماعيل القاسمي ، رحل الى المشرق والفيروان والاندلس ، دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفي سنة 357 .
- ب - أباجيده بن احمد اليزنيسي القاسمي ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكي والشافعي ، وهو صاحب كتاب «الفنوى» الذي ألف في اليوناني على المذهب الشافعي توفي بفاس سنة 365 .
- ج - عبد الرحيم بن احمد الكتامي السبتي المعروف بابن العجوز ، رحل الى الاندلس والفيروان ، وكان من فقهاء المالكية ، توفي سنة 413 .

5 - كثرة توفوق العربيه التي قصت فاسا في هذا العهد ، قادمة اليها من الاندلس ، والفيروان . أما الفيروانيون «وكانوا ثلاثمائة أهل بيت» (1) فقد وفدوا حوالي سنة 189 واقاموا في العدو اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين . وأما الاندلسيون «وكانوا جما عغيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت» (2) فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى أصبحت تسمى عدوة الاندلس ، وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التي قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 . ويعرض ابن ابى زرع أسماء بعض القبائل والأشخاص الواقدين فيقول:

(1) الاستقصا ج 1 ص 73 .

(2) المصدر السابق .

«وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفد على ادريس رضى الله عنه وفود العرب من بلاد افرريقية وبلاد الاندلس من نحو الخمسمائة فارس من القيسية والارد ومدحج وبني يحصب والصف وغيرهم ، فسار ادريس بوفادتهم واجزل صلاتهم وقربهم وورع مازليهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربى فاستورز عمير بن مصعب الازدى وكان من فرسان العرب وساداتها ولابيه مصعب مآثر عصية بافريقية والاناس ومشاهد فى غزو الروم كثيرة ، واستغنى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى من قيس عيلان وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثورى وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدو فوجد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ؛ ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الافاق فكثر الناس وضقت بهم مدينة ويلي» (1) .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل أخرى لاشك أنها ساعدت على التعريب :

1 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفينيقية - من اللغة العربية .

2 - عدم مقاومة اللهجة البربرية للغة العربية الا فى المناطق الداخلية النائية ؛ اما فى المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون بأسا فى تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد القوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلعنتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان - وهى طبقة لها مصالح - ان تقاوم ، بل انها تهادن وتداهن وتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة اسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطى اهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد فى المواقع

(1) «الانيس المطرب الفرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابي زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

ولاتمارس ولا تطلق الا في المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البوادي حيث يغلب الصمت على الفلاحين الذين يفضون الساعات الطويلة في الحقول متباعدين ساكتين *

3 - تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلغته واعجازه *

4 - تهجير اقواج من المغاربة في شكل سبي الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية فقد «قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى الفريسية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة ممن الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فاتاه بمائة الف رأس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فاتى بمائة الف رأس ، فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس » قال الليث فلم يسمح بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام * قال أبو شيبة الصدفى : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الأقصى وهو يجر الدنيا جرا بالسبي ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس تنلقاه فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقاني مع أبي بوصيفة وصيفة ، فلما أمر بذلك سمع موسى للناس ضوضاء وصياحا ورأى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر للناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندي بوصيف وصيف . فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف وصيفة» (1) *

وليس من شك في ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين في هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة في التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر ان تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض في أواخر أيام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين *

(1) ضميمية في بحث الدكتور محمود مكى :

Egipto y la historiographia arabico - espanola

صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية - العدد الخامس سنة 1957 عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) *

وكان محظنا ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وأنه كانت لانزال للبربر قوة وصعة ومراكز لم تخضع بعد للإسلام . ومن غريب الامر أن تكون العوامل التي ساعدت - وكان من الممكن أن تساعد أكثر - على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب وأصرمت ناره . فقد بدأ العرب - بعد أن عزوا وكثر عددهم - يستبدون بالامور ، ويورعون بسهم المناصب واختهم النخوة العربية والعصبية القبلية فكان أن شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان أن دخلت البلاد في عهد مظلمة من الوعى سج عنها أن تأخر أمر اللغة وأمر الدين كذلك .

وبعد فرون من الاضطراب والخمول ، أتيج للمغرب أن يعرف على عهد المرابطين حياة مسقرة لم تلبث أن خلقت بهضه شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجالى اللغة العربية والثقافة الاسلامية . وأطنا نستطيع أن نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل أهمها :

1 - **قوة الدولة** في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد ومانتج عن هذه القوة من استقرار بعث الطمانينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم وأتاح لهم فرص التعلم والدرس .

2 - **الوحدة مع الاندلس** وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقاً حصارية وثقافية ، فقد اقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء من الاندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثيل ، ووفد على ابن تاشفين «من كل علم وحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم واجتمع له ٠٠٠ من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يعمق اجتماعه في عصر من الاعصار» (1) . وكذلك فعل ابنه على ، فلم «يزل ٠٠٠ من أول امارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عناينه الى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع للملك» (2) .

3 - **انشاء المدارس والرباطات** في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعى

(1) المعجب لعبد الواحد المراكشى تحقيقى العلمى والعريان (ط القاهرة) صفحة 163 - 164 .

(2) المصدر السابق صفحة : 173 .

الدينى والاصلاح الاجتماعى ، وبقصمه نشر التعديم وتعيم الثقافة •
وأهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التى أسسها على بن يوسف بن
تاشفين فى مدينة مراکش •

4 — **عناية المرابطين بالثقافة** ، فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجالهم فى
كثير من الصدى والتفانى والاخلاص • ولاعجب فالدولة قامت على
اساس من العلم والاصلاح • واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة
والثقافة العربيتين ، فانه كان — باجماع المؤرخين — محبا للعلم مقربا لاهله،
ونقول قليل المعرفة ولاعول جهلا — كما يحلو لبعض الباحثين ان يصموه
— لانه لاشك نال من هذه المعرفة فسطة ابان دعوة ابن ياسين ومرابطته معه
ومع ذلك فالباحث فى كتب الطبقات سواء منها الاندلسية او المغربية
لايدبت ان يكشف النقاب عن أسماء كثير من أمراء الدولة وكبرائها الذين
كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

زاوى بن منذ بن عطية الله بن منصور الصنهاجى المشهور بابن
نقسوط (1) •

خديف بن خلف الله الصنهاجى (2) •

عمر بن امام بن المعتز الصنهاجى الملقب بالفقيه القائد (3) •

الامير المنصور محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجى الممتونى (4) •

الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيشت (5) •

ابوبكر بن ابراهيم المعروف بابن تافلويت (6) •

ولعل حركة التعريب سارت بعيدا على عهد الموحدىن حيث نشط نظم

1 التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن البار القضاى ج 1 صفحة 89 طبعة
كودير •

2 الجدوة لابن القاضى صفحة 115 طبعة حجرية •

3 التشوف الى رجال المصوف ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن
الزيات تحقيق ادولف فور نشر معهد الابحاث العليا المغربية سنة
1958 صفحة 198 •

4 التكملة ج 1 صفحة 193 •

5 المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاعيان ج 2 صفحة 488 •

6 مقدمة ابن خلدون صفحة 519 — 520 •

مسائل اللغة العربية ، وحفظ متونها ، وازدهرت ، دراستها ودراسة العلوم
السانية المتصلة بها . وشاعت في لغة التخاطب بين مختلف طبقات الشعب
لدرجة أن من يشبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب «لحن العامة»
بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كما في
المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة الى بيئة
أخرى مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجأ الموحدون الى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير
والتأثير عليها ؛ فالهدي يدرس بالبربرية ويؤلف بها كنبه في المذهب ويأمر
بالنداء للصلاة بها على حد اتهام المأمون له (1) ، وعبد المومس يكتب لولاته
بأن «يؤمر الذين يفهمون السند الغربي ويتكلمون به ان يقرأوا التوحيد
بدلك اللسان» (2) و «كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ
التوحيد باللسان البربري» (3) . ولكننا نرى ان مجال البربرية كان محدودا
لا يعمد الدعوة الدينية ، وان العربية لانتشارها كانت قد غدت أداة الدولة
في جميع المصالح والمرافق .

ونستطيع أن نعزو هذا الانتشار الى العوامل الآتية :

1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ، وكان قد استفادهم المنصور (4)

- (1) الاستقصا ج 2 ص 212 (2) رسائل موحدية صفحة 39 نشر بروقنسال
- (3) قرطاس لابن ابي زرع ، صفحة 46 .
- (4) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من ص 145 الى 158 والقرطاس صفحة 154 وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو أن استدعاء العرب واستقدامهم للمغرب بدأ على عهد عبد المومس (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 تحقيق عهد الهادي التازي) وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ونقول ابن صاحب الصلاة ان يوسف امر في مراكش «بدخول اشياخ العرب والوفود للمباينة واخذ العهد عليهم في ذلك فدخلوا . . . وتمت بيعتهم» . (ص 433) وكان قد امر « . . . بنميين العرب المذكورين وان يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حصرة مراكش . . . فابتدأوا بالدخول عليه . . . على ترتيب توحيدهم اولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائره فكان الذي ابتدأ أول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وأمروا ان يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم من

بعد أن قدموا الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية • وكان لهذه الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان «العرب لم يكن المغرب لهم فى الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه فى اواسط المائة الخامسة افريق من بنى هلال وسبب اختلطوا فى الدول هناك فكانت اخبارهم من اخبارها ... •
وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة» (1) ومثل هذا يراه ابو القاسم الزباني حيث يقول انه « لم يكن بالمغرب كله أحد من قبائل العرب الى ان جرحهم المنصور الموحدى بمكيادة الجهاد» (2) •

- 2 - وفود جماعة من غز مصر (3) ، وهم طائفة من الموالى اتراك الاصل حالوا بنى هلال وبنى سليم فى انضمامهم لثورة ابن غانية •
3 - وفود جماعة من عرب بنى معقل كانوا بدورهم حلفاء لبنى هلال (4) •
4 - زيادة توافد الاندلسيين على المغرب بعد ان تمغربت الاندلس •

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر فى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبادى والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جعلتهم يتجانسون معهم ويتبادلون اساليب العيش والاعراف ، مما زاد فى تغلغل العربية وتمكنها من الالسنة لدرجة اصبح البربر كهم على حد قول العريد بيل يتقنون اللغة العربية فى جبال

القبيل المأمور له فتمادى تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون غدوة حتى صلاة الظهر ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر» (ص 434 - 435) •

- (1) ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون •
(2) الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالى (وزارة انباء المغرب سنة 1967) وقد علق الناشر على هذا الكلام برأى غريب قال فيه : «يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بنى سليم وبنى هلال ورباح وصباح وبنى معقل وهى قبائل قدمت منذ الفتح العربى الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب» •
(3) انظر المعجب صفحة 288 •
(4) انظر الاستقصا ج 2 من صفحة 159 حتى 162 •

الاطلس (1) وغدوا - كما يقول كوثي - يستكرون الاصل البربرى ويرفضون الانتساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية فحسب بل يؤكدون انهم عرب وأنه لا تجرى فى روقهم نقطة من الدم ليست بعربية (2) وهو رأى يؤكد ما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية من أن البربر «تغيروا» نغما عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم فى أغلب الاحيان (3)

A. BEL

(1)

LA RELIGION MUSULMANE EN BERBERIE

(établissement et développement de l'Islam en Berbérie)

P 204

F.F. Gentier (2)

LES SIECLES OBSCURS DU MAGHREB

P 410

(3) الترجمة العربية مادة : بربر *

نشأة العامية

لسنا نريد أن نذهب أبعد من هذا في تتبع مراحل التعريب ، فليس من شك في أن عهد الموحدين شهد تمام استعرااب المغاربة ، وليس من شك كذلك في أن هذا الاستعرااب سار في اتجاهين :

الأول . انتشار العربية الفصحى لغة للكتابة والعلم : وتتمثل في نصوص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والعلوم والآداب ، وهي لغة مشتركة بين أبناء العربية والاسلام في كل الأزمنة والأقاليم . ولسنا بصدد التعرف الى هذا الاتجاه .

الثاني : انتشار العربية لغة للتخاطب والحياة العادية اليومية ، وهي لغة لم تكن معربة بأى حال من الأحوال ، وانما كانت لهجة دارجة (1) تختلف في المغرب عن غيره من الأقاليم ، وهي التي يهمنا ان نتعرف اليها . و «اللهاجة في الاصطلاح الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية نتمى الى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ماقد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص» (2)

(1) كان علماء العربية القدماء يطلقون على اللهجة : اللغة واللحن . أما ما نسميه نحن لغة فكان يطلق عليه «اللسان» وبه ورد معناها في القرآن الكريم .

(2) «في اللهجات العربية» ليدكنور ابراهيم انيس ص 13 الطبعة الثانية لجنة البيان العربي - القاهرة سنة 1952 .

وتتميز اللهجات داخل اللغة الواحدة بثلاثة عناصر :

اولا : طبيعة الاصوات •

ثانيا : مبنى بعض الكلمات •

ثالثا : معنى بعض الكلمات •

على أنه مهما اختلفت اللهجات في الاصوات ، فإنه ينبغي ان تظل مشتركة - ولو الى حد - في مباني الكلمات ومعانيها ، لانه متى اتسع نطاق الاختلاف في بناء الكلمات ودلالاتها واصبح كبيرا ومبعدا للفهم ، استقدت اللهجة لتصبح لغة •

ونستطيع ان نعزو تكوين اللهجات الى عوامل أهمها :

اولا : توارث الكلام جيلا اثر جيل •

ثانيا : طبيعة الاقاليم •

ثالثا : الاحتكاك بالاعاجم والاتصال بهم ومدى هذا الاتصال وماينقل به من كلمات وتراكيب اجنبية •

رابعا : اختلاف الالسنه والحناجر قوة وضعفا وصلابة ورخاوة •

وقد تنبأ ابن حزم الى بعض العوامل حين قال : «... والعربية التي هي لغة مضر وربيعه لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش (1) كالذى يحدث من الاندلسى اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيروانى اذا رام نغمة الاندلسى ومن الخراسانى اذا رام نغمتها • ونحن نجد من سمع لغة اهل فحص البنوط وهي على لينة واحدة من قرطبة كاد ان يقول انها لغة اخرى غير لغة اهل قرطبة • وهكذا فى كثير من البلاد فانه بمجاورة اهل البلدة بأمة اخرى تتبدل لغتها بتديلا لا يحصى على من تأمله • ونحن نجد العامة قد بدلت اللفاظ فى اللغة العربية تبديلا وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلفة اخرى ولا فرق فنجدهم يقولون : فى العنب العينب وفى السوط اسطوط وفى ثلاثة دنانير ثلثدا • واذا تعرب البربرى فاراد ان يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرب الجليقى ابدل من العين والحاء هاء فبقول مهمدا اذا اراد ان يقول محمدا • ومثل

(1) الجرش الحك ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض •

هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل» (1) .
ويذهب الدكتور ابراهيم انيس الى أن تكون اللهجات يعزى الى عاميين رئيسيين هما :

« 1 - الانعزال بين بيئات الشعب الواحد »

2 - الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات» (2) .

حقا لقد اتسع نطاق العربية باتساع رقعتها في بلاد مختلفة فصلت بينها حواجز طبيعية وسياسية جعلت اتصال أبناء هذه البلاد محدودا .
فكان أن نشأت في كل اقليم وبعد فترة ما - طويلة او قصيرة - لغة جديدة متطورة عن اللغة الاصلية تطورا يخضع لطبيعة البيئة والسكان وظروف الحياة في مختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وحقا كذلك ان الصراع بين العربية ولغات البلاد المفتوحة يختلف قوة وضعفا من اقليم الى آخر . ولكن من الخطأ الظن بأن العربية حين وفدت الى هذه البلاد كانت معربة ونقية بل انها كانت تتخذ شكلين :

الاول : اللغة المسعربة المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما حمله الفاتحون من علوم .

الثاني : لغة الفاتحين ، وتمثل لهجات مخلف القبائل والطبقات التي شاركت في الفتح .

ولعله من الانصاف أن نقول ان الصراع بين العربية واللغات المحلية لم يكن صراعا بين لغة القرآن وتلك اللغات ، وانما كان بين هذه وبين اللغة التي كان يتكلم بها الفاتحون ويتخاطبون في حياتهم اليومية العادية ، أي بين اللغات المحلية وبين مجموعة من اللهجات العربية ؛ اذ من الخطأ الظن

(1) «الاحكام في اصول الاحكام» لابي محمد علي بن حزم الظاهري ج 1 ص

31 - 32 الطبعة الاولى مطبعة السعادة . مصر .

(2) «في اللهجات العربية» ص 18 .

أن هذه اللهجات لم تكن موجودة ، بل انها كانت تعاكس العربية الفصحى في موطنها الاصلى ومنذ أول عصورها حتى في غير التخاطب • فليس من شك أن العرب في جاهليتهم كانت لهم اشعار غير تلك التي وصلتنا والتي تمثل مرحلة بضح الشعر والتي يرجع تاريخها الى حوالي قرن ونصف قرن قبل البعثة ! وليس من شك كذلك أن هذه الاشعار التي لم تصلنا كانت بمختلف اللهجات العربية ولم تكن بلغة فريش وحدها لان قريشا لم تكن قد تمت لها السيادة • وحتى بعد أن أصبح للغة قريش مكانتها في بلاد العرب - وهي المكانة التي عززها الاسلام حيث أصبحت لغة الدولة والدين - لم يقص على اللهجات القبلية الدارجة •

ومع ذلك كان العرب في صدر الاسلام يأنفون من الابتعاد عن النطق الفصيح • فقد كان اللحن على عهد الرسول صلوات الله عليه يعبر ضلالا ، ويروى عنه أنه قال ، وقد لحن احد المسلمين بحضرته : «ارشدوا اخاكم فانه قد ضل» و «يروى ان عمر رضى الله عنه كان يضرب على اللحن • فاما العرب فاذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريقة السابئة سقطت عند اهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته» (1) • وكان بنو مروان يبعثون اولادهم للبادية حتى تنشأ السننهم مستقيمة ، فانه يروى أن عبد الملك الزم ابنه هشام ومسمة بالبادية فكانا فصيحين • أما ابنه الوليد ومحمد فلم يخرجوا فكانا لحانين • وكان يقول : «اضر بالوليد حبا فلم نوحه للبادية» ويروى كذلك انه : «قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشبيب يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف لايعجل على وانا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ، بعنى حطة الجمعة وبعض ما يعرض من أمور» (2) •

-
- (1) «نقد النثر» لابی الفرج قدامة بن ابى جعفر الكاتب البغدادي • تحقيق د • صه حسين وعبد الحميد العبادي • نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة 1938 •
- (2) «البيان والتبيين» للحافظ ج 1 ص 135 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - سنة 1948 - تحقيق عبد السلام هارون •

وماكاد امر الدولة الاموية ينتهى - وهى الدولة العربية الخالصة - حتى تفشت العجمة وانتشر اللحن ، فقد غلب الطابع الاسلامى على دولة بنى العباس ، وهى دولة فارسية ما فى ذلك شك ، اتاحت فيها فرص المناصب الكبيرة ومراكز السلطة لغير العرب ، فلم يكن غريبا ان تتعرض اللغة لهزات عنيفة وتواجه انماطا من اللغات ومن اللهجات ، ولم يكن غريبا بالنالى أن يصيب العربية تغيير كبير أبسط مظاهره شيوع الاحطاء وتفشى اللحن وانتشار الاساليب المولدة * يقول ابوبكر محمد الزبيدى فى «لحن العوام» : «ولم تزل العرب فى جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع فى نطقها بالسجية وتتكلم على السليفة حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ودونت الدواوين فاحتلظ العربى بالنبطى والتقى الحجازى بالفارسى ودخل الدين اخلاط الامم وسواقط البلدان فوقع الخلل فى الكلام وبدأ اللحن فى السنة العوام» (1) *

وبذلك دخلت الفصحى فى صراع مع العاميات كان من نتائجه أن بدأ الناس - وحتى المتعلمون منهم - يعتبرون العربية النقية التى لم تتأثر بالتيارات الجديدة لغة خشنة جافة ، واصبح اللحن يغتفر * يقول قدامة : «وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطا للانسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس وانه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الاعاجم والاقباط وسائر الاجناس (2)» * بل اصبح يجب على المتكلم ان يلحن فى بعض المواقف وفى هذا يقول قدامة : «وأما المواضع التى يجب أن يستعمل اللحن فيها ويعتمد له فى أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه الرأى فهو عند الرؤساء الذين يلحنون والملوك الذين لايعربون ، فمن الرأى لذى العقل والحكمة والحكمة والتجربة الا يعرب بين ايديهم وأن يدخل فى اللحن مدخلهم ولايريهم أن له فضلا عليهم ، فان الرئيس والملك لايجب ان يروا احدا من تباعه فوقه ٠٠٠ ومن ذلك مايحكى عن بعض من تكلم فى مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون فلحن فعوتب على ذلك فقال : لو كان الاعراب

(1) صفحة 4 طعة اوسى - القاهرة سنة 1964 تحقيق د - رمضان عبد التواب *

(2) نقد النثر ص : 143 *

وضلا لكان أمير المؤمنين اليه أسبق (1) * .

لذا لم يكن عجيبا ان نرى انجاحظ يتحدث في «البيان والتبيين» عن لغة مختلف طبقات الناس ويجعل بابا للحص وآخر للحنانين البلقاء ، ويذكر انه «فيل لابي حبيبة : «ما تقول لرجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، اتقيده به ؟» قال : «لا ولو ضرب رأسه بابا قبيس (2) وأن أبسا شبيبة قضى واسط قال : «أتينمونا بعد أن أردنا أن نقم (3)» * .

ولم يكن عجبا كذلك ان نرى مجموعة من العلماء في حدود المائة الثالثة تألف في لحن العامة امثال أبي عبيدة وأبي حنيفة الدينوري وأبي عثمان المازني وأبي ناسم السجستاني والعراء والمفضل بن سلمة ، وان نرى مجموعة أخرى تألف فيما بعد عن لحن الخاصه امثال ابي هلال العسكري والحريري ، في وقت ظل آخرون يؤلفون في لحن انعامه امثال ابي بكر اليزيدي (ت سنة 379) وأبي منصور الجواليقي (ت سنة 539) * .

يتضح لنا من هذا كله أن اللغة العربية التي انشرت في المغرب كانت سحد شكلين * .

الاول : مغرب تمثله النصوص المدونة والمروية ، وقد تكيف - ولو الى حد - بالافليم الذي القى بظلاله عليه وأكسبه طابعا محليا يميزه عن غيره * .

الثاني : عامي ، وتمثله خمس مجموعات من اللهجات :

- 1 - لهجات الفاتحين الاول * .
- 2 - لهجات الوافدين من الاندلس والقيروان * .
- 3 - لهجات بني هلال وبني سليم وحلفائهما * .
- 4 - لهجات المغاربة الذين كانوا يحاولون أن يتعلموا اللغة العربية في المغرب * .

5 - لهجات المغاربة الذين رحلوا الى المشرق أو الاندلس والقيروان وعادوا الى بلادهم * .

(1) المصدر السابق ص 144 * .

(2) البيان والتبيين ج 2 ص 212 * .

(3) المصدر السابق ص : 222 * .

ولعلنا نستطيع ، مما نعرف من مواضع نزول مختلف الوافدين ، أن نذهب الى ان لهجات أهل الاندلس والقيروان كانت منتشرة في فاس والمناطق المتاخمة لها في الشمال ، وأن لهجات بني هلال وبني سليم كانت منتشرة في الجنوب . ومع ذلك فالواقع ان من كل هذه المجموعات ومن اللغة العربية الفصحى كذلك ، وبالنظر لاشك باللهجة او اللهجات البربرية المحلية ، «نشأت بالضرورة لغة للتفاهم لا يمكن ان نصورها بسهولة كافية الا اذا ضربنا مثلا *Lingua franca* أو *Pidgin english* او غيرها من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة » وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوي فبسطت المحصول الصوتي وصوغ القوالب النغوية ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات وتمازلت عن التصرف الاعرابي واستغنت بذلك عن مراعاة احوال الكلمة وتصريفها كما ضمحت بالفرق بين الاجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد لمليلة الثابتة في مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب (1) .

[1] «العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب» تأليف يوهان فك : Johann Fuck ترجمة استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي . القاهرة سنة 1951 .
وفي تعنيق بنفس الصفحة ان *Lingua Franca* اصطلاح اوروبي يقابله في بلاد الشرق تعبير اللغة الافرنجية ، وهي خليط من الكلمات الايطالية والفرنسية وايونانية وغيرها ، يستعمله المشارفة في التفاهم مع الاوربيين . و *Pidgin english* اصطلاح على لهجة بجليرية مبسطة محررة من القيود النغوية يجرى التفاهم بها بين الانجليز والاحاسب على الاخص في بلاد الشرق الاقصى .
و *Pidgin* كلمة محررة عن *business* الانجليزية .

خصائصها

الاسف شديد أنا لانعرف حال العامية حين شمت في المغرب ولاحين تطورت عبر العرون - وما أسرع ما تتطور - طالما أنها غير مفيدة بكتابة او قواعد . ولسب نجد من وصفها الا اشارات عابرة خفيفة كالتى قدم المعدس حين تحدث عن اقليم المغرب فقال : «ولغتهم عربية غير انها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الاقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومى ... والغالب على بوادى هذا الاهليم الجرب وأكثرهم بكورة السوس وهم قوم عسى عمل الخوارزمية لايعهم سنانهم ولاترضى طباعهم (1)» .

كذلك نجد ابن هشام اللخمي في «لحن العامة (2)» يتعرض للغات العامية في مختلف الاقطار ومنها المغرب . وقد نشر استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني بحثا بعنوان «الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة (3)» اخبار منه بعض الالفاظ الاعجمية التى تسربت للهجة المغربية الاندلسية من البيته المحلية كما اختار بعض الالفاظ التى اكسبتها هذه البيته معنى جديدا .

ولو شئنا أن نعرف الى حال هذه اللهجة بعمق واستقصاء وتفصيل لاحتاج منا ذلك الى بحث مستفيض ومجال واسع لايتهيأ لنا في هذا الفصل ولايتيحهما موضوع الرسالة نفسه . لذلك فأننا نكتفى بالقاء الضوء على بعض الخصائص التى من شأنها أن تقرب هذه اللهجة الى القارئ البعيد عنها وتسهل فهمها عليه .

وفد قسمنا هذه الخصائص الى قسمين : احدهما عام يشمل اللهجة

(1) «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» ص 343 طبعة ليدن 1909 .

(2) مخطوط بالاسكوريال حيث توجد منه نسختان رقم الاولى 46 ورقم الثانية 99 .

(3) مجلة معهد المخطوطات المجدد الثالث سنة 1957 .

بدرجه المغربية ، وبعبء اللهجة العامة المنشورة في أهم المدن والمناطق ،
والثاني خاص باللهجة الرجل ، وهي تدخل في نطاق اللهجة العامة لاختلاف
عنها الا في بعض الجوانب التي حاول الشعراء تطويرها او اضافها تطويرا
ناعتهم حتى تسعهم في التعبير الفني .

اولا : خصائص عامة (1) :

1 - فتح عين اسم الفاعل فيقال في :

صالح = صالح (بفتح اللام)

عام = عام (بفتح اللام)

باستثناء لهجة الجبل فانها تحتفظ بالكسر .

2 - تسكين عين فاعله فيقال في :

جاريه = جارية (بتسكين الراء)

قابلة = قابلة (بتسكين الباء)

نادمة = نادمة (بتسكين الدال)

3 - حذف ياء مقاعين مع تسكين الميم وفتح العين ، فيقال في :

مفاتيح = مفتاح (بتسكين الميم وفتح التاء)

مزامير = مزامر (بتسكين الميم الاول وفتح

الميم الثاني)

4 قلب (ا ء) النهائية الى تاء تانيث مربوطة فيقال في :

حمراء = حمرة

ثلاثاء = ثلاثة

صحراء = صحرة

5 - حذف الياء في وادي فيقال : واد بتسكين الدال

وكذلك في جوارى فيقال : جوار بتسكين الجيم والراء

- 1 - Louis Brunot : a) Introduction à l'arabe : انظر في ذلك :
marocain. G-P. Maisonneuve et Cie Paris 1950
b) Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain
Mélanges W. Marçais Paris 1950 P. 56.
2 - G. S. Colin : Notes de dialectologie arabe
Hesperis - T. X 1930. Fas I.

6 استخدام صيغة المثنى للمجمع فيقال

ويدان (ج واد)

فيسان (ج فاس)

7 - استخدام المجمع للمثنى فيقال في :

ضربتهما = ضربهم ابزوج (تضاف ابزوج لتأكيد الثنية)

قرأتهما = اقربتهم ابزوج

8 - استخدام المجمع بمعنى المفرد ، فيقال في :

حنة = جنان

قبر = قبور

روص = رصاص

خلق = اخلاق

عضو = اعضا

9 - نطق اسم الموصول : الـدى = اللى ، وهو نطق تكاد تشترك فيه

جميع اللهجات العربية .

10 - التزام بعض الاسماء الخمسة لحالة واحدة ، مثل :

اباك - خاك

احصوك

11 - خصوص الاضافه لاسلوبين :

1 - مركب باستخدام كلمة ماع او ديال ، فيقال في :

كتابى = الكتاب اديالى

دارنا = الدار امتاعنا

2 - بسيط باستخدام الصائـر والـتزام الحركات على هذا النحو :

أ - انصب في حالة الخطاب فيقال :

عمك - خالك - كتابك - دارك .

ب - الرفع في حالة الغائب المفرد ، فيقال :

راسو - جدو - بيتو .

ج - السكون في بقية حالات الغياب فيقال :

حبيها - رجلها (لغائية)

بلادهم - دارهم (لغائيتين والغائيات)

12 - ورود اسم الإشارة على هذه الصيغ :

هاذوك

هاذول

ذوك

ذوكا

13 - سهيل الهمز ، فيقال في :

رأس = راس

بئر = بيسر

14 - تشديد الضمير الغائب المفرد ، فيقال :

هو - هي

15 - نطق حرف الجر (فى) دون مد الفاء مع ميل الى فتحها ،

وكما بينها - ان كنبت - متصلة دائما بمجرورها : فالدار -

دلييت .

16 - نطق (له) و (به) على حالتين :

1 - له بكسر اللام وتسكين الهاء (ومثلها به)

2 - لو بالضم والمد (ومثلها يو)

17 - ابدال هاء الغائب واوا فيقال في :

كتبه = كتو (مع تسكين التاء)

ضربه = ضربو (مع تسكين الراء)

وقد تحذف هاء الغائية كذلك فى لهجة الشمال ومنطقة صفرو

والبهايلين فيقال في :

كتبها : كتبنا (مع تشديد الباء)

ضربها : ضربنا (مع تشديد الباء)

18 - تسكين أواخر الكلمات وعدم اتخاذ الحركات وجواز التقاء

الساكنين .

19 - ورود الفعل المضارع في حالة المتكلم المفرد على صيغة الجمع ،
فيقال :

نكتب - نلعب (بتسكين آخر الفعل)

20 - ورود الفعل المضارع في حالة الجمع على نفس الصيغة مع مد
آخر الفعل وصمه فيقال :

نكتبو - نلعبو

21 - حذف نون الجمع في المضارع ، فيقال في :

يأكلون : يأكلوا

يمرحون . يمرحوا

22 - زيادة حرف (الكاف) أو (التاء) في أول المضارع للدلالة على
الحال والاستمرار ، فيقال :

يكتب - يقرأ

ويلاحظ أن لهجة الشمال تزيد (اللام) وعبرة (علا) فتقول :

لايلعب - غالا يقرأ

23 - اضافة حرف الشين للتعبير عن النفي فيقال :

ما تكتبش - ما تقرأش - (بتسكين الشين أو كسرهما)

24 - استخدام صيغة افعال للدلالة على الصيرورة ، حيث تبنى
عليها :

1 - افعال مشتقة من الالوان ، فيقال :

احمر : صار احمر

اصفر : صار اصفر

2 - افعال مشتقة من بعض الصفات ، فيقال :

اعرج : صار اعرج

ارطب : صار رطبا

اطوال : صار طويلا

احماض : صار حامضا

اصلاح : صار صالحا

25 - استعمال صيغة مفعول (بفتح الميم وكسرهما) لمجرد الوصف ،

فيقال :

محسب - مغير - مبراص - مزيان

ثانيا : ظواهر خاصة :

نظرا لان اللغة النعمية لا تستعمل الا للشؤون العادية فانه «من الصعب على من يريد التعبير بواسطتها عن احساساته الخاصة وأفكاره أن يكتفى بمفرداتها المحصورة فيضطر الى الاقتباس من اللغة العصحى ، ولم يأت هذا بالطبع في أول الامر الا لشعراء كانوا من المثقفين الذين تعلموا العربية العصحى وأجادوها مثل سيدي عبد العزيز المغراوي في القرن العاشر» (1) فقد ادخل اشياخ الملحون - والمثقفون منهم خاصة - كثيرا من المترادفات وكثيرا من الغريب . وجاء الاميون منهم فقلدوهم في استعمال هذه الالفاظ . ثم ان هؤلاء الاميين كانوا يجلسون الى العلماء ويستفيدون من الدروس والمجالس مما قوى ثروتهم اللغوية . ومع ذلك لم يكونوا بتقيدون وكانوا يتصرفون في الصيغ والتراكيب ، ومن هنا نلاحظ جملة ظواهر ، منها انهم :

(1) جمعوا قصيدة على قصيدان واسنة على سمول وكأس على كيوس وحاجة على حيجان .

(2) لجأوا الى الصفات وسموا بها كقولهم للقدب الخبير والساكن ، وللبحر الرخار والمثالي ، ولشمس العشية الذهبية ، وللغزال الحذار أي الذي يحذر الصيد ، وسموه انجفال والشروود . وكثر ذكر الغزال فسي شعرهم لتشبيهه المحبوبة به فأنطقوا عليه الدامي والدروج والبرباب والريم والزهام والزهموم والمها والصيناح والعراض والمهوج وأنقرهوب والشادي وشارد العفا والشرشة والشريد والوسنان واليطلول واليعفور .

من هذا قولهم في أسماء العيون ، أبصار وأتماد وأحداق وأرماق

(1) مقال «لغة الملحون» للاستاذ محمد الفاسي - مجلة البحث العلمي عدد 4 - 5 السنة الثانية يناير غشت 1965 .

وأرمأش والحاط وأعبان وأعلاس وأغناج وتمود ورموق ورواق

ومقلات وانحال ونجلات ونواحل ونيام •

(3) اشتقوا من الاسماء صغات فقالوا • رجيل للرجل الشجاع الصابر ،

ورحول لكامل الرجولة • وقالوا : مبشور - مشتقة من البشر -

أى فرح مبتهج ، واشتقوا من الادب : مدوب •

(4) استعملوا المفرد بمعنى الجمع وخاصة فى صيغة فعول ، فقالوا : حبود

يقصدون الحساد وجحود بمعنى الجاحدين •

(5) استعملوا صيغة تفعال فى المصادر فقالوا :

التحفاق بمعنى التحقيق

التجمال بمعنى التباه والصد

التفراد بمعنى التفريد

التفراد بمعنى الانفراد

(6) استعملوا صيغة تفعيل فى غير المعنى الذى تؤديه هذه الصيغة فقالوا:

التزهيد بمعنى الزهد

(7) استعملوا صيغة فعمل بمعنى :

1 - فاعل فقالوا : جهيل بمعنى جاهل وحسيد بمعنى حاسد

2 - مفعول فقالوا : سكيب بمعنى منسكب •

3 - متفعل فقالوا : حبيك بمعنى متشدد •

(8) استعملوا صيغة افعال بمعنى اسفعل فقالوا :

اسقام بمعنى اسقام •

(9) استعملوا مركبات اضافية للدلالة على بعض الكلمات والمعانى ، فقالوا:

لنقلب أمير الاكنان وأمير الحشد وأمير الاسياف (أى الدواخل) ،

وللخمر بنت الدوالسى ، ودم العنقود ، وللمحبوبة أم السيوت (أى

الشعور السوداء) وأبو دلال وأبو دواح (أى صاحبة الحلق) وللفراشة

أم الوبرات •

(10) استعملوا بعض الالفاظ فى معانى معروفة فى العربية فقالوا :

الاحبار بمعنى الشعراء الكبار •

- البطارق بمعنى العلماء الراسخين •
الميز بمعنى الذكاء مع لباقة وظرف •
11) استعملوا كلمات عربية في غير معانيها المعروفة مثل :
الوسنان للغزال •
العاسر للفتاة الجميلة
12) تصرفوا في بعض اللفاظ اخضاعا لها للوزن والقافية ، فقالوا في :
البنفسج • بلفجج وبلغجوج وبنفجيج •
اتماد : تمود •
13) أضافوا ياء الى بعض الكلمات ، مثل :
اطوادي : في اطواد بمعنى الجبال •
كتمانى : فى كتمان
14) استعملوا التنوين في بعض الظروف : قبل وبعد •
15) استعملوا التنوين في بعض الافعال : ليس • وتكون بمعنى ما النافية
وبمعنى لم • وجعلوها تدخل على الماضي • ومع ذلك فكثير استعمالها
بدون تنوين •
16) استعملوا ذى في هذه •
17) استعملوا اللدى في الذى
18) استعملوا لان او لان (بنون ساكنة مشددة او مخففة) فى لان
19) استعملوا كن فى كأن
20) ثم انهم توسعوا فى لغتهم «فاستوعبوا أسماء الازهار والالوان
والاطعمة والطيور والحيوانات والاشجار والملابس والاسلحة وآلات
الموسيقى وأواني المنزل والاثاث وأدوات الصنائع فأدخلوا كل ذلك
فى لغتهم حتى صارت من أوسع اللغات وأغناها بل حتى صار ذلك
من العوائق عن تفهمها وتذوقها لكثير ممن ليست لهم ممارسة ومعرفة
خاصة بهذا الانتاج الادبى الضخم» (1) •

1) مقال «لغة الملحن» للاستاذ محمد الفاسى - مجلة البحث العلمى عدد
4 - 5 السنة الثانية - يناير غشت 1965 •

جوانب بلاغية

تطوى اللغة العامية بطبيعتها على شفافية وفعالية ومرونة وحيوية تجعلها قادرة وباستمرار على امتصاص المعاني والأفكار الجديدة واكتساب الالفاظ والتراكيب الوافدة ، يساعدها فى ذلك عدم تقيدها بمواعيد وقوانين متجسدة تحول دون تكييفها مع الواقع واستقبال كل الروافد واحتضان أى جديد .

ولكنها مع ذلك لا تكون صادقة وساحرة وجميلة الا اذا كانت مصلة بمنشئها محفظة برهانتها وقدرتها على التعبير فى مستوى بلاغى رفيع .
أما الاتصال فليس من شك فى «أن اللغة اذا كانت منفصلة أو شبه اجنبية بالنسبة للشاعر فقد بطل سحرها فى نفسه وسقط التجاوب العاطفى بينه وبينها فأصبحت عاجزة أو أصبح هو عاجزا عن أداء هذا التعبير الوجدانى فى صورته التامة الكاملة الدقيقة التى تشعر بالراحة وتزيح عن صدره ما يجثم عليه ويمتلئ به من انفعال وجدانى .. ان الشاعر لابد ان يمتلك أدواته اللغوية امتلاكاً كاملاً ليكون قادراً على تصريحها فى أغراضه واستخدامها فى نظمه» (1) .

وأما البلاغة فان الحديث عنها قد يثير غضب الذين لايعترفون باللغة العامية اداة للتعبير الجميل ، وهم كثيرون . وفيل أن نكشف لهؤلاء عن جوانب البلاغة ومظاهرها فى شعر اداته اللهجة الدارجة ، فانا نرى أن ستعرض أقوالا لابن الأثير وابن خلدون لعلها أن تخفف من حدة غضب الرافضين لعامية وأدبها وأن تبعث فى نفوسهم بعض الاستعداد للنظر فى هذا الادب .

(1) «ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر» لاستاذنا الجليل لدكتور عبد العزيز الـهـوائى ص 16 - 17 - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة سنة 1962 .

يقول ابن الاثير متحدثا عن الطبع والآلات ، وهى العلوم ، ومنها اللحن : «وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزباد والحديد التى يقدح بها ، الا ترى أنه اذا لم يكن فى الزباد نار لا تعيد تلك الحديد شيئا (1) » . ويقول كذلك مبينا أن اللحن لا يقدح فى الفصاحة والبلاغة : « . . أن الجهل بالنحو لا يقدح فى مصاحاة ولا بلاعة ولكنه يقدح فى الجاهل به نفسه ، لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم ، والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل وصبب المفعول أو ما جرى مجراهه وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن فى اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة » . ولهذا لم يكن اللحن قادحا فى حسن الكلام لانه اذا قيل : جاء زيد راكب ، ان لم يكن حسنا الا بأن يقال : جاء راكبا - بالنصب - لكان النحو شرطا فى حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة اعراب كلماته وإنما الغرض أمر وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم فى الخطب والرسائل من الكلام المنشور (2) » .

والى نفس الرأى يذهب ابن خلدون فى قوله : «ان العلم بقوانين الاعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو العمل ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة المهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى اخيه أو ذوى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى » . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الكلمة ويجيد الفنين من اسطوم والمنثور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك المنكة هى غير صناعة العربية وإنما مستغنية

(1) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر «لابى الفتح ضياء الدين بن لاثير ج 1 ص 8 طبعة الحلبي مصر سنة 1939 » .

(2) المصدر السابق ص 18 - 19 » .

عنها بالجملة (1) » .

ويضيف مدافعا عن شعر أهل امصار المغرب من العرب ومحددا معنى البلاغة : «... ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول .
واستأخروا وانكثروا من المتحليين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان
يستندرون هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقدون ان
ذوقه انما نبا عنها لاسهجانها وهقدان الاعراب منها ، وهذا انما اتى من
فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه
وذوقه ببلاغته ان كان سديمة في الآفات في فطرته ونظيره ، والا فالاعراب
لامدخل له في البلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقضى الحال
من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والتصب دالا على المفعول
او بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة
بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر
صحت البلاغة ، ولا مبررة بقوانين النحاة في ذلك واساليب الشعر وفنونه
موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الاعراب في أواخر الكرم (2) » .

ومثل هذا يؤكد مختصرا في تاريخه حيث يقول : «... الا ان
لخاصة من أهل العم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها
من حلس الاعراب ويحسبون ان الاعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك (3) »
اما مظاهر البلاغة (4) في القصيدة الزجبية فيحصرها الاشباح النقاد

- (1) المقدمة (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعقيم) ، ص 492 طبعة بولاق .
- (2) المقدمة (فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد) ص : 511
- (3) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 18 طبعة بولاق .
- (4) يجدر بالذكر أن الشاعر الشعبي اسمعيل كلمة بلاغة . يقول ابن علي في أول قسم من «المحاورة» :
افراجا مقصيا اكما اسمعت العاود للسامعين برضاهم
برجاحت لعقل وابلاعت لجبار حبت اخصام الخودات في انهايت
شعري منظوم

ويقول كذلك في آخر قسم من «الحجام» :

غير ابلاغا فانشعر وانظامو

عمري ماوشمت ولاعرف واشمة ولانا داخل لكلاف

في أربعة عناصر (1) :

اولا : **التجنيس او الجناس** ، ولا يكون عندهم الا تاما •

ومن الامثلة عليه قول الكندوز في «عاسق لنجال» ، وهو اكثر الشعراء

براعة فيه :

بحفاك عمدا لي عدت انحيل

ماشمفك تعذابي اولا محاني

سيف لجفا امحاني

لعباد لامحاني

فامحاني الاولى جمع محنة ، والثانية فعل معا فاعله السيف ،

والثالثة فعل لح بمعنى رأى فاعله العباد • ومن الامثلة عليه كذلك :

دمعائك القلب الدامي ملو الحوف

واتمزق لكسا واكذاك الحافي

والردا وقماش الحافي

ارحفت من ذا القدم الحافي

فالحافي الاولى بمعنى الغطاء والثانية بمعنى الفراش والثالثة بمعنى

حافي القدمين •

ومن الجناس الوارد في هذه القصيدة :

كمن املح به اصياري باتو اهتوف

واغضبت عن النفس وقلت اكتافي

انت اسباب اكيود اكتافي

وبلمليح احماوا اكتافي

فاكتافي الاولى فعل أمر من اكتفى ، والثانية بمعنى التقييد من كتف

أي كبل وقيد ، والثالثة بمعنى الاكتاف ج كتف •

ومنه كذلك قول ابن احساين في قصيدة «فاطمة» :

كيفي يانا انهار ناموا * عيني فعيون موحرام

(1) تلفت النظر الى أنا سنعود الى هذه المظاهر البلاغية في «الباب الثالث» لنرى نشأتها وتطورها •

واعقبلى من الهام هام * بالحال الذى اقلب شاما
فوق الورد الناسما

فالهام الاولى بمعنى الرأس والثانية فعل الهيام *
ويقول الزلايجى فى «الدعى» :

نهزم الدعى دون اتصال * حتى يرضى بالقهرا عن افعالى
وانفصلوا افعالى

وافصالى الاولى من المصال والمفاصلة ، والثانية جمع فصلة ، اى
قطعة .

ثانيا : التصريف :

وهو فى الواقع نوع من الحناس حيث يتصرف الشاعر فى كلمة
باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وغالبا ما فعل ذلك باسم الحبيبة * يقول
المدغرى فى «زهرة» :

مانظرت اغزالى زهرا
انجمت الزهر
او لنظرت الخد فزهر
ابطيب ازهاروا
ويقول فى «مسعودة» :

مزلوا المسعودا ياطبوع اكواكب لسعاد
انا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا
انت بدر السعود وانت لالهلال اسعود
ويقول ابن على فى «كنزة» :
ماكيف اوصالك كنز
وافضل من مال ايلا كثرزوا
عالجنى يشمس لحاسن ياكثزا

ومن التصريف فى غير اسماء الحبيبات قول عباس بن يوسف فى
حربة قصيدة له تأملية :

لاتغرب فالغرب امع لغاربا * الغرب اغريب سايرا فيه اغريبا
من اغرايبوا عنى اهلو غريبا

ثالثاً : التضمين او التلزم :

وهو أن يضمّن الشاعر القافية أكثر من حرف ويلتزم ذلك في كل القصيدة او في بعض اقسامها وهو ما يسمى في الادب المعرب بلزوم ما لا يلزم . وقد برع فيه الحاج احمد الغرابلي ، ومن خير الامثلة على تضمينه قصيدة «ملكة» يقول في القسم الاول منها ملتزماً حرفي اللام والكاف :

يا من اطلوع اهللك
يفجى اظلام لحلاك
بحكى اشموس لفلاك
لمه جد لى بوصالك
تنكى ابزورتك عدالك
لنى اغلام حسن اجمالك
قبل الصيام يامولاتى وناعلام مملوك
ومن لفراق مهلوك
ويلا تزورنى تتعافا داتى الهالكا
لو تجفى قبرى ايواصبك
ويلادرتنى ابقى العار اعليك
وفي القسم الثانى منها يلتزم حرفي الراء والكاف ، فيقول :

امحاسنك واسرارك
فتنا الكل من راك
وابهاك ليس يدراك
لازمت نرتجى بشمارك
ياتى المرسى بخبارك
وايقيدنى ابصح امزارك
وانقول سعد سعدى واكمل قصدى ابيوم مبروك
واضحى الرقيب متروك
انجدد لفراح وتغنم ساعة امباركا
وانقول لك الله اينصرك

من ارقى متواك مامعاه اشريك

رابعاً : التشبُّه ، وهو ثلاثة انواع :

1 - تشبُّه كَلِمَة ، وهو ان يستهل الشطر بكلمة من الشطر الذى قبله
واليت بكلمة من البيت السابق عليه وعالها ماتكون آخر كلمة فى الشطر او
البيت ، وهكذا وكان القصيدة سلسلة مرتبطة الخلفات • ويطبق على
الاجزاء المنشوبة : «لطارش» (1) وقد برع فيه محمد بوزيان •
ومن حير الامنية على تشبُّه قصيدة «المحبوب» التى يقول فى احد
اقسامها :

محبوب خاطرى من فكندو عمدا لى * عمدا لى والنوم ضح من لنجال
نجال على الخد دمعها سلسالى * سلسالى يهو اكما لطر هطال
هطال امن افراك اللى زاد اهبالى * اهبالى من فكند امن اهويت اغزال
اغزال اقلبها عيرو مايحلالى * يحلالى وصلو ايللا نعم بالوصال
ومن هذا النوع كذلك ماجاء فى قصيدة «الجار» للكبير بن عطية المراكشى:
امن اهواك هيچ وجدى وافنانى * وافنانى حلا امدامسى طولاق
طوفان فوق خدى والتوم اجفانى * واجفانى محبوب خاطرى ببيان
بيان ياھلى واش اعطف جيرانى * جيرانى تغذ عيب للجيران
جيران مائدوز الجار * والجار ما بقى مهجور
مهجور بين صهد النار * والنار تيزيد اشروور
اشروور ماطغا بالمطار * وامطار امن اماج ابحور
ابحور فايضا زادت تمحاننى * تمحاننى زاد بالتيهان
2 - تشبُّه كلمتين : على حد مانجد عند الحاج احمد الغربلى فى

قصيدته «عين الرحمة» ومنها :

اعين الرحما الراحما ياقرت لنيام * ياقرت لنيام جد لى يابحر التعظيم
يابحر التعظيم والفصل يساعين الرحما

(1) لعلها من الطرش بمعنى القذف وكأنه يقذف بها من شطر لآخر • وعند
بعض الاشياخ أن «لطارش» تطلق على كل الكلمات التى يقصد الى
تكرارها حتى ولو على غير نظام التشبُّه كقول السداز فى حربة
«زهرة» : بمزارى بمزارى - جد لى بوصالك نبرا - يامولاتى زهرا

3 - نشب شطر ، وقد برع فيه التهامى المدغرى ، وخاصة فى قصيدته «فأرحاء» التى يقول فى أحد أقسامها :

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
ونا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

بايت من ليعت لجرايح * عقى بهواك ما ارتاح
وانبرد ابغير أح * بين التنهاد والجوايح
كاوى بجمار لافحا

بين التنهاد والجوايح * بالشوق اتكمد لجراح
الى من دكت اللماح * والغالب مابقى ايسامح
ولايدرى امسامحا

الغالب ما بقى ايسامح * سيفو مملوك اللكفاح
وخيولو تكذب لمراح * بين المسمار والصفايح
كمن قومان طايجا

بين المسمار والصفايح * واسنون الهند والرماح
تزلخ من شوفها الماح * قولوا لصبيغت اللوامح
عظمى بخلاك فأرحا

قولوا لصبيغت اللوامح * ياغصن ايميس فالدواح
امهر اشروود اقلب طاح * رفدى ياللا الطايح
باللى سماك فأرحا

ولم يكتف الشاعر الشعبى بهذه المظاهر يكشف بها عن قدرته على التعبير الفنى الجميل ، وانما حاول اظهار هذه القدرة فى استخدام نوع معين من الكلام ، وهى محاولة لاتخلو من تكلف ولاتعنى غير تطويره للغة وبراعته فى ذلك ومهارته . وقد وقصنا من ذلك على نوعين :

أحدهما أن ينظم الشاعر قصيدة كل حروفها مهملة (1) ، ومن الامثلة

(1) هذا قريب مما ذكره الرباط فى «العقيدة الادبية» لدى ذكره أنواع الصنعة فى الموال حيث قال : «صنعة المخزوم وتعريفها أن يجعل

على ذلك قصيدة للنجار يقول في حريتها :
ململا لعلا الصمد الاله

عل الماحى صلى واعطاه سر ملكو

ويذكرون أن الشيخ محمد بن الشليح السبوي عارضها بقصيدة كل
نقط حروفها من فوق وأن الشريف البقائي المكناسي عارضها بقصيدة كل
نقط حروفها من أسفل ، والاسف اننا لم نتمكن من الوقوف ولو على بيت
واحد من هاتين القصيدتين .

ومن الامثلة كذلك على الشعر الخالية حروف كلامه من النقط قصيدة
للخمير بن عطية تسمى «اتناشمة» يقول في حريتها :

روم حرم الهادى واسع امكارم احماه

لمرام اموصل والود ولمكارم

مأمسى معروم الساعى لوراد احماه

والثانى أن يستعمل الشاعر اسلوب «الختم» ، وهو ان يلتزم بده
أبيات القسم او انتهائها بكلمات معينة ، على حد ما نجد عند بوعمرى فى
قصيدته «زهرة» حيث يقول بادئا كل بيت بـ «زهرة»

زهرا زهروا للذات ❀ مصباح الخودات

الناظم جميع أحرف مواله مهملة عدا آخر حروف القوافى معجمات .
ومثاله أقول :

أمحمد محمد رسول مرسل ومدحه لز

واعمل اكما اعمل العاليم واهل العز

كم له مدد كم هلك ساحر وسهمه حز

ورمحوكم دحا حاسد واعداه دز» . (الورقة 149) (ظهر)

وتجذر الإشارة الى ان المغاربة عنوا باظهار مثل هذه البراعة حتى فى
غير هذا المجال على حد ما نجد عند المرحوم احمد بن العياشى اسكيرج
فى رسالتين الفهما بالحروف المهمة هما :

أ) مطالع الاسرار لمدارك الاحرار فى شرح صلاة الفاتح لما اخلق
(مطبوعة على الحجر) .

ب) مدد الوصول لادراك السؤل على حل كمال الصلاة على رسول
الله على روحه السلام (مطبوعة على الحجر بفاس سنة 1332) .

زهرا عل لبنات * حازت لبها وثباتا
 زهرا شمس انبات * بالحسن اتجلات
 زهرا من عدات * زين عبلا وخناتا
 وعلى حد مانجد كذلك عند الشريف محمد بن لحسن في قصيدة «هنية»
 فقد ختم كل بيت من أبيات القسم الاخير منها باسم «هنية» ، يقول :
 خذ ارأوى روض لفنان * فمدح للا بوتيتين اهنيا
 بها زال الهول واهوان * صعبى واشهدت باللعظين اهنيا
 وقد برع في ذلك التهامي المدغرى الذى يقول مثلا في قصيدة «طامو»
 بادئا كل شطر بكلمة : «مال» =

مال جفنى ساهر طول البهيم * مال جفك فسرور امقيما
 مال خدى ساقط ورقو اسقيم * مال خدك ففراح انعيما
 ويقول في قصيدته «مير لغرام» بادئا الفرائض بكلمة «أنت» والفظا
 بكلمة «أنا» :

أنت اغلا وزين من الياقوتنا الضاويا
 و... برين غالى ممدوك اولاً يلى احميا
 أنت ابهد من الشمس المرفوعا الغاليا
 ونا بنار شمس حدودك كاوى بنار حيا
 ومن اروع ما نظم الشعراء على هذا الاسلوب قصيدة ينتهى كل بيت منها
 بـ «اقفل» في الشمس الاول و «قفلو» في الشطر الثانى * وقد ذكر لنا منها
 لشيخ بنعيسى الدراز هذا البيت :

ياحاضى (1) باب افلخلا من غير اقل

مايحضى باب غير من كان ابقفلو

وأخبرنا أنه عاوضها بقصيدة على نفس الاسلوب لم يذكر منها

غير بيت واحد يقول فيه :

عندى مفتاح به نفتح كل افقل

لو يجتمعوا جميع لقفال ايقفلو

فنية الاسلوب

نسأ نريد أن نحم هذا الفصل عن لغة القصيدة الزجلية وفنياتها دون

أن نشف عند بعض خصائص الاسلوب فيه ، وهى :

- 1 - التشبيه والمقارنة .
- 2 - الحركة والحيوية والتشخيص .
- 3 - الحوار .
- 4 - القصة .
- 5 - الرمز .

والحقيقة أنا سبسط الحديث عن هذه الخصائص فى «باب الموضوعات» عرسا وتمثيلا ، وننتبها فى مختلف المواطن التى وردت فيها بما يعطى عنها صورة واضحة الملامع مكتملة الاجزاء ، ولكننا مع ذلك نرى لى ما تبين فى هذا الفصل أن نقف عند تلك الخصائص وقعدت قصيرة تكون بمثابة اشارات تفهيه لما سيأتى مفصلا فى ذلك الباب ، وهى وقفات نراها ضرورية لاسيما وان تنبنا فيه لهذه الخصائص ، رغم ما سنعمد اليه من تعيس ، سيجىء خاضعا لتقسيم الموضوعات وتابعا لسيرها وما يقتضيه تسلسلها .

أولا : التشبيه والمقارنة :

لم يترك الزجال المغربى شىء لم يخضعه للتشبيه والمقارنة ، مستعينا بكل ماحوله فى الحقيقة والواقع او بما يحود عليه به خياله ، سواء فى ذلك باستعمال أدوات التشبيه أو عدم استعمالها ، فقد شبه المرأة بالفرال وانطائر والياقوتة والقمر والزهرة والمصباح ، وتتبع جميع ملامحها فشبه الثغر بمقد الجواهر ، والقند بالراية وغصن الآس ، والخد بالوردة ، والخل بالفلام ، والغرة بالبرق ، والانف بزهر السوسان وعصفور صغير ، والصدر بقطعة رخام ، والبطن بقماش صائف مرقوم ، والنهدين بالتفاح ، والذراعين

بالسيوف ، والاصابع بالاقلام ، والسرة بالكاس سالت عنها الخمر ، والافخاذ
بأعمدة من ذهب ، والسيقان فى حمرتها بقطعة من البلور اشعلت فيها شمعة
كبيرة ، والنون الابيض بالعاج ، والاسمر بالحمر او ماء الذهب ، ثم عكس
فعمد الى هذه الاشياء المشبه بها فشبهها بمفاتن المرأة •

وتنظر فى مظاهر الطبيعة والكون وتأملها فشبه الشمس حين تغرب
بفرس شقراء ارخى عنانها فغدت تغير على السراوبى والسهول ، وحين
تنجلي فى كبد السماء كعذراء فى عنقوان النمو وعز الجمال • وشبه الفجر
عند الطلوع ببدر مصىء وعروس برر من الحجاب وحوله الكواكب كالفاتنات
وشبه الليل بسلطان من السودان يقود جيوشا من الفرسان تمتطى خيولا
دهماء • وشبه الارض فى حلتها الربيعية الجميلة بعروس سسطية ، واديمها
المنور بزراوى مفروشة من نسيج الخالق • وشبه النخلة بعروس بكر
وعناقيدها بالياقوت والجواهر والعقيان ، فى حين شبه عناقيد البدو الى
بائشريات • وحين تأمل الدنيا وجدها كالحساء الفاتنة يعشقها كل الناس •
ولم يكف الشاعر الشعبى بالتشبيه المجرى فحسب ، وانما عمد كذلك
الى المقارنة فاعنبر جمال محبوبته يفوق الشمس والقمر ، وأن البدر يفار
من نور جمائها فيحتجب ، وانها ياقوتة يتضاءل أمامها الجواهر والذهب
والفضة • وحاول أن يقارن بين حاله وحال محبوبته فقابل بين قلبه المشتعل
وقلبها لمرتاح ، بين لونه الاصفر الدايل ولونها البهى الجميل ، بين سهره
برعى النجوم ونومها الهادى ، بين سلوها وانشغاله ، بين قوتها اللينيد
وقوته المر ، بين صحتها ونشاطها ومرصه ووهن عطمه ومزاجه •

وقارن كذلك بين حابه المعدب وقد فارقتة الحبيبة وبين بعض الاشياء
الاليمة لديه كالشمعة المحترقة بفراق ممكتها ورعاياها ، والحمام الباكى
بهجر انشاء ، والرسم الخالى من الاحبة •

وقابل بين الصبح والليل ، بين الصبح فى قدومه كسطنان ارخى
ذبل ازاره لابسا حلة من الديباج وبين الليل فى توديعه كغراب أسود شابث
عذاره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحيقه وبين الليل سال دمع غرابه •
وقابل كذلك بين نفسه ومظاهر الطبيعة فبعث فيها من ذاتيته ما جعلها

تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته في نجاب وامتزاج مع هذه المظاهر
كتشبيه الشمس في غروبها وذبول لونها بالحبيب الذي هجرته محبوبته
فاصفر لونه •

ثانيا : الحركة والحيوية والتشخيص :

يكاد هذا العنصر في الواقع يغطي على القصيدة الزجلية ، فالمحبة
ليست دائمة في خدرها او محجة ، وانما هي دائمة التحرك تصول بجملها
في ثوب واعزاز ، وتشتتر في ثيابها وتميل بقدها مع هبوب النسيم •
والمحب في حاله المظني كسمنية تنقاذها الامواج ، وهو لايفأ عن الحركة
سعييا للوصول الى حبيبته ، يذهب الى المنجمين ويقصد الاضرحة ويزور
محبوبته ليلا متذكرا في همه «صيف الله» فسهب من منامها ، وتدخله
وكرمه ؛ وقد لايتها له ذلك فيتذكر في صفات أخرى يحاول بها ان يغري
محررها ؛ ثم انه دائب الحركة في البحث عن التذكار الذي اعطته محبوبته
ايام يوم جادت عليه بالوصال فصيعه •

والحب سيف قاطع وسلطان طاغية يهجم في جماعة من الابطال ،
وامير حائر مروع يقود الجنود للقتال وقد لمت اسلحته وخفقت أعلامه ،
وبحر هائج لانهاية لحدوده ما مخرت عبابه سمنية الا اغرقها وشنت الواحها
وشخص مايعاني المحب من التيه والضنا والشعب والهيام فجعلها
ملوكا للعشق تغطي وتجور • كذلك بعث الحياة في الشمعة فجعلها تتكلم
وتحاور ، وهي الدوالي فصورها تنميل معربة بل جعلها تنزوج وتنجب
بعد أن شخصها وشبهها في نموها بصبيات يكبرن في حجر امهاتهن
وصونهن • والحركة في مجلس الشرب لاقتصر ، فمن العريضة الى الوقوع
على الارض الى النهوض الى الموسيقى والعناء والرفص •

اما الطبيعة والكون فحاول تشخيصها وابرار اوصافها في صور حسية
ملموسة نابضة بالحركة والحياة ، فليل يهجم والشمس تروح وتشرق ،
وضوء الصبح يطرد الظلام ويزيحه ، والربيع يقبل ويحيى الارض بعد موتها ،
والطر يتزوج الارض فتحمل منه وتنجب •

وينعكس هذا العنصر حتى على الهجاء حيث يستوحى الشاعر معانيه

من المعارك الحربية فيسظم قصائد «البوغاز» و «الرامي» و «المهراز» (أي المدفع) والقرصان (أي السفينة الحربية) والغطاس (أي الغواصة) ، وهي قصائد لا تشتمل منها إلا رائحة القذف والصرب والتعطيم •

ثالثا : الحوار (1) :

وهو نوعان :

- 1) حوار قصير يمكن أن نقول انه يأتي عرضا غير مقصود لذاته ، كالذي يجريه الشاعر بينه وبين محبوبته يشكو اليها فيه مما يقاسى في حبها عارضا لحاله معذب ، فحبيبه تأسفه عن أوصافها من خلال مدرته مع حبه هو ؛ ومثله الحوار الذي يديره مع انشعقة والحمام •
- 2) حوار طويل يقصد الشاعر اليه كإحدى نغمه في قصائد «الحراز» حيث يتنثر المحب في هيآت مختلفة ، وفي كل مرة يدخل مع محرز حبيبته في حوار •

ومثل «الحراز» اترافعت كقصائد «القاصي» التي تصور لجوء المحب إلى ممثل القضاء عساه ينصفه من جور محبوبته ، وكقصائد «الخصام» أو ما يطلق عليه «المحاورة» • والحوار فيها قد يدور :

أ - بين الناس كما بين الحضورية والبدوية ، والحادم والحر ، والزمنية والعصرية ، والشابة والعجوز ، والسمره والبيضاء ، والطويلة والقصيرة ، والسمينه والنحيفة •

ب - بين نباتات كالورود والزهور •

ج - بين طيور •

د - بين جمادات كالقطة والفراخ •

هـ - بين مظاهر كونية كالليل والنهار •

- و - بين أشياء وهمية يشخصها الشاعر كالحوار الذي أجراه المدغري للتيه والضنا والشفغ والهيام مع محبوبته التي رفع اليها المحب دعوى ضد هذه الاطراف ، وقد جعلها ملوكا لعشيق اغتنمت فرصة غياب محبوبته فاستقرت في قلبه ؛ وتستمتع المحبوبة الى شكوى حبيبها والى
- 1) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة الجيلالي اميرد •

دفاع خصومه ثم تجيب أثبت في الامر ونحسمه •
وقد كانت تتخذ بعض هذه القصائد لادوار تمثيلية او مكان يطلق
عليه «البساط» • وحوار في كلا النوعين يعدد مجاله بتعدد الاطراف
المتحركة فيه ، وهو في الغالب حوار مباشر يقدم له بفعل القول •

رابعاً : الفصحة (1) :

يبدو الشاعر الشعبي مغرماً بالسرود والقص مستوحياً في ذلك الخيال
او الواقع أو التاريخ •

- (1) فمن القص الخبالي ما يحكيه في قصائد «الحراز» و «الخصام» و
«الحلخال» و «الدمليج» وقصائد «الحمام» و «الفصادة» و «الوصال»
- (2) ومن القص الواقعي ما يحكيه عن الخمر متتبعا مختلف مراحلها منذ
غرست الدالية الى أن نمت وضح غنبيها وعصر وعثق ثم عرض
للشرب •

ومما كذلك ما يحكيه مثلا في قصيدة «المطر» (2) عن الفقيير

ومعاناته من البرد والمطر في فصل الشتاء •

- (3) ومن القص التاريخي نظمه لصفحات من السيرة النبوية في قصائد
«حلولق» و «الوفاة» و «المعراج» او نظمه لنكبة الحسين او لبعض
الحوادث والاحداث التاريخية على حد ما فعل الكفيت الزرهوني في
هزيمة ابي الحسن المبرني في القيروان •

ويدخل في هذا النوع ما يطلق عليه «القصائد الايوبية» أو
«الغزوات» وهي التي تحكى قصص الانبياء والاولياء ومحاولات ابراز
مافيها من خوارق وكرامات • ويقول الاشياخ ان المغراوي كان اكثر
الشعراء نظما في هذا الباب ، ويذكرون له أسماء قصائد منها :
«المؤودة» و «الشهاديه» و «جرير بن جرير» • ويذكرون كذلك
«النباش» للحلالي امتيرد و «العيواجية» للكبير بن عطية و «الكهفية»

-
- (1) انظر الفصل الثاني من باب الاعلام لدى ترجمة محمد بن عبد الله بن
احساين وكذلك الفصل الثالث لدى ترجمة الجيلالي امتيرد •
 - (2) انظر تحليلها في الفصل الثاني من باب «الموضوعات» (ملاحظة) •

لغانم القصرى و «النمرودية» للغرابلى و «البغدادية» للمكى بن القرشى ؛ ولكنه لم يبق من هذه القصائد إلا الاسم ، والسبب أمران :
أولهما : انها قصائد طويلة يمكن ان يطلق عليها : «ملاحم» ومن شأن القصائد الطويلة أن يقل حفظها والا يقبل على سماعها فتضيع .

الثانى . مذكره الاستاذ محمد العاسى حين قال : « وقد كان رجال الاستعمار أيام الحماية يمنعون انشاد هذه القصائد فى الاسواق ، وكان المراقبون اذا تقدم لهم أحد المداحين يطلب الاذن فى السفر للتجول فى المدن والقبائل قصد ترويح بصاعنه اول مايسألونه عنه هل يحفظ «الغزوات» فان اجاب بالنفى اعلى الاذن والا منع لانهم كانوا يخشون بعث العاطفة الوطنية والدينية فى النواحي التى كانت ما تزال بعيدة عن اثر الدعة الاستفلاية» (1)
خامسا : الرمز (2) :

ويتمثل فى ثلاثة جوانب :

(1) رسوم الوشم ، وتصور حيوانات وأسلحة وإبطالاً وبساتين ، وهى وغيرها أشياء يقصد الشاعر أن يرمز بها الى مختلف حالات المحب ، فالغزال للهجر والنفور ، والخيول والاسلحة لمضى القوة والمقاومة ، والاغراس والورود للوصال .

(2) الجفريات : وهى القصائد التى تأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع والناس واستعرض المذاكر والعيوب ، ولكن فى رمز وإشارة وتلميح .
وعالبا ما يلجأ فى ذلك الى الحيوانات ، فيمثل بالضفادع والذئاب واليوم للسفلة الذين غدوا سادة وبالسباع والنسور لكبار القوم الشرفاء الذين أذلهم الدهر .

(3) بعض قصائد الخصام كـ «النجمة» للفيلسوف (3) ، وهى تمثل خصاماً بين الليل والنهار وصراعاً من أجل الفوز بالنجمة ، وهى قصيدة

-
- (1) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى - عدد 1 سنة اولى - يناير - ابريل 1964 .
 - (2) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة العميرى .
 - (3) انظر تحليلها فى آخر فصل «مع الناس» من باب الموضوعات .

وطنية رمز الشاعر فيها بالنعمة الى الحرية وبالليل للاستعمار
وبالنهار للوطن *

والجدير بالإشارة أن الشاعر لا يثبت في قصيدته أن يمك الرمز
ويخرج منه الى التوضيح والتصريح بالرأي والفكرة وهو ما يطلق عليه
الاشياخ النقاد «الدسائس د المعنى» كأنه يدس المعنى للسامع حتى لا يظل
يبحث عنه ويحاول الوصول اليه او ما يسمونه «تيجسس على المعنى» ومن
الامثلة على ذلك ماورد في قصيدة جفرية لعبد الله اعلى يقول في أولها
رامزا الى أن الاحوال تغيرت وأن الدنيا صفت للسفله فغدوا سادة :

فرعنت اليوم اعلى اليزان اتولت *

بيت انيابها ودركت الصولا *

والسبع اخشى امن الضبع بعد الزهرات *

لزم التحدير خاف من ولد الغولا *

ويستمر كذلك في رمزه بالحيوانات ثم يكشف في الآخر عما يقصد

اليه من نقد لواقع الناس والزمان فيقول :

لمساجد كمعود افلنعات *

ترجع لقوام عن القبل مشغولا *

يقوا لبنى عند لتجار لطفات *

ويكثر المال ولثياب المشكولا *

الى جانب هذه الفنية وتلك البراعة والمظاهر البلاغية نلاحظ عند اشياخ

القصيدة الزجلية لمحات نقدية مختلفة نستطيع أن نجعلها في فرعين :

أحدهما خاص بالشعر والثاني بالشاعر *

أما ما يخص الشعر فيتمثل في تقسيمهم له من حيث جودته ووضوح

معانيه وأفكاره وسنقامة وزنه الى الاقسام التالية :

(1) كلام بالغ : بمعنى بليغ

(2) كلام مرصع : بمعنى منمق جميل (مرصع)

(3) كلام ايض : بمعنى بسيط واضح المعاني لاغموض فيه

(4) كلام اكحكن : بمعنى معقد وصعب

(5) كلام امسلس : بمعنى مستقيم لا كسر فى ميزانه

ونظروا الى الشعر بعد هذا من حيث لغته فاعتبروا من عيوبها استعمال

الاعراب والكلمات العصبية أو ما اطلقوا عليه «البرص» (1) .

واما ما يخص الشاعر فيتمثل فى تفريقهم بين السجى والوهبى أى

بين صاحب السجى والموهبة . وعندهم أن السجى هو الذى ينظم شعرا

فيه عواطف ومعانى وافكار . وفرقوا فى السجى بين أنواع ثلاثة :

الاول : المنقول وهو ان يروى الشاعر ما فى الكتب وينظمه كما هو

الشان فى قصائد مولد الرسول عليه السلام ووفاته ، وهى

قصائد تحكى ماورد فى السيرة النبوية .

الثانى : الهيبس وهو أن يصف الشاعر الواقع وينقل الحقيقة كما فى

المحاورات .

الثالث : الغيظ وهو أن ينمل الشاعر أحاسيس نفسه وانفعالاتها كما

فى القصائد التى تملأها العاطفة سواء كانت عاطفة حب أو دين .

أما الوهبى فهو الذى له قدرة على النظم فى سهولة ويسر ، دون أن

تكون له عواطف ومعانى وافكار . ومن هنا قالوا «لامعرب على وهبى» أى

لاجدوى من مناقشته فى المعانى .

ويذكرون أن من الشعراء الوهبين أحمر المرباطى وهو من كبار أشياع

مراكش المعاصرين (2) . وكان يملئ على حفاظ شعره فى وقت واحد خمس

قصائد أو أكثر ، وكأنه المدرس يملئ آيات القرآن الكريم على التلاميذ فى

الكتاب . وذكر لنا الشيخ محمد بن عمر المراكشى أن من الأمثلة على شعره

الوهبى قوله فى قصيده من باب (السما فوفنا والارض تحتنا) :

شوف اولاد النوم من كشرت لحرام اعموا

ماقبطو فيمانهم غير الله ايداوى

(1) وهو كالتزيم بالنسبة لموشح والزجل (انظر العاظمى الحالى الورقة 17 ظهر و 18 ظهر) .

(2) كان من جلساء السلطان المولى عبد الحفيظ . توفى سنة 1365 هـ ، ولقب بأسرياق لانه كان دائما فى حالة جذب يبذل الريق لحيته .

وايلا غاب الصبح لأطبيب ايداوى بدوا

واش المركب دون رايس وفومانو بر ساوا

واش لغنم ابدون سارح ترعى لخطاوى

ويعتبر الشيخ محمد الجابري في فاس كالشيخ المرياق في مراكش ،

اد يحكون عنه أنه كان درازا وكان يمني على صناعه اكثر عن قصيدة في

الوقت الواحد وهو امام مواله ينسج .

وكما مرفوا بين السجاي والوهسي فكذاك فرقوا بينهما وبين نوعين

آخرين من الشعراء ، هما : السلاخ والمساخ .

أما السلاخ فهو الذي يسطو على شعر غيره فيحتعط بالمعاني ويبدل

في الالفاظ ، ويطلقون عليه كذلك «الخياط» أي الذي يخييط ويربط بين

ما يأخذ من هنا وهناك ؛ وقالوا في أمثالهم عن عمله «أحيطا مزيانا احسن

امن اسجيا امذبرا» يقصدون ان خياطة مقيمة خير من سجية غير ناضجة .

وأما المساخ فهو الذي يسرق شعر غيره ويمسخه بمحاولة القلب في

المعاني والالفاظ .



الفصل الثالث

العروض

البحرور

نحن نكر من الناس انه لاجد لبحور الزجل ولا حصر لها ، وأن «صاحب الف وزن ليس بزجل (1)» . ويطن آخرون أن عروض الزجل محدود لا يخرج عن نطاق بحور الخليل ، وأن من الممكن تطبيق تفعيلات هذه البحور وأوزانها عليه .

أما أن بحور الزجل غير محدودة فقول لا يخلو من مبالغة وتهويل وتمعيز . حقا أن الزجالين - سواء في المغرب أو غيره - نظموا اشعارهم على أوزان لا نجد لها مثيلا في العروض العربى الذى حدده الخليل ، وحقا كذلك انهم مزجوا فى الزجل الواحد بين أكثر من وزن ، وهى ظاهرة تبدو معها بحور الزجل كثيرة وجديدة وبعيدة عن العروض العربى ؛ ولكننا مع هذا لانرى لا نهائية لتلك البحور ، بل على العكس من ذلك نحس ونحن نستمع الى ما ينشد عليها - مهما كان جديدا - أنه لا يختلف عما ألفنا سماعه فى الشعر العربى ، تكيفه نفس الروح ويضبطه نفس الايقاع ، بل نحس - فى ظن غالب - أن الذوق العربى العام يستسيغ موسيقاه ويضطرب لها ويرتاح حتى عند الذين لا يفهمون كلماته .

وأما أن أوزان الزجل محدودة فى نطاق العروض العربى لدرجة امكان تطبيق تفعيلات الخليل عليه ، فقول نراه بدوره جانب الصواب ، والسبب أن الذين يذهبون اليه يفقدون أمرا لعله أهم عنصر فى هذا الشعر ، ألا وهو موسيقيته التى لاتتيح مثل ذلك التطبيق ، بل تتكسر وتضيق لمحاولاته . وليس يخفى أن فى تفعيلات الخليل وما نشأ عنها من أوزان جانبها صناعيا أساسه الامسباب والواتاد وما تنعرض له من علل وزخافات . وقد بلغ هذا الجانب عند المراهضى - وهو جانب تأسر فيه بعلم الصرف ومقاييسه -

(1) هو قول شائع ، وقريب منه ماورد فى «العقيدة الادبية» من أن «الحافظ لآلف وزن فشلان» (الورقة 24 طهر) .

درجة جعلته يعتبر «مسنع لن» و «فأع لاتن» تفعيلتين مستقلتين عن «مستفعلن» و «فاعلاتن» مع أن الإيقاع واحد . بل أكثر من ذلك نجد العروضيين يفترضون لبعض البحور أصولا تطورت عنها كقولهم في المديد أن أجزاءه ثمانية هي :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن (مرتين)

ولكنه لم يرد في الشعر إلا مجزءا حيث سقطت السفعية الأخيرة ، وكقولهم في الوافر أن أجزاءه ستة ، وهي :

مفاعلتن مفاعلتن (مرتين)

ولكنه لا يرد صحيحا حيث تقطف عروضه فمصير «فاعل» ، ثم تحول الى فعولن .

ومش هذا وذاك يقال في الهزج والسريع والمضارع والمقتضب ، بل انه لا تكاد توجد قصائد على الوزنين الآخرين ، ولم ترد فيهما إلا أبيات متفرقة ، لعلها بقايا أوزان عربية قديمة ، مثلها في ذلك مثل الشواهد الشاذة في اللغة أو النحو أو غيرها ؛ ومن يدري فقد تكون من اختلاق بعض الرواة العابثين الذين كانوا يحاولون اثبات سعة روايتهم وارضاء الامراء والخلفاء واتحافهم بالطريف النادر ولو باحلاقه . ومع ذلك نجد الخليل يعتمد هذه الابيات المتفرقة القليلة ويعمل فيها صناعته ويضع لها وزنا وأصلا لهذا الوزن .

لذا ، فانه ليس من السهل القول بأن الزجل يسير على التفعيلات العربية ، او بالاحرى انه يسير عليها في تناسقها المعروف . ومع ذلك فمن المؤكد انه يخضع لإيقاع العروض العربي وليس الى أوزانه وتفعيلاته ، فأوزانه تخلف ، وتفعيلاته تتباين في العدد والمقدار . وهذا ما يجعل من الصعب ، بل من المستحيل ، أن نزع أن هذه القصيدة أو تلك من بحر الكامل أو الوافر أو غيرهما . ولو هيء لالأوزان المجزأة من حصيها ويدرسها وينظمها لا يمكن ارجاع بعض قصائد الزجل الى أنماط من هذه الأوزان .

ويزيد في خطأ الرأي الذي يذهب الى أن أوزان الزجل محدودة أن

اتخاذ مثل هذا الرأي يقتضى بادئ دى بدء حصر كل النصوص الزجلية ،
اذ عملية تحديد الاوزان لا يمكن ان تتم الا بعد جمع هذه النصوص واستقراء
ماتسرس عليه من بحور • ومادامت هذه العملية غير ممكنة ، طالما ان ما بين
الدينا من نصوص لا يمثل الا نسبة ضئيلة مما انتجه الزجالون ، فمن العبث
والخطأ ان نسطر احكاما مسبقة ونحاول اخضاع الازجال لها ، وانما العكس
هو الصحيح والصواب ، اى ان نستقرى ما عندنا من ازجال ونحاول ان
تستنبط منها احكاما ونسحرج قواعد •

ثم انا لائسرى جدوى - ونحن نريد ان نتعرف الى عروض القصيدة
الزجلية فى ان نثبت مطابقتها او مخالفتها للعروض العربى المعروف ، طالما
ان شياخ الزجل النقاد ميازين تعارفوا عليها ، برى من الانفع والاجدى ان
نعرضها ، بعيدا عن أية مقارنة بالبحور العربية او حتى مقاييسها وحركاتها
الموسيقية ، لان ادرك سبب الايقاع وابعاده فى الزجل يقتضى الاستماع
ليه ودراسته ملفوظا ومعنى به ، وهو شرط لا يتوفر لنا الا فى حالات نادرة
معروفة •

وسرجالين المدربة تفعيلات خاصة يزنون بها أشعارهم ، أساسها النغم
والايقاع (1) ، يطلقون عليها «الصروف (2)» وهى نوعان :

(1) لعبها لاتخرج عما ذهب اليه اخوان الصفا فى رسالته الخامسة من ان
«فوائس معاء ولائحاج • • • ثلاثة أصول وهى السبب والوتد
والعصبة • • • ما سبب مشغره متحركة يتنوعا سكون • من قولك :
ن ن ن ن ، ويكرر د س • والوتد نقرتان متحركتان يتلوها
سكون من قولك : ن ن ن ن • يكرر دائما والفاصله ثلاث نقرات
متحركة يتلوها سكون مثل قولك ن ن ن ن ن ن فهذه الثلاثة هى الاصل
والقانون فى جميع ما يركب منها من النغمات وما يركب من النغمات
فى جميع اللغات من الاذن وما يتركب منها من الغناء فى جميع
لغات» (رسائل اخوان الصفا وعلان الوفا ط صادر - بيروت -
الرسالة الخامسة من القسم الرياضى فى الموسيقى ص 197 - 198)
وقد استعرضت الرسالة بعد ذلك جميع انواع الايقاع المركبة من هذه
النقرات وانتهت الى ان منها ثلاثة مفردة وتسعة ثنائية وعشرة
ثلاثية •

(2) يطلق هذا الاسم اساسا على القطع المعدنية التى تتخذ مقاييس لوزن
الكيل أمثال الكيلو ونصفه وما اليهما •

1 - الدندنة : وهي قائمة على «دان دانى» وهو مقياس موسيقى صرف . ومن الامثلة على تطبيقها قولهم بالنسبة لهذا البيت من شجرة ابن علي :

الا باكي بستقامك شوى استقام حالى
من فيس وارثو بعد افناه اغرام حب ليلي
أدان دان دانى دانى يادان دان دانى
أدان دان دانى دانى يادان دانى
وقولهم بالنسبة لحربة «المزيان» للعلمي :
حن واشفق واعطف برضاك بالمزيان
لا اسباحا ميعاد الله يالهاجر
دان دانى يادانى دان دان يادان
دان دانى يادانى دان دان دانى

2 - مالى مالى :

ويبدو أنهم وحدوها لاتكفى وحدها لضبط الايقاع الموسيقى ، فأضافوا اليها بعض الكلمات مثل : «الرادا - السعادا - سيدنا - للا مولاتى للا ٠٠٠» أو ما اليها مما يشد به الميزان ، كما سبق أن رأينا فى الانشاد (1) . والغالب فى قياس الميزان أن يبدأوا بهذه الكلمات ثم يختتموا بـ : «مالى مالى» . ومن الامثلة على ذلك قولهم فى هذا البيت من «وردة ابن سليمان» .

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى
ياعدولى فالسوت اسبابى خد الورد
للا يامولاتى للا ويامالى مالى
للا يامولاتى للا ويامالى مالى
ومع ذلك فالشعراء حين ينظمون لايفيسون بهذه «الصروف» ، وانما يفيسون ببعض القصائد المشهورة التى غدت نماذج أو شبه نماذج لهذا الوزن أو ذاك . ومثل هذا نلاحظه حتى عند المنشدين ، فانهم لقلة معرفتهم

الموسيقية لا يدركون ميازين الانشاد الا بهذه الطريقة ، كقولهم ان «فضيلة»
لحاج ادريس حمش من قياس «الباكي» لنتهي المدغرى ، وكقولهم ان
«ومب ازهو» محمد بن على على قياس «الرهو فبب وشبان» للمدغرى
تدنت .

والعروض عند الزجالين المغاربة يقوم على بحور وعلى أنواع من
المبازين داخل كل بحر . وأطلقوا على البحور «لمرات» جمع مرمة ومعناها
المنوال وهو الآلة الحشبية التي يستعمل النساج والحداد ، وأطلقوا على
أنواع الميازين داخل البحر الواحد «قياسات» جمع قياس (1) .
ويمكننا تقسيم بحور هذا العروض الى أربعة أنواع هي :

1 - المبيت .

2 - مكسور الجناح .

3 - المشتب .

4 - السوسى .

اولا : المبيت (2) : أى القائم على عدد معين من الاشطار فى البيت وعلى
عدد من الابيات يلتزم فى كل قسم من اقسام القصيدة ، وهو الغالب فى
استعمال الشعراء . وربما كان أقرب من غيره الى شكل بحور الشعر
لمغرب ، ويمرغ هذا النوع الى أربعة أشكال من حيث عدد الاشطار التي
تكون البيت :

1 - المثنى : أى الذى يتركب البيت فيه من شطرين ، يطلقون على

الاول «الفراش» وعلى الثانى «الغطاء» (3) ، وله «قياسات» متعددة لاسبيل

(1) أى القياس .

(2) واضح أن التسمية مأخوذة من البيت . ونجدها عند ابن على فى
آخر «الموسم» حيث نقول : «من حبر معلم» * يا حمام ادويت المعنى لبيتنا»
ونجد عند الحاج عمارة فى آخر قسم من فاطمة :

«ياراوى لبيت عنى * غنى اوصول لا تخشى من عديانى»

(3) من عجيب أنا نجد مثل هذه التسمية معروفة فى من الموال المصرى على
حد ما نقرأ عند ميلاد واصف فى «قصة الموال» حيث يقول : «أما
مواويل افرش والغطاء وينشدها اكثر من مغل فهى تنظم على طريقة
«الموال النعمانى» فى أسلوب التقفية الا ان كل قطعة تتكون من ثلاثة

الى حصرها ، أسماها السبب اليفاعية في موسيقى البيت • ومن نماذجها:

أ - قصيدة «الحجة» لابن احساين ، وحربتها :

ياحضرنا قولوا بالسر والجهار ❦ الصلا والسلام اعلى النبى المختار
وهو أسهل «قياصت اثنى» ، سواء في النظم أو الاداء ، ويطلقون
عليه «قياص لشركى» (1) ويصفونه بأنه «نحويط لقصير» أى الحائظ
الصغير القصير ، وهى عبارة تقترب في مدلولها من قول العروضيين فى
بحر الرجزانه «حمار الشعراء» •

ومنه كذلك قصيدة «الهاوى» لابن على ، وحربتها :

يالهوى تهوا من لا ايليه سطوا ❦ تب ياراسى وارجع لغنى القوى
ومثلها قصيدة «فروح» للمدغرى ، وحربتها :
مانروح الفراح ولاانروح بالراح ❦ دون راحت روحى حور اللوامح افروح
ب - قصيدة «زهره» لبوعمر و وحربتها :

زورينى قبل الا نقبار ❦ ياهلال الدار زهرا

ح - قصيدة «الوردة» لابن سليمان ، وحربتها :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى

ياعدولى فالمرت اسبابسى خد الورد

د - قصيدة ابن على «صلوا على الصديق الصادق» ، وفى حربتها

يقول :

صدوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام نبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

ه - قصيدة «السامى» لامتيرد ، وحربتها :

مواويل كل موال على حدة يتحد الشطر الاول والثانى والثالث
والسابع فى قافية وينشد كل موال من القطعة احد المغنين • يبدأ
المغنى الاول بالموال الاول وهو «الفرش» عارض مشكلته فى الحياة
فيرد عليه المغنى الثانى بـ «الغضا» شارحا رأيه الخاص فى قضية
زمينه • أما المغنى الثالث فيعقب عليهما بـ «القفلة» او «المغزى العام» •
(انظر صفحة 57 - 58) •

(1) انظر الفصل الثانى من باب الاعلام لدى الحديث عن الحاج اعمارة •

الساقى وكضى لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها
كب ياساقى راح الليل

ويلاحظ أن «افراش» أطول من «الغط» *

و - قصيدة «الديجور» للمدغرى ، وحربتها :

شفب الشككا شى اشكا ابهجرو شى بالنهان شى ابعشغو واغرامو
شى بانفرغا شى جايب لهديا يرحل ويكيم
وفيها يلاحظ كذلك أن «افراش» أطول من «الغط» ، بل أكثر طولاً
من «فراش» القياس السابق *

ز - ومن المثني ما يبدو رباعى الاضطار ، وهو فى الواقع ليس أكثر من
من «فراش» و «غط» ، وأن قسم كل منها قسمين ، على حد مانجد عند
امثيرد فى «انعيد اصيامى» حيث يقول :

انعيد اصيامى ، وانكلع كفارت لوزر
عنقت اغزالى ، فالدجا حتى بان الحال
وعلى حد مانجد كذلك عند انشاوى فى قصيدة «صارم الطعن»
وحربتها

آش را من لاجرد صارم الطعن ، ويركب سفن لحروب وايعيط دانى
هاحنأ هنا ، ويكون ادراعو ابحال السانو

فالفراش هو قوله «آش را ٠٠٠ دانى» ، وهو مقسم قسمين :

والفصاء هو «ويكون ادراعو ابحال السانو»

أما «هاحنأ هنا» فمجرد «تفريشة» شمد بها الميزان كان يمكن الا يضيفها
الناظم وبترك «اشدادا (1)» يقولونها او يقولون غيرها من العبارات التى
يشد بها الميزان *

2 - الثلاثى : اى الذى يتكون البيت فيه من ثلاثة اضطار ، ومن

«هياصاته» :

أ - قصيدة «عبة» لبوعمر و ، وحربتها :

(1) انظر المدخل حيث الحديث عن الانشاد *

ايلا تعدبت اعذابى من انواجى * وبلايانا اهنيت واسعدنى فالسى

اسبابى اهلنا اغزالى عبلا

ب - قصيدة «دابل لعيان» للعلمى ، يقول فى حربتها :

روف ادابل لعيان * يابو حجين امعرقا اوزينا

زور عشيق يراك امن التيهان ياعزيرل

ج - قصيدة البحرى فى «التصلية» ، وحربتها :

على الله اعليك يالهادى خانم لرسال * عد ادواب البر والاسماك الى فالى

العايش واللى امضى ومن هو مازال اكبيل

د - قصيدة «زينب» لابن على ، يقول فى حربتها :

يابدر ماعطاك احجاب * فى ادجا ياشمس النهار السعيد يازنوبا

فاين العهد يازينب

وبلاحظ ان الشطر الثانى أطول من الاول والثالث .

ه - قصيدة «راحا» للمدغرى ، وحربتها :

ياعيون المهر يا سالف الطليم اجيد الصياح

أطاوس بين ادواح ، يا قمر ساحى

اقطيب الباس أخذ اشفيق ياراحا

ويلاحظ أن الشطر الاول طويل وان الثانى قصير ، وهو تقسيم

التزمه الشاعر فى القافية ، أما فى الانشاد فالشطر واحد .

و - قصيدة «البكى» للمدغرى ، وحربتها :

شهدوا بين ايلا فنيت وامضيت من الوجنا وخالها واخودود الجار

والشاما والخال واشمر * لهوا خدوج ولغزال السعديا

ويلاحظ أن الشطر الاول جـد طويل .

3 - المربع أو الرباعى : أى الذى يتكون البيت فيه من أربعة أشطار .

ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «بها» لحسون وتير ، يقول فى حربتها :

عساوى الباهى * من ابها من لالها اشبيه

مولاتى باها * الحايـز اصغر وزين وجاه

ب - قصيدة «آمنة» لنجاح محمد بن عمر المراكشي ، يقول فيها :

أمننا حنك نيران * أعلى نيران * كاديا فاصميم الوجندان
فاصميم اكناني

ج - قصيدة «طامو» للعسي ، حربتها :

طامو يابهيح الخدادا * الحر المسرارا ياغايت لمجيد
ديرى اللعاشق امرادو * ينكى بك كل احسود

د - قصيدة فى «الصنية» لابن احساين ، يقول فى حربتها :

صلى الله امع املايكو عل لحبيب السارى * وامر هل ليما افلبشر
بصلات الهادى امع اسلامو بايات اسوارو * صلى الله اعليه وافرا
ويلاحظ أن الشطرين الاول والثالث أطول من الثانى والرابع .

ومثلها قصيدة فى «التصلية» للغرابلى ، يقول فيها :

لسم الله الواحد لعظيم الحى الجوادى * نشده حلا طيبها اشدا
لسم الله اسما امعطا بها يبدأ البادى * وينال امرادو افما ابدأ

هـ - قصيدة «فارحا» لمدعرى ، يقول فى حربتها :

دسنى تحت لخلال بين ادروعت لملاح * والمبا والدواح
انهيداتك تفاحا * انا خايف امن اعيونك ايجرحونى يافارحا
ويلاحظ أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثانى والثالث .

و - قصيدة «حجوبة» لابن على ، حربتها :

ياللى زينك فتى الشمس وانقر افلحجب * صلتى بحروف اعجاب
صع لوجابى * عالجنى بوصالك يالريم حجوبا

ويلاحظ كذلك أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثانى والثالث .

4 - خامس شطار أو الخماسى : أى السدى يتكون البيت فيه من

خمسة أشطار . ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، وحربتها :

قالست يما اتقول طامو * قلت وأبيك يالطام
ياقد اعلام فاللطام * قالت ترا يقول طاما

ترات ايعول فاطما

ومنها قصيدة «فارحان» للمدغرى ، وفي حربها يقول :

سلتك بيهك يالبرايح * مالك سكران دون راح
أنا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايعا

ب - قصيدة «أساداتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، وفي
حربتها يقول :

اساداتى اولاد طه * برضاكم عالجوا الحال
ياساس الجود ولفضال
أنا فى عار للافاطما * الزهرا الطاهيرا
وقد يختلط مع الثلاثى اذا ما ضم الشطران الاول للثانى والرابع
لخامس ، ولكنه بس ثلاثيا .

ومنها قصيدة الطيب الواسرى المعروفة بـ «تاج لملاح» ، وفيها يقول:
رغبوا تاج لملاح فىا * ايجيسى غير بالسلام
ويراعى صلت لكرام

لاخير فاللى اجفا احبيبو * واعدر بعد الموالفا
ومن هذا القياس ما قد يخلط مع الرباعى اذا ما جمع الشطران
الاولان كقصيدة «زهرة» للفرابلى ، وحربتها :

أنا فى عارك اهلل الدارا * ياكوكب السحار
يازهرت دوحى لزهار * أما قاسيت امن امراير
وانست لميوم هاجرا

ثانيا : مكسور الجناح :

وفيه يشكون قسم القصيدة من أربعة اجزاء :

1 - الدخول : وهو عبارة عن شطر فى استهلال القسم لاغطاء له ،
يبدو كالمطائر الذى كسر احد جناحيه . ويؤكد هذا التعليل فى النسمية
أن الاشطار التى تاتى بعد الدخول غير مبيتة ولاغطاء لها فكانها هى الاخرى
مكسورة الجناح .

2 - مجموعة من الإسطوار القصيرة تسمى «لطيطعات» أو «لكراسا(1)»

3 - بيت على وزن الحربة وقافيتها كأنه تمهيد لها .

4 - الحربة أى اللازمة .

ومن الأمثلة على مكسور الجناح قصيدة «المزيان» لابن على ، وهذا

أول أقسامها :

1 - الدخول : ته بجمالك عل لقمار .

2 - لطيطعات : الشمس اتغير ايلا اتشوف زينك .

لبدر امن اجبينك والبان غار مك

اسبخ من الظليم الوفرا

واضوا من لكواكب غرا

والحاجبين فوق الطرا

نحسابهم نونين

وامعرفين باثنين

واشفار فوق وجاتك ناموا

3 - البيت :

اصوارمو استئو من لجعان * واحفانك غلبو يافهيم شوف اجفاني

ولخدود اسبغهم الجلار * عل لبياض احمرار

4 - الحربة :

ليا فال المزيان * وصف هذا الحسن ياللى تهوانى

قلت يا دابل لشمار * توصافك لايحصار

ومثلها قصيدة «عينتا» للحاج ادريس ابن على ، وقد بلغ من براعته

فيها أنه التزم قافية التاء فى كل القسم بل فى كل القصيدة ، والعادة أن

تتبع القافية داخل القسم وان تختلف من قسم لآخر كما سنرى بعد .

بقول فى القسم الاول منها :

1 - الدخول : عمدا اعلى لعشيق الكاوى كيغى ابنار لبنات

(1) ولكنها غير لكراسا التى يقدم بها للاقسام كما سنرى فى الجزء الثانى

من هذا الفصل .

2 - **المطبلعات** : مهما تقول نارو بردت واطقات

حين ينظر زين الخودات

كبرها زبدت واكدات

حتى عاشق مسكين ماسطاب امام اول قوت

غير ايشاهد لبنات كيشاهد بيان الموت

والزين اعلى الممدوك ليس يرى

سلطان كيجور ويعدل ويامو اعطاتو

3 - **البيت** : وتافساير اوفاتى * نسعى ارضاه واقف ولانقول مليت

4 - **التحربة** : رلوا للاعب مولاتى * رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث

ثالثا : المشتب :

ويتكون القسم فيه من بيت يفصل فيه بين اول أشطاره وبقيتها

بمجموعة من الاشطار القصيرة تسمى كذلك «المطبلعات» فكان داخل البيت

محشو بهذه الاشطار الزائدة ، وهذا هو الاصل لى التسمية اذ المشتب

ما تملأ به «اللعوف» و «المضربات (1)» .

ومن الامثلة عليه قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وفى اول أقسامها

يقول :

1 - **اول البيت** : ما فيها مايبنى

2 - **المطبلعات** : غير نعم الباقي

يساعيل مائك شاقى

لاين تاتزيد احماقى

وين من غرتهم بالمال والنصر

ما فازوا غير ابلقبر

مانفعهم فيها تدبير

آسعدت من دار الخير

نسال سنوان

واعليه ماصعاب هان .

(1) جمع «مضربة» وهى المرتبة فى اللهجة المصرية .

3 - بقية البيت : وانت ارمنى لهلاكى فى ذا الاسواق

نلحمها محليا

اولا وجدت اعمارا

ويتصح لنا البيت بشبهه وقربه من الحربة التى تقول :

يدراسى لاتشفى

التاعب لابد من لفراق

لاتامن عالدي

ابناسها عرارا

ومنها قصيدة «قمر الدار» لعبد السلام الحربى ، وحربتها :

واجب لى نعداز يپو لاتنوموى فى حال لغرام يپواناسى مايبا

عير قمر الدار

وفى القسم الاول منها يقول :

1 - اول البيت : صاك ابعسكر جرار

2 - لطيلعات : للطام اتانى

مايحن من تمحانى

ونانجيل وفانى

عير برنى وادموع العين حايفا

من فوق الوجنت ساجف

نعنى لسواقى

وهيحت ليران اشواقى

اولا وجدت الدايا راقى

اعحز طسى

والحسم صار امهى

اكسانى الظما ياناسى

3 - بقية البيت : جسمى اسقام

واخلاكى كطعيا

اولا وجدت ايمارا

رابعاً : السوسى (1) :

ويتكون القسم فى قصيدته من ثلاثة اجزاء :

- 1 - بيت من شطرين يستهل به القسم .
 - 2 - مجموعة من الاشطار المرسلة دون تقييد فى العدد والوزن والقافية لا يخضع لغبر تسلسل الانشاد .
 - 3 - بيتان أو ثلاثة أبيات على نفس الوزن والقافية ، تكون كالتمهيد للحربة التى تتحد وياها فى الوزن والقافية .
- ومن الامثلة عليه قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى ، يقول فى أول أقسامها :

1 - بيت من شطرين : يا حضرا سمعوا ما صار

بين زوج ابنت افكحار

2 الاشطار المرسلة : شابا عصريا بكرا

والاخرى زمنيا عذرا

فرجونى بين الحضرا

وكنت حاضرا

نصفى لخصامهم

نسمع العصريا

اتقول للزمنيا

يا جارتى اهتيا

سمعى منسى اخبار

من يوم اسكنت احدى جارا

وانتيا فاشفار

ياحسبى لله سألها بخصامك جمع لفكار

عمرك ماشفت اتقول شئ مدرسا

ولا احضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

(1) بعض الاشياخ يطلق عليه «المزكوك» ومعناه فى الاصل الخبط الرقيق .

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس

جارحا بلسانك فات لقياس

مشغولا بيا

ولا العنت شيطانك الشرير

خوذيني نصفك تتشتمى فيا

جهرا بلا خفيا

فالستا ساعى لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للشتام النار

بلسانك قلت اعلى الشكارا

3 - بيتان : 1 - مصحوبا ديما امعايا مملو ابلكتوب عل لغتخار

سابقا بالمعيار

كابرا اميا فالسب الغتب والزورا

ب - لالك المدرسيا فايقا عل لبكار

ياتسمى لخبار

بالزمنيا غشما اموخرا للورا

4 - الحربية : آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار

زوج هيقات اصغار

شأبا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

ويكثر السوسى هي قصائد «المحاورات» مثل «الحراز» و «الخصام»

بل يكاد يكون خاصا بها ، ولكن مع ذلك نبدى ثلاث ملاحظات :

الاولى : ان بعض قصائد «الحراز» نظمت فى غير السوسى مثل حراز

الشاوى ، وحربته :

شف حراز الريم حجوبا *

بارت احيالو واطفرت ابدات لجمال بعد العز ولحجاب

وحراز مولاي الحسن ، وحربته :

شف حراز الدامي كيف صار لو * حتى بارت حيلتو وحزت ام ادلال
وحراز خديجة للفلوس ، وحربته :

حراز اخديجا سابغ الشقر حرزها يامن اتسال عن شوف انجالي
واغديتو، بحيالي او حزت ولفى سابغ لنجال

الثانية : ان بعض قصائد «الخصام» نظمت في غير السوسى مثل
«العربية والمدينية» لمحمد بن على ، وفي حربتها يقول :

ما بين العربية امع لمدينيا حاضر المخصام واما هم
حتى اتعايرو ودار المعيار من بعد اخصام الباهيات فالصلح اجريت لهم
الثالثة : ان قصائد نظمت على هذا الوزن ، وهى ليست من المحاوره

كقصيدة «الربيعية» لمبارك السوسى ، وحربتها :

يوم الجمعا خرجو اريام من بهجت فاس البالى

سربات، ايحيروا لعقل لحكيم غزلان

يوم الجمعا خرجو اريام

ومثلها قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وحربتها :

لله يارسول سال الدامى واشى ماعند الخاطر ياس

اما بعد هذا فيقال قى اصل تسمية هذا الوزن بالسوسى قولان :
(1) انه نسبة لمبارك السوسى لسبقه الى النظم فيه ، مع ان الراحح لدينا
ان الشيخ امتيرد هو النى سبق اليه (1) *

(2) انه شبيه بالفرد السوسى المنسوب لمنطقة سوس ، ومعروف ان سكان
هذه المنطقة مشهورون بالتجارة والاقتصاد ؛ ووجه الشبه ان الجزء
المرسل فى هذا الوزن - على الرغم من عدم وجود تبين وتقفية
لضبطه - يحتوى على مراكز يقف عندها المنشد فى ايقاع معين كأنه
يعد الفلوس على طريقة السوسيين *

(1) حسب ما انتهينا اليه فى البحث *

بناء القصيدة

اسم القصيدة :

يسمى الزجال المغربي قصيدته «لقصيدا» أو «لقصيد» ويجمعها على «قصدان». يقول اخيلاي امتررد في آخر قسم من «خلخال اعويشا» :
والى سالك عن ناظم لقصيدا « قل افصيح اللغا الحبر اخيلاي
ويقول ابن سنيان في آخر قسم من «الرعدة» :

احافظ لقصيدا زد انتقلا اعلى لهايم
احضى اعقول لهن الدعوات الشاكرون حسن

ويقول المغراوي في آخر «التوسل» :

وامدحتك فسي باب روضتك ابهاذ لقصيد

وبقول المدغري في آخر بيت من «أم كلثوم» :

أنت ليا مملوك واعلامي « ونا كذاك لك احببنا خدي الخدها وقصيدي «تموم
ويقول ابن علي في آخر بيت من «الفرصان» :

وعلى الجاحدين حجتا افقصداني

ويذايجول فاسلوع يلقيها اموضعا بشهيد وبيان

وبقول العلمي في أول القسم الاخير من «كان الخلاقي هاني» :

احافظ قصداني « سلى اجوارحك قبل ايضوك لكفان

ويسمى كذلك «القطعة» على حد قول ابن علي في آخر قسم من «المحاور» :

بلطفنا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاطها ومعناهم

اذكي من الزهر واحلا من سكر فقلوب هل التسليم والحدود اتجيههم زقوم

مقدمة القصيدة : السرابسة :

يقدم الزجال المغربي لقصيدته بقطعة قصيرة تكون في نفس البحر

بمهد بها لضبط ايقاع الوزن الذي سيظم عليه ، تسمى «السرابسة» (I)

والغالب أن تتكون من هذه الاجزاء :

I - أبيات تمهيدية يطلق عليها «الدخول» (2)

(I) لعل أصلها من انسرب وتسرب بمعنى دخل .

(2) انظر «الدخول» بعد سطور لدى اسنعراس أجزاء القصيدة .

2 - « ناعورة » (I) وهى أبيات قصيرة نادرا ما تكون أكثر من ثلاثة .

3 - بقية الأبيات

4 - « الردمة » (2) وهى الشطر الذى يختم به ، ويكون كالفاصل

بين السراية والقصيدة .

وعند الإتيان أن الذى لا ينظم السراية لقصيدته لا يستطيع ضبط ميزانه بل لا يعتبر شيئا ، وقالوا فى ذلك « من لا يوزن بسرارب ميزانو يبقو غايب » . ومع أنها تتفق مع القصيدة فى الوزن والموضوع فإنها تختلف عنها فى الإنشاد ، وقد سبق أن رأينا (3) مختلف أنواعها فى الإنشاد ، وهى :

I - السماوى .

2 - الحضارى .

3 - الكباحى .

4 - المزلوك .

ويلاحظ اليوم - نتيجة ضعف مستوى النظم و لرواية - أن الشعراء لم يعودوا يقدمون لقصائدهم بالسرارب وإن المنشدين لا يمهّدون بها كذلك ، وإن فعلوا فإنهم يخلطون ، حيث ينشدون سراية هذه القصيدة لتلك ، حتى ولو لم تكن منسجمة معها فى الموضوع ، فكان أن تعطلت هذه المقطوعات وضاع أكثرها ، وما بقى منها ينسب فى الغالب لغير أصحابه أو لا يعرف قائله . ويطلق على السرارب التى يجهل اسم منشئها اسم «اسرارب أحراميين» ، وكان بعد هذا أن بدأت السراية تنفصل عن القصيدة وغدت تعتبر عند البعض نوعا مستقلا من الزجل .

وكنموذج لهذه المقدمة نمثل بسراية لـ محمد بن على حطّاء تمهيدا لقصيدته «دامى لجداد» يقول :

1 - الدخول

أقلبى كن عن امصابك صبار « الصبر مفتاح الكنوز والدخيرا
محبوبك لا تعاتبو ولو جار « وارتجا وصو بعد السوايع لعسيرا

(I) انظر « النواعير » فى الحديث عن مقدمات الاقسام

(2) انظر « الردمة » بعد سطور عند ذكر العروبي (3) فى المدخل

لو طال الهجر لا غنى من لزار * يا لى ما جبت لهل لغرام سسيرا
انشوف اجمالى واقفا انجيرا

2 - الناعورة

يا عمهوج لجسدار * ما هو عمهوج الراتبع لققار
يا شنيار الصفار * يا بندر اتجلى فكمال دارا
يا كوكب السحار * يا من حبو فى ساكنى اتوارا

3 - بقية الايات

يا سالب مهحنى ولاجاب اخبار * لا تشوق بصرى فى ذاتك لنيرا
لا مان اطلببت امن لخال والشفار * جرحوا ذاتى جرح الايلوا جبسيرا
ازديت الكى عن اجراحي بالنار * آش يطفى نارى واغصايصى اكتسيرا
واهوايا ما سترار * لهوى طالب يمدى الثرار
هذا عشقى ولا وجدت ما نختار * عشقى فاسميتسى تفتتار
اللا وقت اتجور على القلب نارو * يشتد القلب امن اكدارو

4 - الردمة :

(توجدى كانقول يا ستار)

اجزاء القصيدة :

يقسم الزجال المغربى قصيدته الى عدة اقسام ، ويطلق على عملية التقسيم اسم «لفصالا» (I) والغالب أن تبدأ القصيدة بمطلع يسمى «الدخول» ولا يعتبره من الاقسام ، تتلوه «الحربة» ثم تتوالى الاقسام بعد ذلك تفصل بينها الحربة فى الانشاد . والعادة أن يضمن القسم الاخير اسمه والصلاة على الرسول والدعاء للاشيخ والعلماء والمنشدين والهجو للخصوم ، وقد يشير فيه الى تاريخ النظم .

وبعض الشعراء لا يnehون قصائدهم بآخر قسم منها وانما يضيفون له جزءا يختمون به قد يطول وقد يقصر ، ويطلقون عليه «الدريكة» . وفيما يلى نتتبع كل هذه الاجزاء التى تتكون منها القصيدة :

(I) اشتق منها فعل «فصل»

أولاً : الدخول (I) : ويطلق على أول جزء من القصيدة (2) ، وسيتضح لنا من خلال النموذجين اللذين سنمثل بهما لبناء القصيدة في آخر هذا الجزء من الفصل ، وهما قصيدة «هنية» من البيت لمحمد بن الحسن و «الذهبية» لانجار من مكسور الجناح .

والجدير بالإشارة أن الشاعر الشعبي كثيراً ما يستهل الدخول بالبسملة أو الخطاب يوجهه لنفسه أو غيره ، والغالب أن يستهل بالبسملة في قصائد المدح النبوي والتوسل والتصلية والمعراج وما إليها مما يعبر عن عاطفة دينية . من ذلك قول محمد بن احسان في أول «تصبته» :

بسم الله ابديت حلتي يامن صاغ اشعاري * محلاها مفتاح للشعر
ومنه قول المفراوي في أول قصيدة له في مدح الرسول عليه السلام :
بسم الله الجواد * به ابديت السلام * عليك في الدماقم
ومنه كذلك قول العلي في توسل له :

بسم الفتح المعبود رب الوجود الودود الدائم المرشاد
ومثله عند الفلوس في أول قصيدته في «ميدنا الحسين» حيث يقول :
ابديت باسمك يا من هو اعليم لسراي * في امدح الماحي نور لعضا ولبيفن
وعند عبد القادر الحراري في «المعراج» اذ يقول :
ابديت بسم المولى لمقسم لرزاق * رب لكوان الحق الدائم لحقيق
اما الخطاب (3) فقد يوجهه لنفسه أو غيره .
ومن الخطاب الذي يوجهه لنفسه قول المفراوي في تصبته «في الشوق
لمكة المكرمة» يحدث عينه وقلبه :

ابدل نومك ياعين بالسهر ولنواح * احصل يا قلب اكسداري

(I) تشير الى ان اصطلاح الدخول معروف في الموسيقى الاندلسية وهو البيت الاول من الصنعة القاسية والسباعية اي التي تتكون من خمسة أبيات وسبعة .

(2) ويطلق كذلك على أول بيت في القسم .

(3) سنرى في الفصل الثاني من باب الموضوعات ان الشاعر الشعبي جاء في الوعظ الى الخطاب (انظر الملاحظة الثانية في آخر هذا الفصل) .

من هم الغربا والجفا وبعد للاح * أين عرفا يا نـارى
هبطوا بالدمع ابصارى

ومنه قول المدغرى يخاطب «اللايم» :

الايم لاش تـلـوم * روح سـالـم
دعنى كف لـلام * ما حجت امن افرام
بين خال وشاما

ومنه قول امترد يخاطب السائل فى «مصباح الزين» :

ساين لا تسال ترك اجوابى واسؤالى * وانظر حالت حالى
وجهى يوريك ما فقلبي من غير اغشاشا
ومنه كذلك قول الفلوس فى «حراز خدبجة» يخاطبه المولع بالزهو :
يا من هو مولوع بالزهو اتراجم لغرام صغ لبيات اسجالى
واتامل كيف اجرى القصة الحراز الختال

ومثله قول بن على يخاطب «الشعمة» :

سلتك لله عدلى شجرالك * واعلاش باكيا مادالك
واش كان قصتك واش انهوداك

ثانيا : الحربة : وهى اللازمة ، وبها تعرف القصيدة ويميز عن
غيرها من القصائد حتى فيلت فى نفس الموضوع ، ومكانها من القصيدة بعد
حز «الدخول» ثم تكرر فى نهاية كل قسم وبها ترد المجموعة على المنشد .
ويزعم بعض الاشياخ ان اسم الحربة تحريف لـ «خروبة» ولكنـه
فتراض لا يفهم منه ما يوحى باللازمة أو التكرار او حتى الانشاد والغناء .
وربما كان اقرب الى القول الافتراض الذى أبداه أساذنا الجليل الدكتور
عبد العزيز الاهوانى من انها قد تكون تحريفا للخرجة المعروفة فى الموشحات
والازجال الاندلسية .

والمفروض ان تكون الحربة على «فياض» ابيات القصيدة اى من نفس

الوزن ، مثال ذلك حربة قصيدة زهرة لبوعمرى وهى من المثنى :

زورنى قبل الانفبار * ياهلال الدار زهرا

فان ابياتها تسير على نفس «لقاص» حيث يقول فى أول بيت مسن

القسم الاول :

مال قلبى يرمى بشرار ❦ شاعلا فى قلبو جمرا
وهذه حربة قصيدة «فاطمة» لابن احساين من البحر الحماسى :
قالت يما تقول طامو ❦ قلت وايبك يالطام
يا قد اعلام فاللطام ❦ قالت ترا يقول طاما
ترات ايقول فاطما
وفى أول بيت من قسمها الاول يقول على نفس «القياس» :
قولوا لى اقوا ملامو ❦ لو كان انظرت بالنيسام
مولاتى باشت الريم ❦ ما تلقى افلهوا املاما
ولا تصفى املاوما

وقد سبق ان رأينا فى الجزء الاول من هذا الفصل انه فى «مكسور
الجناح» يختم القسم ببيت يكون على وزن الحربة ويمهد لها ، وكذلك رأينا
بالنسبة «للسوسى» حيث يختم القسم ببيتين أو ثلاثة على وزن الحربة وتمهيدا
لها . ومثل هذا يقال عن «المشتب» الذى يكون فيه البيت على وزن الحربة .
ومع هذا فاننا نصادف «حربات» لا تنفق مع أبيات القصيدة فى عدد
الاشطار ، ويطلق عليها : «الحربات المثنية» حيث يضيف لها الشاعر شطرا
أو اكثر . ومن النماذج على هذا النوع ما نجده عند المفراوى فى «هول القيامة»
وهى قصيدة مبيتة من فراش وغطا ، يقول فى أول اقسامها :
نعم القيوم خالق اكوان الكونين ❦ وسير امسيرها على وفق امرادو
ولكنه اضاف فى الحربة شطرا ثالثا فقال :
صلوا وسلموا على شارق لنوار ❦ محمد شافع لسلام
انهار البعث والقياما

ونجده كذلك عند الكندوز فى قصيدة مبيتة من فراش وغطا يقول
فيها :

يا حباب انشالو صدوا مسع الطريق ❦ كيف يزها لى عاد العيش
فقد عمد الى حربتها و اضاف لها شطرا ثالثا فقال :
ياللى قبلتو الصادق الصديق ❦ خبروه ابحالى بكمال جودكم
سيدنا محمد سيدى وميدكم

ومثل هذا نصادفه عند الجراري في «المعراج» حيث يقول في أول

بيت من القسم الأول :

بمد تمجد المجد انوضح لحبر * اعلى لمعراج اصاح افنيلت السرا

ويقول في الحربة وقد جعلها ثلاثية الاشطار :

الصلاة اعلى الهادي راكب لبراق * سيدنا محمد لمشرف الصديق

من اسرى من حرم الحرم افلغسيق

وقد يضيف الشاعر أكثر من شطر الى الحربة على حد ما فعل ابن علي

في قصيدة «الذرة» وهي مبينة من قياس لمشرقي ، يقول في أول «الدخول» :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب * وقدر المولى تقديس النجاة لقرب

ومع ذلك فقد جعل الحربة من بيتين فقال :

يا ساهي من نومك فق سبح الرب * لمننا وت تأيه افلغرور لسواب

الصلاة والسلام على اخبار لنسب * سيدنا محمد طسه اشفيح لعرب

ثالثا : الاقسام : وسننظر فيها من جانبين أولهما عددها وعدد ابياتها

والثاني مقدماتها :

1 - عدد الاقسام والابيات :

قد يكثر في القصيدة عدد الاقسام أو يقل ، كما ان عدد الابيات داخل

القسم الواحد قد يكثر أو يقل حسب نفس الشاعر وحسب ما يقتضى الموضوع

ومما عند الشاعر أن يقول فيه ودوافعه اليه ، وهو تحليل يطلقون عليه

«السبب والمعنى» .

والغالب ان يتراوح عدد الاقسام من اربعة الى عشرة ، وكذلك يكون عدد

الابيات داخل القسم الواحد . ومع ذلك فان عدد الاقسام قد يرتفع في بعض

القصائد التي تكون مادة موضوعها غزيرة متوفرة ؛ وقد وفها من هسسه

القصائد على اربعة هي :

أ - قصيدة «حول القيامة» لعبد العزيز المفاوي فانها تنضم من سبعة

وعشرين قسما ، وهي التي يقول في حريتها :

صلوا وسلموا على شارق لنوار * محمد شافع لسلام

انهار المعن ولقياما

ب - القصيدة «الفياشية» لمحمد الشرقي ، وتشمل تسعة وعشرين قصيدة ،
وهذه حربتها :

أنا مالى فياش ٭ آش اعليا منى

ج - قصيدة فى النوسل لعبد القادر العلمى تعرف بـ «الجمهور» بلغ
عدد أقسامها اثنين واربعين ، وهى التى يقول فى اولها :

يا من يشفى اضرار عبود بعد السقم ٭ ويفرج من اقوات فالصدر احزانو

د - قصيدة «سيدنا الحسين» لمحمد العيساوى الفلوس ، فان عدد أقسامها
خمسة واربعون ، وهى حربتها يقول :

يا حضرا سمعوا وفات نور لنوار ٭ ولد فاطما الزهرا سيدنا الحسين

أما بالنسبة لعدد الابيات فى القسم الواحد فانه قلما يزيد على عشرة ،
وقد بلغ فى قصيدة «الشمعة» للشريف مولاى التايك ستة عشر بيما فى قسم
القسم الاول واحد عشر فى الثانى وثلاثة عشر فى الثالث واربعة عشر فى
الرابع والآخر . ومثل هذا الاختلاف بين الاقسام شاذ ولكن الاشياخ يعطونه
بـ «السبب والمعنى» كذلك . وسنكتفى بعرض القسم الاول وهو يحكى
قصة النحلة على لسانها حيث تقول :

بلسان حالها قالت لى يحكى لك ٭	اشيخى عما حملت من لسدراك
ويلا اتصيفشلا توصف موصافك ٭	عن حالى وماكان لى اقهر لحراك
وانت اغرايبي عاودها بلسانك ٭	وضمح ليماذا واشرحها بلغاك
واخير بكرحتى فالس الى سالك ٭	لا تكتم سولان حدث امن اصغاك
ازمان كنت فقصر محبوبك امشاك ٭	واكذلك انايا فصورت التشبهاك
بكمال صورتى صورتى صوارك ٭	شهدا معلوما افلك من لملاك
بعمالتى انصول اسطائى ما لك ٭	واجناد ابطالى اتروح التياك
وظمرت بالسعادة فزمان امبارك ٭	ما ضاها للاكنتى املك لتسراك
وامنن راد ربي بالوعد السالك ٭	كسروا جندى ماتلا انفع لسراك
وابهن فى ابساطى بهار ابحالك ٭	كانوا يعادوه ناسنا فتسراك
بعد لهلاك عصرونى عصرا محابك ٭	واهديت اعسولى آولا وجدت افكاك
ولاوا دوبرونى بالصهد الهالك ٭	طرحونى حتى اصفيت للتدلاك

واصفاء لوصايح ورجعت اسبابك * ولي داي يا شمشي اكسر من دك
 قالوا انت اعروسا لفنلا تاحث * بها يشرق نور مهدي - ووصفك
 بها افكل حضرا يعلا مرتبـك * واعى الزاهي ماثلا ايقيده اغسلالك

2 - مقدمات الاقسام :

من براعة الشعراء ان يقدم لاقسام قصيدته بآيات قبيحة يمكننا تقسيمها
 الى نوعين : احدهما «العروبي» والثاني «التويعر» :

أ - العروبي :

وهو غير «العروبي» الذي تغنيه النساء والذي اعتبرناه نوعا مستقلا
 من الزجل (I) ، ويقولون انه كان في الاصل يقدم به لاقسام امبيت المتنسي
 ولكنه لم يعد كذلك ، حيث نصادفه حتى في غير المبيت . ويتركب من عدد
 من الابيات تنتهي بشطر يتيم يطلق عليه : «الردمة» و «التديرة» و «التديلة»
 وهي كلها كلمات توحى بمعنى الختم والانهاء .

وعند الاستاذ محمد الفاسي ان العروبي الذي يقدم به للقسم يتكون من
 بيتين كل واحد منهما بشطرين يضاف اليهما شطر خامس (2) . وهذا تقييد
 لا اساس له . حقا ان لعروبي قد يكون محصورا في قالب الذي ذكره الاستاذ
 الفاسي ، على حد ما نجد عند الشيخ امتيرد في «فاطمة» اذ يقول مقدمـا
 للقسم الاول :

أنا يا فاطما احسانك ما نساء * وانت لحسان من فليتو من ناسر
 اكشفتي سرنا ولو حتى بفضاء * عيار الحب طابعك كشف انحاسر
 حتى بنيان ماعلا دون الساسر

ولكننا وقفنا على «عروبيات» يتعدى آياتها هذا التحديد ، واثبات الدليل
 يقتضى ما ان نعرض نماذج من هذه العروبيات ، وهي مكونة من :

I - ثلاثة آيات والردمة كما في «التطوانية» للحاج ادريس لحنش على
 حد قوله في عروبي آخر قسم من القصيدة :

ايا حماة دينا لعنو الشيطان * هذا الفعلا اعلى اعداكم حتى ليسن

(I) انظر الجزء الثاني من الفصل الاول من باب «الشكل»

(2) انظر مقدمة «الاغانى القديمة لنساء فاس» .

ما تنفكروا انهار دخلوا التطوان * وخرج فيها الكافر المسلمين
وابقات الناس حائرا بين الطرقان * وهل ليمان كاتقول ابصوت احنين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

2 - اربعة ابيات والردمة ، ونجدها عند العلمى فى «التوسل» حيث

يقول فى عروبي أول اقسام القصيدة :

يامن رسى اجبال وارصدها بصخور * وابحور العظاما ابقهرو محصورا
ما يرشفها حفير ما يمنعها سور * واقرتن موجها افماها مكسورا
واحجب ضو النهار بظلام الديجور * واهزم لغسيق ابلقحر باهى الصورا
يا عالم ما بدا وما تخفى لصدور * سلتك بملايك لحجوب المشهورا
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

3 - خمسة ابيات والردمة كما هو عروبي احد اقسام «الجمهور» للعلمى ،

وفيه يقول :

عبد القادر وصاحبو مول الخلوات * بو وحشيا ومن افقرو من لسياد
وعلى والحاج والاسعد باهى الخصلات * سبدي عبد العزيز لمام الاستاد
يصرخ ويفبث ويحمى عند الخزات * ويحل انقذرت لهيمن كل اعقصاد
والشيخ الى ابراهنو كالشمس اضوات

مول البركا الظاهرا سيدي عياد

وارجال اخرين فى منازلها ختمات * اسالت ابحق جاهم خالق لعباد
يوفى قصدي ولا يخيب لى مراد

4 - ستة ابيات والردمة على حد ما نجد فى نفس قصيدة العلمى السالفة

الذكر حيث يقول :

يابن عزو يا لكوكب السدى * الحاج الطيبى اتوافى مظنونسى
العدويا وجارها سيدي بصرى * والخزير الصالحا والقرموسى
سيدي النجار والاشقرثم البدوى * والشبلى طيب الشذا زهر افنونى
سيدي الجزار طلعت البدر الزهرى * بوطيب منو شمس قلبى واعمونى
والوالى ابن عبود والشيخ الحضرى * والشيخ الجنان لا تجهل ملحوسى
عطفوا عطفنا مخنترا تشرح صدوى * وادعوا بدعوتى الله وعينونسى
عبد ارضاكم ما نظن اتهينونى

5 - احد عشر بيتا والردمة كما في قصيدة «سيدنا الحسين» حيث يقول
لفلوس في عروبي آخر قسم من القصيدة :

مهما دخلوا اضريح طبيب المهتد	»	قالوا يا جدنا الهادي محمد
لوريت شين صار بنا دون افتد	»	في كربلا امع اجيوش الا تنحد
قتلوا الانصار والاصحاب مع الاولاد	»	وابن هاشم كلها يا محمد
قتلونا دون حق قامها لهوهاد	»	واحننا فالتشوم ولعطش يا محمد
وقطعوا روس آل بيتك هن لعناد	»	تركوا لشاخ افلوطا يا محمد
سفكوا دم لشراف واعصوا الاحد	»	سبوا على المرتضى يا محمد
لوريت شين كان دار ابن زياد	»	هو واهو وشيعنو ب محمد
طعن الحسين كل من كان افلجماد	»	ولا رحموا اطفالنا يا محمد
قطعوا راسو ولا اخشاو من اجواد	»	داسوا بالخييل مهجتو يا محمد
كشفوا لحريم دون لعدا والحساد	»	وبعدا اسبوننا يا محمد
داروا لنا ابدال واغلال ولكيـ	»	ما شفقوا من احوالنا يا محمد

وجهاهم للقوى يا محمد

6 - ثلاثة عشر بيتا والردمة (I) على ما نجد عند العلمى في «الجمهور» حيث
يقول في عروبي أحد اواخر اقسام القصيدة :

اللهم ارضى اعلى خلایف عز الدين	»	قد انجوم السما قد احماس الديجان
قد اعداد لشجار واعشوب البحرين	»	وما مالبحر من عجائب عل امون
قد اعداد لرمال فاقفار الارضين	»	وما من هايمنا اتسج اعلى وصال
اللهم ارضى اعلى منك الحرميس	»	اعداد ما فكل تريا من بسنسان
واعداد انسيم زهرها بعد العجيين	»	وانغام اطيافها انزهرج اعلى بندن
قدما سبحو السمارس ومفيس	»	والحرمن والسرند والطير الحسن
ما غنى اليتروك وارقص بالجنحين	»	مهما شاف لهزار طسن بالثرنان
وما بات لحمام اعلى البرج اينيز	»	باصوات امرخما اتبكى بالثرنان
واعداد النحل والنمل ودواباخرين	»	وانوار اعلى لصناف بارزامن لفصان

(I) لا توجد في النص الذي بين ايدينا ردمة لهذا العروبي ولكننا عرضناه
على بعض كبار الاشياخ فدلنا عليها .

اللهم ارضى اعلى اهل السر المبين * رضوان الا ينتهي في طول ازمان
ما حملت امن اخلايق اجواف الثقلين * بملايك طايحا ووحش وانس وجان
اللهم ارضى على كوكب هل لتقين * ابا بكر الزكي وعمر وعثمان
وابن ابي طالب الافضل قوم الشجعان

ابن عم المجتبي الشافع فالعصيان

وانصر يا ذا الجلال امام السلطان

ويلاحظ أن بعض الشمرء التزموا نفس «الردمة» في كل عروضيات
القصيدة على حد ما فعل الحاج ادريس لحش ، فانه التزم قوله «الله ايجود
بالنصر لعلام الدين» في كل عروضيات قصيدته «المطوانية»

ب - **النوع (I)** : ويسمى كذلك السويرحات والكراسا (2) :

I - الغالب ان تكون مكوّلة من ثلاثة ابيات قصيرة مكوّنة من شطرين
أو ثلاثة أو اربعة فمن الامثلة على ذات الشطرين ما قدم به الشاوي في
اول قسم من قصيدة له في «التصليّة» حيث قال :

وجلّو من هو حي واجــــــد * قبل لوجود وظهر للخلق اوجدادو
جعلو محبوب احبيب ما جــــــد * كرمو وفضلو واعدى به اعبادو
ويح من اعصاه وكان جاحــــــد * جهنم اجزاء فيها مقعدادو
ومن السويرحة ذات الثلاثة أشطار قول المدغري مقدما لاول قسم من

«المساحي»

(I) من لطيف المصادفة ان نجد عند الرباط في «العقيدة الادبية» ذكرا
للناعورة تكون في الموال يقول عنها : «صنعة الناعورة وتعريفها ان
يجعل الناظم اربعة أغصان مواله رتبهم كل غصن خمس كلمات مطلع
كل كلمة ميم ويجعل الميم حلقة في الوسط ويطالع من الحلق مجرى
كل كلمة فيصير الموال مثل الناعورة (الورقة 149 ظهر 150 وجه) .

(2) ج كراسا. ولكراسا في مقدمات الافسام هي غير الكراسا التي تكون في
مكسور الجناح والمشتب كما سبق أن أشرنا الى ذلك في الجزء الاول من
هذا الفصل .

وتجدر لاشارة الى ان الكراسي في الموسيقى الاندلسية هو الشطر الاول
من البيت الثاني من الصنعة الشنائية اي المكوّنة من بيتين ويكون ميمسزا
في تلحنه .

شف الدر الواضـح * بين 'نجومو رايسـح
لعروبو وخف الجناح

وانجومو لوصايـح * بالفرحنا تدالـح
حست بتسيم الصباح

والديجور الجانـح * تلقى اسريع اجوانـح
وهرب بخيالو وراح

ومن السويرحة ذات الاربعة اشطار ما نجد عند امتيرد في «الكاس»

حيث يقول في تقديم أول قسم من القصيدة :

طاب اشراب كاسـي * بوجسود لعاسـي

واحبابي وناسـي * جميع بالوجد ايميسوا

مصباح الفلاسـي * داحت عن اسياسـي

واتفاحا اكباسـي * اكل عاشق بويسـو

رتخا كل كاسـي * واذهب شر باسـي

انصبح انماسـي * الكل سلوان اعريسـو

ب - وقد تكون مركبة من اربعة أبيات ، كل بيت :

أ - من شطرين كما عند عبد السلام الزفرى في «خلخال يامنا»

حيث يقول في تقديم أول اقسام القصيدة :

امـاب جـو ! * لفكار وين تعمل هذا الخلخال

اهميم لا حـالا * خوفى عليه من لعدو والعدال

فـت بـقـلا * عندي اخرايني فالصونا بقفال

دون لـدالا * بالزرد ولقنا وسيوف العسال

ب - أو من ثلاثة اشطار على حد ما نجد عند العلى في «اسماقسي»

حيث يقول في سويرحة ثاى قسم :

راح الليل اول ابقـسي * الا وقت لمعانقـسا

كب ورا وارخى الرواق

والاطيار الناطقـسا * عل لشجار الباسقـسا

عمرت بلغاها اسواق

كعب الخمر الخارفا * في كيسان ابادفا
من زاج ابلاد العراق
تظهر خمرا بارفا * فللاوانى شارفا
كلون اسحق الرماق

3 - وقد تكون مركبة من خمسة ابيات كما عند المصمودى فى مقدمة
أول قسم من قصيدة «الجار» وفيها يقول :

ما يشبهنى عاشق الجـار * بالحـب سرت ديوانى واخلأنى اصفر
نار الحب اقوى امن النار * منها اعذاب قلبى يا صاح ينزبر
من قوتها سارت اجـسار * بين لحشا اوسط المهجا وامع الصدر
نار اتمادى فيه بشرر * واعيت ما نلاهى وانكابد فالصبر
جيت انزور احامات السـار * لا حى لا مونس لا غاشى لا خبر
القسم الاخير :

قد يطول أكثر من بقية الاقسام ويتضمن فى الغالب اسم الشاعر
وتاريخ نظم القصيدة واهداء السلام والصلاة والدعاء وهجاء الخصوم :

اولا : ذكر اسم الشاعر : وقد يكون بالتصريح أو الرمز :
1 - فمن الذكر الصريح للاسم قول المفراوى فى آخر مرثيته المنصور
السعدى المعروفة بـ «لعزو» واصفا نفسه بالفصيح :
وارحم المفراوى الناظم افصيح لعراب * بالبلاغ غير الجهاد ايلفحو
ومنه قول الحاج ادريس بن على فى «فضيلة» واصفا نفسه بالاديب
وقصيدته بعذراء متوجة :

وختمت القطعا يقول لاديب الحاج ادريس بن على بهاجر الذيل

حلايا حفاظ صايلا * كعداد تاجها امكلى تكليلا

ومنه قول الحاج اعمارة فى «فاطمة» مشيرا الى أنه مقيم فى مدينة فاس:

والاسم على اسالنى * الحاج بن الحاج اعمارة ومكانى

ارض الياقوتا الساطعا سلسالت لكرام

مولانا يدريس بن ادريس البدر الضاوى

الرضوان عليه عد مازاروه امن اقوام

ومنه قول عبد الرحمان القرى فى «زهرة» داعيا الله ان يحمى.

مدينته مراکش :

واسمى ما يحكى القصة : عبد رحمان طالب الخير واشبهه
 يحفظ بهجتها الحروف : انحاء النسي وازواج و صهار
 ومنه قول الحاج عبد الفضيل المرينسي في «جهور الخودات» واصفا نفسه
 بالذكى وبأن خبره مشهور ومصرحا بتلميذته للنجار :

وسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسي الا احفات اخبار
 الذكى تلميذ النجار

2 - اما الرمز للاسم فقد يكون بالحروف أو بالأرقام أو بهما معا :

أ - ومن الرمز بالحروف قول الجليلي مترو في «طرشون» رامزا لى
 الجليلي باخيم والامين وواصف نفسه بأنه أفصح الاشياخ ورئيس الشعراء :
 قال افصيح لشياخ جيم الامين رئيس مدار
 ومنه قول امبارك السوسى في «زهرة» مستعرضا حروف ميسار
 ومصرحا بالسوسى :

واسمى لى يصر انبينو ميم وباللعارفين تفسارو
 والرا امورحا والكاف افشهار
 والكنراسوسى

ب - ومن الرمز بالأرقام (I) قول محمد بن على ولد اوزين في «الطاهرة»
 واسمى اثنين وتسعين فالحروف طاهرا : واصحاب ايجد حاضر
 ولحرف الاول رفعو مشهور

(I) بناء على قيمة حروف ايجد ... وترتيبها عند المغاربة كالآتى :

80	70	60	50	40	30	20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ف	ع	ص	ن	م	ل	ك	ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	ا

90	100	200	300	400	500	600	700	800	900	1000
ص	ف	ر	س	ت	ح	د	ص	غ	ش	

وقد ورد فى القاموس المحيط للفيروزبَادى أن «المشاركة» يكتبونها على
 لترتيب المعروف فى اللغة الآرامية والعبرية وهو :
 ايجد هوز حطى كلمن سمعش قرشت تخذ صطخ .

فائنان وتسعون هى مجموع قيمة حروف م ح م د بالإضافة الى أنه ذكر رفع الحرف الاول .

ومنه قول مولاي على البغدادي فى «خدوج» :

واسمى طاهر فاميا اشرح منهاجى تسبى البدع

فالعين بسبعين واللام بثلاثين ومجموعها مائة .

ومنه قول محمد بن على المسفيوي فى «المحبوب» :

واسمى فبجد محسوب بالمحسوب اربعا والخمسا والزوج فى احسابى

فكتابة الاربعة والخمسة والاثنين متتابعة (4 - 5 - 2) تعطى رقم

اربعة وخمسين ومائتين وهو مجموع قيمة حروف م ح م د ا ب ن ع ل .

ج - ومن الرمز بالارقام والحروف قول المذنى التركمانى وسى

«الزهو» :

واسمى ما يخفى اشهر فبجد المن اقراه

(صين جب) والجليل من لا يسها ويام

فقد رمز بـ «صين جب» فالصناد بستين والياء بعشرة والنون بخمسين

والجيم بثلاثة والباء باثنين فيكون مجموعها خمسة وعشرين ومائة ، وهى

قيمة حروف ا ل م د ن ومنه قول احمد بن رقية فى «الشمعة» .

فى رمز النون اسمى يا سالك « زد جيم لى سالك

فقيمة النون خمسون تضاف اليها ثلاثة فيصبح المجموع ثلاثة وخمسين

وهى مجموع قيمة حروف ا ح م د .

ومنه ما نجد عند محمد العيساوى الفلوس الذى كان يخفى اسمه فى

قصائده الوطنية بمثل هذه الرموز :

١ - اسمى للل والبا امصمما

أى بثلاثة لامات وباء ومجموع قيمتها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف

م ح م د

2 - اسمى كعب

فالكاف بعشرين ولعين بسبعين والباء باثنين فيكون مجموعها اثنين

وتسعين . ومن هذا ما نلحده كذلك عند الشيخ محمد بن عمر المراكشى الذى

يرمز لاسمه فى الغالب بـ : «بمن» فالباء باثنين والميم بأربعين والنون

بخمسين ومجموعها اثنان وتسعون وهي قيمة حروف محمد .
يلاحظ أن بعض الشعراء سكتوا عن اسمهم ولم يذكروه لا رمزاً
ولا تصريحاً ، وهؤلاء هم المدغري والعلمي والسلطان سيدي محمد بن عبد
عبد الرحمان والسلطان المولى عبد الحفيظ العلويان .
ويقولون عن السبب في ذلك بالنسبة للمدغري وسيدي محمد بن
عبد الرحمان ان المدغري كان صديقاً لهذا الأمير الذي كان بدوره ينظم ، ولكنه
لم يكن يريد ان يعرف عنه ذلك . وحتى تنسب قصائده للمدغري طلب
منه ان يعدل عن ذكر اسمه في قصائده . ومثل هذه الظاهرة لو كانت -
سنجعلنا نشك في القصائد التي تنسب للمدغري ، فان بعضها - على الأقل -
من نظم سيدي محمد بن عبد الرحمان . ويذكرون من هذه القصائد -
«عزبا وشاباً» التي يزعمون ان الأمير نظمها حين شاهد «بزقاق الحجر»
فتاتين تطلان من الشباك ، وكان في طريقه لزيارة الأضرحة بفاس على
عادة الأمراء والملوك العلويين ، وهي عادة لم تنقطع إلا بنفي محمد الخامس
سنة 1953 .

أما العلمي فانا وقفنا على قصيدتين يصرح فيهما باسمه ، هما :

أ - قصيدة «الشافى» وفي آخرها يقول :

والباحث عن اسميتي بعد لسولان » عبد القادر اعلام رب الفوقاني

ب - قصيدة «سم الفناح المعبود» ، وفي آخر شطر منها يقول :

وارحم نساخ نقصيدة العلمي

وأما المولى عبد الحفيظ فيعلن في قصيدة «الزين» ان من عادته إخفاء

اسميه :

والناظم طبعو يخفى اسميتو فسمجالا » خلد صاوسى در وعقيان

ومثل هذا يقول سيدي محمد بن عبد الرحمان في «الزهو» :

الحافظ ويلا سالك تالف العواني » اسمى صونو بالكتمان

كذلك يلاحظ ان بعض الشعراء أشاروا إلى اسمهم في أول القصيدة أو

وسطها وليس في الآخر . فابن سعيد في «التوسل» يذكر اسمه في البيت

الرابع من «الدخول» فيقول :

ابن سعيد السري حمد يالسلطان * غر عنى يانجل ابن الديبع طاهها
وامتدرد فى «لفصادا» يذكر اسمها فى وسط القصيدة على لسان الفائنات:
قالت ازيام الحضراوين عز لشيخ * لفصيح الجبلالى شمدك لغزارا
على أن ذكر اسم الشاعر فى الزجن تقليد معروف (I) حتى عند المشاركة
على حمد ما نجد عند ابن مكانس فى وسط زجل له حيث يقول (2) :
يوم وهو جاني بضججة * وحبين معقود وعابس
قال لى والله مانت حججة * فى الهوى يابن مكانس
تبقي تشكى لاي من جا * وآخرو ما قلت امس
وعلى حمد ما نجد كذلك عند ابن مقاتل فى آخر زجل له اذ يقول (3) :
كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل
وكم ذا فى المحافل * قد أنشأ غصن حافل
من حل بيت فى مريم * ملحون بالف معرب
وهو تقليد معروف كذلك عند شعراء أهل امصار المغرب من العرب
اذ يذكرون اسمهم فى اول القصيدة كقولهم :
قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حرا اشكت من اذيرها (4)
.....
يقول فناء الحى ام سلاممة * بعين اراع الله من لارنى لها (5)
.....
يقول بلا جهل فتى الحى خالد * مقالة قوال وقال صواب (6)
ثانيا : تاريخ نظم القصيدة :

- (I) فى «بلوغ الامل فى فن الزجل» ص 9 لدى الحديث عن ابتداءات
الرحالين : «ذكر اسم الانسان نفسه فى آخر زجله ويسمونه
الاستشهاد وبثنى فيه على نفسه الشناء البالغ» .
- (2) روض الآداب للحجازى مخطوط آياصوفيا رقم (4017) الورقة 103 وجه
- (3) المصدر السابق الورقة 101 ظهر .
- (4) مقدمة ابن خلدون ص 511
- (5) المصدر السابق ، ص : 518
- (6) المصدر السابق ، ص : 517

وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن التصريح بالتاريخ ما سجل به المغراوي قصيدته في

«المدح والتوسل» حيث قال :

الشريف ورح هذا القصيد المعيد * ليلسة عشر والحياد
سنة خمسة عشر ولف عام * سلمك لله جسود

2 - ومن الرمز اليه قول النحار في «الخلق» :

تاريخ انطامى ما اخفى اثلاثين ابن نغراه

انقاف ونصف الرا * زد الف تكمل حساباتو ليهادي نهديه

فاذا صعدنا الى ثلاثين قيمة العاف وهي مائة ونصف الرا وهي مائة

كذلك اذ الرا بمائتين ، وزدنا كل ذلك على الف يكون تاريخ نظم القصيدة

ثلاثين ومائتين ولف .

ومنه قول العلوس في قصيدة «سيدنا الحسين» :

خذ تاريخ النظم افعام - شرق - بجهار * ورمز - حا - و - الالف - وبعدهم ستمين

بعد رمز ب - شرق - و - حا - و - الالف فالثمين بالالف والرا بمائتين ولقاف

بمائة والراء بثمانية والالف بواحد ، ثم زاد عليها ستين ، وبذلك يكون

المجموع تسعة وستين وثلاثمائة ولف .

ثالثا : اهـاء السلام والصلاة والدعاء :

يقول ابن علي في -التصلة- مهديا سلامه للعلماء الفاهمين للقمرآن

لكريم ولأشراف والطلبة وأهل الوفاء والاحسان :

واسلاما اعلى ناس العلم الماهرين فالمبين

واعلى لأشراف واعلى الطبيا وهل لوها وهل لسان

ويقول العلمي في «طامو بهيج الحنادا» يطلب من حافظ القصيدة ان

يهدي سلامه للمشدين وأهل المعاني والطلبة .

اهدي سلامنا للنشادا أهل المعاني والطبيا يامن احفظ لقصيد

ويقول محمد بن الوليد في قصيدة له في «مدح المصطفى» عليه السلام

مهديا سلامه لخلقاء الراشدين ولاصحاب الرسول العشرة وازواجه

وللمهاجرين والانصار والابناء فاطمة ، ومصليا على الرسول الاكرم ، ثم

مسلماً على الشعراء .

واسلام ربنا يتهيا في كل حال دائم

اعداد ما فعلمو سبحانو ربنا العالم

وارضنا على لخلاقا

ابوبكر الصديق عثمان اعلى اعمر

الى ايجهد فالسبيل امسك :: والرضى للعشرا المهاجر الانصار

واعلى اسيدنا لعرب التياك :: والازواج ابجلا والطاهرين لقمار

اولادلا بهم الاستمسك :: الصلاة والسلام افكل ليل وانهار

اعليك يالهادى طيب لمسك :: قد لرياح قد ارعدها المطمار

واعداد القلم واللوح الفسلك :: والعرش والكرسى وكندامياه لسحار

وعداد ماخلق فالدنيا من ياك :: دايم مادام الملك لغنى القهار

بالطيب ولعبر وعنبر وامسك :: والسلام انهيبو للمهدين لحبار

رابعاً : هجاء الخصوم :

ويطلقون على القسم الاخير اذا اشتمل على الهجاء «الزرب» تشبيها له
بالسباح الذى يحيط بالحدائق والبساتين ويحميها ، فكان هذا الزرب
يحمى القصيدة ويرد عن صاحبها الخصوم .

يقول ابن على فى «صنوا على الصديق الصادق» واصفا قصيدته بانها
ديباج ودرة تضىء لم يملك مثلها سلطان ، وطالبا من حافظها الا يخشى
المدعين العازرين :

خلد ادباج يا حافظ لدرار فى اسلوك الجين

درا على التراكى تضوى ماضم زيتها سلطان

يا حافظ الفا لا تخشى داعى اعليه هاذى دين

لعديم عرفو مدياسى والى اقديم ما يودان

فعسى الى انعرفو ما فجابو الجين ولاعين

فخلاص ابن على ماد الوييقى ايجول كل اوطان

ويقول امثرد فى «خلخال اعويشا» يطلب من الراوى أن يصـوـل

بقصيدته التى شبهها بالابريز وان يهمل الجهة الجاحدين الفارغين الذين

لا يفقهون رمزا ولا يدركون معنى ، ومتألمًا لحال الفوضى الذي أصبح عليه
الشعر بعد أن كثرت مثل هؤلاء المدعين الذين لا موهبة لهم ولا فهم :
خذ ارأوى يبريز منظموم ❖ غنى ووصول بين ارباب الیضمار
والغنى من لا لو قول مفهوم ❖ عقموا اكفنج دمر ما جاب اخبار
قولوا ما بين الناس مدموم ❖ ولا يشبهو متمد نكار
الحاحد اعماه ولادا يفادا ما بين اقماصر اللغا جبجو خالى
ما يفقه رمز ولا يحق معناه عكلى همرئال
ولا هى سباب لكلام وامضوا اهلوا واتفرقوا وليس اجبر ولى
واقوت البدعا ولججود كثرو والفن اقلال
قل للداعى عادم المواهب لو فید كمرقت لوعا ما يقوالى
وقت اما شلا فى اغطاه يصدف دكت لنبال

الدريكة (1) :

وهى حين توجد تتضمن ما يتضمنه لقسم الاخير فى الغالب ، وقد
تكون طويلة او قصيرة .
فمن الامثلة على الدريكة القصيرة ما يقول ابن على فى آخر «المزيان» :
ما تخفانى طرقتان ❖ سالك فيها ببيان ❖ شفتها بعينى
بالبكاء والصوم اتكدر ❖ والفرح والتفكر
والوهم امع الجولان ❖ والفرغ مع الصومان ❖ والسقام اكسانى
رقت النفس مثيل اشعار ❖ ابسر الذات اشهار
والسدى كترجمان ❖ ولا مثلى لدمان ❖ والطبع سيسانى
ما يشع العاشق بمزار ❖ ايوصلو لو يهجر
ولا ينكر سولان ❖ ولا يرحم رقبان ❖ فالقصا والدانى
عفت لصحاب النسوان ❖ مازالوا فى لقطار
والاسم فالتبيان ❖ بن عنى ولعموان ❖ تناهر عوانى
والسلام اللامب لحمار ❖ ما صاح النسيم ازهار

(I) من دردك اذا ضرب برجله سريعا على الارض ، وربما سميت كذلك لانها
تنشد بسرعة .

ومن الامثلة على الدريكة الطويلة قول لشبوى في نهاية «التعليق»

مشبهها قصيدته بعداء يستعرض اوصافها :

صنى الله اعنى المهـدى	»	امام من ادنى وسيد امن اتنادا
واعلى الخلفا هل المجدى	»	واعلى الصحاب واعلى الالاف ليعادا
اصلاة نوبديها انشمى	»	للصادق للصدق كهف التوادا
من عشقى واشواقى اوجدى	»	ومحبتى وحبورى وامعن هدا
نتهاى العدى افرصدى	»	فساط هل المعنى دىر وهدا
تسقى هل لمحا اصرخدى	»	واعلى اعشيقها تعجى كل الكادا
بنوت اتهم نار فكدى	»	واكمل فدها ينسبه للطرادا
واجبين ايلوح ونار تكدى	»	غرمع طواجب واعيون اسرادا
والانف احكىتو طبر فردى	»	والمرشقين قرمز واخود اورادا
ولشعر اجواهر امن افرندى	»	والجيد جيد مهرا تاكت شرادا
وامعاصم كبرقين نـزدى	»	واضعود كانعوت اصوارم لهنادا
واصدر عشق لغروم يبدى	»	حمين فيه تنمايح خرق العادا
والسرا من راها اىودى	»	فمحاسن البطن تسلب هل لعبادا
واخضر من خسراڤ يفسدى	»	واردافها اتردند والورك ازىادا
وارفاغ افلون ارخام هنىدى	»	سيفان والقدام امن اوطاوه سادا
بها رفرف فالجو بنمىدى	»	فمنازل السعد تاكت سعادا
لرباب الفن السلام نهىدى	»	بالصدق ولوفا ومعانى وايفادا
واجاحد ما يقوى الجهدى	»	ايلا اطفى ابجهدو باقى يثادا
وبح الداعى من نار وقىدى	»	خلات فى اعضاه املاهب لهادا
ويلا شال يمسى افكيدى	»	شدها للمضايق عرت لوعادا
امقلد بحسامى وزردى	»	يوم نوعى انهد امن ابغى يتمادا
يعرفنى وامعايا وتمىدى	»	ليس نمشى انعرو كيف المرمادا
لفظ ارباعى انظام اسمىدى	»	فمنازل الصفا برضات الشمادا
افحصن احماهم فاح نـدى	»	واكملت بالرضى واثباتا وانجادا
واصفا شربى من هن السودى	»	حبر الزمان حاشا مثلى يتعادا

اراحم "مرحم ضعيف جسمي" : يوم التشور هن زفرت الكهادا

کمل لی یا کریم قصہ سیدی ﴿ہزمہ﴾ (I) دوزو مزما السعادات

نمونہ جان لایضاح :

وهذان نموذجان لماء القصدّة احدهما من البيت والثاني من مكسور

2. _____

أولاً : قصيدة «هشنية» : للشريف محمد بن الحسن ، وهي من

تُسميت المثلث ومن أربعة أقسام :

1 - دخول الفصيلة :

يَحْسُنُ عَوْنُ الْعَاشِقِ لَهَا مِنْ حَرِّ الْغَيَوانِ بِحَسَنِ عَوْنِي كُلِّ حِينٍ نِيرَانُ مَثَدِي

بين الشلج امع الصهود واجمار الولفيا

يحيى بن عوفو بالمصادفا واصدود الهجران

کیف ایات یصبح ما یلورا حاً قطعیا

يتشكّن من ملقاه وادموعو مجريا

يُحَسِّنُ عَوْنُ الْعَاشِقِ لِبِهَا وَالزَّيْنُ الْفَتَيَانِ

محسن عونو مايدواوقات يوجده اسليلا

ياك الزين السيوف له بالجرا مسقيا

يحيى بن عون بن لوانيمه تيه اشروود الغزلان

يلقى تيه الزين بالهجر للقاء اتهمــــــــــــا

هذا حاله ما يليه فاحكامو شرعيا

كيف املكني من اصباي واترك لوني يرقان

فيل انشوف ايهاك الريم امامن كيلا

لسبعيني قبل لوصول الغزال اهنيأ

2 - التجربة :

نصر الله احمال صورتك أدابل لعنان أمبروم التيت لال لغزال اهنيأ

بِكَ اغْنِمْنَا يَا بَاهِيَا بِشْرًا وَاهْنِيَا

(I) رمز بذلك لاسمه فالهاء بخمسة والزاي بسبعة والميمان كل منهما بأربعين فيكون المجموع اثنين وتسعين وهي قيمة حروف م ح د .

3 - لكراسا :

اعا من كيا ابتيـــــسران * بشواظها اضحييت انصارع نيراني
نصبح كيف اثبات سكرـــــسران * من غير خمر هايم والوجد اغثناني
واخبيري من هول ولهـــــسان * انراقب لوصال اهنيأ يوفاني

4 - القسم الاول :

وماعن كهلى اجملت واحمول الحب اوزان
يسريهم من به كان بالفركا مايبـــــيا
ايسلم عشقي اولا يزيد املام اعليا
وما بحت ابما اخفى ودمع اعينوني طوفان
وما ندهل ساكنى اروح الذات افهـــــيا
فمسايغ لغرام صاك لى بجنود اقويا
وما حرمت لنام باشواقى من لجفان
وما حرب بالحوش مير العشق اعليا
وما من ليعات فالحشا منو مكيـــــيا
وماغرد فالبهم طرفى ونا يفظان
وما راقبت لالهال فغروب الذهبـــــيا
يطع كوكب هلتي امعاء ابغير اخيـــــيا
وما بعديت لوصال بعد انحدث ادهان
تنزهى وانقول يااهلال الزين اثيـــــيا
مالكاونا غلام يابوتيت اهنيـــــيا
ثم تتوالى الحربة والاقسام الباقية كل قسم بكرسيه ، ونذكر منها
القسم الاخير وهو خال من الاسم والدعاء والهجا نظرا لان بالقصيدة دريدكة.
الصدر مرمر به يوصـــــسان * وانوابغو اتفافح زهوا ترضائـــــي
والضعدين ابروق لمســـــزان * اكفوف من الكمخا وارطب من فائـــــي
ومقاييس زندين الهـــــسان * بخويتم الذهب تكييل اععبانـــــي
والبطن الطاوى اعلى امأش الهنـــــداروان
والسرا طاسا اوصافها فتناء امزيـــــيا
من لوريق انعوم فى اعتيق من الحميـــــيا

والرديف المالى امع لخصر وافخاد السيقان
 كن اسوراي فى اوصافها نفها كليسا
 والساق المدعوج عن اقدام الوصف اهديا
 لجمالك نهى اعشور لوصاف ابغز وشان
 وماوصف ابهاك ما اتحد اناء اسجيا
 لارلت امسلى ابصورتك صبحا واعشما
 نصر الله ابهاك ياوداد القلب اللهفان
 ياقد اعلام المبارزا يوم المشليا
 يامن لازلت اعلى اوصاف الحسن اصبيا
 كب واملا الرايفا بالخمر الكيسان
 هات لى حتى انقول فتمام الخمرىا
 بشرا واهنيا اعلى اقنوم الريم اهنيا

5 - التريكة :

خذ اراوى روض لفتان « فمديح لال بوقيتين اهنيا
 بها زال الهول واهوان « صعى واشهدت باللحظين اهنيا
 بها سعد الفال وازيسان « سعدى وراحتى بعد البين اهنيا
 ولقى من نهوا افنيهان « وناكبالها فى تحصين اهنيا
 واتماضت اهموم لحزان « بوجود مالكى بدر الزين اهنيا
 بودواح اسبيغ لجفان « ذات لبها وحمى الرشفين اهنيا
 بهنيا لازل فرحان « قلبى اولايلى اعنيها فبن اهنيا
 لاهنيا للذات سلوان « هنو الريم كحل الشفرين اهنيا
 اهنيا بها العنوان « مختوم فى انهايت تضمين اهنيا
 واسلامى من غر بهتان « لهلالها ولها فالحين اهنيا
 اعقب اشداه افكل بستان « يهدى انسيم طيبو من طيب اهنيا
 قال ابن الحسن يعلان « مملوكها افزوج اتسعين (I) اهنيا
 اشريف النسب المضممان « لازال فى امجبتو تمكين اهنيا
 واهل الجود احباب واخواب « يتوادو ابطيب التفنين اهنيا

(I) يشير باثنين وتسعين الى مجموع قيمة حروف اسم محمد .

رَدَفَ اسَافَى اَمَلَا الكَيْسَانِ * بوجود مالكي بدر الرين اهبنا
ياربى وانت الرحماني * احعل لختام حسن ليقين اهنيا
ثانيا : قصيدة «الذهبية» لانجار وهي من مكسور الجناح :

1 - دخول القصيدة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا
توجد لامتى والقوم الذى لامسوا
ماحبوا لنا اخبسار
قرب لى نسطاب فرحى بعقيق الحميا
بشرا اعلى الرضى كاس كب امدامو
واحننا ماين الاشحسار
فى بستان رفيع امحتفل وادوات الحسنيا
فوق الروض امع الورد راها ترقص قدامو
وانكلم فرغت لطيار

2 - الحزبة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح لذهبيا * شف لبهيم حين اتمكن بظلامو
واقلب عن ضى النهار

3 - عروبي :

اساقى ساعت لزهو تحى لقارب * واتسلى بالمراح بالشوق ابالى
اساقى صاحب لهوا عقلو مسبوب * موبوع بالريام والكاس المالى
شف الخودات حين تاكت من الحبوب * هاذيك الذى اتصول بالذكر السالى
ولا فاتو ابحال ساعت اليوم اليبالى

4 - القسم الاول :

أ - دخول القسم (مكسور الجناح) :

لله فنن توجد هذا الفرجا اليوم

ب - لطيفات :

لما امحضر برباب وعيدان

بين لتشبين امع الرمان

حالسین اریام اشپان

تحت لغصان

هذا الذاک سکران

ج — بیت ینتقل به للحربة :

وارباما ابرقصو من غیر احثیا » هاحوا وهیجو قلبی صاب امرامو
وارشفنا کاس لعقار

وتستمر الاقسام الثمانية على هذا النحو ، ونقف عند الاخير :

خذ من بدر ولزمرد عقد النفس » یحیی روض لعشيق ویشرح الحلاس
به انهد لجحود والی کان اعکس » لنی حبر السطام معنوی قیاس
وسلامی لشیاخ دهات المجنيس » بالندا امع لعبیر عن سائر جناس
من لاطاع لشیاخ لابد یمساس

خذ لقماش یامن لاتدرک له سوم

محال اتوجدو فخراین اتجار

هدیه القوم الفجار

قل لهم قال انجار

هبت الجسار

نغما الكل فجار

الی ادعا ابجهلو مافیه امزیا » شبخ لکلاب حدو ینسخ فخیامو

ما حملوه اهل لجدار



نظام القافية

ويطلقون عليها «لقافية» و «الحرف» .

يقول الجليلي امتيرد في سرابة له :

قالت ناس الشعر والقوافي « الزين ابلاقيه صورتو تعداد

ويقول ادريس المريني في ثورته (I) على قيود الوزن والقافية :

أنا بغيت ننظم والحرف ابدأ يفور

اعلاه مايكون الشعر ابلا حرف

وقد كانت القافية فرصة للشاعر الشعبي ان يظهر براعته . واجماع

الاشياخ ان هذه البراعة تظهر في امرين :

اولهما : استعمال القافية على حرف واحد ، ووصفوا القافية التي

تكون كذلك بانها على «مخها» اي لم يدخلها حرفاً آخر . وسنرى ان غير

قليل من القصائد سارت على هذا النوع من القافية الصافية اذا شئنا ان

نترجم المصطلح الشعبي .

ثانيهما : استعمال قوافي داخلية في البيت ، ويذكرون لذلك نماذج

فريدة ! منها مانجد عند المدغري في «الحاجة» حيث جعله مكوناً من سبعة

حروف حيث يقول :

من بك قالى قلت الحاجا

حاجا

بحواجب نقشات خرقنت لهاح

واخدود طاهجا

واغوانج

واجعايبها الفروج

(I) سنتحدث عن هذه الثورة في الفصل الثاني من الباب الثالث لسندي
ترجمة المريني .

عـلـوـح

ومنها ما نجده عند هاشم السعداني في «الساقى» حيث جعل البيت
مكونا من أحد عشر حرفا ، يقول :

عـلـوـح يـسـاقـى
مـن اـمـدـامـك نـسـقى
يـا طـيـب لـخـلـوق
اـسـفـنـى بـالـرـيق
وـالـرـحـيق
واشـفـى
مـن ذـاتـى الشـايـقا
واـرحـم مـن شـاق
لـلـمـلاق
يـاك لـمـعـشـوق
حـق يـوفـى لـعـشـيقـو

ويقول الاشعياخ ان عبد الهادي بناني زاد فنظم البيت في «الساحى»
مكونا من ثلاثة عشر حرفا. والاسف اننا لم نوفق في العثور على هذه القصيدة
او حتى على جزء منها .

القافية في الاقسام :

أولا : المبييت :

- 1 - المثنى : يسير فيه نظام القافية على هذا النحو
- أ - التزام قافية واحدة في الفراش والغطاء (أ - ١) ، وقد تكون :
- 1 - بنفس الحركات كما عند الحاح ادريس لحش في «المرحسول»
وحريته :

الفادى للرباط هاك اسلامى لسادى « اولاد الولى بن لهيىدى

- 2 - بحركات مختلفة كقول الشاوى في حربة «الوصية» :

ي لنايم فق امن النوم رقبه الفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلفنايم والطاعا

- 3 - التزام قافية في الفراش وأخرى في الغطاء (أ - ب) كما عند

الخيلاى امتيرد فى قصيدة «ضيف الله» وحربتها :

اضيف الله رد لجواب اصغى لى « لا تحشم رد السلام

وكما عند ابن على فى «الهجران» :

ايلا تهجرنى اخلينى مصبرنى لجعاها

ويلا تاهت عن اوصالها ماقطع لياس

ج - قد تسير أبيات القصيدة كلها على قافية واحدة ، وقد تحضع

لمعنى التغير ، وخاصة فى «قصاص لشركى» حيث تسير أبيات القسم على

قامينين ، ويكون قافية الحربة على حرف لابيائ الاخيرة فى القسم ، ومثلها

قافية الدخول ، وتتخذ هذا الشكل :

1 - الدخول : ب ب (فى عدد معين من الابيات)

2 - الحربة : ب - ب

3 - القسم الاول : ا ا (فى عدد معين من الابيات)

ب - ب (فى عدد معين من الابيات)

4 - القسم الثانى ج - ج (فى عدد معين من الابيات)

ب - ب (فى عدد معين من الابيات)

5 - القسم الثالث : د - د (فى عدد معين من الابيات)

ب - ب (فى عدد معين من الابيات)

وهكذا يبدأ القسم بعدد من الابيات على قافية جديدة ويعود للقافية

الاصيلة الى تسير عليها الحربة ، ويسمى هذا التغير أو بالاحرى هــ :

الانتقال من قافية الى أخرى ثم العودة الى القافية الاصلية «السراح والرواح»

واشتقوا منه «اسرح وراح» (I) .

ومن الامثلة على ذلك «العريضة» للنهاسى المدغرى .

يقول فى دخول القصيدة :

حل عينك والتمزه زد شوف واسطاب « فى ادواح العريضا وازهارها اعجيبا

اغصانها بالفرجات اتعانقوا بترحاب « كيف عنق لطيب احبيب بعد غبا

اتمايلو وعربطو فرياضهم بشراب « من اكيوس انداهم امرونا اسكيبا

الزهر يصحك والطن يبكى افتنحاب « كن عاشق تضحك لبكاه شى احبيبنا

ولوتار اتجاوب بانغام عود وارباب « فيد عدرات اصوات اوتارها اطربنا

(II) كذلك اطلق الاشياخ «الروح» على نهاية القصيدة او نهاية القسم .

ويقول في الحربة

يا لعرصا صول فرحى ابطيب لطيب
طيبك سيدى ولد الساكنين طيبا

ويقول في القسم الاول

شف لى صا فى حضار ملطان
قدما واقدرها بانمن زين فى زين

عالمنا فسمها لها من لبها شى
فى احجاب احجبان مارات كيفها عمن

غرسها ما حاط ابو صفو اليب فوزان
لو يزول اقمعتى نعتوا سمنين فسنين

وى راض الملك امرى الصور واصحاب
ولياء السلسا وجنداولو اعذيب

امخنت السيم الصبح بنسيمها لهاب
كابرا اختربت طيبا طيبا اخصيب

ويقول في القسم الثانى :

شف رنج المشمين اليم كن خودات
من بنات العربان الصايلات بالتييت

بالعقيق اعقبان امحسا اكلاذات
ابطالها من بهم سفات داييم اتغيث

دى اتيه اعلى هاذى كابرات وخنات
زايدات اعقول الى شافهم تشتيت

فالرحيل ابعصوك الراشكات لهداد
فالوارج وهمارو رايدا انجيب

هايطابهم اسود السروت لنجاب
ويج من شاط ايعاود قصتر اغريب

وهكذا يستمر في بقية الاقسام يبدؤها بثلاثة أبيات على فافية جديدة
ويعود في السنين التاليين لقافية الباء :

وليست كل القصائد تقتصر على ثلاثة أبيات ثم اثنين ، بل أنا نجد بعضها يسير على ستة بدل ثلاثة كما عند الجراري في قصيدة «المعراج» مع ملاحظة أنه في قافية الأبيات الستة لم يلتزم حركة واحدة، ومثل لها بالقسم الثاني حيث يقول :

حين وصل للقدس وعاد في احماء
ادنا الحلقت لنبيما بعد شافها
ثم ربط البراق اخلفو اوراه
زاد للمسجد احضرتو اينالها
ثم صلى ركعتين وقال مبتغاه
بعد صلى ترك البقعا وفاتها
بعدها جبريل ابناها باش جاء
من خمر والانا لخرا اختارها
من لحليب اروي الساكنو اظماه
قال جبريل الفطرا حزت فالها
ليه نصب المعراج وقال في الشاه
عول الجولا لا مخدوق جالها
لى حضرت من اختارك دون من اسبق
امن الرمال الى نورك عنها اشريق
ازداد شوق المحبوب اشاق للملاق
حين صعد وجبريل امرنسو ارفيق
اما الحربة فعلى حرف القاف كالبيتين الختاميين .
وكما لاحظنا ان القافية في الابيات الاولى مختلفة الحركات فـ
المعراج والغطاء فانا قد نلاحظ من هذا «القياس» ولكن بقافية مختلفة على
هذا الشكل :

أ - ب

أ - ب

أ - ب

ح - ح

ح - ح

مثال ذلك قصيدة «الدرة» لابن علي ، وهي على حرف الباء في الحربة

والدخول

ما يتصور في ملك الله ما يزيدو

أولا يليهم في ملك رب لشيئات تصصراف

كيف شا يفعل ماشا ولحكام بيبدو

أولا حدث افساير لشيئا غير باش يعرف

كان فالدك اعلى درا بجل جودو

أولا تحملو درا ولا بحمل يوصف

غير احمل القدرا والقدرا من العرب

افلشيئات اقدرتو واعلى لشيئات غالب

كون الكونين وما من لكوان يوجب

امرض امن لدرا ما شا رب لعرب

على أنه ليس كل قصائد «قياس لشرطي» على هذا النمط في القافية

حدث نجد بعضها التزم قافية واحدة في كل القصيدة ، مثال ذلك قصيدة

لعمري في «الحكم» يقول في حريتها :

زال قلبي من صلي افخلف لمام » ايلا ايكون اسر اضمير ايقين جازم

فقد التزم الميم الساكن في كل الابيات والاقسام .

2 - الثلاثي : ويسير نظام القافية فيه على هذا النحو :

1 - التزم قافية واحدة في كل الاشطار وان اختتمت الحركات على حد ما نجد

عند الفقيه العميري في «زهرة» حيث تتخذ القافية هذا الشكل :

أ - أ - أ

وهكذا في كل ابيات القصيدة ، وهي التي يقول في حريتها :

انت مكمولت لحاسن زهرا » يارياض امزخرف بشار

وانت زهرت الزهور وانت لغزال ازهيرو

ب - عدم التزم القافية في كل لاشطار ، وتتخذ ثلاثة أشكال :

١ - أ - ب - ب

وهكذا بأن تكون الاشطار الاوائل من حرف والشمطرين التاليين من حرف آخر ، مثال ذلك قصيدة «الزعمو» للمثنى التركمانى ، فانه التزم حرف الهاء فى الاشطار الاولى وحرف الميم فى الشطرين التاليين ، على ما يبدو من الخبرة التى يقول فيها :

الزهو افلكتوب الرقات أمقال الله ، واصلات المحار والفحة فى وقتو والصوم
والحج الجهاد فالنصارى يوم معدوم
وعلى هذا النمط يستمر فى كل أبيات القصيدة .

٢ - أ - ب - ب

ومثاله «الساقي» لمفس الشاعر وعلى حربيه يقول
أساقى رادف الرحيق اعلينا ليم راضيا « بوحود الريم راضيا
سبطان ارضى اعلى الرعى والزين الله ينصرو

٣ - أ - ب - ج

وهكذا يكون كل شطر بحرف فى كل أبيات القصيدة على حد ما نجد عند امتيرد فى «هشوما» ، وقد التزم اللام فى الشطر الاول والراء فى الثانى والميم فى الثالث ، يقول فى حربة القصيدة :

عذر كاسى هات ثوبتى يا ساقى واسقى الباهيا زينت نقط الخال
لا تغفل عن رابت النصر « مصباح الودعات وعلى هشوما
ومثها قصيدة «أم الغيث» للحاج ادريس لحش ، فقد لزم فيها الشاء فى الشطر الاول والميم فى الثانى والسين فى الثالث ، يقول فى حربتها :
كيف اجرى لى ياهل لهوا فى حضرت سلطانت النساء لغزال ام الغيث
اشريف العذرات فاطما « ملوك الزين بينهم ضعت افكاسى

٣ - السرياعى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :

أ - التزام قافية واحدة فى كل الاشطار على هذا الشكل :

أ - أ - أ - أ

كما عند مولاي عبد الواحد فى «لبتول» فانه التزم اللام فى كل
لاشطار مع اختلاف فى الحركات كما يبدو من الخبرة التى يقول فيها .

أرى وحيالك ما سخيت واتعال . . . يمداد صاحب الحال
أرى أحورج علملا . . . النور المعنى من افراق البتول
ومثلها قصيدة «فارحا» للمدغري حيث التزم الحاء مع اختلاف كذلك في
الحركات .

دسنى تحت لخلال بين دروعك لملاح
والسما و — — — واه
ونهداتك تفاحا

حمت ايشرفنى اعينوك يجرحونى يا فارحا
ب - اختلاف في تامة الاشطار كالتزام الاشطار الثلاثة الاولى لحرف
والرابع لحرف آخر على هذا الشكل .
ا - ا - ا - ا - ب

ومثال ذلك قصيدة «طامو» لامتيرد ، فقد سار في الاشطار الثلاثة الاولى
على حرف الجيم بحركة واحدة وفي الشطر الرابع على الميم ، يقول في حربة
القصيدة .

طامو يا طامو الحساج . . . بك اقوى عشقى وهاج
واسكن وسط اسيار لهاج . . . وارضىيت احكاممو
مع ملاحظة أنه يسرح وبروح ولكن ملتزما بحرف الحاء في اول ابيات
الافسام على هذا النحو من قوله في القسم لثانى :

فالهجا بين لملاح . . . بها كل اعشيق داح
طاب ارياص اشداها وفاح . . . وعبقت ادواحممو
ويسنمر كذلك بضعة ابيات ثم يعود لقافية الاصلية فيقول :
بحرى لام ادلال مـاج . . . عذبي هارات اغنـاج
نردع بها قوم اللـجـاج . . . من لا يولاممو

4 - الخماسى : ويسير نظام اقافية فيه على هذا النمط :
ا - التزام قافية واحدة في الاشطار الخمسة مع اختلاف في الحركات
على هذا الشكل :

ا - ا - ا - ا - ا

مثال ذلك قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، فانه التزم فيها الميم ، يقول
في حربتها :

قالت يما اتقول طامــــو * قلت وايبك يالطــــام
ياقد اعلام فاللطــــام * قالت ترا ايقول طاما
ترات ايقول فاطما

ومثلها قصيدة «لفزال» للحلالى اميرد فانه التزم فيها الكاف ، يقول فى
حربتها :

هل لى بالفارحما ايلاكسى * ويبوح حبها لخديك
لاين بوصيدها اغلييك * لفزال الشاطنا اخلاكسى
ما هو فنجوع خالكما

ب - اختلاف القافية فى اشطار البيت ، وتتخذ مثل هذا الشكل :

أ - ب - ب - ج - د

مثال ذلك قصيدة «اسادتى اولاد طه» لحاج ادريس بن عبي ، فانه جعل
الشطر الاول على حرف الهاء والثانى والثالث على اللام والرابع على الميم
والخامس على لراء ، يقول فى حربتها :

اسادتى اولاد طاهــــا * برضاكم عالحوا الحال
يا ناس الجود ولفضال

انا فى عار للافاطمــــا * الزهرا الطاهــــرا

ومثاله كذلك قصيدة الطيب الواسثرى «تاج لريام» فانه جعل الشطر
الاول على حرف الياء والثانى والثالث على الميم والرابع على الباء والخامس على
الفاء ،

يقول فى حربتها :

رغبوا تاج لملاح فيــــا * ايحبنى غير بالسلام
ويراعى صلت لكرام
لاخير فاللى اجفا احبيبو * واشدر بعد لموالفـا

ثانيا : مكسور الجناح :

تخضع القافية في هذا الوزن لنفس تقسيم القصيدة ، كما سبق أن رأينا ، وتسير على هذا النحو :

١ - دخول القصيدة - ان وجد - يكون على حرف قافية الحربة (أ)

٢ - الحربة : على نفس القافية (أ)

٣ - دخول القسم : (مكسور الجناح) على قافية مختلفة يلتزمها مـ دخول كل الاقسام (ب)

٤ - لمطيلعات : وهي لا تسير على نمط معين داخل القسم الواحد ، وتختلف حروف قافيتها من قسم لآخر .

٥ - البيت المهد للحربة ، يكون على نفس قافيتها (أ) .

ويمكن الرجوع الى النماذج التي مثلنا بها لهذا الوزن في الجزء الاول والثاني من هذا الفصل ؛ ونضيف اليها هذا النموذج ، وهو قصيدة «الحلار» للمدعري ، وقد بدأها مباشرة بدخول القسم ، فانه التزم حرف القاف في كل الاشطار التي دخل بها للاقسام وجعل للمطيلعات قوافي دون تقييد داخل كل قسم وجعلها تختلف من قسم لآخر ، وسار في قافية البيت الختامي على نفس قافية الحربة وهي الراء ، والتزم ذلك في البيت والحربة في كل القصيدة . يقول في القسم الاول :

أ - الدخول : مهما اتخاضم العنبر والمسك الصيق

ب - المطيلعات : واهلال عيدو البرنى والغرار

ولمدام اكاسى البلار

والموهر اشغل الحرار

واكدك فوق زخار

صارى اقويم

ج - البيت :

والطماج اعنها اتخابوها بجهارا » ايشمروا الحرب اسقارا

بينهم اعلى تاج الزين اقمضامر » شلا نحكى اليوم صـار

د - الحربة :

بين الورد والزهر والجلال * والطلسم والحمداد
والرخام اتفاح اقوس والسنابر * خرجوا على عانسي الكحاح
ويقول في القسم الثاني

أ - الدخول : واسباب ما حكيت اخرجت افداج لغسيق

ب - المطيلعات : تسدر في ارياض امفتح لكمام

صبتهم ايشيروا بكلام

في احروف امعاني واخصام

دون تدمام

عن عانسي ام احرام

جالو او جولو

ج - البيت

دخلوا ميدان كاخول الفارار * دالذا يعيط ورا
بالعاني واخصام اكثير وبعاير * ما حشمو ماتقاوا عمار
على أن من الشعراء من التزم في هذا «القياس» حرفاً واحداً في قافية
كل القصيدة سواء في الدخول أو المطيلعات أو البيت والحربة ، مثل الخاح
أدريس بن علي لحش في قصيدة «أم الغيث» ، فانه التزم التاء في كل الاشطار
والايات ، وقد سبق أن ذكرنا جزءاً من قصيدته .

ثالثاً : المشتب :

بتزم فيه الشاعر نفس القافية في البيت والحربة ، أما المطيلعات التي يحشو
بها البيت فلا تنقيد بقافية سواء داخل القسم الواحد أو من قسم لآخر . وقد سبق
أن مثلنا بقصيدة «التوبة» لابن سليمان و «قمر الدار» لعبد السلام الجبري
في الجزء الاول من هذا الفصل وهما من خبر الامثلة على ذلك ، ويمكن أن
نشير لنظام القافية فيهما بهذا الشكل :

القسم : أ (- - -)

أ - ب - ج

الحربة : أ - أ - ب - ج

رابعاً : السوسى :

تسير فيه القافية على هذا النظام :

- 1 - تلتزم في كل الأقسام قافية البيت الذي يبدأ به القسم .
- 2 - لا تخضع الأشطار المرسمة لاي تقييد سواء في القسم الواحد أو بين الأقسام .
- 3 - تلتزم قافية الأبيات التي يختتم بها القسم في كل الأقسام .
- 4 - تلتزم قافية هذه الأبيات في الحربة أو بالاحرى تكون هي على حرف الحربة ، فهي تمهيد لها وزنا وقافية . ويمكن تحديد شكل هذا النظام كالتى :

البيت : أ - أ

المطيلعات : دون تقييد

الأبيات الممهدة للحربة : ب - ب - ب - ب - ب

الحربة : ب - ب - ب - ب - ب

ويتضح ذلك من خلال القسم الذى مثلنا به فى الجزء الاول من هذا الفصل من قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن البغوي .

القافية فى المقدمات :

أولاً : السرابية :

سبق أن قلنا فى الجزء الثانى من هذا الفصل أن الكثير من «السراب» ضاع ، ولم يبق منها الا القليل . ثم ان السراب الموجودة لا تعرف قصائدها فى الغالب ، ومن هنا كانت صعوبة النظر فى قوافيها وتحديد النظام الذى تسيير عليه سواء فى أبياتها أو بالنسبة للقصيدة التى تقدم لها . وزاد فى هذه الصعوبة أن الشعراء اليوم قلما ينظمونها ، وان فعلوا فانهم يجعلونها مسفلة .

ومن فحص السراب التى وفقنا الى جمعها - وهى جد قليلة - نستطيع ان نذهب الى انها تسيير فى القافية (I) على شكلين :

(I) تلفت النظر الى أن ارتباط قافية أبيات السرابية بقافية النواعر الـبي تنخلها شبيه بالارتباط القائم بين قافية أقسام القصيدة وما فيها من سويرحات (انظره بعد سطور لى الحديث عن القافية فى السويرحات)

٢ - أن تكون على حرف واحد فى القافية ، ومن الامثلة على هذا الشكل
 سراية بن على ننى يقول فى أولها ، وهى على حرف الراء :
 ألقى كن عن امصابك صبار * الصبر مفتاح الكنوز والذخيرا
 ومنها كذلك سراية لمغرى التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الحاء
 أنا الى ابغرام قلبى مجروح * ولهوى منوفانى ماجبرت راحا
 - أن نحلف قوافى أبياتها ، ويبدو لنا أنها لا تخضع فى ذلك لنظام معين ،
 وتسير مع طبيعة النظم والايقاع ، وان كما نلاحظ أنها تكاد تكون فى التقفية
 قريبة من العروبي ، ويظهر ذلك من أول جزء فى سراية لامتيرد ، يقول فيه :
 اعلاش أمحوب خاطرى تجففى * الجافىنى واعلاش دالجفا
 حببتك من خاطرى ولا رديتنى * كاتمنىنى يا شاردا لعفا
 خالفت فالةول باش وعدتىنى * ولا وصلت رسمى فاسيت ما كفى
 قالت ناس الشعر ولقوافى * الزين ابلاتيه صورتو تعادف
 والخير صاحبو يعرف

ثانيا : العروبي :

ويسير نظام القافية فيه على هذه الاشكال :

٢ - أ - ب

أ - ب

ب

حيث تكون «للفراشات» قافية و «للفطاوات» قافية مختلفة ، وعلى حرف
 «لفطاوات» تكون قافية «الردمة» . ومن الامثلة على ذلك «عروبيات» قصيدة
 فاطمة لامتيرد ، ومنها عروبي القسم الثانى من القصيدة :

كان اسهيتى اتقضى من حال اسهوك * ويلاتهنى التيه اتعريك ايامو
 نظرى بلامح لبصار الى سبقةوك * كما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو
 سبرى حتى يشرب عودك بالجامو

ويلتزم ذلك مهما كثرت أبيات العروبي على حد ما سبق أن مثلنا فسى
 الجزء الثانى من هذا الفصل .

2 - أ - أ

أ - أ

أ - أ

أ

حيث تكون كل الاشطار على نفس القافية ، ولكن مع ملاحظة أن حركة حرفها في «لفراشات» تختلف عن حركاته في «لفطاوات» وأن حركة قافية «الردمة» تنفق مع حركة حروف «لفطاوات» ونمثل لذلك بعروبي القسم الاول من القصيدة «التطوانية» للحاج ادريس لحنش حيث يقول :

نسعوا الله فالنصر بعسم الرحمان « والفتح الايزول والظفر وتمكين
واحب نوجهو ونحتالو ببيان « لقتال الكافرين ونسالو المعين
افدوق امح ليمان وينصر السلطان « نعم المنصور سيدنا سبط الحسين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

وهنا كذلك لا يفرق بين أن تكون الايات قليلة أو كثيرة . والملاحظ أن العروبيات في القصيدة الواحدة لا تلتزم قافية معينة حيث يستقل كل عروبي بنظام معين للقافية .

ثالثا : السويرحات :

يكون نظام القافية فيها كالآتي :

1 - أن تلتزم ابياتها نفس القافية وأن تختلفت لحركات، وفي هذه الحالة امان تنفق هذه القافية مع قافية القصيدة أو لا تنفق ، لا فرق في ذلك بين أن تكون السويرحة كثرة الايات أو قليلتها .

1 - من نماذج الاتفاق سويرحات «تصلية» محمد الشاوي ، وهذا مثال منها يمثل سويرحة القسم الرابع :

يعجز فوصافو كل ناشد « وفضايلو لكثيرا شلا ينعمسادو
لو كان البحر امداد نافذ « والارض كالواح اتمثال انشادو
والخلق اوصف والشواهد « لا وصفو اعشور افضايل امدادو
فهى على حرف الدال الذي ففيت به كل القصيدة على ما يبدو من

في سويرحه العنيم الاول من القصيدة :

يا مزارر البذات * بك احيات اجساد
تخلوقك لذات * فايقا راح اصواح
ما مثلك فحنانات * كاسرا محبات
طرا فك اندسات * سالما لاهل سابح
صل ابر نجللات * فوصافك حسللات
نمسانس راجلات * عسور كس امتصاح

والاحظ، بعد هذا امرين :

احدهما انه قد تنفق جميع سويرحات القصيدة الواحدة في نفس
غايته كما في قصيدة « لتصمية » لشاوى وقد سبق أن أشرنا اليها .
لثاني أن يكون لكل سويرحة - داخل القصيدة الواحدة - نظام معين
للقافية يختلف من واحدة لاخرى على حد ما تكشف عنه قصيدة « خديجة » ،
لامتدرد ، وقد سبق أن أشرنا اليها كذلك .
الثالثة في الدريدكة :

نظر فيها من وجهين :

1 - قافية أبياتها : والقالب أن تكون موحدة في « لمراش و لقطا » ، وإن
اختلفت الحركات ، وتكون على هذا الشكل أ - أ
وعلى هذا النحو سارت أغلب الدريدكات التي مثلنا بها .
وقد تختلف قافية « لمراش » عن قافية « لقطا » فليخذ هذا الشكل :

أ - ب

ومن الأمثلة عليها دريدكة قصيدة « هنية » لمحمد بن الحسن ، فهي تسمى
على هذا النحو :

خذ أراوى روض لبنان * ومديح لال بوتيين اهنيا

وقد سبق أن اوردناها .

2 - من حيث علاقة قافية أبياتها بقافية القصيدة وما فيها من سويرحات ،
وتكون على « لا » أشكال :

أ - أن تقع قافيتها مع قافية القصيدة بما فيها السويرحات ، مثال

ذلك دريدكة «تصلية» الشاوى فانها على حرف الدال كبقية أبيات القصيدة.
ب - أن تتفق قافيتها مع قافية السويرحات وتختلف مع قافية بقية
أجزاء القصيدة . مثال ذلك دريدكة «مسعودة» للمدغرى ، فانها على حرف
اللام ، وكذلك السويرحات ، أما بقية أجزاء القصيدة فعلى حرف الدال .
يقول فى البيت الاول من الدريدكة :

مسعودا تشفى المعلال ❖ عشقى افحبها عمرو مايتبالا
ويقول فى البيت الاول من آخر سويرحة :

أزبن احكامو اعلى حال ❖ حب الله فاز ابهيا واحلالا
ويقول فى الحربة ، وعلى قافيتها سارت كل حروف القصيدة :
كولر المسعود ياطلوع اكواكب لسعاد
أنا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا
وانتبا بدر السعود وانت لهلال اسعود

ح - أن تختلف القافية فى الدريدكة عن قافية السويرحات وسائر
أبيات القصيدة ، مثال ذلك دريدكة «الذهبية» لنتهاى المدغرى ، فانها
جاءت على حرف طاء فى حين جاءت قافية السويرحات ميمية وقافية
الاقسام رائية ، يقول فى أول بيت من الدريدكة :

خذ العشق بين لفصاح ❖ درتو امقابل الصبرحى نصاحو
ويقول فى أول بيت من سويرحة أول قسم :
شف الشمس ارخات لكمام ❖ عولت للدرواح افتيها واقياما
ويقول فى حربة القصيدة ، وهى على قافية الاقسام :
شوف الذهبيا اخدود هامن ذهب التشحار
وارخات اصروع اللحام فوق لوطيان اتغبر
بعتها شكرا امختنا من خيل المنصور

عيروب الغافسة :

وقفنا منها على ثلاثة :

أولا : القوافى «الصيدية» :

جرت عادة شعراء الزجل المغربى أن يستمدوا قافيتهم من موضوع

القصيد ، وهي ظاهرة تتضح في معظم قصائد المحبوبات حيث يكون حرف
القافية متعاقبا مع آخر حرف في اسم المحبوبة ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة
«كنزة» لابن علي ، فإنها على قافية الزاي ، يقول في حريبتها :

ماكيف أوصالك كنز * وأفضل من مال أيل كنزوا

علىحي أشمس لحاسن كنزا

ومنها كذلك قصيدة «للاحسن» لعبد الرحمن بن الفقه ، يقول في

حريبتها .

ألا حسنا * ماصديلا الحسينك حسنا * أيا رومك الوسنانا

درت لحاسن * حسنك به لبدور سنا

صوى كمال زيك المحسون

وتتضح هذه الظاهرة كذلك في بعض الخمريات مثل «الكاس»

للمدغري ، يقول في حريته :

الساقى وخض لعاس * رادف الكاس

واسطاب امع الريام طيب اونا * لاثرى للبرنس

ومثله «الساقى» للعلمي حيث يقول في حريته :

راح الليل أعلم لفجرتاك الصبح الرافى * ياساقى

دور على الحضر بفاجدك تزيان الموسيقى * وأزرع لساقى البقي

واعتبروا القصائد التي لا تسير على هذه الظاهرة معيبة وأطلقوا عليها

«قصائد صيادية» ، ومن الأمثلة عليها قصيدة «طامو» للمدغري ، يقول في

حريتها :

نصرو رايت لكفاح * بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفير والفنج السباح

طامو ياقوت الروح

ومنها كذلك قصيدة «ميناء» للحسن بن شعرون ، فإنها على حرف الحاء ،

يقول في حريتها :

مينا ناشت لملاح * مينا روح ادخال وراحت واصلاح

من احفاها جمرى لحلاح * طعننى دون اسملاح

ثانيا : اتخاذ الهمزة قافية :

على الرغم من أن شعراء الزجل نظموا قصائدهم على قوافي من مختلف الحروف ، فإننا لم نعثر لهم على قصائد في حرف الهمزة ، وتبين لنا بعد بحث هذه الظاهرة أن العامية تحذف الهمزة وأن استعمال الهمزة فيها يعتبر من «البرص» الذي سبق أن تحدثنا عنه (I) ، وأن اتخاذها قافية يعتبر بالتالي برصا كذلك

ثم حدث سنة 1965 أن ولدت لجلالة الملك الحسن الثاني بنية سماها «أسماء» فأخذ الشعراء ينظمون قصائد في التهئة على قامة الهمزة :

من ذلك قصيدة للشيخ الجيلالي من سلا ، يقول في حريتها :

بنت اهمام الشعب سيدنا حسن الاسماء

لاميرا أسماء

مناى امع ارجائي

قرت عين احبيبتنا وراحت لقلوب اعلاما

ومنها قصيدة لعبد الحميد العدوي ، يقول في حريتها :

نفحت لعبير العاطر الذكي نور النور الا يطبق يشمها الرائي

راحت سلطان اوطانا وفرحت شعبو أسماء

ومن الامثلة كذلك قصيدة لحسن ليعقوبي يقول فيها :

آش را من لا را لوطان يوم لتبسماء

بالخلوق المبروك ابقرت لمرائسى

أرض من بعد ماكانت كنها البيداء

من ارمال الصحرا صبحت روص مائسى

كلها حرجات وعرصات من الرياء

امياها دفاقا واشجارها افياىسى

ولطيّار اعليها من زينها ابغنىماء

هيجت الصاحي بانغامها اعنائسى

(I) أنظر الفصل الثاني من الباب الاول .

وعصار شعري سحاب من لصميم كالماء

في اجداول لجراج اصاح امن احشائي

كيف مانشدي شدو الطير وسط بطحاء

بين ناسي واهلي وابخططو املائسي

وكيف ما يرقى شعري اعلى اللفا الخنساء

ولبشايير بالسعد اثنا اصدائي

وكيف مانطهج كيف طهجو ارجال ونساء

ونطفح كيف طفحو لبساتن لظمائسي

وكيف ما نسوحى وناصري الايحاء

لهم الكاتب والرسام والروائسي

من خافق المصباح الى احلا الظلماء

طيب لعبير العابق ساير لجوائسي

ثالثا : الخاطئ بين الحروف المتشابهة المخرج :

ولسبب راجع الى أن العامة لا يفرقون بين هذه الحروف في النطق ،

من ذلك خلطهم بين الدال الموهلة والذال المعجمة ، يقول محمد بن الوليد

في «صبيحة في «المسح السبوي»

لولاك لا يغاثا لاجفا لانا لاجسر صراط اعدى

لانهار لا لمل خلف ذا افهاذا

ومنه خلطهم بين التاء لمثناة ولثاء المثناة ، يقول محمد ولد افريجة

في أول وصيفة «خنائة» :

يا ذت الزين الوارث .. امنين امحيك أمولاتي الخننا

سبحان من انشاك أقد الرمح الصقيع ارايا في تشحيع بن شجعان ازناتا

ومنه خلطهم بين التاء والطاء ، يقول محمد بن عمر المراكشي في حربة

«سزردة» :

وخصيخ افرسا ملا ايليه ضرسات .. كيملوج فخصفو عاد تيسرطو

ومنه خلطهم بين الضاد والطاء ، يقول احمد ابجيوات في حربة

«عرصة الرضا» :

سولنك بالمأظ * مدرا زعما ياعرصت الرضا * هازلت فالعز ولخطا
واحسابك لغليظ * والا هاك الغير خوضو
ونجه عند الحسن اليوسى فى «المحاضرات» نموذجاً من الخطب بمن
الضاد والطاء فى زجل لآحد شعراء هوارة لم يدكر اسمه ، لعله عروسى ، وهو
قـرـلـه

ايلا ابرك لى الزمان واركبت اعليه * واللى راد بي الموى لمقاء اعراضها
برك لى مركوب هانى ضاربـه
ما نحساب ايامى اعليا مفتاضها

نصير لحكام المولى حتى تتقاضى

وقد علق عليه اليوسى بقوله «قوله مفتاضاً من المفظ وابدل من الطاء
عنا ضادا» (I) .

(I) كتاب المحاضرات ص 49 طبعة حجرية .

وعند الحل فى «العاطل الحالى» ان الخلف بين هذه الحروف مسـنـن
الممنوعات فى الزجل ، وقد أشار فى الورقة (53) ظهر ، الى شعر لابن فرمان
فيه استعمال الظاء مع الضاد والذال مع الدال ، كما أشار فى (54) وجه ، الى
استعمال الدال مع الدال فى زجل لابن حسون المغربي .

الباب الثاني

الموضوعات

الفصل الاول

المرأة

يعتبر الغزل بالمرأة أكثر الفنون إحياء لشعراء القصيدة الزجلية بالتعبير ، فتتح قلوبهم وعيونهم وأطلق مواهبهم وقرائحهم وأخصب ذهنهم وخيالهم ، فنظروا الى المرأة بحسهم مفتونين بجمالها ، ورسوموا لها لوحة واضحة الملامح زاهية الألوان ، ونحتوا تمثالا متحرك الاطراف مكشوف الملامح دقيق القسمات ، كل ما فيه رائع فتان ، يحسرك القيوب ويهيج الخواطر ، اودعوه تصورهم للجمال كما تهواه نفوسهم وليس كما هو فى الواقع ، فجاء بذلك مثالا لا يعنى امرأة بعينها ، وانما نموذجاً تسجوا جميعا عليه ، ولكنه مع ذلك تصور ان لم يكن منبعثا من البيئة فهو متأثر بها الى أقصى حد . فقد وضعوا المرأة فى مقام ربيع ، ونظروا اليها محسوقا متفوقا ممتازا هو جوهر لحياة ومحور الكون . وهى نظرة مقدسة للجنس الآخر ما نضنها وليدة البيئة الحضرية التى ازدهر فيها هذا الشعر ، وانما هى وليدة البيئة البدوية الصحراوية التى نشأ فيها كما سنرى بعد . (I)

وليس من شك فيما احدثت دراسات إبيثات من ان سكان المدن أقل تقديرا للمرأة من سكان الصحارى والارياف حيث تتمتع المرأة بمركز اجتماعى لا يقل عن مركز الرجل ، وحيث يرتفع الى مستوى المشاركة فى العمل وتحمل اعباء الحياة .

ووصفوا حالهم محبين ضعفاء ، يعانون من عشق هذا الجمال أنواعا من الجوى والشجن والشموق ، وألوانا من النوم والهجر والنفور ، ويسعون الى الوصال بالرجاء والاستعطاف تارة ، وبالعتاب والوعظ أخرى ، ولكنهم حين يفشلون يلجأون الى القضاء عشاء ينصفهم مما يقاسون او الى الحيلة لعبها تقربهم من الهدف الذى يسمعون ، وكأننا بهم فى اصطناعهم تلك المظاهر واجتيازهم هذه المراحل لا يقصدون الى غير تعميق الجرح وتهويل الموقف والبلوغ بالماساة الى ذروة تتعدى التمرغيب والنشويق الى استدرار العطف والاشفاق . وحتى هذا الجانب النفسى من الحب بدا

(I) فى الباب الثالث .

عندهم متشابهة ، فجاءت حكاياتهم وقصصهم واحدة ، وكذلك جاءت آلامهم وأحزانهم وما يتخذون لشفاؤها من علاج . ومن يدري فلعل هذا لشعركان فرصتهم للتعبير عما يعتل في نفوسهم من أدواء ليس مصدرها الحب وإنما مصدرها ظروف خارجية أخرى لا نعرف عنها شيئا .

ومن خلال كل ذلك يبدو تمثلهم للحب قويا طغيا مسجورا لا سميل الى فل سلاحة او هزيمة .

وفرقوا بين الشعر الذي يغلب عليه وصف الجمال وبين الشعر الذي تملأه العواطف ، فاصطلحوا على الاول العشق ، ومعظم قصائده تحمل أسماء الحبيبات ، ولم يتركوا اسم امرأة لم ينظموا في صاحبه ، وتعبر زنب وزهرة وفاطمة وخديجة أكثر الاسماء لهم لهما . واصطلحوا على الثاني الغزل ، وتعرف قصائده بالمحجوب واللائم والجافي والعاشق والمرسول والشمعة والحمام والمرسم ، وهي كلها أسماء توحى بحال من أحوال الحب والهيام .

ولم يعتبروا من الغزل قصائد طلقوا عليها « تراجم » ، اعتبرناها نحن من صميمه ، وهي كما يبدو من تسميتها قصائد ترحمها الحال أي حبكها ونسجها دون أن يكون لها حدوث في الواقع ، مثل الحجام والفسادة والحرار والقاضي والضييف والخلخال والدمليح ، كما سيتضح من خلال الفصل ، وكانهم غلبوا في التسمية الشكل على الموضوع ، وكثيرا ما يفعلون .

اولا : المحبوبة

نظر الشاعر الشعبي الى المحبوبة فوسمها بالقاب واوصاف تنم عن بعض ملامح جمالها أو تكشف عن عاطفة من العوطف المتأججة في قلبه .
فزهرة بوعمر « هلال الدارة » :

دوريني قبل الا نقبر ❁ يا هلال الدارة (I) زهرا

(I) الدارة الشيء المستدير أو الجماعة من الناس تتخذ مجلسا دائريا وتحقق ، وبهذا يحتل وصف « هلال الدارة » مفهومين : أولهما هلال مدور مكتمل وثانيهما هلال مضيء في جماعة الفانات .

وهي عنده «سلطانة الابتكار» :

للا سلطانة الابتكار * ما يلي سوك امرا
وخديجة امتيود «سلطانة الريام» يطلب منها ان تصول صولة
عبية وجازية :

لوصول اتصول * صولى يا مولاتى اخديجا
صولت عبلا او جازيا * يا سلطانة الريام
وجمال حجوبة ابن على يفوق الشمس والقمر والبرق :
ياللى زينك فاق الشمس والقمر والبرق افلحجاب * صلت بحروف اعجاب
عالجنى بوصالك يالريهم حجوبا

وجمال طاهرته يفوق جمال حور الجنان :
صولى اعلى الريام ابدىك الغرا الزاهرا * ما تشبه ليك الطاهرا
حر يا تسبى امن اجنان الحور
أما زينبه قيدر غير محبوب وشمس النهار السعيد :
يا بدر ما غطاك احجاب * فالدجى يا شمس النهار السعيد يا زنوبا
شايق انشوفك يا زينب

وحبيبة ابن سيمان تاج كل جمال ومؤدبة :
لوفات احالات * جادت لى حبيبا
حبيبا تاج كل زين * اصيغت لهباب
حبيبا فوصافها امادبا

ولابن سليمان خديجة هي قمرية البروج وياقوتة فى تاج وريم :
يا قمرية لسروج * أياقوتة فى تاج
يا لريم خديجا * زورينى يالخط الدروج (I)
امولاتى خدوج

وخديجة المدغرى - زعيم شعراء الغزل بلا مدافع - لها بهاء وهاج،
وهي كنز ربحه وشمس ضحى مشرقة :

اسباب كيتى واهجرتى واكرايحي او تهايجى * ذات لبها الوهاج

(I) الدروج : الغزال .

سلطانت الريام اغرائى بوسالفين خدوج

شمسك واضحا * شارقا فى وسط الضحى

واقرب اصحى

ايوب يا كنز ارباحى * طببك نفحنا

وفاطمته راية الكفاح وياقوت الروح :

نصرو رابت لكفاح * بوجنات الوصاحا

والشاما والخال والشعر والغنح الدبح * طامو ياقوت الروح

وزهرته قد الخيرانة جميله الاسم وراية النصر وتاج العوارم :

دام الله ابها امحاسن ازهيرو * قد الخزان زيت لاسم زهرا

وعشومته سلطان كل حسن :

نصرو اسباب غيوني (I) * سلطان كل حسن

شاما اهشيمتى هشوم من عرها اعليا

وحليمته ذات دلال :

اناس كلها باش اكواونا سباب اعدامى

كى اكويته من عند بودلال احليم

وزيبه ذهب التذهيب وسلطان المواهد

انا زكت فيك اذهب التذهيب * اسطانت الولعات رنوبا

وفروحه همام الخودات :

ياسباب الصمد ولكلاح (2) * ياكمال نزهو ولفراح

يا همام الخودات (3) افروح

وفارحه عصن مائس ومهر شرود :

قولوا لصيفت اللوامح * ياغصن ايميس فالدواح

يامهر اشروود ابلطاح

رفدى يالا الطامح (4) * بالى سمالك فارحا

(I) الفيوان غير محدد المفهوم ، ويعتدل الفواية والغنى .

(2) الكلاح : الضنا .

(3) الخودات : الجميلات

(4) الطايح : الواقع ، من طاح اذا وقع على الارض ، ورفده انهضه وامامه.

أما كائنونه فمريفي لسماته وياقوتة في سلسلة من ذهب معروف
لعيار وشمس نسي* اماكنه لم يسطع عنثرة بلوغها بشجاعته وسلاحه :
في كثنوم نرفي ستمى *

كثنوم كنها ياقوت في سلسلة امن اذهب تشجارو معلوم
كثنوم شمس اضوات فرسامي *

كثنوم ما ادركها عبسي فضخامتو شجيع اسحاق (١) مقبوم
وللرجراجي « حبيبة » هي مزاج الخاطر وبشت الابكار والبدر
الساطع وبهليل العز والنصر وناج الحمال والمجاسن :
نصر الله بهاك يامراح الخاطر * يا توكت لبدر * ياباشت لبكار
اتهليل العز ونصر * ناج الزين والمجاسن حبيبا
وللشيخ الشاوي راضية هي مصباح دجاء وصياء عيني ، وهي مالكة
له بهائها المكتمل :

نصرو المالكني مصباح ادجاي * مولاتي لغزال راضيا
مكملت بها اضيا عينا

ولمولاي على البعدادي خدوج هي روح راحة مهجته :
زاديني ياروح راحت امهاجي * بهواك ساكني هاج
ام اسوالف ازناجا (2) * تستاهل النصر مولاتي خدوج
وللشيخ علال الكحيلي رهرة هي باشت الموارم والريام :
اباشت لعوارم خناري * امعاك شرع الله اعل كحل يازهرا
مغروم بك لا اتجفني * اباشت الريام ازهور
وللفقيه العميري زهور هي تاج بنات الهوى :
هل تعطف بالرضى اسبغت لنجال * مولاتي سلطانت الريام
تاج ابنت لهوا ارهرو

ولعبد السلام الجربي محبوبة هي قمر الدارة .
وجيب لي نمدار * لا تلوموني في حال لغرام
اناسي ما بيا * غير قمر الدارة

(١) يعلم على المغاربة قلب لام السلاح نونا .

(2) سوالف ازهاجة اي سوداء .

أما مبارك السنوسى فله رهرة تفوقت عن عدة وجازية وكل الإبتكار :
سليت عقلى زهر * ابلبها وامحسن الكمول حازت اسرارو
بشمايل لبها فاقت عل لبكار * فافت عن عبلا او جازيا وامحسن نيكور
وملكة الغرابلى راية الممكة ومالكة ومى حماية الملك
أرايت لملكنا يامولاتى الملكا * نك العبد او كـل ما املك
نصرو ملكا احمايت المـث
وفطومة المكى الصويرى نـاح الريام ومصباح الموانع وراحة الروح
وزهو الانظار :

نصرو تاج الريام لغزال نظام * عانس (I) الفرح زهو انيامى (2)
مصباح الوالعات راحت روحى فطوما
وفاطمة عبد الهادى العامرى راية الهمام وزينة الريام و «بودواح» (3)
انا فى عار قامتك يا رايت لهمام فاللظام * لوجيب (4) زينت لرسام
رفقى بى اوحى واعطف يابودواح فاطما
وتكاد تشبهها طامو ابن عمر الكفيف :
مدرا (5) اتزور رسمى بوسالف طامو * مولاتى لغزال فاطما
بودواح اروامك الزهزما (6)
وفصية مولى احمد بن عبد السلام العلوى هلال انجمال المكنمل :
روفى ياضى انجالى * ياهلال الزين الكمول
دات لجمال افضيلا

(I) العانس البكر الجميلة ، وهي من الكلمات التى استعملت فى معاني غير معروفة بها فى الفصحى حيث تطبق العانس على المرأة التى طال بها المكث فى بيت اهلها دون ان تتزوج فخرجت من عداد الإبتكار .
(2) النيام : العيون .
(3) البدواح . انخرصة أو الخلق .
(4) لعلها الشمس من وحيث الشمس وجوبا اذا غابت او لعلها من وجب القلب وجيبا اذا اضطرب وما نطنها تصغير وجبة بمعنى الصدفة الحسنة .
(5) مدرا كلمة لنتسى لعل اصلها : من درى او من يدري او من يدريك .
(6) الزهزما : الغزال ، والروامك : العيون ، وأصلها من رمق اذا نظر .

ومارية الفوس مشموم الورد والزهر وسلطان الباهيات :

نصر الله ابهاك يا هلال الدار * ياريت النصر يا سابغ لشفار

يا مشموم الورد والزهر * سلطان الباهيات ولفي مريا

ولعبد الهادي بناني «زهور» هي تاج العوانس .

كولوا لدواحت لزهار * تاج لعوانس ازهور

رفقي ابعاشقك ونعمي بالزورا عل لوكار

وله «فاطمة» هي الغزال ومشموم البنات وجميلة الاسم ومصباح الجمال:

ايا مشموم لبنات لغزال زينت لاسم * جد اعلى المغمروم

يا مصباح الزين فاطما

وبشيء من التفصيل ، ولكن في أوصاف عامة ، تناول شعراء الزجل

جمال محبوباتهم على حد ما يعرض لنا الجيلالي اميرد في «خدوج» ، فهي

بديعة الجمال رقيقة الملامح ، وهي فاضلة وعاطفة ، ذات حسن جميل ساطع ،

ليست لها مثيلة في بنات جيلها ، يوافقها خيلها وتوافقها في طاعة متبادلة :

خدوج ابديعت لجمال * خدوج ارقيفت لحروف

خدوج امتسارت لفضال * خدوج انهايت لمطوف

خدوج ماتها امثيل * فبنات اليوم ابلجميع

اخيللا رايمما اخليل * طاعا وخليها امطيع

ومثل هذا يقوله ابن سليمان عن خدوجته التي لا يعرف لجمالها شبيها

في أي زمان ومكان :

زينك ما هو فعلوج (I) * ولا هو فمدون او لفلاجي (2)

فاللي امضي او ماجي * ما شاهدوا اغناجي (3)

لو صبت ملتقاها بعد التهيج

(I) الصلوح : الاعجام ، والكلمة واردة في الفصحى بصيغة علوج
واعلاج جميعا لمع بكسر العين وتسكين اللام .

(2) الفلاجي : البوادي

(3) الاغناج : العيون ، والكلمة واردة في الفصحى غنجا بتسكين
النون وضمها .

وعند المدغرى أن جمال زينته معروف فى الشرق والغرب ، يشهد لها به
البدر والكواكب بل أن ضوء البدر تعجب له فاحتجب :

زينب زينها فالشرق أقالغرب * شاهد لها بدر الدجى واكواكب
زينتك فله ضى بدير تعجب * حتى ادخل امن اغشاء فاحجاب
وتفنن المدغرى فى وصف زهرة فاعثرها زهوا لذاته ومصباح العائنات ،
حازت البهاء والثبات ، وظهرت شمسا تتجلى بحسنها وتفوق بجمالها عيلة
وحناثة ، وفيه بزعى بها مزاج حبيبها ، تصول وقد اجتمعت فيها ثلاث خصال
هى الحياء والطبقة والظرف ، ثم انها تنتسب لاجرار أهل الجود ، فلا غرو أن
يراهما تاج وائتات الحضر ومصباح البساتين وقره عينه وزهرة الورد والرياحين ،
وسلواه وعاية ما ينتزه فيه أوو النظر الفاهمون :

زهوا زهوا لذات * مصباح الخودات
زهرا عن لبنات * حازت لبها واثباتا
زهرا شمس انبات (I) * بالحسن انجلت
زهرا من عادات * زين عملا واخذنا
زهرا من وفات * واخلاكى زهيات
زهرا بالصلوات * حازت بوصاف اثلاث

لحيا والطيب امع الطرافا من نسب اجرار هل الجود الكبرا
زهرا تاج اعوانس لحضـر * مصباح لغراسات قوت عينا
زهرا زهر الورد ، والزهر ، يسوان اغايت لمنازه لهل النظرا
وقريب من هذا ما وصف به الحاج ادريس بن على لحنش ياسميته ،
فهى باقوتة مريمة يتضاءل أمامها الجوهر والذهب والفضة ، علا شأنها على
جميع بنات جنسها وغدت شمس لضحى تستحى من خيالها وتغيب :
انت اجواهرك مكنونا وامعلقا اثنيــــن

وانت ياقوتة والياقوت اقليل فى امثالك
ولجوهـر الصافى والذهب واللجين

قدام صورتك تتلاشى وايناطرو اقبالـك
(I) انبات : ظهرت ، من نبا الشيء نبوة ونباوة اذا برز وارتفع عن
الارض .

أنت الذي اعلا شأنك على لبنات كامبين

الشمس فالضحى تستجيبا والتقيب امن اخیالك
وعنده كذلك حبيبة هي هيفاء ناعمة ، فازت بانهمة والسر واطيبة
والذكاء والظرف والجمال الحقيقي والوفاء والهيبة ، يشيب ارقيتها شباب
أهل الغرام ، وفصمه معها أغرب من كل الغرائب ، لو حكها للجبال لاندكت:
هفا اوناكما حازت هما اوسر اوطيبا

والميز والظرافة والزين الى على ترتيبو
سبحان امن نشاها واكرمها ابدوقروالهيبا
وشعدو بهاها شعان هل لغرام ايشميبو

اغربتي امعها عدات اجميع كل اغريب
لوجيب يا عدولي نحكيها المحبال ايريبو
ويخاطب عائشة بان بهاءها غير موجود عند سلطان لافى المغرب ولا فى
الصين ، وبأن جمالها عربى وأحلاقتها حصرية ، وان أى جمال او خلق غير ذلك
ليس بشئ .

ابهاك الا هو عند سلطان ولا افغربنا ولا هو فانصين (I)

يزها قننى بجمال صورتك سبحان امن انشا
والزين الى ما كان زمن عربى وإخلاك امديت خضر ماهوشى
أما بنعيسى الدراز ففاطمته نسبت ياقونه محصنة لا يدرك بقيمة فقط،
ولكن مقامها عال رفعة رب السماء ، وهى ليست متفوقة بجمالها على جميع
الافاننات ليس غير ، وانما هى تفرص عنهن الحكم والطاعة فيخدمنها ويقبلن
افدامها . ولكنها رغم الصولة تمتاز باللطف والذكاء والعهم ، بكفى حبيبها أن
ينظر اليها ليحس العود والنخوة والاكرام ، ثم انها تسبى العمول
بكياستها وحسن منصفها . واذا كانت تشغل الاذهان وبحير الالباب ، فانها
تسلى عند المنادمة وتفرج الكروب :

اياقوتا امحصنا ما تدراك ابقما * عوفوع فممام

علاه ربى رافع السما

(I) الصين كدبة عن اقصى مكان ، أما الغرب فالمقصود به المغرب .

لك جميع الريام طاعوا بأفهر اخديما * واتقبل لقدام

واعني سدير نعياد حاكما

والصول والملاطف واعيفا (I) واهيما * من شئت لمنيما

فزت بالشخو والمكارما

تسبي لعقول اهلكياس والهاظ احكيما * كندهي لفيما

واتسلي فوقات لمسادما

وينظر الدراز الى زهرة انها ذخيره وراحة خاطره ومصباح بصره

وينبوع كل خير ، تحير الكسر بوجودها الذي يشهد لها به الكهول

والصفار ، وهي عنصر صاف اذا سقطت روضا انبت واتمر .

ياراحت لخواطر * يا مصباح لبصار

انت اذخيرتي أينبع الخير * يا جبرث من كان اكسير

يدار الجود عالج اضراري * جودك كتحققو كهل واصفار

با عنصر الصفا من تسقى روضو اسخار (2)

ونا ابقيت روضي يطفح بزهار * بعد زهرو ينعم بشمار

وغالبا ما تكون مثل هذه الاوصاف العامة تمهيدا لرسم صورة المحبوبة

مفصلة الاجزاء مكتملة الابعاد ، لم يترك الشاعر جزءا واحدا من جسدها

لم يطل النظر اليه ، مبتدئا بشعرها الفاحم وعينيها الفاترين ، ومنتها

الى ساقها الذهبى الممتلىء وخلقائه ، متنبعا ما بين ذلك لم يترك ملحا

الا توقف عنده ليمعن في وصفه وتشبيهه .

وقد برز المدغرى في تقديم وحيات رائعة كهذه التى رسم لطامو

وهنية حيث يبدو الميسم عقدا من الحوهر تصونه المشماء الحمر ، والقنود

برائلة ممة وبسرة تسدير شمسيم فى هيويه ، واشعر مطعرا ومسدلا

نفوح نسمااته الذكية وقد لسع فيه الياقوت الرفيع ، والفره لامعة كالبرق

أو الهلال او اشريا والنجم ، والحاحين غوسين تحرمى وب فى سطر

(I) العيافة : قوة الادراك .

(2) اسحر السح ، ومعنى ثوبهم « لئه سحر » فى السوء « المومنين »
« الحاح فى عمل من الاعمال .

وقد مالا على عيون ساحرة ذباجة كالسيوف تغطيها اهداب عالية الريش ،
والخد في حمرة طبيعية غير مصطنعة بالمساحيق كالوردة يحرسها خال
في لون الغلام ، والانف كزهر السوسان ، والذراعان كسيوف يجمدهما
عنثرة يوم الوطيس ، والرقبة تذكر بظلي العياضي النافر الحذر ، والصدر
تطعة من الرخام لصافي برزت فيه تفاحتان ، والبطن يأخذ قلب العاشق
في طياته ، والسرة ككاس سالت عنه الخمر ، والافخاذ أعمدة من ذهب
في قصور العمالقة واللخيين ومن يفخر بهم من الاقوام ، تعلقوا قبة تفوق
قباب السعدين ، والسيقان حمراء كلون الجمر شبيهة بقطعة من البلور
أشعلت فيها شسعة كبيرة ، يسقى من لونها كما سقى ابن الصلوح
دون خمر :

والمسسم حوهر فالشفر * عفو مصمون فالشفوف العكريا (1)
واسبابي يوم انطرت لقدود اتميل اتساعف التسميم ايمين وايسار
واسوالف واظفاير الشعر * والياقوت الرفيع بنسوم اذكيا
والقرا واجبين لاح فوق الوهر ابرق اهلال والتريا والغرار (2)
والحجين نونين فاسطر * عطفو عطفوا اعلى السيوف المسقيا
والشفر لدباح بالصوارم واهداب مريشيين فوق الفجج السحار
والخد العكري ابلا اعكر * والحال اغلام فوق وردا محضيا (3)
والمعطس سوسان نيل ركوبوا بسسطان عكرو من ذهب التشحار
والضعدين (4) السيوف تشكر * عند بن عبس في انهار المشيا
والركبا عراض في اقيافى مايا من حى ما يروم الفاشى حدار (5)
وانوابخ تفاح فائصدر * والصدر ازخامتو اصفاه امر مريا

-
- (1) العكريه حمراء ، ويطلق العكار على مسحوق الوجه وقدم الشفاء .
(2) الغرار نجم لامع ،
(3) محصية ي محروسة وفعلها : احضا ولعل اصنبا في الفصحى
حطى حطرة عند فلان اذا اصبحت له مكانة عنده .
(4) الضعد : العصد (مقلوبه) .
(5) الحدار : الغزال ، ومثله امراص ، اما الفاشى فهو الغريب ولعن
أصله في الفصحى غشبه غشيانا بكسر الغين اذا جاءه .

والبلطن الطوى اعلى لطوى يطوى قلب لمشقى طى الالو تحكار
والسرا بالكاس تنعمر * والكاس اجرات فى اطرافو حيا
وافخذ اسوارى امن الذهب فمنازه لعمالق او خضم اقوم التفخار
صانوها فى قست النصر * ولا توجد فى اقبوب السمعديا
والساق اسقانى اكم اسقى قيس ابن اموح من دون اعقار
ساق احمر من واضح الحمر * تحكى بلار فيه شمعاً رطليا (I)
ومثل هذه اللوحة يرسمها الحاج ادريس بن على لحشر حميته
لا يضيف اليها الا بعض اللمسات كتشبيبه القد بفصن الآس وتصويره
ضائر الشعر ملقاة على الاكتاف تفوح نسمات طيبها كانها تفوح من روض
السوسان ، ووصفه العيون بفتور لا يفتقر معه تعذيب العشاق ،
وتنوينه الخد بلسون العصاة المصقولة بالذهب ، وتشبيبه
الانف بمصفور صغير ، والرقبة بالكافور وعنق اعزال ، وضافته الشنب
الى لشفر والخصاب المنقوش الى الكفوف ، واعتباره وجود النعاح على الصدر
فى كل المواسم حكمة عجيبة بالغة .

فدك خوران فى روض ناعم اخصيل *
ولا عصص من الجاس من السسم اعطيمو
واضمابر الشعر عل لكاف اهوات فى تطيب *
نحكيه فى ارباض السوسان ايلوح فى ترجبو
، انظرت حاجبين اوشهدت اشعاه فى تهذب *
واعيون فائرا ما يفتنر لعشيفها تعديبو
واخدود لون قلب الفض لمشلل ابتهديب *
وحد ححت سبف البحص لى هدى تهديبو
غنچور كطوير يرانى مشروح فى تركيب (2) *
وانقر فيه جوهر منطوم امزين تشنببو

(I) يقال شمعة رطلية او شمع الرطل للشموع الكسرة ، ولعل
الصيغة مأخوذة من الرطل الذى يعنى فى الفصحى الما الذى يوزن به
وكانهم كنوا به عن ثقلها .

(2) التركيب : الترقب ، ويلاحظ ان القاف فى غمر اسعد

ركبا اشقيفت الكافور فالتجراذ واستلهيب *

اتقول عراض امشوش خايف امن اطلبيو

درعين صافيا وامعاصم واكقوف في تخضيب *

مكتوب فيه جدول له اجمع لعقول اينيهو

وارخامت الصدر فيها حكم بالغ واعجب *

طول لعصول تنظر عينك تماحهما واتمسيبو

وهكذا تكاد تكون الصورة واحدة عند كل لشعراء لا يختلفون فليلا

الا في تتبع اجزائها وتلوينها على حد ما نجد عند محمد بن عمر الكفيف

لذى لم ينس ان يرسم الاصابع كالافلام ، ويشبه المهود بتفاح على قدر قبضة

اليد ، والبطل بقماش صاف مرقوم ، والسيفان بسلك الشابل (I) الا انها

لم تمس الماء :

اصباح كنهم قلوب

وانهود كتفافح لئكمشا راموا

ابطن امن اقمار صافى مرقوم

وافخذ كاشوابل فالما لا عاموا

ومن لطيف تقديم اوصاف الحبيبة ما لجأ اليه النهامى المدغرى من

عكس التشبيه وجعل الاشياء التي اعتاد الشعراء ان يشبهوا بها لحيده

ملاصح المرأة ، تسعى في خصام ومافسة في التمشي بهذه الملاصح والتشبيه

بها واعتبارها رباطا جميلا يصلها بالمرأة . ولم نجد شاعرا غير المدغرى

جأ الى هذه الطريقة المعكوسة في وصف المرأة ، بل لم نجد به فيها غير

فصيحة واحدة هي التي يقول في حريتها :

بين الورد والزهر والجلال وبظلم والحداد

وارحام تفاح افوس والمنابر خرجوا اعلى عاسى الكدار

مدغرى يصف جيمه مسمكة كنطق المصريين في الامن للجيم ، وجرت

العادة كدبه كف بثلاث عصف ، اما يرني فدلعلها من رنا في العصفى بمعنى

أطال النظر .

(I) الشابل نوع من من سمك الانهر كبير لحجم ، لا يظهر في غير فصل

الشتاء ، ويعبر من احسن الانواع واغلاها .

قصدت هذه الاشياء الشاعر لتثبت الشبه الذى يربطها بحبيبته
فادعى الورد انه شبيه بخدها ، وادعى الزهر ان شذاه قريب من نسيم
تغريها الباسم ، وادعى الجدار ان لونه ككون شعاعها ووجنتها ، وادعى
الطبيب ان لونه من لون شعرها وضاؤها التى تعدت القدر :

وادعى الورد قال الحد شقيفى اشفق

وادعا الزهر قال الشعر الميسوم

من اشذاه السيمو ميسوم

جاوب الحلال المفهوم

قال بقيوم

شفا بريق مختوم

لوني ولونها واحد

والوجنا اشمىقتو بنمارا

شامتو اعينه ايمارا

والظليم ادعا قال اشعر والضفاير

من لوني لاق اعلى القار

وتدخل كوكب الزهرة والبدر المشرق والقوس والمنائر فادعوا
قرابتهم مع غرة حبيبته وجبينها والحواجب والعيون ، وكذلك المسك
ادعى اخوته لخالها العنبرى الطيب :

واكدك نجمت الزهرا والبدر الشريق

القوس والمنائر قالوا عرا

ولجبين احاجب بتر

ولعيون اجعاب النعرا

على العذرا

فقلوب هل الهجرا

والمسك فى اجياب الملوك ادعا انجالها بجهدرا

طيبت شامت المسرارا

قالت ذلك العنبر هي اختو أو ساقو
عن خيتو قنات لكجار

وادعت الغزالة شبه جبدتها وزعم التفاح الشبه بنهدتها وزعم الموبور(1)
شبه اديمه ولونه بصدرها وساقها ، وكذلك ادعى صارى السفينه شبهه
بمدها :

وادوات قالت الحدارا دون النطيق
الجيد والصدر وكذلك التفاح
والموبور شعل لرجاح
قسل يفصاح
قالوا جميع ياصاح
يهود فالصدر اساق مغيون جهازا
حمسين على لختيارا
ريت حتى صارى قرصان بانظواهر
فى قدو وفدها احبار

ولم يعجب الحبيبة ان تتسابق هذه الاشياء الى جمالها متخاصمة
ومتنافسة فشكتها الى الشاعر متهمة اياها بالزور والبهتان السافرين :

وادوات قالت صفا اذا الحبر اللبيق
هاذوا اتخاصموا عن حسنى بجميع
كلها طمع ابلا تطبيع
من بها خدى حسن ارفيع
دايم سطيع
فحمى اطمع ايريع
ادعوا ابلفجور
او قالوا من صورتى اداوا ايمارا
شوف لامت القرقرارا

(1) القماش الذى يطلق عليه فى مصر القطيفة .

واش شبهوا في زيني زورهم طاهر
لامت لبهوب ابلجهار

وأخذ يبحث القضية ويقارن فوجد قدها ناعم والصاري عودا
يابسا ، ووجد ريش الظليم قصيرا وضوء القمر والنجم يتسوارى ولا يدوم ،
وكذلك ضوء المنائر ، ما جيبها والغرة فنورهاما يسطع في كل وقت
حين .

ركبت في ابهاها وابهاهم نظري
واجبرت قدها ناعم والصاري
يابس اعلى عود باري
شمت ريش الظليم اصحاري
ابعيد شاري
فاسواق لمشاري
ريش افصير
ونظرت الكسرا
اموضحا امع الفرا
بور زينهم اتواري
ولجبن اغرتها فاقت لمناير
يسطع بالليل والنهار

ونظر الى الحواجب والعيون فوجد رمبها أقوى واشد مما ترمى به
الاقواس والرماح والسيوف حين تكون في يد الابطال الشجعان ، وكذلك
نظر الى سون خدها فوجد في لون الورده :

وانظرت حاجب العذرا والحظ الرشيق
اجبرنهم يخجل منهم حمري
امن الرما فالوكدا عذري
بالرماح اسيف اسقطري
ابسم يسري
شدو شجيع دهمري

ماكيف دكت العين اجوايها على لعشيق ابارا

بالنشاشب البتارا

سدم للوجنا والورد ضل حدير

فى خد اهمامت لبكار

ونظر الى المسك والخمر - مهما تكن صافية فى البلور - فوجدهما من

سلع التجار ، اما خالها وشفاها وريقها ففاقت كل تجارة :

زكيت بالنظر فالمسك اخمر الرحيق

مهما يكون صافى وسط البلار

صبتهم سلعا للتجار

. . .

الخال والشفاف اريق عانسى المسرارا

فايتين كل اتجارا

آش جاب البلار أمسك والعواطر

لوصاف اسبيغت الشفار

ونظر الى الصدر والهد ولساق فوجدها اصفى من الذهب والفضة ،

ووجد الرحام صخرأ أصم والمفاح فى الشجر عرضة للعب الاطفال ،

والمويز سلعة عند باعة الحرار ، أما البطن فمميز فاق كل حرير مشهور :

مكنت فالصدر وانهد ابشوف لحديق

اوساق صبتهم زهوا للتنظرا

صفا من العسجد والنقرا

والرخام اجبرأو صخرأ

اصميم حجرا

نفاح فوق شجرا

به الطفال تنعب ومويز فى احوانت الحرارا

بين لامت السمسارا

والبطن فى حسن طيو رفيع ناير

يفتب حرير مشتهار

ولم يلبث الشاعر بعد هذا البحث المأرور في المزامير المقدمة له (I)
أن دعا كل أصحابها واتهمهم بالزور والمهجم على حبيبته ، وأخبرهم أنهم
ليسوا غير جوار لها يحق عليهم أن يخلعوا وبكفروا عما صدر عنهم ،
ونهاجم عن الخصم إذ يكفه أنه يسمع مثل تلك المزامير عند الشعراء :

وانطقت قمت بهم سمعوا قولي احقيق

نتهاوا كلكم اجميع احشمو

يا صحاب الزور اندموا

لاش عن بوتيت اتهجموا

اكنشتموا

ولوا لا تخاصموا

يكفا الى نسمع من امثلكم كيفها بشطارا

بين لامت الشعرا

اك لها حسن التقويم سر ظاهر

وانتم تحبها اجوار

وقد يتعرج شاعر كعبد القادر العلوي من تتبع كل اطراف الجسم
ويكنى بالتشبيب العف الكريم ، يصف فيه بعض الملامح الطاهرة لا
يعداها ، وفي نطاق المعروف من الاوصاف والتشبيهات ، يقول مثلا في
البتول وقد شبه قدها براية او شجر كبير
امثيل قامت شي رايا قدها العالى *

او ابلنسزا احكيت فالروض المكحول (2)

زلعننى (3) بشفار امضى من لعوالى *

والحجين لعطاف واشفر المصقول

طال عشمى واهوى فى ابها اغزالى *

ذات الحسن لبهيج والزين المكحول

(I) يلاحظ ان المدغرى - يستمع الادعاءات بدقة وغنبت عليه سجيته
فادفع فى الوصف والمقارنة غير مننزم بها .

(2) المكحول من كدال فى البربرية بمعنى البستان الكبير .

(3) زلع : لسع .

ومن اللطيف ان نجد المحبوبة تطلب من حبيبها ان يصفها على حد
ما طلب «المزيان» من العلمى الذى رد بأنه لا يحصر لاوصافه :
ليا قال المزيان * وصف هذا الحسن يالى تهوانى
قلت يا ذابيل لشفار * توصافك لا يحصر
واكتفى فى الوصف ببعض الملامح الطاهرة على عادته فبدأ بقوله :
ته بجمالك عل لقمار * الشمس اتغمر
الى تشوف زينك * لبدر من جبينك
والبان غار منك

وختم مؤكدا على ضرورة سترها عما ذلك :
والغير ما اتجيبو هدرا (1) ولا عليه تبين
ويواجه العلمى نفس الطلب من مزيان آخر :
نال المزيان اتصيف لى زينى *
امدح امحاسنى كيف ايمدحو ناس لغرام ابدور لحسان
...

ولكنه يحب بنفس رد وعصيف ان الهلال ونجوم امين شاهدة
بأنه جميل :
شيحد (2) اوصافك يالدهينى *
لهلال قلت والنجوم الديجور شهدوا بين انت مزيان
ومثل هذا بجه حتى عند بعض الشعراء الذين لا يتخرجون من
الكشف عن المرأة ، امثال الحاج ادريس لحنش الذى تطلب منه عائشة
ان يصف جمالها فيصبر لها عن عجزه .
قالت لى بوسالفين وصف زينى يا عاشق لمحاسن وانما شى (3)
قلت لها مانقرو انصيف ذاك الزين اعيشا
اعيشا ما نقدر اعلوزان * انصف ذاك لبها وابديع الزين

(1) الهدرا : الكلام

(2) شيحد اصلها أى شيء يحد .

(3) الانماش النقطة تكون فى الوجه ، وهى فى الفصحى النمش بفتح
النون والميم .

* ما شاعر كالقنوس فتطلب منه مارية ان يصفها فيفعل :

لكن يا عاشق ليها وصفى فمناهج اللغا وامواهب لشعار

قلت لها يا طلعت نهدر أمر ثعمال فيك روى مسبيبا

وكذلك تطلب رشيدة فيلبي طبها :

قالت يا عاشق ليها وصف زنى افطرز لشهاد

ومن براعة بعض الشعراء انهم لا يعرضون اوصاف حبيباتهم في

أسلوب مباشر فقط ، وانما يقدمونها لنا كذلك من خلال مقارنة بين حالهم

وحالهن ، وقد تكون هذه المقابلة بسيطة على حد ما نرى عند بوعمرى في

« زهرة » حين يقارن بين قلبه المشتعل وقلبه المرتاح ، بين لونه الاصفر

الذابل ولونها الباهى الحميل ، بين نومه الطائر من عينيه وبين نومها

المغمض لعينين شبيهين بعيني مهرة :

مال قلبي يرمى بشرار * شاعلا في قبور جمر

مال قبلك ما جاب اخبار * واش ما وصلتك هدرا

مال لوى باهت مصفار * امن اضرار اعذب الهجرا

مال بونك باعى مسرار * يالى ما مثلك كمرا (I)

مال نومي من عيني طار * امن لنهيها والزفرا

مال نومك نيم لشفار * يشفار اعيون المهرا

وقد تبلغ المقابلة غاية الحبك والاتقان كما عند المدغرى الذى يقدم

لنا فى حوار رائع يتبادل فيه الشكوى مع حبيبته ، ومن خلال مقارنة بين

حال كل منهما ، وصفا له «راحة» على لسانها حيث جعلها تصف نفسها

فى ردها على شكواه . فاذا شكنا جمر نار قلبه ذكرت له جمر حدودها ،

واذا شكنا سواد الدين وطوله ذكرت له شعرها الاسود الطويل ، واذا

شكنا سيوف الهوى ذكرت له سيوف عينيها ، واذا شكنا فلائد دموعه الهطالة،

ذكرت له فلائد جيدها ، واذا شكنا هموم صدره الظاهرة ذكرت له التفاح

الفانى فى صدرها ، واذا شكنا نحوله ذكرت نحول خصرها ، واذا شكنا ثقل

حمده ذكرت له ثقل وركها ، وإذا شكا غرقه في بحر حبلها ذكرت له
سيقانها السابحة كسمك الشابل ، وإذا شكا فيود هواه ، ذكرت له
خلخال رجلها المصباح :

امنن اشكيت اجماري قالت لبدر حتى جمرى لاح
فسوق اخدودي لحلاح (1) * زدد تلحساحي
نار قسك واخدودي ما تزول لحلاحا
الى شكيت اكمال المين الطوين قالت زين اندواح
حتى نادون امزاح * ليلت اشساحي
من اشعور السالف اكحل اطويل فجباحا
الى شكيت سيوف اهوايا نغول حبي نا عل لكفاح
عندي سمين اوقاح * غنايت اسلاحى
فوق خدى تدمى بهدايا الجراحا
الى شكيت اقلايد وادموع هاطل بالدمع انكفاح (2)
قالت راحت لروح * صيغ توضحى
شوف حتى نا فاللب اقلايدو امراحا
الى اشكيت اغدايد صدرى الناتك ووفوفى لحلاح
قالت نهدي تفاح * لاح وضساحى
واقف امبند (3) شف اغدايدو الطفاحا
الى شكيت انغولى تشكى انغول ذاك الحصر افدوشاح
واتقبل يارجاح * تيه ومزاحى
دابداك اولا صايب امن اقيومها راحا
الى شكيت اتغال احمولى انغول وركى هاق ابترجاح
عمر لقميص او فاح * افهست اطراحى
خلاكت اوركى من ثقل الحمول مضاحا

(1) لحلاح : ملتهب .

(2) الكفاح : السائل المنهمر ، ومنه كفح الماء اذا اهرقه .

(3) امبند : بارز ، ولعل أصله في المصحى من البند بمعنى العلم .

الى اشكيت اغروقى فبحور حبها قالت لى يا صاح
عندى شابل صباح * فالبجر ضاحى
دايم احشاك أساكى فالبجوج صباحا
الى شكيت اقيود هوايا اتقول اسمع الحلحالى صاح
كيف اكيودك صباح * قال يالاحى
اسوا لكبودك واسوايا هالنفام صباحا

ومثل هذا بجده عبد عبد الرحمن بن الفقيه المراكشى الذى يبدأ
شكواه لخديجة بقوله :

اشكيت لها من طول اشكايتى الابدور افداجى

قالت انظر شعرى كحل اطويل وابدور اسريجا
واذا كان جسم المرأة فى القصائد التى تصف الجمال يبدو مجردا
عن اى تزيين مضاف ، فان الشاعر الشعبى فى القصائد التى اطلق عليها
اسم «الحجام» والتى وصف فيها حفلات الوشم ، ذب عن جسم المحبوبة
بألوان من الصور والرسوم تمثل حيوانات واسلحة وابطالا وبساتين
وخياما وهوادج وغيرها مما يوحى بالتعبير عما يكن من عواطف الحب
وما يحس من آلام بفراق وما يتمنى من سعادة اللقاء ، وكأنه يرمز بوشم
هذه الاشياء الى مختلف حالات الحب والمحبوب ، فالغزلان لمهجر والنفور،
والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ، والاغراس والورود للحظات
الوصال ، وهكذا تبدو مخيلة الشاعر ذهبت بعيدا فى تأمل أحوال المحب
المختلفة .

فهذا ابن عى لعرانى يخاطب الحجام ويضرب منه أن يختار للبياض
الوشم المناسب ، وان يرسم بين حواجبها خمسة الكف لترد نظرات
الحاسدين ، وعلى خدها خالا كاللون المصل بنقطه ، وفى صدرها وحوشا
عظيمة وخيولا ملجمة واغراس لاشجار الفواكه وطيورا متزمنة وبسطا
وقصورا من الخزف تكون أبوابها من الرخام تفرش بأرائك الحرير
والزرائى واسرة النوم ، تضىء ذلك كله شموع يخسف الهلال لضوئها :
شوف اللباض اوباسب اوشامو *

بين لحواجب اعمل خمسا تلقى الا ايبارك فيها وايشوف

شوف الورد الوجنت فكمامو *

وفخدها يعمل خال اوشاما نون متصل بالنقط معروف

. . .

فصدرها دير (I) اوحوش يعظامو *

لرخاخ ولقيال وعنقات وما اعمر الخدوات ولطروف

. . .

فصدرها دير اخيول قيامو

لولا اللجانات ايطيروا لكن كلها بحامو ملقوف

. . .

فصدرها دير اغراس تنعامو

لوزات بين شى جورات وحوخات والنكاص ابنسحات ايروف

دير التفاح ايفوح بنسامو

ولمزح وصفرجل متضلل بينهم ضل الا هو مسقوف

فصدرها دير اطيبار ترنامو

دير العصفور افصيح لكلام

دير البوح الى باح بكتامو

فصدرها دير ابساط لمرامو *

من لبديع ابني افصور امن الرخام رامت له ادفوف (2)

دير افراشات احريير فرسامو

الحواف والزرايى دير اخوامى امعروجا واتسارح واقطوف (3)

دير النمسيات (4) لنامو

ديما اقليل نوم العاشق من حرما القاه امنامو مخطوف

دير اشماغ للداج واطلامو

اشمعت ايلا قابلها لهلال امن اضيها يضحى مخسوف

I) دير امر دار اى عمل .

2) الدفوف والدميف ج : دفة وهى الباب .

3) الحوف ج لحاف وهى متكآت محشوة بالصوف تعتبر أساس أثاث البيت المغربى ، اما الخوامى فجميع خامية وهى الستارة ، واما التسارح فما يسرح فوق الحوف ويطلق عليها .

4) الناموسيات : الاسرة .

ومثل هذا نَحْنُ عنده الشيخ محمد بن موسى في حجامه السدي
يقول فيه :

أحجام لغزال وفي لوحه للا الطام * قصدها نيل لوشام

وعمل بين النهود عرص واركها غايت التركيم

ويوصي ابن علي حجام محبوبته بأن يعنى بالآلة وأدواته من منديل

مرفوف وطاس مذهب ومشارطه أحد من السيوف مصنوعة في أغشية رومية

ومشارط ليجفف

معوث يا حجام فتعوه *

لنناس انوصفو فالملبات البالغين من لبلاغ موصوف

منديلك من القماش تركامو *

الزردحان ما يشبه ليه او بهم من كل امثال اصنوف

طاسك حتى سوام ما سامو *

من خالص الذهب يا حجام اولا ايخلصوه (1) اعداك ابمصروف

وامشارط بالخزانات ببقاهو *

وامنبتين بنفات الاكيفو انفات واغري من كل اسنوف

واغشاهم رومي صان فرواهو *

واحفاف لبحر منزولا تحساب من البحر الى مكهوف

دادى يوصي الحجام ان يكون منتبها حتى لا يؤلم الحبيبة :

يا حجام وشم للزين * كن عايق فايق فالحين

رطب يدك لا تفصح اغزلى (2) بودواح

أما المدغري فيفضب لعدم حضور العمدة وعدم استشارة الحجام

له فيما رسم ويدعوه للقاضي ولكن تتدخل المجبوبة وتطلب منه ان

يسامحه :

وجابك يا حجام لغزالي *

ليه باش من موجب اجرحت الباهيا طامو بوخلخال

(1) ايخلص مضارع خلس الشيء اذا دفع ثمنه .

(2) قصح : ألم .

لو كان كنت حاضر ما تمنع لي *
كيف تجرح زهوت نجلى * يالحجامة وتفلت لي

. . .

هدى اكزاييت الى مثلك يدعى افلمسايل من غير اشوار *
اجى بلا خفا لمقاضى مداعين
قالت الخنار اسمح لو ...
وارضيت الحجامة بريال من بعد ما اسمحت افجفى ههما اسمعت وغبست
دابل لشيفار

ومثل قصائد الحجامة قصائد الفصادة ، وهى التى تصور الحفلات
التى كانت تقام لأخراج الدم حيث تحضر الحسان مثرسات على حد ما
يقول امثيرد :

آش را (I) من لا احضر امع اوجوه لريام *
يوم حطو فثياب العز الفصادا
ريت ذاك الدم الوردى ابشوف لنيام *

زنجفور افيلار اصفا من لعقادا
ويحاول ان يقارن بين جرح الحبيبة وقد فصدت ، والجراح التى
أحسها الحجامة فى قلبه وهو يفصد :
اجرح الحجامة وانجرح من غير اجراح *
عدت حراحهم فالقنب اجراحو
هما تجراحهم اعطل ادماء ساح *
اهو فالضمير دكات ارماحو
اما المدغرى فيحس الحجامة ترعد يده لرؤية ذراع الحبيبة ويفقد
وعيه لجمالها :

امنين شاف الدرعين اترعد ايدو غاب من زينت الخدادا

لمعلم عاد فشددا * ما قدر عنهم يتعدا

به فاقوا لعوانس وتنهذوا

(I) آش را أصلها ي شىء رأى ويقصد بها الاستفهام الانكارى .

له قالت وحدا وحدا * مهل اعلى ديك الخودا

لا اتشوف العينين اللي ايحكنو

ومثل هذه المناسبات تكون فى أيام الربيع ، وتقام فى البساتين ، وتستعد لها الحسان يبرزن فى البمل الحلى وافجر اشياى ، يقول فضول
المرئسى :

اواه يامنين اتجمعوا لريام * فى ازمان الموار (1) وانواو انقادا

بسبوا من الديام (2) انواع الحجان * فى ارياض امجمل مزيان
كيف راحوا ما بين اعصان

جاروا اريام اشجائل الظرافا وحروف الزين *

كل اغزال تقطف فالنوار ايسار ويمين

ثانيا : المحب

يعانى الشاعر من حب هذا الجمال الوانا من الآلام والاضرار لا تنقطع
منها شكواه . وقد سبق ن رأينا عند بوعمرى والمدغرى وعبد الرحمن بن
العقبة مقارنات بين حال المحب والمحبوب كشفت عن استقام الاول وأوصاف
الثانى ، ونريد ان نضيف اليها مقابلات أخرى محصورة فى نطاق معاناة
المحب وعدم مبالاة المحبوبة على حد ما نجد عند المدغرى فى مقارنة بين
سبلوها وهنائها فى مراکش واغترابه وانشغال باله ، بين انطلاقتها فى سرور
دائم والتهابه على الحجر حزينا باكيا سجييا مريضلا لا يجد طبيبا يعالجه ،
بين نومها الطيب الهادى وسهره الدائم فى رعى لنجوم ، بين فوته اللذيد
وفوته المر ، بين زهوها فى صحة ونشاط ، ووهن عطية ومزاجه :

نت امسليا فاليهجا ونا غريب لوطانى * مفروق عمن ابغاني

انت مهنى ونا بك حوارحى تشطو (3)

انت اعلى اسرورك ونا فوق الهيب مكوانى * نصلى ابدمعت اعينانى

انت معافى وباقلبي فى اكياد (4) سجمو

(1) ازمان النوار كناية عن فصل الربيع .

(2) الديام الشياى واصليا فى المصحى الاديم .

(3) اتشطنو احوارحو فهى مسطونة اى مشغولة ومهمومة .

(4) اكياد قبود .

انت اعلى الزهو والفرجا ونا مريض لكناني * ولا اطيب دوائى
 انت ازيان حالك ونا حالى ازداد حزنو
 انت افطيب نومك ونا نرعى انحوم ديجانى * مارام نوم لجفانى
 انت امسكنا ونابك ادواحلى التمسكنو
 انت البداد قوتك وناقوتى امرار بمحانى * حتى اشفاو عديانى
 انت امخترا ونا عظمى ولخلالك وهنسو
 ومثل هذا يخاطب به طامو .

مال جسمى ساهر طول البهيم * مال جفنىك فسروور امقيما
 مال خمدى سقط ورقو اسقيم * مال خدك ففراح انعيما
 مال حالى ناحل فانى اهميم * مال حالك سراه ديما
 مال كبدي من محرك حالجيم * مال كبك كاسى ياريمما
 وذا تركنا مثل هذه المعارفات - وسنعود الى نوع آخر منها بعد قليل -
 نانا نجد الشعراء عيروا مباشرة عما يقاسون من احوال الحب ، فابن سليمان
 يشكو السهر والفنق وناز خدوج وسلطانها لذى سل عليه الحسام
 فاحس بالعالج يشله :

نارك فالقلب التروج
 واخيالى ما يخفاك عن امهاجى
 سهران طول داجى
 واعيت (1) مانراجى
 اهواك صاك لى سلطان احريج
 زادنى فالخاطر تهجيج
 سال احسامو للتوديع
 سرت مفلوج من زينها المفلوح (2)
 والشاوى يشكو بدوره من خدوج ان طرفها رماه بسهم سام ، ويطلب
 الناس ان يكلموها لتعالجه :

(1) اعيت اي اعيانى .
 (2) مفلوج الاولى من المثالج والاعية من فديج الاسنان .

جمرى من لهوا مسروج (I) * والحب يأنعدو لى ارمى لى وسط لمهاج

حربا مسموما حر سنها وداج

...

قولوا اللا خدوح * روفى اعلى العشيق المجروح من لفناج

ابقى مسكين اينوح ما ظفر بعلاج

والملكى الصويرى هجم عليه سلطان حب فطومة بطفيان وأبطال زعماء

سرکه حيل ييکى دائه السمعة وحاله المذموم :

سلطان الحب صماك ببطل ازعام * ما قصد دونى راد اللطام

وناحالى انحيل ذاتى معدوما

والحب اطفى واتركنى يافوهام * كانفرد عن طول ايام

لا حالا اتشابه الحالى حالا مدموما

والحب كما عند امتيرد فى «بحر الهوى» اصم وابكم واعمى ، نحبل

مقيم لا دواء لدائه ، يختلط عليه الليل والنهار ويضيق به الفضاء الواسع :

مولاه اخريس اللسان واعمى من بصر الماحو *

زيزون اطرش ما بدو اسمع (2)

تراه افدوقات افقه ادجاه بمن اصبرحو *

ترابه ايضيق لوسع

ماحل ساقم ساخف (3) لعضا من تمكين اجراحو "

ما رامو فالدوايا اربع (4)

وهو كما يصوره عبد السلام الحربى فى «قمر الدارة» فى محنة دائمة

(I) مسروج . مشتعل .

(2) هذا تكرار من الشاعر لان الزيزون هو الاخرس وقد ذكره ، اما الاطرش وهو الضعيف لسمع ، فهو كذلك فى الفصحى اذ الاطرش يفتحون الصمم بفيل .

(3) ساخف اى مرتجى وهشى عليه .

(4) اربع تحوير لربيع اقتضته القافية ، والمقصود به العشب (الدواء) .

نحيل فان نواح ، دموعه منهمة كالسواقى ونيران قلبه هائجة منتهبة ،
عليل لا يجد علاجاً لجسمه المهك ، وقد بدا غير قادر على تحمل الحب او
على مواساة نفسه بغير البكاء ، بل انه لم يجد طبيباً لدائه العضال :

. . .

ونانحيل فانسى

غير نرتى وادموع العين حايقا (I)

من فوق الوجنات ساجف

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا اوجدت الداياراقى

اعجز طبى والجسم صار امهيبى

. . .

ونامالى مكدار مل لهوا يانسى

ولا اعرفت انواسى

بلبك احرحت احسسى

لا اطبيب ابرى كنتى امخالفا

. . .

ويشبه العلمى حاله المتقلب فى « المزبان » بسفينة تتقاذفها الامواج

ركائنها طائر مكسور بجناح :

مثل امع لغرام اسفين ما من موج

موجا تلوحها موجا ترفدها

ولا اقدر راسها يرصدها

غاديا فالبحر وحدها

اعلى جهدها

مثل العير الى احناحو واتى

ولا اشفق من تمراتى (2)

(I) حايقة : نارية . (2) انصراب : المحمة والعذاب .

اما المدعى فيشبه نفسه فى «البترول» بقمرى سكران فارق طير
جنسه ، واسير قيده نصرانى لا يمل من الجفاء ، وطفل مظم قس الاوان
بفوق نواحه نواح جميع الاطفال :

نحكى قمرى اعلى اسطاحو سكران ايظل حالت الى مضمول
فارق طير اعده ما نزل
ولا شى ميسور فى اكبالو واحل والى اميسرو ليس ايطول
نصرانى فجفاء ما ايميل
ولا صبي اصغر قبل احليبو مفظوم عن انهود معزول
ننواحي ما نوحو اطفال

لهذا فان هواه عنيف لو حكاك للحجر لتكلم ودعا له بالشفاء وعذر
حاله وقدر قصته التى فاقت كل قصة ، او للغراب لشباب واصفر لونه
وحررت مدامعه وبكت عليه أمة الطير ، او لجبل رضوى لاغى عليه وذاب
وغدا بحرا حائج الامواح :

لو عدت اهوايا اعلى الحجر يتكلم وايقول لى الله ايشافسى لضرار
حالك من حال الى اينعذر * عدات اقسينك اعلى كل اقصيا
لو عدت اهوايا اعلى الغراب ايشيب اتبكي اعلى امشبو لامت لطيار
ويولى فى حالتو صفر * برقان الصامعو من الوجد اسخيا
لو عدت اهوايا على جبل رضوى يستخف ويضحى ايدوب ابصحت لخبار
ويولى بشكايتى ابحر * موجو طوفان ما تسلكو بحريا
ويعتبر بهذا حاله كقيس ويدعو الناس الى رؤية صورة ابن الملوح
محسمة فيه .

هذا هو قيس يالى ما شافو اجدى اتشوف قيس ابعينك ما صار
قيس اعبر فى ساير الدهر * ونا بعد اقاتنى لهواويا
ومن لطيف الشكوى ما قدم عبد الرحمن القرى المراكشى متالما من
النيه والضنا والشفف والهيام حيث اعتبرها ملوكا للعشق استغلت غياب
حبيبته « زهرة » لتستفر سهاما فى قلبه بعد أن قسمته بالقرعة ديارا

ومنازل ، حيث نصبت الخيام ودقت الطبول وصوتت الرعود فسالت
جفونه مدرارا :

ملوك العشيق اتمكوا ففقدى جسموه اقرار

عاد انزل التيه والضنا والشغف الهيام كلها الزم اقرار

عن لسهام ابرعت الصبايا قسموه اديار

نصبو لخيام ازامت الطبول اذكمت ارجود هل جفى مدرار

وعظم الامر عليه وسعى الى الطيب فأشار عليه بعلاج وحيد هو

وصال المحبوبة ، وارسل لها فرقت لحاله وحضرت ، فرفع اليها دعوى

ضد هذه السهام انها جارت عليه وتكتلت ضده :

لك ادعيت التيهان والضنا والشغف الهيام لبلهوا عنى جارو

تحموا على افغبتك يا زهرت لزهار

ولكن السهام حاولت الدفاع عن نفسها فردت لتكشف عن حالها ،

وهى فى الواقع تتحدث بلسان حال المحب اذ جعلها تنطق بما يحس

وتعبر عما يكن . تقدم السهم الاول فشكا شر سلطان التيه يعظم حين

تغيب ، ورجاهان تسكن لواعجه وتفك اسره وتعالجه بعطفها من الاسقام:

وابغيتك يازهراتشاعدى سلطان التيهان حين يعظم بشرار

وقت ما غبت كيزيد بعد الدعات اشجار

...

وابغيتك يازهراتسكنى رعدى واتفكى اجوارحى من تيسارو (١)

واتدوني ابدت لعطف تنج من لضرار

فاجابته زهرة بان التائه فى حسنها ينبغى أن يساعد ويلين ، والا

يعتبر نفسه متعب الفكر ، وبان طالب العطف والوصال ناج ، وان من شكا

لغالب ظهر حقه ، وان العاشق الذى لا يبحث عن دوائه ليس جديرا

بالعشيق :

وادوات ازهور قالت الذى تاه ابحسنى لا يهن فلتعجب افكارو

يسمف غرض التيهان كان لاموا حالو يعادار

(١) التيسار : الاسر ، وفعله يسر

من طلب العطف انجا او من اشكا لغالب حقو ايبان واضح تشهارو
من لا يبحث مدواه ما يلسو فالعشيق افخدر
وتقدم السهم الثاني يشكو في كدر وحسرة ما اصابه من الضنا بعنه
أن انقضت لحظات اسرور والسرور ، ويأمل ان تعجل له بعلاج ناجع
ينقطع به السهر ومراقبة الطبف وتكف به الدموع المتهاطلة كالامطار تسقى
افحوان الخدود :

زاد السهم الثاني افخسرا * شاكي امن الضنا متكدر تكدير
قال ازهرا بعد لمبارا * واسوايع الزهو وليت افخسبر
راشف من خموا اضاك غمرا * نغى اتبادرى لى بعلاج اجدر
وابغيتك يازهرا اتهملى عن صور الدمع لغريير هدمع بمطار
غرس الكحوان اعلى الحدود واسقاه امن المدرار
وابغيتك يازهرا اتنولى عطفك لى فاندج امراقب عراو
هاجر لهجوع الطيف صورتك متشخص لبصار
فاجابته زهرة بان من واجه ضنا القدر والشعر الاسود وسهم العيون
وغرة الجبين الساطع فان تقبيل الخد يواقفه علاجا يريح أعضائه ويزيل
كدره :

قاتت زهرا من صدف الضنا بين القدر اتمت ليل غاسق تفكارو
واسهم العين اغرت الجبين الساطع بنسوار
تقبيل الخد وافقوا ايلا عظم اضماء طردوا من اصميم اسيارو
اصيب السراج فى اعضاء يرتاح من الشكار
وتقدم السهم الثالث شاكيا نار الشغاف التى تذيب جسمه شر اذابة،
ثم لا يلبث بعد احراقه ان يجد الثلج يحيط به والزهرير ، ويطلب منها أن
تعالجه باطفاء جمره وتبريد جسمه :

واسهم الثالث دون فترا * زاد اشكا امن الشغف ابقول اجهير
قال ازهرا بارو الزافرا * بها ايدوب جسمى تدواب اشيرير
بعد ايولى فالنار قاترا * يبقى الثلج حايط به وزمهرير
وابغيتك يا زهرا اتعالجى من ولى مثل حديد مهلى فجمارو
والثلج احذاه (I) ايلا القى من الشغف تبرد اجمارو
(I) احذاه بجانبه ولعل اصلها فى الفصحى هذا حذوه .

فاجابته زهرة بان من طفى عليه الشدغ واسره وجعه يشكو
الاضرار لا بد واجد علاجه فى حمر اشغر :
فالت لوجيبا امن اطفا عليه الشدغ اجعلوا يسير واشكا بضرار
لا بد اعلاجو ما يكون فمصالى من لشغار
وتقدم السهم الرابع فى النهاية مرجاها ان تؤمنه حتى لا يفتك به
الهيام عقابا له بعد ان شكاه ، وهو غير قادر على مواجهته :
وابعينك يازهر انامنى خوفى من فتكو امين المشيبي اسرارو
لا ايعقبنى بعبد السكون ونسا مالى مكدار
وكان جوابها ان امرت بنصرة الشاكين :
وادوات المحبوبا او امرت اسهام الشكيا ابود لعطف ينصارو
كل سهم انظرتو ابعين لعطف سرا واجهار
وكانت النتيجة ان امر امير العطف ملوك العشق وانتصر على ارباب
أهل الجور ، فلم يعد للتيه والضنا والسقم والهيام اى وجود وزال عن القلب
هيه وكدره :
جاوا ارباب هل الجور عند زهرا طلبوها افلمكار يبقى تكدارو
فى قلبى حارهم مبر لعطف بوفى لىزار
ملوك العشق اضحاوا يسرا * فسنس لعطف يسرهم امزارو
ما باوى المتيه سرا * وكذلك الضنا متصجل اثارو
والشدغ اجودو افكسرا * جند لهيام كاشف لعطف عيارو
...
زلت عن قلبى اكسرا (٢) * فبساطسطنى اضخام فى تسوارو
ولم يكتف شاعر الشعبى فى التعبير عن حاله بمقارنته بحال
محبوبته او عرضه فى نوع من الشكوى وانما لجأ الى لون طريف من
المقابلة جمعه يدخل فى حوار رائع مع بعض الاشياء الاليفة لديه على حد
ما نجد عند امثيرد فى « الشععة » التى يقول فى حريتها ، مستفسرا عن
سبب نواحيها :

(٢) الكسرا : غمة .

لله يا شمعها كرى واعلاش د التواح والناس افلفراح
وانت اجواهر ادموع ابكاك اللا اطيلا
وعلى حد ما نحد كذلك عند محمد بن الوليد فى سمعته مستفسرا عن
نفس السبب :

واعلاش يا شمعها تبكى مالك * عدلى واشيرو اسباب ابكاك
ونقف قليلا عند شمعة ابن على العمرانى التى يقول فى حريتها :
لله يا شمعها سلتك ردى فى اسؤالى * واشمبك (I) قاللىالى تبكى مادالك اشعيل
فهو يطلب منها أن تخبره بحقيقة أمرها مؤكدا لها أن أمره أعظم وخطر :
ليا دون اخفا اشكى ابما فدخالك واحكى قصتك نصغى لك
وناقصتى بها نتمداك

وقبل أن يتركها ترد على سؤاله يفترض أنها تبكى من نار أو سقم أو
فراق ، ويقارن بينه وبينها مبينا أن نار قلبه فافت كل نار فى جسمه العليل ،
وأنه ورث سقمه من قيس بعد أن أفناه سقم حب ليلي ، وأنه مفروق عن حبيبته
صابر على الفراق . ويتساءل عن سر حالها ما دامت لم تفارق خبيلا أو خلية:
إذا باكيا من نارك نيران فى ادخالى

عدات كل نار افذاتى واجوارحى اعليلا
ويذا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى
من قيس وارثو بعد افناه اسقام حب ليلي
ويذا باكيا بهراقك مفروق عن اوصالى

واعلى لفراق صابر شيصبرنى اعلى لعقيل
ونت امنين جاك احكى لى اللوى والتالى

ما فارقا اخليل ابحالى ما فارقا اخليل
وتجيبه بأنها كانت فى الاصل رحلة تصول فى مملكتها محجة لا تخرج
الا فى أيام اربيع لقطف الزهور ، ولكنها هوجم فى عمر دارها ، واخذت
للمعصرة حيث صميت ليتخذ شهداء قوتا ودواء ، وليلف شمعها على فتيل
ويوصع على حسكة (2) ويشعل ليلقى عليها فطرائه ودموعه . ولكن الشاعر

(I) واشمبك : أصلها أى شيء بك . (2) الحسكة : الشمعدان

يصبرها بها ان فارقت ممكنتها وبنات جنسها فهي في صحبة قوم آخرين
فواصل ، حيث تسهر مع أهل المال والعشاق وفي مجالس العلم وبيوت الله .
وتصطر الشمعة في الأخير الى الاعتراف بان ما تقاسيه من نار لمس غير عشر
ما يحسه ، وأن قصبتها ليست سوى احدى قصص عشقه وهواه :

صبرنى يا حبر اللفا بشعارك ليا ايخبروا بخبارك

يدريه امن ايكون اسوايا واسواك

بارى نحكيتها كم لعشور المارك واسرارى اتجى لسرارك

قصا امن اقصىص عشقك واهواك

وكما توجه المحب الى الشمعة فكذلك توجه الى الحمام ليئنه شكواه
مما قاسى من الجفاء ومن هجر المحبوبة لرسمه بعد أن نصبت لها الشباك ،
كما نصبت لابنى الحمام . ويسأل الرسم فلا يحيب فيسكب دمه لان كل
حبيب يزوره محبوبة الا هو والحمام فانهما لا ينعمان بهذه الزيارة . يقول ابن
سليمان مخاطبا حمامه بهذا الكلام :

قرب نحكى لك يا حمام اعلى ما قاسيت بالجفا

كيف اجرى لك هكذا اجرى لى يعتاد الطير ما يروم الغرو خواف

نصبو ليه الشبكات عديانى كانت فيه حالفا

ونابهم كنت ما نبالى مايحصل عندهم لولا صادفوه اصداق

طيرى ما هو طماع غير بوعد الغلاب ما اعفا

خلى رسمى يا حمام كيف اخلات الننا ارسامك بعد الثولاف

سولت المرسوم لا اخبار اعطانى والدمع ساكفا

بالثغراء ايقسم الديالى غير انا يا حمام وت هي ذا التشغاف

راكل احبيب ايجيه محبوبيو ويزورو عن لوفنا

واييات امراحا اسليم سالى فاش ايجيه الرقيب لودار الفشواف

وقريب من هذا ما نجده عند ابن على الذى وجد المرسوم خاليا من

المحبوبة فقال :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك خالى مهجور

سكانك جابونى انزورهم ليه وايمن ساروا

واعطنى لخبار

ومثله الكندوز الذى يقول فى مرسمة :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك حاجب لبدور

حجبهم عنى او شوقهم زاد القبسى نازو

مكوانى صبار

واذا كان ابن سليمان قد قابل بين حانه وحال الحمام فان ابن على أدخل

الم رسم فى المقاربة فجعل يبكى على الشمعة يقول :

انا والمرسم يا حمام ثالثنا فالز هو انت

الم رسم يبكى اعلى الشمعاوانت تبكى اعلى النناونا عن لغزال

فقد ألف المرسم الشمعة وطنها لا تضيغ يطر الى ضوئها كلما حضر

المحبوب ، وألف الحمام أنشاه كما ألف المحب حبيبته فى رسم لا يطاه أحده

فمر هذه المجموعة الاليفة وغير العدر المحتوم ، والعراق الذى شئت شملها

وتركها فى حال يبكى له الجهاد كما بكى لسرورها الاعداء والعذال :

والفت المرسم يا حمام الشمع تحساب نابتيا

وقت ما تارك لغزال اصياها شعال

ونت تشنم كيف تشنم لعقول المحدث

والفت انتاتك كيف والفت انا لجمال

فى رسم اعظم ما اوطاوا اوصانو خيل لعت اعتا (I)

غيرانا وانت والنتا والشمع ولغزال

والوعد امحكم ولغراق اللى غيرنا امثالنا

كيفى كيفك يا حمام كيف لمرسم فالجمال

لنايبكى الصم ونقصا وانبيكو اللى صامتا

كيف ابكاوا اعلى اسرورنا لعدا والعذال

ومع كل ما يعانى المحب من آلام ، فهو لا يتردد فى تقديم الطاعة عبدا

مملوكا لمحبوبته عساها أن تكون راضية عنه . فامتيرد يرى الطاعة أمرا واجبا

فى الغرام فيخاطب فاطمة بمثل هذا القول :

(I) خيل لعتا اعتا : لعل المقصود بها العاتية

طاعتك لازم عسى واجبا افلغرام

وابن على يتساءل عما اذا كانت ستقبله زينب مملوكا لها يلزم الباب :

يا ترى تقبلنى مملوك لازم الباب

والمدغرى يعلق بحرم فاطمة ويرجو ألا ترفضه خادما وعبدًا على الطاعة:

راوك افحرمك قبيلنى "الخديم الال طيما" اعبيد اعلى الطاعة يا طيما

وهو يشهد الناس أنه غلام أم كلثوم دون ما بيع أو شراء لا يرى

فى ذلك أى لوم :

شهدوا باين وديت فختامى " أنا غلام كلثوم دون البيع والشرا مافيهاشى لوم

وهو فى "العشيق ديمنا ينقلب" مملوك يخدم ركاب سيده يسير أمامه

ان ركب عارفا بشروط الركب وآدابه :

"مملوك سرت نخدّم من تحت "اركابو" سابق كندامو "ايلا" اركنب

حافظ لضميرى اشروط الركبا

والعلمي يتمنى لو ان المزيان يبادلّه نفس الحب حتى تتساوى العواطف

ويرتاح من الجفاء مقابل مضاعفة الطاعة والخدمة دون ما تقصير :

لو كان اكما نبغيك تبغينى تنقاد (1) لمحبا تسخر للتجانيين سر الصديق الامان

انتيا من لجفا انهينى * وتا انزيم فالخدم والطاعة اولا انشاهد منى نقصان

والمزيان بدوره يوصى محبه أن يصبر على جفاء كاسبه وسلطانه وأن

يتخضع ويركع بين يديه ويتأدب بجمال صورته فى همة وشان ، وهو بعد

هذا لا يريد مالا أو غنى وانما الطاعة ، وهى فى مكانه :

تصبر لجفاى ايلا اعسفينى *

عشاق لبها مكسوب المسيح البتور ولبها سلطان

واخضع بين ايدي واهدينى * بنديق (2) اكبالتى واتادب لجمال صورتى بالهما واشان

وأمتاع "لدينا ليس يغوينى * لكن طاعتى تملكها يا عاشق لبها بالخير والحسان

والعلمى فى "بوكت لهلان" مملوك لا يخرج عن طاعة سيده ويستشير

لاوامره ونواهيته ، ويرى ان الغلام لايد أن يطيع مولا كما يشاء ويرضى :

مملوك مايلى عن باب الطاعة اخروج

(1) تنقاد . يصحح لها قد و حد أى تتساوى

(2) بنديق : طاطا وركع للسلطان

رضى المن يكسبني ابهاه
نستبشر عن أرونهاه
ولغلام ايطيع المولاه كيف يرضاه
ومثل هذا يقوله الحاج ادرس لحنش لام الغيث :
مانا الا عبيد قلت لها وانت يا مولاتي ابشايين (I) ترضاي ارضيت
بل هو حين يستغيث بها ويطلب منها أن ترحمه بقبلة قبل فوات الاوان
يؤكد لها أنه عتد موروث :

قولوا الال غيث رنابك كانسغات
روفي اعلى افريد احواك وعتيه
يا للى ببهاك اسبتيه
لاش على الجمار ارميته
احميه ابقبل بالغالب قبل ايفوت الفوت
ياك اتعرفيه * للا اعبيد عندك موروث
ويرى الحاج احمد امر يقق نفسه مكسويا لزنيب بحكم القدر المحكوم
ولكنه راض بما كتب له :

بالحكم الواجب * عبيدها متملك مكسوب
راضى مكتاسبى . شفت العين اجنت كما اكتب
أما العقية العميرى فخدیم لزهيرو صابر على هجرها :
صابر صابر الحبها اشحال ونى مملوكها الغلام
وعاد صابر اعلى اهجيرو

ورغم كل هذا التفانى بظل المحب يعانى من الفراق والهجر والنفور
والغيب الطويلة ويخبر العدى عن فراق محبوبه الذى جفاه وتركه فريدا
بلا عقل ، براوده طيفه وخياله ، فيقول :

كيف ايواسى اللى افرق محبوبو وابقى ابلا اعقل فى لوسام افريد
كيف اجفانى احبيب قلبى
ظل غير صورتو وانعوتو واخيالو

من لاعمرى انظرت زين افليدور ابخالو

ويصور لحظة الوداع وقد ذهل وثقل لسانه وارتخي جسمه وانهمرت
دموعه ولم يقل شيئا لمحجوبه :

ماصبت حين ودعنى ولقى ما تقول

دهوا اجوارحى واثقل السانى

وارتخاوا اعزوق ابدنى

وهطلوا بالدمع اعيانى

ولكن محجوبه حياه وجلس اليه وجعله يستمتع بقربه قبل أن يودعه
وبمنحه قبة الرضى ليتركه مسلوب العقل :

أولا اسباني حتى جاني افلون قاني

واحياني بالسلاسل واجلس واسطبت (I) اكعادو

امين شافنى امسلى نيم شعرو وقال لى ودعتك يا سيدى

قبل بعد لوداع راضى باش املكنتى

اوحاز عقلى وامشى فى حالو

ويستعظم المدغرى فى «الكنوى» يوم الفراق ، وقد تركه احباؤه مكويا
نوح فى حالة تدعو الى الرحمة والاشفاق .

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فى ارسيم اضميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

وهو كالعنى لا تتركه المحبوبة فى «الفراق» دون أن نسلم عليه ، ولكن
يس بقبلة وانما بعناق كاعتناق حرف اللام الف :

لا ايعيد افراف المعشوق يالعشاق بعد ما عنقنى تعناق لام مرشوق

وتطول الغيبة بالعلمى ، فشتد عرامه ويقوى عزمه ويطول كتماناه حتى

كانه مسحور سحره راهب رومى يستحيل أن يحن قلبه فهو أقسى من الحديد،

ويتساءل عن هذا السحر أهو طلسم او تعزيم فى الجدول بخط عجمى :

اشند غرمى وافوى عزمنى

(I) اسطاب : استمتع ، وأصله استطاب

اعبىت نكمتى

كيف الذى داخدا سحور على قلب احواه
والى سحره ارهيب روعى امحال يحن ليه قلبو افسى من لحديد
ما نعرف داسحور طلسم او اعريم ابخط عجمى .
وهو قد اشناق الى جمال محبوبته ولم يعد قادرا على تحمل الفراق رغم
صبره الشبيه بصبر قيس على غرام ليلى وصبر عنبرة على غرام عبلة ، خاصة
وانها لم تبعث له رسولا أو مكتوبا ، مما حيره وجعله يسأل عنها كل من لقيه :

طالت أسيدى هذا الغيبا

واتوحشت ابهاء

اولا قدرت للفراق امعا

...

نصبر اكما اصبر قلب لعشيق النكيب

قيس لغريم فهو ليلي

واشواق عنتر من عبلا

...

لاكتب لارسول اقدم من عند الحبيب

اجميع من الفيت انسالوا

وانقول احببى مالو

ما بان ما طهر بخيالو

وهكذا يبدو الفراق على حد قول المدغرى مزهقا للنفوس مجفقا للريق
مشيبا للشباب موعا لسرور العاشقين بخيول جيشه وأعلامه ونباله المعزقة
اعتكاكة ورماحه المريقة لندماء :

ريت لفراق اوعدى بالنفوس زهاق * افحل اقم ريق اهل الشوق به مسروق

ريت لفراق ايشيب بالصبا ولشواق * كن عاشق فصبا امن الفراق مخروق

ريت لفراق بسرور العاشقين مالاقي * بلخيول افجيشو واعلام ليه موثوق

ريت لفراق أنبل سمهمو اسريع مزق * من اسنون ارماحو دم لعشيق مهروق

فلا عجب والبين بهذا الاثر أن يتخيله ابن سيمان حجابا بينه وبين

حبيبته هي شكل سور رواقى من الحديد عرضه خمسون ميلا ، له باب يسمى

باب الرضى ، لكنه فى الطرف الآخر قد أغلقتة الجبيلة :

سور البين ارواكى امن الحديد عرضو خمسين ميل فوتاكو (1)

هذا انظن به اغزالى تضريك (2)

بابو اسميثو باب الرضى من عندو مفلوك

وعلى عادة الشاعر الشعبى الشغوف بالتنسيبه والمقارنة والرمز فقد
تخيل المحبوب الهاجر طائرا نافرا خصه بقصائد أطلق عليها «الطرشون» ،
وهو اسم لنوع من الطيور . يقول ابن عى العمرانى متحدثا عن طرشونه الذى
غاب وهو يخاف أن يصطاده أعداؤه فيتشفوا فيه وينتقموا منه :

طرشونى من لى فالصيدا ماريت ابخالو لله واش ما شفت لى طير غاب لى
خوفى ايصيده اعداىا ويقطعو احبالو يغدوا فيه ثار المغلوب الا ايقدى
ويقول ابن عى المسفيوى عن طرشونه الذى غدر به وجفاه فانهكه فراقه ،
وهو يطلب من الله أن يجمع به الشمل ويحقق الامة :

طرشونى غاب ياهلى واغدرنى واجفانى وافراكو رشانى

نسعى لكريم به يجمع شملى وامنايا

والمحب لا يعانى من الهجر والنفور فقط ، وانما يعانى كذلك من اللائم .
ونجد المدغرى يعذر لائمه لانه لم يذق من كؤوس شراب الحب ولم يجرب
انهوى وأهواله وكيائه وآلام الفراق والهجران :

لو ذقت يا لايم كيساں اشراىى تعذر من روحى الشاربىا

واتجرب لهوا وحمر اشراىو

واتشوف كيتى وهجرتى واشفانى واجنود الهجرا الشاغبا

وامحاور لهوا او حر اشفاىو

ونجد العلمى مثله يتمس العذر للائمه الذى سلم من الجراح والظعن

واللسع ، فيقول له :

سر أمن لام

ذاتك من لجراح سالما

(1) اى فى وثاقه ، والمقصود الاساس

(2) تضريك : تستر .

ما طعنوك اشغار نايمًا

ما بهضوك انيام

مالسك امن الصدغ شمي ارقيم

ويقول للاثم آخر ينهاء عن اللوم حتى لا يبتلى ، ويؤكد له انه لو ضمن

سلامته من الهوى لما مل من سماع لومه أبدا :

كف للام

دعنى يالايم

حالى بلام بكفاك مشغل

سلم يامن لام لا اتبلا

لو اعرفت لهوى بلامك يتراك

ما تقنط بلام

ما نمل من قولك هيهات ما نتخل

ومن عجيب أن احمد ابجوات استطاع ان يؤثر على اللائم ويجعل قلبه
برق وينذهب رسولا الى فاطمة . فهو بعد أن نهاء عن اللوم وحذره من الوقوع
فى الحب ، طلب منه أن يسأك ويجول ويستفسر عن الباب الذى يمكنه أن
يدخل منه دون خوف . فاذا كان يريد أن ينظر فليتنظر الى حال جسمه العليل
ينبته بالخبر اليقين ، واذا كان شجاعا من الابطال فليقف الى جانبه ليحميه ،
واذا كان حكيما منجما فليسلب له عقل محبوبته مقابل ان يهديه نفسه ،
واذا كان يوالجب فليذهب اليها لينوعها وينهاها كما جاء- يلومه وينهاه حتى
تجود له بالوصال ، وسيقيم له اذ ذاك ليلة زهو- وسرور مقابل ما قسم له من
مساعدة . فلم يثبت اللائم أن اخذ فى البكاء وذهب الى فاطمة يحمل لها رسالة
الحبيب :

ألايم لا تلوم سلم

واعذر ناسى لغرام

ليديك الله اتزطم

بالنعل افلمقام

من لا يورن زلا يحمم

محسوب من لغشام

والناس احوال

والحال امن اهلر ماتحول

نبغيك اتسال

واتستسي (I) بعد ما تسول

وتحول اشحال

وتعرف الباب امناش تدخل

ياك العقل نور من صنعتت العالى

سر به الحكماء حاكما

القلب ايشموف وانظروا للعين السرديا

ويلا كنت اتشوف شوف اخیالى

شوف من حال الدات الساقما

لعل اىخبروك بالكتم فالمسريا

...

ويلا كنت اشجيع من لبطالى

...

أجى فكنافى اوكون لى فالتحزار احميا

ويلا كنت احكيم

فزى اشكال اسرار العاطما

واسلب ليا عقيلها ونالك اهديا

ويلا كنت اعلى للمليح اموالى

سير بعدا لوم اعلى فاطما

وانهيها كيف جيت اتنهينى وارغب فيا

مضر اتجود لى بوصالى

الى اتجسى بالزورا عازما

نفرح بمحبك وانقيم ليلا زهويا

شميت لايمى واسكى من حالى

...

وارجع حتى ادى امعاء ابرا (2) بخط ايدى

(I) تستفسر ، واصمها فى الفصحى تستقصى . (2) البرا : الرسالة .

والشاعر الشعبي لا يكفى بالشكوى مما يعاينه وإنما يحاول أن ينفذ إلى قلب حبيبته والوصول إليها بشتى الوسائل ، يحاول بالرجاء والاستعطاف على حد ما يجد عند العسى الذى يلتمس من محبوبه أن يحن ويشفق ويعفو عنه ويسمه وينهاه وبطلق سراحه ويفدنه ويؤزره ، وهو مستعد لقبول كل الشروط :

قابل اشروطك حن واشفق وعطف لى احوالك زورو ويورك
نهبو وانهد انهيك سرح مسحونك بالجافى وانعم لى ابفكاك
وافدى ميسورك لى حالو محسوب اعليك واعلى مغلوبك جد واصفح
وعلى حد ما يسمعنا الطيب الواسرى الذى ضيع اوقاته (I) وافنى ذاته طمعا
فى رضى المحبوب وتفانيا فى حبه :

ضمنت فيك اوقاتى * واسعدت مثى ورمى
وامسب ما نطمع ذاتى * برصدك يا من اهويت
رفا يا ضيا مقلتى * بـ احبك افنيت
وهو لا يطمع الا فى أن يشدكره ويؤزره
لنا افعارك اسطاني توفي ارياراتى واتمكدنى يا عنايتى
يامن طاعو لست ناقصا لبيت

وابن على المسفيوى كذلك لا يطمع من محبوبه فى غير الزيارة :
باهلال الرين لمحبوب الماحبوب جدلى بقدامك يا ضيا اهدابى
والمدعى يطلب من الله أن يجمع بينه وبين حبيبته فى اعتناق على النهد

.....

مولى لاقى لاقى * افريق لاقى
لاسى لاقى * يعود عافى
اعلى النهد مازين التعتاق

واكتنصور لا يرجو من حميل الخال الا أن يزوره ويصله بعد ان عذبه بتيهه :
ايا سابع لى لى * لى لى لى لى
زر رسمى يازين الخال * كم لى لى لى لى
I لعله يقصد اوقات الصلاة كدبه عن الدين

أما سيني اعرى مول الغربية فهو يزحو من أمير الهوى بعد ان ملك عقله وشوى كبده ان وجود على أخصانه بعيت يروى غرسه ونباته :

يامالك عقل بكلكبادتشمواوا حد بهامطارك لغصاني انبات راوى

وقد ترق المحبوبة وترد ولو باعتدار كما فعلت مريا التى زادها الفلوس نارا بشكواه ، فخافت عليه أن يذوب من كثرة السهر ، ولكنها أكدت له مايعرف من أنها تحت حكم أهله ، وأبهم لا يرضون العار ، وأن المحكوم لا يبد وان يخضع لقدره :

وادوات اغزالي اهلل عيى قالت لى يا عشيق حسنى زدتنى نار
خوفى غير الذوب بالسهر ذات العشاق دايبا بالولفيا

قالت لى يا عاشق لىها تدرينى تحت لىكام واهلى ما ترضى عار
والمحكوم ايصرف لىصدر هذا عبرى احكتلك دون اخفيا
وسألها عن الحل فى هذا الوضع فدعته الى الصبر لما فيه من حكمة خفية ،
فما كان منه الا أن قبل الارض ورجاها الا تحرمه من رؤيتها ، وأخبرها انه
سيلازم الابواب صباحا وعشية :

قلت لى يا رايت لىك كيف المعمول فدىنى يدامى (I) لوكار

قالت لى مضقولت الصبر لصبر اميى فيه حكما سريا

طحت وبست الارض قلت لىها ما عندى ما اقول يا من حزت ثوقار

لا تحرم حنى امن النظر هانا عند لبواب صباحا وعشيا

وقد لا تلتفت المحبوبة قبلجاً الى بعض العناب كما فعل امتيرد وهو امارح
طامو بأن الافاض يستحون من العيب وانها لم تستح ولم تكافىء ولم تكرم
ولم تجاز ولم توف أو تواف ، ويحذرهما بننة الحور ونهاية الظلم ويذكرها بفناء
الدنيا واهلها وبرحمة الله التى تشمل الجميع ويدعوها الى أن تفتنم شبابها
وتزوره قبل فوات الاوان :

والعيب يا بدع الصورا به لفضال تحشم

وانت يا احشمت

ما كافيتى

ما كرمتى

(I) الدامى . العزال

ما حازتني
ما وافقتني
ما أوفيتني
الحورفتنا
واسطلم أباي والضم
بهجر نهج اطميم
والدنيا كيف اتر بها ابهلها راحل وامقيم
عنمي صغرك ربي ارحيم رحمان
وضمعو كثير
وارحمتمو منشوروا لعل اعباد
بها احميع برحامو
زوري احبيب قسك والمولى يالكريم غفار
ومثل هذا يقوله العدمي لمحبه به نطلب منه أن يرحمه بعد ان اهلكه ،
ويبني طلبه لكي يحزنه الله ما دامت نجومه مضئنة وهلاله ساطعا بين الاولاد
قبل أن تحجبه غيوم الزمان وتطفى نوره :
وارحم بعد لهلاك
واطلق مطوبك
ناجر لكريم ايكفيك
ما حد انجومك ضاريا واهلاكك بين لعلاك
من قبل غيومك
ايصف ضو ويخليك
وباعتف من هذه اللهجة بؤنب اميرد فاطمة (I) في عتاب ممزوج بوعط فيأخذ
عبيها أنها تنكرت له بعد عشرة طويله حسنة ويكشف لها عن عبيها وقد تجنى
اثره في سفام جسمه ، ويلفت نظرها الى أن أهل الحياء لا يصدر منهم عيب مهما
طال بهم الحال ، وأن الجميل يساعد نساءه الايام وأن القبيح يصادف
بائع أفعاله :
I يصق لاسياخ على قصيدة فاطمة هذه . «اشرابي فاطمة»
ي ربيها

بعد حسن العشر والكمال طيب لرام زام وعذك واهطل بفراثنو اسكييو
 بان عيبك واغشائي فالجوارح اسقام وناسي لجيا لوطال الحال ما ايعيبو
 لمليح امساعه وامساعده ليمسام ولقيح افعالو وامصايبو اتصيبو
 ولا يكتفى بهذا بل يزيد في وعظها عساها لرق وتين ، ويحاول ان
 يفهمها ان لكل شيء نهاية مهما علا وعظم ، وانها لو كانت قصرا ضحكا على
 الحيطان لانهدمت اسواره ، ويدعوها الى ان تستبقل من سهوها وتيهيها
 وتنظر في حال من سبقوها لتعرف انها منتهية مثلهم :

كان كنت اقصر تعلى او حاز تضخام لو اعلات الحيطان اسوارها ايريبو (1)
 كان اسهبى اتيفظي من حال اسهوك وبلا تهني التمه اتعريك ايامو
 صرى بملاح لمصار ايلي سيقوك اكما فرعووا يهرع سوقك وازحامو
 ويختم تانبه بمصارحتها بانها ن رفعت قدرها صغر ، وان الادب
 يدل على النسب الطيب ، وبان شمسها مهما اشرقت فان الليل لا محالة
 حاجبها ، وبان عمرها مهما طال لا بد وان شب الكبر يصيبها ، وبانها
 مهما حكمت واستبدت في الحكم فان سدة الظلم لا تدوم وصاحب الظلم فان
 ايلا ارفعى قدرك يصفار لاداب ايدل اعلى كمال طيب النسم

واشرقت ولاحت فالجوشمسك اعلام لاغنى ليلين ايمادى خلعها احجيبو
 لو اتميشي ما عاشو فالزمان لهرام لا غنى من كبر باتيك جمد شيبو
 ولو احكمت واتحكمت يفرغ لحكام سماعت انظم اتقوت واسمها ايفيبو
 وهو لا يحاول ان يعذر عن هذا اعتاب وانما يلج عبه تانبها ايا لو
 عقنته ، ويطلب منها ان تتحل عن الصمد ويجمع انسل اليه وان تصون
 عرصها وتكتم عيبها وان تفي بالقول الصادق ، ولا يترك خطابها الا ليؤكد
 بها عتابه وانه سيعود اليه :

حدثك احديث للمعاقل تنبيه تركى صد الجفا اوصولى فوصالى
 نرعت صونيه وعيبك الناقص كشميه ما احلى من فدا اصدق واقول الوافى
 حافيتك ابلعها او ما زال الحافى (2)

(1) ايريب مضارع زاب اى انهدم (2) الحفا : العتب وعبه حافى .

وقد يلجأ المحب في محاولاته إلى إرسال مبعوث يخبر المحبوبة بحاله وبناته بها ، وقد أطلق الشعراء اسم «المرسول» على القصائد التي تحكى ذلك. ومن أروعها مرسول الحاح أحمد الغراني الذي بعثه من مراكش إلى فاس بعد أن أخذ منه العهد أنه سيحضر له محبوبته ، ولكنه عاد بمفرده ولم يحقق الغاية من سفره ، فأسقط في يد المحب وناه عن عقله وانهمرت دموعه ، وسأل المرسول أول ما سأل عن المحبوبة التي وعد بإحضارها ضدا في أعوذ ومقابل مكافأة سخية ، تلك المحبوبة التي اشتاق إلى خيالها وفارق من أحبها أحبابه ووطنه وممرله وعشيرته :

لجبه أرسلت رسول أعلى أو عس يبلغ قصدي أمناه وإيتوك أهلالو
وايسلني بعد لفراك كيف اتسلت الزمان
قاولني مرسولي ايحضررو وامسكت العهد لوثيق واحصرت أمقالو
من ابهجها لمذنت يحضر صفتو (1) عجلان
امشي وارجع بعد حين وانويت جابو كيف قال وفا ففوالو
وانصيب ولي افريد واعلاش امشي ما بان
مهما سلمت اعنيه ضاح عقتي واخرجت على لحوال ودموعي سالوا
اول فكلامى علت له واين دابن لعيان

...

باك امرسولي قلت ما تولى حتى باتى امعك ضد افعدالو
ونسا نسحي ببشباري (2) انهار اتحي بالمزيان
امرسولي واين لحبيب وين (3) الذي اشكت اخيالو
وافرقت احبابي وسوطان ورسمي والعشيران
وما زال يلح على المرسول ان يحبره بحال المحبوبة وسيرتها وهى هى
سالية او مثله مهمومة شاكية ، باكية منكدة ، حتى أباه — بعد ان مهد له بان

(1) صامت وصيغت : ارسل .

(2) الجشارة فى الفصحى التبشير ، وهى هنا المكافاة السى تمنح للمبشسر .

(3) واين بمعنى اين ومثلها وين .

لا غنى عن الصبر لكى يهون الصعب — ان اعداءه حاموا حول محبوبته
وانهم لا شك حرزوها ومنعوها عنه ، ولكنها تشكو افتقاده ناحية حزينة
بالليل والنهار ، فقد استطاع المرسول أن يصل الى دارها ويبلغها كتاب
حبيبها الذى عظم فى عيناها ، فقبلته وقرأته بآثير من التحقيق ودمعها يسيل .
فكان جوابها أنه من المستحيل أن تنسأ ما دام لم يمسه وانها تشفق عليه
من المعن التى لا قبل له بها وان القدر هو الذى فرق بينهما وان لكل قدر
كتابا واجلا وان ايدم الهجر لا محالة مثقلة الى سلو وسرور ، وهى تريد منه
ان يمهله حتى تصادف عملة الحسود او تضلله فتدق به بيفس ساعة زهو
يرثسغان فيها الكؤوس ، وتؤكد له ان ذاتها وبهاء حسنها وصورتها
وجمالها وروحها وكل جوارحها ملك له وانها ان تخلت عنه تكن خائنة :

امرسولى لله فدنى وخبرنى عن سرتو اوحانو واحوالو

سالى ولا كيفى اهميم شاكى باكى نكدان

قال المرسول اعاشق الزين صبر لا غنى والصعب يهوان
محبوبك دارت به اليدين لا ريب حرزه اعينك العديان
لكن من فسدك ناحب احزين نواح فالصيا وعكاب (I) الديجان
محبوبك اوصلت المزيو ككبابك وارفع ملتقاه ابتقبالو

واقراه اوحق اشواهدو اودمصح ابجالو هتسان

قال احبيبي محال بترك من بالى ونا ما اتركنى من بالو

حاشا حتى نرضى انمعنو ما يستهل لمحان

غير ابوعد افرقنا وهكذا قدر مولانا او كل وعد بمجانو

وايدم الهجر لا غنى اتعود اسرور وسلوان

قبو ايمهل عنى حتى اصيب نفعل حسود او متى ينضالو

وانجيو انقم ساعت الزهو برشيف الكيسان

ذاتى وابها حسنى اوصورنى واجمالى وابروح ولعضا مكسوب لو

الى درت ما دمت افحييا يحسبنى خوان

ولكن المحب يرد على المرسول بأنه يخاف ان تطول مدة الهجر حتى

(I) عكاب : اى عقب .

تعد ساعاتها في حسابها يوما واليوم زمانا .

جدوبت ارسولى قلت له خفت ايام الهجر اعلى اخبيرى يطوونو

عنى ساع فى عوض يوم واليوم فى عوض ازمان

كذلك قد يلجأ المحب الى القضاء عساه ينصفه من جور المحبوبة ،

وقد اطلق الشعراء على هذا اللون من القصائد اسم «القاضى» :

وقد ذهب امتيرد الى القاضى ليفصل بينه وبين حبيبته بعد أن غابت

عنه وهجرته وتذكرت له ، وهو من حبيها مروع مسحور ، ويرجوه ان ينظر

فى حاله ويطرد عنه الاكدار :

وهو ياودى جيتك يالقاضى تفرق ابلفصال

الى الحق فيا قبضو منى * مال ونفى تساهت عنى

القاضى بحسن عونى * ما افطى ونفى اتغيب عنى

من حبيها ادهانى * سحر ادهانى

...

هجرتنى ميلافى اخليمتى صالت عل لبدور نكرتنى يا حسرا

شوف من حالى يالفقه طرد اغيارى

وبتوجه القاضى الى المحبوبة يطلب منها أن تحب فتد بان المدعى لا

يسمى لغير نعار ، وانها لم تكثر لأمره لانه قابلها عند باب دارها يوم

كانت خارجة للزيارة ، ونظر اليها وطلب منها أن تصاحبه فى فسحة

مرفقت ، وهو اليوم بدون حياة يتأصبا بعد أن زور فى الشهادة ، وهى

تؤكد أنه مجنون وأنه لم ينصر بعينه الى جمالها ولم يطعم منزله بها ولا

اشتعل شمعها من اجلها ، وما تعنه الا يقصد المزاح :

قالمت اسيدى هذا جا ايحارب العارى * ونا يالقاضى ما جيت اخبار

غير اجبرنى في باب دارنا يوم اخرجت انزور (1) * وارمقى بالنظرا

قال ياديك الهيما ارواح نتسدى * ونا ما ابغيت انتبعو لدار

وادعانى يالفقى ابلا احيا دار اشهود الزور * اشهنسو دا الحكرا (2)

...

(1) المقصود بالزيارة زيارة المعابر واضرحة الاولياء والصالحين .

(2) الحكرة : الاحتقار .

وهو ياسيدي قالت بالقاضي هذا به ليهبال * عمرو ما نظر زنتي بالمأحو
اولا ظفر بي مركاحو (2) * اولاً شعل عني مصباحو
الحب لاحو مهما اضوا امراحو *

عنوا ابغى امراحي * ما هو ساجي
وغضب القاضي لهذا الرد ، ورمى المدعى بالغدر كأنه يريد ايداءه ،
وطلب منه أن يفارقها وأن يترك لمجور ولا يعمه بأي كلام :
دار لعقيه ابغيظ رايد اشراوى
وانطق قال لى ياذك الغدار
فارق عنك مكمولت ليها لا تدعى بمجور
ما نقبر لك هدرا

وحاول أن يعرب عن حقيقة حبه فطلب منه القاضي أن يحضر الشهود ،
ولكنه رد بالأشهود له غير الخليفة وطائر الحسانى وكؤوس المسطار وبعض
انواع الخمر ، ولكن له ما يثبت به دعواه وهو الوشم الذى رسمته بين
يديها ، ويمثل طيوراً احمراراً وليثاً ولبؤة ، وقصوراً ومنازه ، وطلب من
القاضي ان ينظر بعينه حتى يتأكد :

كلت لو ما حضرو حتى اشهود فوكارى
الا اخييتى وكؤوس المسطار (2)
والحسانى والكاس كيطل عكب ان يجور
وانواع من الحمر
وهو ياودى واسمع القاضي وانظر زين سزال زكى املا محسك
فبديع صدرها
فيه دارت ما يعجبها
كما ابقت اعلى خاطرها
تاج لبها
سبحان من اخفيها

١) المركاح : المنزل .

٢) المسطار كما فى الفصحى نوع من الشراب حامض ولعله لم يقصد
به غير الحمر رغم انه ذكرها .

فحروفها نزاها ما تنساها ها ايموتها

نورها صيغ يا قارى

بين النهود نزلت اطيور احراز

واعملت الليث امع البيتو وامنازه واقصوور

وانظر زين العفرا

واراد القاضى أن يتأكد من هذه الامارات فرفضت المدعى عليها لافنة نظره الى أن كشف العورة حرام فى المذهب وان ما يقوله لم يرد فى الكتب :

قالت اغزالي للقاضى اتبين اعوارى

هذا حرام فالمذهب ما يذكر

شين قلت محذوف يافقيه ما حابوه اسطور

واغناظ القاضى ، ولكن المدعى طلب منه أن يحكم بالمشهور ، ونظر القاضى الى وشمها فساء عن عقبه وغدا خصما للعاشق واعتبره ظالما . ولكن المدعى حاول ان يمه ضمير القاضى وان يخوفه الله :
فلت لو خاف امن بمولى واشف لصرار

انا اعشيق كيف اجرى لى نهجار

فعاد للقاضى وعيه وحكم له بان طلب من المحبوبة ان تسامحه وترك هجره .

واذا كان كذلك حكم قاضى امتيرد فان قاضى المدعى حكم له حيث طلب من المدعى عيبها ان تعفو وتصفح ، وخوفها الشعور بنفس الاحساس اذا ما حضرت مجلس الحسان ، وكأنه ارد ان يعرك غيرتها ، وكذلك فعل اذ امر خدامه ان يقودوهما للدار :

قال لفقيه سامح يادلبها الواضح

حوفي اتذوق ما ذاق لى شمت اريام تنمايح فمكاني

قال لفقيه فالحين اخذامو افوام

زيدو ابدوك قدامى للمركاح

ليه سونا من غير اشحاح

والدمع عن خدى سباح
بالسرجاج
ونا انجى ابلفصوح
سرنا اجميع دون اوقيع
لبساط، شارى افثوضيح
شل انصيف بالتصحيح
منخا اعلى ابطاحو
وارنام فنه صاحوا
بنغام رايقا تشرح من قنبو اظلام وافجا هول احزاني
شاف الشروود (I) عند القاضي حر الخيام
وادهاه في ادهانو كيف ادهاني
اتوازن اهوانو واهواني
اوافق هجره هجراني
اوقال هاني
نكويت ليس هاني
والى اكواو بالنيزان
واعذاب ليعت النيهان
ما ضرهم شين كان
امنين شفتو راني
اعطفت عل العاني
عاد لخصام صبح ابطلعت بدر التمام واختمت العنواني
ما قاضي مولاي على البعدادي فيكي من شدة التأثير لجال المحب حتى
أعمى عليه :
لففي ابكي بدموع لنيام
من حر لهو ابهيام
حني اعشى اعليه الجبال وعاب لعشيق عن قصد امرامو
I) الشروود : الغزال .

ولاحد اشيائهم مراكش — لم يهتد الى اسمه — قصيدة فى خصام بين
شابة وزوجها المعجوز رفع أمرهما الى القاضى فمالت نفسه لروحة وحكم
بطلاقها ، ولكن الروح لم تسبح ، الامر ورد له روحته ، وهى عسيده التى
موت فى حربتها

اشهدت يوم عجوز

شباب ظل امع شابا فمعاير واخصام

كان اتسالو يا حاضرين

واذا ما فشلت هذه المحاولات فان المحب يلجأ الى الحيل يسعى بها
لـوصول .

ومن الحيل ان يقصد الفقهاء والمنجمين ويتخذ الحسرو والتمائم
والتعاوين على حد ما فعل الشيخ الجيلالى حين عجز عن الوصول الى طامو ،
فانه لجأ الى طالب من اولئك الذين يسطرون الجداول حاذق المفسفة والحكمة
وعلم التنجيم ، فاخبره بعد أن تعمق فى سر بحور علمه ان حظه من حظ
محبوبته ، وان نجمة ظهر فى برج من ابراج النصر تلوح اضواءه :

ناديب قلت فاجبى كرى يامى ايرى او يعلم

بلى اهويت ساعدنى بانوارو

شوف مالو وش اغيارو

كان يعطى حد اخبارو

الفيت طالب حطاط افلافسى اعرفو مدوب احكيم

شرح معنى فى كل فن قارى علم التنجيم

غرق سرو فبحور سر وعلان

وانطق قال لى محبوبك سعدك امن اسمادو

نحك تاك فقوامو

فى برج امن ابراج النصر يرمى اضياء سيار

وكشف له الفقيه عن سر هجر محبوبه وانها تحشى من الرقيب
لكنها فادمة بعد الصدود ، واعطاء حرزا طيب منه أن يعبقه ويحجبه
ويصونه ، وسوف لا يلبث اثره ان يظهر بمجيء الحبيبة ، مؤكدا ان للاسماء

سرا عظيم :

نفيه قال لي محبوبك بعد الصبوت يقدم
هو أحبيب وانت له أحبيب
لكن يخاف من ارقميو
ها حرز التجليو
علقو تنظر لو برهان
الاسما لها سر اعظيم
حجبو واحضيه اعلى السوام
تنج من كل ارحيم

وسرعان ما طُهر نسجه لحرز وحجب لحبيب بطرق الباب وتم
الوصال .

كذلك لجأ ابن على المسعوى الى مثل هذا النفيه حين غاب عنه
الطرشون وطل يبحث عنه دون جدوى في كل احياء مراكش ، ولكنه لم
ينبت ان سمع هاتفا يناديه ان اذهب الى باب دكالة عند الفسقية عسقفى
حاجتك . واسرع الى المكان في غاية الشوق وانظما وشرب من ماء الفسقية
وزار صريح الولي سيدي لحسن وبام في مقامه ، لكنه لم يحس الا ورجل
يوقطه يبدو عليه من الاعيان ، فقبه لحبيب شيخ منجم ماهر داعية ، فاخذه
المحب الى بيته حيث استحضر النجوم واستفسره عن حاله ، ولم يلبث
ان طهر سره عجيبا اذ سطر جدولا بالهديه وعزم عليه بالسريانية ، وما
ان انتهى منه حتى حضر الحديم (I) فاوصاه ، وعاب ليعود في الحين
وخلقه الطرشون ، فما كان من المحب الا ان دفع بمقابل بان اقام حفلة
في غسق الليل دارت فيها الكؤوس وعزفت الموسيقى :

اسمعت السان حالى جاوبى يائىسمانى * بعد ما ندانى
الحاجاشمور باب دكال فالسقايا
سمرت ابشوقى الشورها او قلبى علمانى * القوس الفوقانى
اشربت والقيمت حاجتى مقصيا فالغاييا
ذرت الولي الشاهر السر افكل اوانى * اشفا ضر احزانى
سيدي بحسن هبى رانى من سولايا

(I) المقصود به الخديم الجنى .

فمقامو نمت ما فقهت اصاح من جائى * يقظنى نوم اجفانى

احسب وامرئت ما كتب امن الحب اقرا

سبح اعليا ارجول ارباب الله اعلى * ظاهر من العيانى

شعر (I) على او قال زبد الدهنيا

افقهه انجيب شيخ ناجم ماهر دهقانى * ضايعت فمكاني

حضر لنجوم سم والقلب امعاء ادوايا

اشكيت اعليه فمضى بعد مائة مائة * ورائى كتمسى

وظهر سرور اعجيب وانعم لى بمدايا

اكتب جدول عمرو بالهند ملائى * عزم بالسمرى

حتى جاء بخبر وصاه بكل وصايا

عاب ولى اسديع فالحين ابلا جنعاى * فخلافو سلطانى

طرشونى عن مرسى تربيت لودايا

واعلى وجب لبشارا ضرب اوائى * فاعسى الدجاسى

فيساط ربيع امحتض والسطة والمايا

وحد اعنى حين تات شجرة محبوبه يقصد الى ضرب المال

وقراءة (2) الخط لبششر بانه سينقاه بعد سبعة يوم :

بعد ان طرحت اشكوا

واضربت سورت الفال

الخط قال لبشارا ليك اوريد

محبوبك تنقاه بعد سبع يوم اترجاه

ومن الحيل ن يتكر المحب فى صفة شخص يعصب الضيافة على حد

ما فعل اميرد فى « سيف الله » حيث طرى باب دار المحبوبة فى الليل

فنهضت من نومها وفتحت له ورحبت به واكرمته على أنه سيف الله ،

ولكنها لم تثبت ن كتمت امره فعاتبته - مداعمة - انه كذب وانه يفضيها من

نومها دون اشعار ، وطبعت منه أن يسألها لتبادل السؤال مستغربة من

امكانه لمحقى عن عيون الاعداء والعواذل الدين وقفوا له بالمرصاد ، ودعته

(I) شير : اشار . (2) يبدو انه فعل ذلك بمسمة .

الى الصفرء وحمر الشفر بعد ن اكد لها انه لا وقت للنوم فى هذه الليلة
الهادئة الصافية التى تعادل ليالى بيا فيها من مسعة ونعيم :

انت هو الصيف ما شفت حالى لكتوب احديا حرام
قالت لى سالنى انيىدك بسؤالى عن بعد سمويى امام
واحتت لى اعينى عدا وانك لى سموت سموت حرام
هات الصفرء وزد غدر فمصالى عنت بها ما بهى امام
ليلا فى ليالها المنعوم اليالى لا ريج ايى لا اغيام
اما احمد بن الحاج فبعد ان قضى ضيفا على محبوبته عشية مكتملة
المتعة ليس لها مثيل نادته لوداع ولم يهبر ركابه حتى لا يشعر اهلهما
بنسيء ، فعد آل وقت الرواح ، والمسافر عابر لا اميل له فى المقام .
وافترقا فى عبرات منسكبة وجذوات مضرومة بعد ان اكدت له انها لن
تنساه مهما طالت الايام :

واغنمنا فرجت لعشيا * مكدول ما لها امثيل
نادت الباهيا اعليا * قالت لوداع يا خليل
حمت اهلى لا اتفيق بيا * هات امركوب للرحيل
هذا وقت الرواح * المسافر رايح * ما ارجى امكام
حافوا عبراتنا اسجام

قلت تبقى ابخير جدوت ضرمت اقلبنا اضريم
قالت حاشا اندورك اقطع واحزم نو طالت ليام

ومن المحيل ان يتنكر المحب فى صفات مختلفة يحاول فى كل منها ان
يكسب ثقة الحراز ، وهو لشخص الذى يحرز محبوبته اى يحسنها ويحول
بينها وبين الآخرين ، ويكون فى الغالب زوجها ، ولكنه يرده ويطرده فى
كل مرة الى أن يتمكن من حده فمدخل بيته ويتصص بمحبوبته فى غفلة منه .
فالشواوى جاءه متنكرا فى هيئة عالم فقيه مؤدب من أحبار الطلبة ،
عارف بعلم النحو لا ينطق بغير لغة معربة فصيحة ، فى يده صحيح
البخارى ، وخطب عليه متفندا فى خطبته بعد أن ستم عييه ، واخبره
انه قصد حماه بكرمه ويحسن ضيافته ، وان لاهل العلم اسارا مرهبة ،
وكل من كرم عالما فكأنه اكرم النبى . وظل يعده بهذا الاسلوب حتى

ظن انه سلب ليه ، اكرم وحده ، منح اليه بعيون منسوبة وسبه ل ان
مكنا العفيه هو انت الله حيث يجدر به ان يقيم حجرا وبهيد الناس
وبنعمهم بعلمه لتكون له مرتبة ومكانة . ما بينه فليس له في دحوله اية
مصسحة ، وطلب منه ان يبتعد دون ما حاجة الى اللجاج والعباب :

جيتو طاب بفعل مدينا

حبر من احبار بطلبا دهرى افعيه قدرى عمم معر

نعم بالعم بالفاط معسوبا

فندى اكتاب امام البخارى اوخالتى بهجب من المدا

احطمت ، مديون مديونا

بعد السلام قمت اسيدى طمالك جيت قاصد زاك رغب

ليك الروح ادع الذات مكسوبا

فمقامك السعيد اكرمى وحسن اضفى لطافا وصواب

لصحاب العلم اسرار مرصوبا

واجمع امن كرم عالم اكرم النبى اكم فحديث المجتاب

ودويت معاه شحال من نوبا

حتى اطمعت فيه وقت اسلمتو ابفايت النفاا والتباب

واطر في عيون مفصوا

بففيه قال دى بحسب البيت روى يعمل محراب

وبعيد الناس ابكل موحوبا (I)

ينفع الناس ابلمو وابفمو وايدر لو مراتب

عنشت فالمحال واصعوبا

دارى ادخولها ما لك فيه اصداح سر بعد وانف لعناب

وجاهه فى صفة تاجر يحمل معه صاديق الذهب والفضة والاقمشة

يريد ان يصاحبه ويودع عماده سمعته ولكيه روص صعبته واشار عليه بدور

المسلعة حيث يمكنه ان يحفظ بضاعته . وجاهه فى صفة عبد سودانى يعرض

بعسه للخدمة ولكنه طرده لكرهه السواد ولان اهله اوصوه بعدم اتخاذ

(I) ابكل موحوبا : اى بكل الواجبات الدينية التى يجب على الناس

معرسها .

الوصفاء . وجاءه في صفة فارس معه شباك للصيد وخلفه عيدان ، واهداه
عزلا وطلب ضيافته ثلاثة ايام ، فهدده وطرده ورفض قبول هديته لان عنده في
اغراسه غزلا با احسن منه . وجاءه في صفة باشا ترافقه الفرسان ونصب
قبته واعلامه وأوهمه أنه يحمل كتابا من السلطان ، ولكنه رده بحجة انه ليس
بوزير او قائد او أحد المسؤولين حتي يزل عنده الباشا ، واخيرا جاءه في
صعة هيفاء بعيون واهداه جميلة سوداء وخدود وردية وجمال يصد الثائب
عن توبته ، وصافحه بايد مخضبة بالحناء منقوشة مدهل لهذا الخضاب
والنفش وغربت شمسها ، وسألها اهو رسم على اليد ام كتاب ، فاجابه بانها
تستطيع ان تحفظ روصا محجبا ادهى واجمل ، وله ان يسمي العجائز
واشابات حتى يتأكد ، فمسك بها والحن عليها في أن تنقش يدي حجوبة ،
وأدخلها الى الدار في غاية الفرح وهو لا يدري من ادخل ، وخرج مسرعا
لاحضار لوازم الحناء . وعرفت حجوبة سر حبيبها الذي جاء في صفة هيفاء
نقاشه ، فخلع زى التنكر بعد ان خدع الحراز ، وهدم كل بنائه ، ونعم بقرب
سيبته واخذها عنده وباتا في غاية الزهو والسرور يتساقيان الكؤوس على
صوت الشموع وبغمت الاوتار :

جيت هيفا بشفار مهدوبا

واعيون عاسقا واخدود اورد اوزين يكسر توبت من تاب

صافحت بيديا المحضوبا

بشمايل ابها وانقش الحنا امنين راه نهض وارطاب

شمس العكلى ولات مغروبا

وادوا اوقالى ياهما هادو اتراكم ايديك او الكتاب

قلت اندير اريضات معجوبا

ابها اوسر ما شافت عيك سر اسال اعكايز واشواب

شبر فيا بيدو المغضوبا

انت بشيتك اتورنى قيدين لال شى صنعات اعجاب

واتشوفى بدر الزين محوبا

لدار ابنعزم دحمنى فرحان ما عرف بدويجو ما جاب

و حرح يجرى ناحلك مرهوا
ويجب لى اشروط الحما وما ايحص واوالم ناسحاب
عرفنى لوجيا المحسوبا
فالحن طارت انكسا (1) امرع لمقام والكل جالو لكتاب
واسلات اعضاي المرغوبا
واذبت عارمى وارسحت (2) ابحرزها او كل ما شيدراب
سا فالزهو واسرور اطيوبا
نتودو اكيوس الخمر فبساط حارساه اصوارم واجماب
لا واشى لا حساد مركوبا
عير لغزال والصفرا والكيسان والوتر والشمع اللهاب
ومثل هذا نجده عند ابن على الذى تنكر للحراز فى صفة عذراء وعالم
وبدوية وعبد وبطل وتاجر ، لم يوفق الا فى هيئة حكيم ،
وربما كان حراز البغدادي اشهر ما ينشد فى هذا الباب حيث قصده
المحب فى صفة باشا ومجنوب وعبد ولم يوفق الا فى صفة الفقيه ، وهو
الحراز الذى يقول فى حربته :

مال حراز الدامى ما ايثق بيا هيهات * حارس فى كل اوقات
اعلى الدوام ايجنب ولا ايرومنى قطعا
وهكذا وبمختلف الوسائل والمحاولات ، يتم الوصال بعد طول عناء
بمرارة صبر ، فالطبيب المسترعى حاد عليه الدهر وارضى له الزمان عنائه
مكمل سلوه وزهت ايامه يوم زاره محبوبه جودا وانعاما دون سابق اعلام ،
قاطعا اوصال التيه والجفاء ومنكلا بالرقباء :

الزمت الصبر ما كفى واخفيت ما فكنانى
حتى جاد الدهر بالزهو وكمال السلوان
والوقت ارضى لى اعنانو
وايسامى ولات ناشطا
بوجود الى اهويت بوما وصلت لمكانى
من غير انويا فصر فالجفا والتهيان

(1) التنكية : المقاب والحجاب . (2) رشح به : خدته .

جاد اعلی بحسانو
وانعم لی من بعد ما اوطا
محبوب القلب یامس زارنی یا شمرانی
وانعم لی ابوصال وانکا جمع الرقبان
صایل عن جمع اکرانو
ابدیع الوجنا لمنقطا

وکذلک تزور حبیبہ محمد الشاهد السلاوی فینعم بالوصال ، ولكنه
لا یقع بمجرد اللقاء ومشاهدة الحبیبة ویرید ان یرتفع بحبه کاملا ، اذ
عنده ان النظرة وحدها لا تطفیء لهیب القلب ، وان من العبت اطالتها ،
وان کل من شاهد الجمال یضطرب لا محالة :

معدوم الشوف ما اطفی نار الجوف * غیر باطل قوى تشواقو
والی شاف نسلیح عمرو ما یتفاد

والعنمی یتم له الوصال فیحمد الله ویشکره ان عافاه من سفیه ،
مقد زال غمه وظهر نجمه بین الابراج کالهلال ، ونال المقصود ودان له
وقت السرور فزهت ايامه وازهرت اعصانه بعد یبس وذبول ، وظهر بدره
ساطعا مصیئا ، فلم یبق له الا ان یرتفع بالاعتقاد والارتشاف :

لله الحمد والشکر زال افتامی *

واطلع بین ابروج نایر نجمی کن اهلل
عافانی ربی ابریت امن اضرار استقامی *

والمقصود الی اطلبتو وفانی به الحال
واعطف لی وقت السرور وازهاک ايامی *

والقح عصنی بعدما الوی وایبس واذبال
وتیفظ بدری اوتاق مسراج اهامی *

ما باقی غیر لمعانقا وارشیف الکیسان
وعند ابن علی السفیوی ان الوصال متى تم فانه سیلجح دون انقطاع ،
وتحبو کاسه ، ویدئ شرابه ، ویطرب قلبه ، وتحسن علاقاته مع أهله
واحبابه ، ویخصب روصه ویزهر ، وتمو أعصانه وتزهر ، ویفنی طائرہ ،

وينشد انعاما حلوة شبيهة في التعبير بخطاب المحب ، ويظهر بدمه مخترفا
حجبه ليضيء السهول والروابي ، ويحلو الزمان ، ويستريح الببال ، ويهيا
المحب في مكانه :

كنت متهيج صبي اعيهوب ان محبوبك حلا كاسي والدم لي شرامى
- انك قوسى رضى مطروب المحبوبت زهرت رضى وهلى امع احدي
بك روصى لاقح محضوب ' محبوبك طهيج غصانو بالفيض والخصابى
- عسى صبرى فشمهوب - بوبك يشهد ميات ابشابهو انطابى
بث صبرى - ب احبوب المحبوبت صموى فوق الوطنيان والروابى
ب اربى اربى ياراحت لكان - بوبك بيهوك بك يهنا فمكانسو
ويقدم مبارك السوسى عرضا لمحفنة التى سيقم ان ررته زهرة التى
ستستمر يوما كاملا فى روض مزدهر معطر بنسى ألوان الورود والاشجار ،
تعرف فيه الموسيقى وتدور كؤوس الخمر على الحسان :

يوم اتزور العذرا

بالزهو يتهاشر على ايموح بكدارو

وانقيم فى ابساطى ليلا وانهار

بالآل (I) وافساحل نحرى على سريام بدور

وانوار مشنهر

فى ارباص امعطر

والورد فاح بارهارو

والدمعنى طهيج ما ين اشجار

وستمر فى رصص الورد - بوبك بيهوك بك يهنا فمكانسو

المدعوات بقوله :

حبت اوصاف نوار باقى وصف بجمهور

ثم يأخذ فى استعراض سمائهن على هذه النحو :

تبدا ابراصيا او هشوم الخنار وامهنى وافصيل اوفارحا او محلا واطهور

(I) الآله تطلق على العرب على الموسيقى المعروفة بالاندلسية .

ومن لطيف الوصال ما تم لامتيرد مناما في شهر رمضان حيث أفاق
بعد الفجر ليجد نفسه مضطرا الى القضاء والكفارة :

انعبد اصيامي ونكلع كفارت لوزر
عنقت اغزالي فالدجا حتى بان الحال

وقريب من هذا يحدث لابن سليمان اذ زاره محبوبه في رمضان فذاق
من شهنه وجسى من ورده ، فاتهم بالافطار ، ولكنه يستفهم محاولا أن يتنمس
لنفسه عذر المريض وأنه لا شىء عليه :

أصاح زارنى محبوبى يامس كنت صايم
شهد اقطعت واجنيت الورد قالوا كنت رمضان
مهجور قلت ماذالى
أحبيب خاطر واش لمريض يفطر

واذا ما تم الوصال فان المحبوبة تخلده بتذكار تقدمه لحبيبها يكون
فى الغالب حليا ، سوارا او خلخالا ، ولكنه لا يلبث أن يضيع له فيبحث
عنه فى عناء الى أن يلقاه .

من هذا ما يخبر به اميرد فى «خلخال اعويشة» ، وقد اودعته اياه
على اثر الزيارة أمانة أوصته بأن يصونها ويحفظها ليحضرها يوم الوصال.
وخبا الخلخال فى جيبه ولكنه ضاع منه ، فاحترار فيما عسى يجيب به
صاحبه ان سألت عنه :

مهما ودعت الزيم شاق شوقى واهواوا بالدمع انجالى
يوم اتودعت امع لغزال مدت ليا خلخال
هذا أمانا ياعنبيق قالت صوبو واحضيه وجدو يوم اوصالى
فى مكتوبى ذرو اعلى الرضا واتوضر وانشال
خلخال اعويشا درت لبها فى مكتوبى يا فهيم درتو وامشى لى
كيف المعمول ايللا اتسالنى مولات الخلخال

ثم أخذ فى تقييم الخلخال وأنه ثمين لا يقدر بمال ، وبدأ فى البحث
عنه فى كل مكان فلم يعثر له على أثر ، واضطر اخيرا الى فقيه منجسم

استطاع بكتابة الجدول وعن طريق الحديم الحنى أن يحضر الخلخال .
اذ ذاك أرسل للمحبوبة فحضرت على التو وأقام لها حفلا مضيئا مطربا
بالوان الغناء والانشيد ، يتساقى فيه مع محبوبته الخمر والرحيق . وفى
هذا الجو المغمم الممتع حكى لها قصة الخلخال فأشففت عليه وضمته اليها
وقالت له : ان المطرة فى الحبيب خبر من ألف خلخال ، فركع أمامها
ليبادلها العول بأن وصلها لا نفديه الاموال ، وانها كنزه وكمال فرحته
وربحة وذخيرته وهناه وغناه وغاية رأسماله :

وارسلت المولاتى اوجات تتهد تهليل لبكار عراض الفالى
بحاسنها وابها اجمالها تضرب لمثال
واعملت افراجا عن اوصولها ما بين الصفرا والرحيق واضو ايلالى (1)
والغاني ينشد باشعار وارقاق كل اسجال
واحنا نرها بوا وخذ (2) واعزالى تدرج فلبساط واتكب المال
سقطت وفى دوك النجال مدت ليا قصال
ارويت او طحت اعلى انهودها واحكيت لها اقصيتى النوى والنالى
يوم امشى لى خلخالها اوشفقت منى لغوال
حازتنى مولاتى اعلى اصدرها قالت لى يا عشيق حسنى واجمالى
النظرا فالمحبيب حير لى من الف خلخال
بندقت اوقدت اجد يالعذرا ياتاج القاصرات حرت لغوالى
وصلك عندى يادرت ليها ما نفديه اموال
انت كنزى واكمال فرحنى وانت ربح اذخيرتنى وغايت رسمالى
انت لهنا والفرح ولهنا واكمال الرسمال
ويحدثنا الفلوس عن دمليج (3) ازهيرو الذى ضاع منه وم يعثر عليه ،
وبعد أن بحث كثيرا عنه فى احياء فاس قابل فتاتين أخبرته احدهما أن
الدمليج موجود عند هيماء سمراء عثرت عليه يوم كان يزور السلطان ،

(1) ايلالى : يتلألا

(2) براوخذ أى بهت وخذ .

(3) الدمليج بالميم والباء سوار يكون غليطا فى لغالي

فقبل الأرض بين يديها ورجاها أن توافيه به ، فودعته بعد أن ضربت نه
موعدا عشية يوم الجمعة بجديفة «جنان السبيل» عند الصهريح الكبير :

قالت وحدا يا عاشق لبها دملحك موجود عند هيفا بركيا

قالت لي صبتو انهدر كن ايزور انسلطان

اوطحت اوسست الارض قمت لها لافنى به يالريم العذريا

قالت دبا ياتيك ابلوفا واطمئنان

قلت لها ياتاج لبدر وين ايتون الميعاد ابشارا دون اخميا

قالت يوم الجمعا الجايا نلقانا وكدان (1)

اجنا سيمان السبيل قدام الصهريح تكبير وقت الذهبيا

تم ارجنا (2) ولا اتصبها نرجاوك يعلان (3)

والتقى معهما في اميعاد المحدد ولكن سوداء العينين شرطت عليه اذا

ازاد الدمليج ان يذهب معهما لرشف الكؤوس ، فاخذ يتمس منها العذر

لانه لا يقدر على خيانة محبوبته بعد عشرة طويلة ، ويرجوها أن تراقب فيه

وجه الله . فلم تلبث أن أخرجت الدمليج ، فدعا لها ان يجزيها الله بكل

خير ، وردت على شكره بانه لا جميل وأن مثله لا يهان . فودعهما فرحا

ناسيا كل ما فات :

قالت لي سود النجال دملحك عندي دون ريب ولا شكيا

لكن ايلا تمشى العدنا تسطاب الكيسان

قلت لها يا عز لبنات مالى قدرا حتى انخون بعد الولعيا

رافبي فيا وجه كريسيم لعم احى السنان

جبدت لي دمليجي اوفلت لها ايحازيك اكل خير حالق لبريا

قلت فالحين ابلا اجميل ماشى مثلك يهان

تم ودعت الباهيات وافرح قلبى واسيت كل ما فات اعليا

والقانى بددميج رب لورا حالق لكوان

(1) وكدان اى بكل تأكيد

(2) ارجنا اى انتظرونا .

(3) يعلان اى علنا .

وللحاج محمد العوفير « حاتم » يقول في حريته .

حاتم ولفى ناح لها اتوصر وامشى ن
كيف المعبول ابلا اتسال عنو درت لجمال
ريمت لاسم ليلى

وفي القسم الذى يعثر فيه على الحاتم تكشف له المحبوبة ان بالخاتم
نفسه أسراراً تجعله مرصوداً عندها فهما ضيعه المحب فهو يرجع اليها
تمسائياً :

فت لها يا سبطات لعوالم شمالى
صيغى بعدا لقصيتى اتحير جمع العذل
عريباً وطويلاً
وانديت انعيد الودلال عن شين اخرى لى
يسوم خاتمها ضاع لى
وصرت افقدو معلال
وعصاي اسجىلا
ثم ضحكت البهيا اضيا نور اهلاق
وادوات وقالت ريع امن هوالك واغتم لوصال
وازها دون ادبىلا
الخاتم عندى يا عشيق فحراين مالى
واسبابو يا محبوب خاطرى يا عاشق لجمال
ديه اسرار احريلا
مرصود اعلى اسمى اناسم الحى المعلى
وين ما حليتو ايجى العدى من غير ابدان
الحكما لوصيلا
وامنين اعرفتك يا علاج قلبى وادخالى
من جيبى ومن افراى حاتمى نيمى فى تدهال
لنك ابعتت ارسىلا

ثالثا : الحب

لعلنا من خلال هذا الاستعراض لوصف جمال الفاتنات وحال المحبين
ستطيع أن نستخرج الصورة التي رسمت للحب في ذهن الشاعر الشعبي:
فامتيرد يراه سيفا يقطع قبل الطعن ، ويرى فسادا أكثر من صلاحه
لا ينفع ولا يحمل غير الشقاء والتعب :
هذا حال الحب ولهوا ياطامع بنجاحو *

سيمو قبل الطعن يقطع
وافسادو بنهايت لفعل أكثر من تصلاحو *

اشقاء اتعبو ابلا انفع
وهو يتخيل الحب أميرا طاغيا جائرا حاقدا مروعا يقود جنوده لقتاله ،
وقد لمعت أسنحته وخفقت أعلامه ، وعامت خيله على خيول المحب وقهرته
يوم المقاتلة بالسيوف والرماح والسكاكين والاشواك :
مير الحب اطفا اوجار عنى جاب اجنود اعلى اقتالى حاكك لكلاك
لطرارد واعلوم شاكا
عامت خيلو اعلى اخيولى لكلاك
بالضركا (I)

والسيف ولقنا والرمح أسكين كل ستل جاني دكاك
قهروني يوم لمدكا
ويتخيله كذلك بحرا لا نهاية لحدوده ، ما مخرت عبابه سفينة الا شمتت
الواحها ، لا تنمعهما في مواجهته الاعمدة والقلاع :
لهوا بحررو مايو انهايا توصاف اكلاحو * حتى عاشق به ماطمع
امامن قرصان سار فوقو تششات الواحو * مانفعو صارى اولاقطع
وللمحب عند ابن سليمان سلطان على رأس عسكر كبير يضم جيوش
كل القبائل جاءت مستعدة لخوض معارك من أجل الموت أو الحياة
متعطشة للقتل :

(I) الضركة نوع من النبات الصلب له اشواك حادة .

من كل اكبل حانى اليوم محلا (I) *

جابهها سلطان الغيوان

بنويو الموت امع لحيا افكل امقاتلا *

كيف شور الما للعطشان

وهو كذلك عند مولاي على لىغدادى فى « خدوج » سلطان طاغية

بروع مزاج المحب ، وقد استقر فى قلبه بخيوله المتحفزة المدربة :

سلطان الحب اطلعى اوروع امزاجى *

رسمى افير لمباح

خيولو تظل حدراجا *

ديما امحربا عنى غير اتروج

ومثل هذا نجده عند عبد السلام الجربى فى « قصر الدارة » حيث

هجم عليه الحب بجيش جرار قاصد لصراعه دون ما عطف او اشفاق

عليه من محنه ونحوه وفناء جسمه :

صداك بعسكر جرار * للطام اتانى

ما يحس بمحاننى * ونا انحيل وافانى

وهو يرى الحب راكبا فرسا ملايا جاء يقصد قتاله وقد استعدت

خيوله وفرسانه ، كل متقلد سيفه ، وخلف هذه الخيول فرق اخرى

لا يستطيع احد ان يواجهها ، ومع هذه وتلك جيوش الهوى الذى بدا شجاعا

كميا شبيها بعنتره او ابى زيد ومعه خيول شقراء قوية :

والحب اعلى جار راكب الملالي (2)

عنوا ابغا لىغالى

وامر لخيول اتشالى

كلها متقلد سيفو عل لوفنا

وامحال اخرى امرادفا

صاكت مراهم

(I) المجلة الجيش

(2) لعله نسبة الى بنى ملال .

ما يطبق قادر يفساهم
ولهوى يحوشو امههم
اكسى عذبي
بركاب له ذهبى
يشبه عنترا ولا بوريد لهم
له اخبول اقويا
اوكلهم اشقارا

وحاولوا من معاناة تجربة الحب أن يستخرجوا حكمة او ما يشبه
الحكمة . وكان العلى - شاعر الحكمة دون منازع - أكثر الشعراء طرقا
لهذا الباب ، اد حاول فى هدوء الحكيم المتأمل أن يستنتج بعض الافكار
وبقدم بعض النصائح . وعنده أن عشق الجمال طبع غريزى فى كل شخص
لبيب لا يفتر عن أوصاف حبيبه يعتبرها المسك الذكى فى حبيبه يتمتع
النفس بطيبه . أما الالفه فريعبها غلابة لا داعى فيها للعتاب ، والشارب
يعذر فى حال غيبوبته ، يسرح به الهوى فاقدنا لوعيه لا يميز داه من دوائه :

عشق لجمال طبع اغريز امن هو البيت

ديما امعاء نعت احبيبو

كالمسك الذكى فى جيبو

متعاهد النفس بطيبو

والولف ريح غلاب

متسروك فيه لعتاب

مول اشراپ يعذار امحال الغيب

دايسح به اهواه

ما يميز داه امن ادواه

وهو يرى ان التمسك بالصبر ضرورى والتمهل لازم لبلوغ المقصود
وكاية الحسود ، وان من الح فى طلب الرضى لابد أن يدركه ، وان مجبا
لم يفل مراده دون تعب ، ويرى الا خوف من هيجان الحب ، فالرعد يكون
له صوت يرهب القلوب ولكنه فى هديره مبشئ بغيث يعقبه :

من لازم الرضا او طلبو لا بد ايصييو
والى ابغا ايغىظ احسودو يتبع ابسهل مقصودو
حتى ينكمل معدود

ما نال صب امرادو الا ابتعب وجهاد
صوت الرعد يترك لقنوب ارهيبا
بعد هدير الغاه اينبشر بانغيث امن اوراه

وهو لا يستعرب من تغير احوال المزيان يقبل فتتحسن حاله ويدبر
فيحسر خطه ، يزور فيشرق المكان من ضيائه ويهجر فلا يبقى لبهائه اثر.
ويستشهد بثلاثة امثال شعبية ، يقول الاول ان الجمال لا صديق له ولا
معاشر ، ويقول الثاني ان الذى لا يصبر للمحن لا يبنغ لسلو ، ويقول
الثالث ان الذى لا يعطى دنابير كثيرة لا يستطيع ان ينعم بالجمال (I) :
تررف حتى يبدأ حالى امعاك يريان *

اتفر منى يبدأ سمعدى امعاك خاسر
اتزور حتى يشرق امن اضياك لمكان *

اتفر حتى ما يبقى امن ابهاك اثر
كلما قالوا اصدق افدمثال اهل الزمان *

مايل لزيى اصدق ولا يدو امعاشر
ما ابنغ سلوان الى ما صبر لمجان *

ولا امك مزيان الى ما ارخى ادانسر

(I) يبدو غريبا أن يستشهد العلمي بهذا المثل وبذهب لهذا الرأي
لأنه لا أثر لمفرد الحال في العلاقة بين الرجل والمرأة كما رأينا ، بل
العكس هو الصحيح . وقد صادفنا مثلاً في خلخال اميرد أن اعويشه تؤكد
له أن النظر الى المحبوب خير من الف خلخال ويبادلها الرأي فيذهب الى أن
وصلها لا يقدر بمال . بل ان العلمى نفسه يقول له المزيان :
«وامتاع الدنيا ليس يفوينى » ، ولعل العلمى عبر عن واقع المرأة
فى الحياة وميلها الطبيعى للمقنى والثراء ، ولعله كذلك يقصد ما تكلفه
حفلات زيارة المحبوبة من نفقات . ومهما يكن فان مثل هذا الرأي يطل
غير واضح .

وفي روح يبدو عليه بعض التشاؤم يذهب العلمى الى أن ورق المحب
ساقط ، فهو دائما نحيل عليين ، يصفر لونه يوما عن يوم ، لا يجد راحة
لاعضائه ، بهيم فى النهار ويقطع الليل بالسهر والزفرات :
ورقت مول الحب ساقطا ديما ناحل كل يوم تنظر لونو يصفار
كنو اعليل ما يوجد راح فى اعصابه
وايظل ايهوم بالنهار وايبات ايقطع لبهيم ابزفرات
وايراعى لوقات
والسوايع حتى يفجى النهار ضو وايمد اجوانح الليل ويزهر
بنجوم فى اسماء
وينامو كاع (x) لبصار
وابصارو ساهرين مسكين اييات
ولكنه يتراجع قليلا عن هذا التشاؤم ليرى فى « طامو » أنه لا دوام
لاى حال ، فكما أن الرخاء لا يدوم ، فكذلك لا تدوم الشدة ، فيوم حلو
كالتمر ويوم مر كالحنظل :
معلوم كيف ما دامت رخفا ما التدوم شدا
هذا امواجب احكام اصروف الدهر
يوم احلا من طعم التمر
ويوم كمثر الحنظل مر
ويرى ان طريق العشق والزمان والايام واحد ، فمن سعدت أيامه تهيأ
له كل شيء ووجد كل ما يريد ، واذا حسن حظ العاشق وصل سريعا ،
واذا ساء نفر بنفس السرعة .
العشق والزمان وليام طريقهم وحدا
والى اسكامت ايامو ياسعدو
كل شى يسخر بين ايدو
كلما يبغيه ايوجدو
ولا يبعاد

إذا اسكام سعدو دغيا (1) اتراه يوصل
والى اعوج لو ميمونو (2) دغيا اتراه يجفل
وعنده في «اللائم» ان بحر الغرام عمق وملآن ، يفيض كل يوم ،
وأن بحارة كثيرين ضاعوا في فعره ، وان ربح الهوى يذهل العقل ويبث
داء السهر والعفلة :

بحر لغرام غارق واعميق اومالى
كل النهار ابيض ويحمل كم من رايس في تخمونجلا
توريك طبع لهوى يامن يصفى لى
ريح اهواه ايشوش لعقل وايقيق ضر السهر والغفلا
وكذلك نجد عند المدغرى بعض النظرات التأمية كهاته التي يرى فيها
أن أحدا لا يستطيع أن يهزم العشق والهوى وان كل المحبين مغلوبون ،
وليس لهم الا أن يرضوا بالهزيمة :

لعشق الهوى مارينا غلابو * والعاشق ديما تنقلب
كيف ايدير اللى ما ارضى بالقلبا
وعند المدغرى في « للا اصفية » ان قتيل الحب لا دية له :
من مات امن اعيون المولوع ما يليه ديا
ويرى ابن سليمان في «حجوبة» ان صفات الحب عجيبة وان أحدا لا
يقدر على اخفائه :

صفات الحب اعجوبيا * يكذب من قال اغرامو يخفيه
ويرى في « عطوش » ان عاشق الفائنات مجنون ، يفقد العقل
واشدبير ان واجهته جيوش رامية ، وهو لا يستطيع ان يعمر الاوطان :
عاشق لريام اهبيـل ريت رسمو ما ياوى
عقلو مثل الكدرى (3) ايلا ايجيه الرامى بجيوش ما تعمر به اوطان
وعنده في نفس القصيدة أن أساس سور الجمال مغشوش :
ركبت اعلى سور لبها اوصبت الساسو مغشوش

(1) دغيا : بسرعة .

(2) الميمون الحظ .

(3) الكدرى : الحمار .

كذلك يرى الحاح ادريس لحشش فى « فضيلة » وهو يحاول ان ينسى
قنبه همومه ، انه لا يشق بالبنات ولا يامنهن الا مجنون ، مواثيقهن باطلنة ،
لا تنفى بالعهود منهن الاقليلات ، يعرفن ميل قلب العاشق اليهن دون تغيير
او تبديل فيجازيننه بالهجر والتهيه واجفاء والصدود ، ويكسرن القلوب من
اجور ، ويبخلن بحلا لا مثيل له ، وذا ما اختار أحد من سراها منهن عاقلة
فانها نسقيه الممرارة فوراً دون امهال :

وانقول أقبى انس همومك ما يامن افلبنتات غير اللى كان احبيل
امواثقهم حق باطلا * من "وفى عنهم فالعهد اقليل
وايعرفوا قلب لعشيق يبغيهم ويعرفوا محنتو ما فيها تبديل
وايجزوه ابلعقلا * بالهجر والتهيه ولجفا والشنخيلا
ويكسرو لقلوب جور منهم ويبخلوا بالدوام بخل الانيه امثيل
من تختار وتقول عاقلا * تسقيك امرار خرقا لا تمهिला

رابعاً : ملاحظات

لا نريد ان نختم هذا الفصل دون أن نبدي بعض الملاحظات المتصلة
باغزل عند شعراء الزجر :

أولى هذه الملاحظات ان بعض الشعراء يتغزلون فى نفس النص فى
أكثر من واحدة ، وخاصة اميرد والمدغرى والرجراجى ولحشش ، فانهم يبدون
متعدين بمحبتين فى آن واحد وفى أكثر من قصيدة .
يقول اميرد فى هنية وهشومه :

سر احمان

كل للريم اهنيا ولغزال هشوما لوصول التمول

كل اصل يجبد لصلو

ويقول فى حاجة واختها زهرة :

دام الله احسن ولحاسن فغزالي تاجا * تاجا هي اوختها زهرا بودواح

ويقول المدغرى عن طامو وهنية :

شهدوا بين ايلافنيت واضنيت من الوجنا او خالها واخودود الجدار

والشاما والخال والشفر * واسمببى فالريام طامو وهنيا

ويقول في مينا والبتول :

الله اينصرك يامينا وابيوم عمرك يالغزال البتول

ويقول الرجراحي في طامو واختها ازهيرو :

عازم بوصالك يامرحت الطام * ام النواحل الطام

نت اوحيتك ازهيرو

ويقول الحاج ادريس لحنش في أم الغيث وفاطمة :

كيف اجري في ياهل بيوى في حضرت سلطان النساء لعزال ام الغيث

اشريف العذرات فاطما * عارك لرس منهم صحت الكاسي

وليس عند عذرها عروبة ما دم ساعر حى وعمو ينزل في

امراة واحدة لا يقصدها بالذات وانما يقصد المثال والمودح ، فاذا كان

هنا هو يقصد ، فليس يهم أن تكون الوسيلة اليه واحدة او أكثر .

الثانية : ان غزل الشاعر الشعبي لم يكن دائما بالمرأة وانما كان

ينجحه في بعض الاحيان الى المذكر على حد ما نجد عند محمد بن موسى في

«غزال» ندى قابله أول مرة بباب الكتاب ، وهو غزل لا يختلف عن الغزل

بالمرأة في شيء من الحديث عن اللوم والحساد والهجر والوصل بل حتي

اوصاف لجمال لا يجدها بتغير وان كانت لا تتعدى ملامح الوجه والاصاف

الهامة ، بل ان الشاعر يرى ضرورة اخفاء بقية الاوصاف :

من يوم فاش صدفنو في باب لمسيد (I)

وانطسرت حاجبو واتساد

تمثيل شى اجعاب اهناد

وحين فاسق العرفاد

واحدود كل زرد افتح من لعماد

والخال الهنبرى والشما من فوق اخمود

والقد امجود غنجور باز قرنس وعن جوهره اضمد

واشعوف كمثل عسجد

والريق كمص لشهاد

(I) لمسيد هو الكتاب القرآنى ، ولعبها تحريف للمسجد .

والجيد كن جيد الشاد

حد لوصاف هذا عن قصد امرادى

والباقي واجب نحفيه اعلى جمع لحسود وانزید انمجد

بل انه يصرح باسمه فنقول :

ياهل رغبوى اتمادى * ينعملى ابلوصال يسعد رسمى بوجود لغزال محمد

ومثل هذا نجد عند المدغرى الذى يقول فى حربة « غزبل » :

دام الله اجمال صورتك يا شادى * انت اعنايتى وامرادى

اغزبل يسلب من جا ايصبدو * زنجار فى عين سيدى محمد

وكذلك عند الحاج ادريس لحش فى « المهجور » حيث يصف

محبوبه شابا عابا شاعرا طريفا فصيحاً وفيما صادق القول :

محبوبى ولد ابرضا انظيف * واكذلك اخلافاً امنظفاً

عالم فارى شاعر اظريف * مصاح والصدق ونوما

شلا افلحسان ما نصيف * ما فيه الكل غر لجفاً

...

شاب رضى واعذارو ايلا اهجرنى محبوبى انعود بالكثير

ويلا جاد برضاء نستبشر

وقبل هؤلاء جميعاً تغزل امثيرد (طرشون) فى طالب حافظ للسور

اسمه محمد وكان قد غاب فخرج يبحث عنه فى كل مكان الى أن قابل

بعض أصدقائه فأخبره انه موجود بالمدرسة :

ما هو قاللى فامدرسا طائب حافظ لسوار

يتبساها توكت لقمار

ميمين اوحا او دال وصح لهل المعنى اسميتو

زدت انصيبو اكما احكى لى * سمنت اعبيه يا كرام

قدت التاج لبها اغزالى * ما لك ياناكر الطمام

انت بزهبوك به سالى * ونا للشعب والسقام

وقد يشبادر الى الذهن أن مثل هذا الغزل يدل على انحراف عند هؤلاء

الشعراء وشذوذ فى الجنس ، او ثائية وازدواج فيه على أقل تقدير ، ربما

كان ذلك صحيحا ولكن الى حد ، ذلك ان مثل هذه الباهرة قد يكون لها تعليل آخر يجعلها مجرد تنفيس عن ضغط المجتمع على الشاعر وكبته لجماع عواطفه .

ثالثة هذه الملاحظات تتصل بما يقال من أن بعض هذا الغزل رمزى لا يقصد منه الى وصف جمال المرأة او حبهما وانما يقصد منه الى تعبير اسمى .

من هذا ما قالوا عن «فاطمة» بلحاح عمارة من أنها لا تعنى غير فاطمة الزهراء ، ولكن لنستمع اليه يقول فى حربها :

أنا فطموني اعلى اهوأك اباشت لريام
ونت مقطوما اعلى اعداى يا فاطما
والى فرقنا ايلما مما طالت ليام
وفيهما يقول :

فاطما يا بافة البان * ياسالف الظليم شعورو وفيانا
يا لهلال ادعيد رمضان * بقواس حاجبك اهدابك طعانا
أفاطما سود نعيان * ادخل بك لك خد السوسانا
أفاطما خاتم الشفوف ايتيه من لام
أفاطما طاستو ابخرم اليرى اختيما
واتغارو عقدين امن الدر افغايت لنظام

لعله لا يعقل أن تخاطب فاطمة الزهراء بهذه الاوصاف .

ومن هذا كذلك ما قالوا عن «طامو ابهيج الخدادا» للعلمى من انها لا تعنى هى الاخرى غير فاطمة الزهراء ، ولكننا حين نتمعن فى القصيدة نحس ان الرجل كان يقصد الى التعزل فى محبوبته ، اذ ليس من المقبول أن يقول فى بنت الرسول مثل هذه الابيات :

بتنا اوبات الخمر يتزادا
لا اعدو لا واشى لا حراز احسيد
فبساط امحتفل مركاتو
الكاس والشمس موقود

لى ادراعها بات اوسادا
اوريقها بات اشراىى انرشفو ايطعم الذيدا
ايشربو امن احلا تورادو
غفران ربنا موجود
ولكن ليس معنى هذا أن الشاعر الشعبي لم يرمز باسم المرأة الى
معنى اسمى ، بل انا نجد الشيخ ابن ابراهيم (I) ينظم قصيدة فى
« مباركة » يرمز بها الى مكة ، يقول فى حريتها :
حرمت نعم لغنى المالك
ديرى ياللا امعاك
شرع المولى ايلا اهداك
نستحسن فى ابها اجمالك
امولاتى امباركا
ولهذا علق المدغرى عليها فقال بأن مباركته (2) لا تصلح خادمة
لمباركة ابن ابراهيم .

ومشها مباركة الكندوز التى حريتها :
جودى يا طلعت لندر برصاك
حرم ادخيل من سماك
لبها اعطاك كيف ابلانى بك ربنا يهديك
امباركا
وفى آخر بيت يحل الرمز فيقول :
واسمك ميم او كاف تغنى سماك
واحذف باور الى ادراك
يعرفنى جيت لاسم لندى هويك
امبارك

(I) وهو معاصر لسهامى المدغرى .
(2) وهذه حريتها :

نادى نادى اليوم فالك * واخصب بعد الجفاف لاك
وامالك تك اخلفلاك * وواعد اعلى الضيا اصفالك
باللى ترضى امباركا

أما آخر الملاحظات فحول مدى صدق الشاعر في هذا الغزل وبالتالي في حبه ، ولعلنا لن نتردد في الشك في صدقه وهو يتغزل في عشرات الغائبات وبنفس الأوصاف والاستوب . ونخشى أن يكون الحب السذى عبر عنه مصطنعا لا حقيقة له في الواقع وإن يكون نظم فيه مجرد صنعة ومهارة وتقليد ، بل أما في بعض قصائد « التراجم » نجد الشاعر يصرح بذلك ، فابن علي يعترف في احتجاج بأنه لا يعرف من أمر لوشم شيئا وأن المسألة بلاغة ومهارة :

غير ابلاغ فالشعر وانظاهو *

عمري ما اوشمتم ولا نعرف واشم ولا داخل لكلف

والفوس يقول مثل هذا في دملح اذهيرو :

ليس عندي دملح يالسائل ولا شفتو اولا قبضتو فيديا

الا ترجما امن اتراجم الوهب اولوزان

ولكننا لا نريد أن ننسى عن الشاعر صدق الحب وبالتالي صدق التعبير ، أو بالأحرى لا نريد أن نقطع بهذا النفي ، فمما لا شك فيه أن اغلب هذا غزل من النوع الإباحي المادى الذى لا يكاد يكون لصدق العاطفة فيه وجود ، وقد كانت حياة معظم الاشياخ تساعد على هذه الإباحية من سهر وشرب وما يتبعهما ، وهو جو موبوء لازال بعضهم يتنفس فيه حتى اليوم ، ولعلهم اتخذوا الحب وشعره ذريعة لستر شهواتهم ونزواتهم واحاطتها بطار عاطفى عذب جميل وربما كان بعض الشعراء يقلدون ناسجين على موال غيرهم دون معاناة للحب أو تجريب للإباحية ، ولعلنا بالنسبة لمثل هؤلاء نستطيع أن نذهب الى تحليل نفسى مصدره الكبت الذى كان يسيطر على بعض الأوساط والذى كان ينفس عنه الشاعر بالقصيدة أو القصائد ينظمها دون ما تخرج من مجتمعه ، وقد ينطبق هذا التعليل ليس على الشعراء فقط ، وإنما على الحفاظ والمشددين كذلك . ونكاد نميل الى تفسير آخر اساسه اتخاذ أوصاف الحب وحكاياته وسيلة جميلة للتسوية وملء جزء من الفراغ الكبير الذى يحسه الشاعر في ذهنه وقلبه . ولعلنا لن نغفل في نطاق هذا لتفسير انقال الشاعر لشعبي الى بيئة القصور ومحاولته امتاع الكبراء والامراء والملوك .

ومع ذلك فلا نستبعد أن يكون بعض الشعراء غير هؤلاء ، وأولئك
مغزلوا عن حب صادق في زوجاتهم . وقد صادفنا فكرة الزواج عند أكثر
من شاعر ، فبوعمر في «زهرة» يذهب الى انه لا داعي لحيرة العاشق ،
وبالصادق — وهو كناية عن الزواج — تنم العشرة ويلم الشمل :

والذي عاشق ما يحنار * بالصادق ثم العشرا

وكذلك يذهب المدغرى في « طامو وهنية » الى أن كسب الجمال
رهن بصحة المنكية ، أي بعفة الزواج يوثقه القاضي :

ما يثبت قاضي اهل النظر * للزين اكسبتو ابصح الملكي

وقد أكد لنا أكثر من شيخ ان قصيدة امتيرد المسماة « الترابي
فاطمة » والتي سبق ان مثلنا بها لعنصر التأنيب والوعظ في مواجهة
صدود الحبيبة ، لا يعنى فيها غير زوجه ، بل ذكروا لنا أن فاطمة هذه
شبثت معه في البيت تحت رعاية أهله الى أن بلغت سن الزواج فزوجوها
له ، ولم تكد تمر سنوات معدودة حتى تغيرت عليه وأذاقته الوانا من
العذاب فاضطر الى طلاقها ، وبكده لم يقدر على الفراق فنظم فيها أزيد من
عشرين قصيدة ، ومع ذلك لم ترق لحاله فما كان منه الا ان أنشأ هذه
قصيدة المبينة بالعتاب والتأنيب والوعظ .

ومثل هذه الاخبار والحكايات كثيرة على لسان الرواة والحفاظ ،
حتى انهم يكادون يجدون تعليلا ونسبة لكل قصيدة وخاصة قصائد
المدغرى ، فانهم يجعلونها قيلت في سيدات انقصر ووصيقاته ، وينسجون
لذلك قصصا وحكايات أقرب الى الخيال الشعبي منها الى الحقيقة والعمل .
والواقع انه قد ينطبق ذلك على بعض قصائده لا سيما وأنه كان مقربا
للسلطان المولى عبد الرحمان وولده سيدي محمد ، ولكن ليس بالدرجة
التي تروى عن الحفاظ . واذا انطبق هذا الرأي على المدغرى فانه لا ينطبق
على غيره حيث نستبعد مثلا ما يقال عن «فضيلة» الحجاج ادريس لحنش
بأنها زوجته هجرته ولجأت الى قصر السلطان فنظم فيها القصيدة ، وعلم
السلطان بالامر من القصيدة نفسها فطلب منها ان تكف عن الهجر وتعود
الى زوجها ، فمثل هذه الفضة يبدو عليها لا شك أثر خيال الرواة .

الفصل الثاني

في الحياة

الحياة ظواهر وأوضاع وتيارات ، تكبف المجتمعات وتطبعها بسمات مميزة خاصة ، وتلزم الناس بالسفر في زكاتها راضين ، بما أو كارهين . ولشاعر الشعبي ، كاسنان يعيش في مجتمع ، محب على التزام مط الحياه لدى تعرض معطياتها عنه ، ولكنه كفان مرفع الحس عمن الادرك ، ربما رفض هذا النمط. وثار عليه ، وان فعل فان مظاهر الثورة تبدو فسي الصراع الذي يعتل في نفسه يكشف من خلاله عن ردود فعل تمردية تختلف باختلاف نظره الشاعر الى الحياة .

ونستطيع أن نلمس نظرة الزحاح المغربي الى الحياة ، مع ما قصد يكون فيها من وجوه التمرد ، واضحة في جانبها التجردى والحس ، فيبدو في هذا راغبا في الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، مقبلا على الشرب في ولع واسراف دون اعتبار للتحريم الديني وتقاليده المجتمع ، ويبدو في ذاك سائطا على الدنيا رافضا لمتعتها ، في استسلام لقضاء الله وقدره ، وفي غير قليل من من الشؤم والقسوة على الناس ، يستنكر سلوكهم السيئ يعزو اليه كل المصائب والنكبات ، ويحاول وعظهم وارشادهم واقناعهم بأن الدنيا تافهة فانية ، وبأنها ليست غير در عبور لا داعي للتعليق بها ولا جدوى .

ومن عجيب أنا قد نصادف التيارين يختلجان في نفس الشاعر الواحد ، وكأنه يتجرده وميله الى الزهد يحاول التكفير عن افراطه في الحس والمجون . ولبست هذه الظاهرة غريبة كما يبدو لاول وهلة ، فقديما عرف الشعير المعرب نماذج حية لها تجلت في اثنين من أكبر شعرائها هما أبو العباسية وأبونواس .

ولعلنا في غير حاجة الى لبحث عن مدى صدق الشاعر الشعبي في سلوكه لهذا الاتجاه أو ذلك ، اذا ما اعتبرناهما ظاهرتي تمرد على المجتمع والحياة ، وهو تمرد لا ريب يطغى فيه الجانب التعبيري اللساني على جانب الممارسة والسلوك ، فليس ضروريا اذ أن نعرفه ان كان الشاعر يعبر عن واقع حق حين يرفض الحياة أو حين يتشبث بها ، وان كنا لانخفى شكنا في واقعيته كما لم نخف من قبل شكنا في صدق حبه للمرأة وإجماله . ومن يدري فلهذه في مجونه لما يكمن اطار هذا الحب . وحتى بهذا الافتراض

فإننا نضل في نطاق الممرد والتنفيس عن كبت المجتمع ، دون اغفال لعامل
التنسية وعلء الفراغ من جهة وعامل امتاع الملوك والكبراء ووصف تعرف
حياة لفصود من جهة ثانية ، وعامل التقيد والصناعة من جهة ثالثة ، وخاصة
عند الشعراء لاوساط الذين لا يعبرون الا من خلال تحارب الآخرين ، وان
كن لا نستبعد عن بعضهم صدق الممارسة والمعاناة ، سواء هذا الشار أو ذلك

الخمر والطبيعة

وجد الشاعر الشعبي لذته ومتعته في الخمر ونفسه كذلك ، فأمعن فيها النظر والفكر ، متفنناً في تسميتها ووصفها وحكاية قصتها ، ومتحدثاً عن ساقى وأواني الشرب ونظامه وأدبه وجوهره ورغافته ، محاولاً اغراء من لم يشرب بعد في حث على الاستمتاع بملذات الحياة واغتنام متعتها ، مادام الله يغفر الذنوب ويعفو عن الزلات . وكان يحدث عن وقت الشرب ومجلسه سبيله الى النظر في الطبيعة وانكون اطاراً جميلاً لهذا المجلس .

أولاً : الخمر :

ونعرف قصائدها بأسماء «الدالية» أي الكرم و «الكاس» و «الدمى» و «الساحى» و «الخمرية» و «الخمار» .
لم يترك الشاعر الشعبي اسماً من أسماء الخمر المعروفة لم يستعمله ، وهي مدام عند امتيرد :

آش من نرجا دون مدام
وهي الراح والصفراء عند ابن على :
كب ياساقى كاس الراح لعنيق

كب ياساقى هات لنسبا طيب لمدام واسقنا بالكيسان

داروا بالصفراء يا نديم ايجاوبو الفا في لبهم بالكاس اولاحوا
وهي الرحيق عند ابن سليمان :

كاس الرحيق داير عقلى حايير
امعاء طباير ندرى رشعاقو

ومنى دم العنب عند المدعوى فى « كاس » :

دم العنب الصالح * فيه اعلاج اجوارح * فاس المعنى والصالح
وعنده كذلك فى احدى قصائده « الساقى » أنها بنت الدوالي ودم العنقود :

هاك دم العنقود ، فطبت لساقى (I) » بنت دوالي امحنت فحدايق

اعلى السقا واسراير توشى

بل انا نجد المدعوى = وهو شاعر الخمر الاول سيستهرض معظم

أسمائها فى « الساقى » الذى يقول فى حربته :

قلت اصاحى هات لى الكاس اعقل وارجع لى احنا ونخلنى يا حضار

طاح على القمصال ابلبتر » سلك راسو وسار هربان اجهار

فيذكر منها المدام والسلافة والخل والقهوة والمسطار والمخلتم والزيف

والفرفف والجرحون والرحيق والخندريس والنشوة والبرنيس والشتيا

والشموس والشمول والشمولة والراح والمعتقة والحما والصارعة وبنت

الدنان والرموز والقارة والصهبا والصافية ودم العنقود وفاجية لهول ومعشبة

الاسرار والحريال والعجوز والحمراء والمقدمة والهرمزية والمذهبة والقسميسبة

والشربة وحليب لداية ولن العصارة وقنالة الاحزان وبنت الطرب والخمر

وراحة الافكار والمشعشعة والعراقى والصرخى والجوهري والصنسدلى

والمزاجى والاصفر والعدراء والماحبيا (2) والفضنفر والطاوسى والفناك وعصير

الخدود وبوغد والخمار واللماح ومراح البصر وبنت الكروم

واصنغ نشرح لك لمدام اوصفو وسمتو نحسبها لك اسطار

كن الطيف اظريف امشتمس » سلفك عرضى انزيد لك دون احزارا

نحسب لمدام والخن والقهوة والمسطار والمحلتم (3) وانزيف اتجار

قرقاف اجرحون مشتمس » الرحيق الخندريس نشوا بتارا

برنيس اشتيا والشمول امتسولا اوراح ومعنى لسخمسار

حميا والصارعا اذكسر » بنت الدنان والرموز اقيسار

الصهبا واصافيا اودم العنقود امفاجى الهول افاشى لسرار

(I) لساقى الطعم .

(2) أى ماء الحياة والمعروف فى المغرب أنه مشروب حاص باليهود .

(3) فى م 2 ص 4I بالخاء وفى ح 108 ص 4I بالخاء .

واتجريال العكوز ابلكبسر * غارت من جاريا اعروسا فمنارا
الحمرا ومقدما وهرموزيا وامدهبا وقسيسيا تذكر
الشربا لدا المن اسكسر * الحبيب الداليا ولبن العصا
قتالت لحزان دارت اقلايد فى لبأ اعلى ابساط احمر من عكار
بنيت الطرب الكل من ازهر * والخمر الفلبريق راحت لفكار
شعشعا وامشعشعا واعراقى وصرخدى اجوهري ما كيمو دكار
الصندلى وامزايجى الصفر * والعدرا ماحيا اسريعا فالغار
واغضنفر والطاوسى وقتاك عصار لخدود بوغليا ياخمار
والنماح امراحت لبصر * هادو اسميات بنت لكرم اجهار
والخمر فى اوصافها على حد ما نجد عند محمد بن الوليد فى
«الصفراء» بديعة الحسن المكمول، ودرة اسرار كأنها قمر اشرق بضياثة أو نجم،
فرحت بها الخلاعة وبلغت منها ، يطلب منها ، أنه تصول ببهاثها وقد
ايدها الله بالقبول ، وبجدها واثنى عليها ورفع شأنها ، بها صال الكرام،
وفيهما وبالهامها نظم الشعراء وكل من لم يزه بها بهجر ويضيع عمره ، ثم
انها حازت رضى الملوك وتزيت لها الفاتنات وذاع صيتها فى كل بلاد الله :

صولى صولى ببهاك يا بديع الحسن المكمول

فرحت لخلاعا بك يا الصفرا وابغت امناهـ

يأدرت لسرار

قال يانا سيدي وانت كن قمر

شرقت بضياها وايلا غرار

صولى يا الصفرا صولى ربى اعطاك

اعطاك ربنا لجيل

حسن لقبول والتبجيل

واسنا مراتب التفضيل

بك لكرام صالوا حتى نالوا

اعليك قالوا لكلام أوضحوه لشيأخ هل المعقول

ضاع الزمانو من لازهى امعاك

ايا موعياها ميگاه اينهجار
وانت ارضادوك ملوك ارفعو اثناك
نعمو افصورتث ووانك
وبنات الزهو قدامك
برزوا زينو لوصالك
ومت الله شكرك وارفع قدرك شاع خبرك
غرب اصحرا آفايجا وامدابين واقلول
بك اسحيت لكلام ساقث المايا وانشداهما
بوجود المسرار
ويصفها ابن على في «الصباحي» بأنها في لونها ذهبية كالسما ، وحباها
كالشبه ترمى بها الرقيب :
والراح كالسما ذهبيًا * يرمى اعلى الرقيب اشهابو
وقريب من هذا نجده عند المدغرى في «الديجور» حيث يشبهها
بالهلال :
والصفرا تسمطح كهلال واكواعبها مثل النجوم فالخمرا عاموا
وهل الخمرا فبساط كل عذراوى حايذ ريـــــــــم
وهى عنده فى «الزهو» معقة من عهد الهرمزان :
صف لى تدراج الكسمان * من امدام اصرخدى ذوقى امعتقو دهقانى
افعاهد اقديم الهرمزان
ويحكى المدغرى قصة **الخمير** فى «الساقى» فيبدأ بالترحم على البستانى
الذى ترس الدوالى فى روض مزهر ، ونعمرها بالمايا الى أن بررت اوراقها
واغصانها ، وبدت فى ابتهاج منطلعة للعلو ، واعتنى بتربيتها وكانها صبيات
تربيهن أمهاتهن يحمينهن فى الحجر ويرضعهن من لبنان تديهن المدا ، ثم لا يلبث
النمو أن يسرع بهن فيصبحن شابات بالعات تطل نهودهن وتسرب شعورهن
على الصدر ويلبسن ثياب الحرير . وما أن اكتمل نمو هذه الدوالى حتى خطبتها
ريـــــــــح الصبا للريـــــــــح الفريـــــــــة (I) ونزوجتها فى حفل بهيج ، انطلقت فيه مياه
(I) الريح فى اللهجة المغربية مذكر

الصهاريج والفسقيات وعزفت موسيقى اصسادف المطر الغزير ، وحضره
الهزار ، وقدم الفجر هديه نسيما طيبا طربت له الاطيار ورقصت أغصان
الشجر . ثم حملت بعد ذلك وتوحيتم على نريا ضريح سيدي بلعباس ، كان
أهداها له السلطان اثناء زيارته ، فأنجبت عناقيد شبيهة بهذه الثريا ،
فاقت الذهب في صفاء اللون ، ما كادت تضيح حتى جناها ولد انفرام ،
وعصرها في ثوب الهوى وصفها وعتقها في صون الى أن عبت نسماتهما
تبعث على النشوة ونفى الهجر والصد والاسقام والاكدار ، ثم خرجت
لحضور مجلس الشرب صفر منيرة تحيط بها لكووس ، وكانها اليسر يوم اكتماله
قد النفث حوله النجوم :

ارحم اعلى الفراس يوم غرس ادوالى فى ارياض امننم بنوار
واسقاها بمياه تنهمر ۞ ولقحت ادواحها وتاكت مسرار
ربها تربيت الصبيات فحجور امنها اعلى نهدين المردار
بتشرغين افايت الصفر ۞ طلقات اصفرتها اعلى غيظ اجارا
وبعدها بالرضا رجعت اعزييات احكىتها ابناات المجد الجدار
عن لبلوغ اطفحت للنكر ۞ ديك الهادى الوات بالنيه اكرارا
بلغت اطلو الهودها واسوالفها جات حايقا عن ليمن وايسار
لعبو فوق ارخامت الصر ۞ ولبيت اقماش سمدى عند ازكارا
احطبها ريع الصب الريح الغربى عقدو أزواجها بحضور الهيزار
فبساط المرجات والنهمر ۞ واخصوص اتفور راسبارج همـر
بشهود الآلى وصيفت الآلا صدف الجواهر أمن امزن العزار
راحت فى عبروقها اخضر ۞ من فوق اسربره زهوا للضار
حاب الفجر اهديتو ابطيب انسيمو غنات لو نزايه لامت لطار
ورقصت القطبان فالشجر ۞ وارخات اكمامها اعلى الفرع ابشارا
تغلات اصاحى افروضها واتوحيتم اعلى اتريت الطرشون الصرصار
سيدي بلعباس يندكر ۞ اهداها لو امام لشراف ازيارا (I)
ولدت شى اعنقد كفيها تسطم بضاهها اولاً مثلها ذهب افنشجار
(I) تطلق الزيارة على الذهاب الى الضريح وتطلق كذلك على مايقدم له من
هدية أو نذر ، وهى فى البيت بالمعنى الاخير .

صنع الله امالك الكبير * حكمتي بسرار لعقول احيارا

البحر من بحر * غمر في قلوب لهما وصفها لتعطر

عمقه في ثياب الخفي * وعبرت اتسوها ابشوا بتبارا

انها البحر اصد والبين اضيق الهم والجفا واعصا يص لمرار

والسقا فالقلب والكسدر * زالت بشعاع نورها عن حصارا

حصرت الصغرا اكم البدر ليلت واج اكوا كيو سراضياها مستنار

كبسان الفجر امع التبر * منسم لسماط عل احصرا سميصار

وهو في «الساقى» الآخر يرسم صورة الدلية منعمة في الحد ثق دومة

السقى ، وقد البوت أعصاها في حلقات على سرير موني ثابت ، مائلة معريدة

في كسل وعنفون ، وقد تدلت منها غنايب كثر يات في السماء عقدت

بأسلاك من الذهب :

هاك دم العنقود اظلمت لساقى * بنت ادواى امخت فحدا يقيق

اعلى السقا واسراير توليق

اغصانها عرطت والى ات افلا حلقى * فكساويها امكسلا واعبر ارق

امشرغنا بخراس التحليق

ولعناقده مثل اتريبت فالافاقى * وافصليها امعلقا بتعالسقى

امن اسلوك الذهب افتوريق

اما الساقى فيراه امتيرد مولها حيران ، ويسأله يسرد بان السبب كامن في

الخمر وفي الحبال الفتى الذي ينظر اليه :

ياساقى مالك ولها * عدلى لا تكتم سولان * مال حاله ميسو

مال مكو اى حرس * خاطرى والساكن دهمان * والى به قبالو

لدام احسن الحسن * والنظر والعشق الفنان * والهورا واهوالسو

ويطلب منه ابن على أن يكون مطيعا للفتات ، وان يلبي طلبات

منه وان يكون منبها

عمل والحضرا ما نفينا * طع لبها اوكن فى حالك يقضان

ويريده المدغرى أن يكون ليما واعيا منتبها ، وأن يشهد مواويل

واشعارا حلوة رصاة ، وأن يوقظ السكارى عساهم يفيقون ، وان ينحنى

امام سود العيون لعل الارض بعينه بين يديها ، وان يزهى القلوب ويحركها

بالوتر والطبوع الشقيقة :

كأس دم العنقود من لبريق ساقى * وابغى ساقى البيب دهرى فايق
فى اغريل الموال ارقيق

شم أساقى واسقى غمقى ارقاقى * وانغم بشعار كن حبرى عايسق
وخلص الطايح يك ايعق

بندق آكل الارض بشفر لداقى * وازها صحى لقلوب من لعلايق
ابلوتر واطباع التثويق

وقريب من هذا يقوله العنى لساقيه يوصبه بأن يذبحني أمام المليح :
طار اغراب الداج ولخمر فالاولانى باقى * يا ساقى
أهدى كأسك النملح واخضع لو بتبديقا * وافهم معنائى اوعيق
ويريد المدغرى من ساقيه كذلك أن يشمر عن ساعده وأن يسقيه
ورداقه بفراصة حتى نخرج عنهم الضيق والهموم :

قرب الصفرا هات الكاس

امن ايدك اسقنا يا صاحب الخمر بكياسا

مزق اصنانا والتكبيس

شمر اكمامك للتسوير

طوف واسقى واهدلنا اغناجك بفرسا

ما يعالك فالزهو اونيس

ويطلب محمد بن الوليد من الساقى أن يكون خفيما سريعا فى الصب
غير بطىء :

الساقى ضيف الله ضيف * غدر لكاس آكون احيف

باش تطفى هذا اللهيا

وعند محمد الشليح فى «الكاس» أن حبيته هى التى تسقيه وتسقى
جلاساه :

كبي يا باشا رادفى كاسى من خمر المراس

فاجى تشواشى * يا هلال الخودات اعبوش

كبي الكاس * واسقى جلاسى

طالت لفرجا يا سلطانة النساء * بوجودك واكرنا اتنسنا
 ما كان بهاس * ففسق حناسى
 بعد تكت ليلت لوصال غالسنا * غايو اهل لفجور ولحراسنا
 ومن نظام الشرب وادبه ما يلفت اليه امتيرد نظر الساقى، حيث يريد
 أن يوطئ الحسان ، وأن ينتبه لدور كل شارب والا بكف عن الصب طاب
 الليل مسدل ستاره

الساقى وكس ليريد * رد بالك لنوبا لا تغف عن مولاها
 كب واسقى مازال ليس

ويطلب منه ابن على أن يسقى ويشفع ، ففى ذلك علاج العاشق :
 كب ياساقى الراح لعتيق واردف للعشيق هاداك اصلاحو
 بوجود ابنت الحى كب ياساقى كاس الراح
 اما ابن سليمان فيريد منه اذا عريد ووقع أن يوقظه بانشاد الاشعار،
 وان يعيده للسكر من الرشف بمجرد صحوه :

اذا نطيج وقظنى بشعار النظام

ما نصحا حنى اتردنى بالمرشف سكران

وهن اوانى الشرب يذكر ابن على الكاس ولاهريق :

كب با ساقى هات لنا * صب لدام واسعنا بكيسان
 حتى طار اغراب لفسيق وارفع فوق كاس لبريق فرجا بصباحو
 ويذكر كذلك فى «الصباحى» اوانى البلور :

كب لدام ياساقى من بلار * اصغ اوصف بالخمسارا

ويذكر ابن سليمان الكؤوس والفناجين الملوثة :

كب اكپوس افناجل لجمر نشهد عل للوان

ونجد ذكر الفناجين عند المدغرى كذلك :

فق اصاح هات افناحلك واغنم نشوت واحى

ويزيد عليها الطاسة :

كنت امهى اسليم ما نعرف ياخنارى * كاس اولا طاسا اولاخمسرا

اولاندى اشروطها فحضرت الخمارا

وعند محمد بن الوليد في «الصفراء» أن أواني الشرب أكواب مختلفة.
مما قردية وخارية ومعدية صدقية وحزبية ومنها زجاجية وبلورية ، ومنها ذات
الوان صفراء وزرقاء :

وأكوابو المشتعرا

اعلى الصناف داروا

اكذلك اوجاروا

احبيب حمار

لأن الرغيع الشراب بهم وانزاح الهول

فمن واصداف زاجى والودع والحابورى انزاه

والعليح السار

وعند العلي في «الساقى» أنها كؤوس من زجاج عراقى (I) شفاف :

كعب الخمر الخزفيا * في كيسان انادقا(2) * من زاج ابلاد العراق

تظهر خمرا بارقا * فالوانسى شارقيا * ككون اسحق الرماق

بل انا نجد ابن سليمان لا يريد من ساقية أن يقدم له الخمر فسعى

الكؤوس ، وانما يريد أن يملأ فمه ويسقيه ، ويكفيه الريق بلا خمر :

أنا ابلاد اكيوس اسقيني * عمر امراشك واعطينى * الريق بلا احمر يكفينى

والوقت المفضل للشرب عند امتنرد في «الساقى» هو الليل :

زد غدر كاسك واملاه * ليلى بالعز اعنماه

بعد فالو لينت يا شيوخ لا تسماها

وعند ابن على أنه يمتد حتى الفجر اذ يبدأ ستمار الظلام يرتفع كأنه

غراب طار وركع فوق الكؤوس والاريق ، ايدانا بالصبح حيث بدت خيوط

لشمس لاوى مشعة تضى غرة الفجر الذى بدأ كسلطان جميل تبايعه

الاشجار وتنحنى له ، وقد هب نسيم البستان طيباً وألهم جبين الفجر

ضوءه على الكواكب وأخذت الطيور تفرد فوق أغصان الشجر المائل ، وفاحت

(1) يطلق في المغرب هذا الوصف على زجاج الملون .

(2) لعل المقصود بها كؤوساً مستوردة من مدينة البندقية الإيطالية .

الازهار المختلفة من ورد أحمر وسوسان منير كالمبهي بسلاحه، والخبوري (1)
 يخبر بحكم العاشق ، والياسمين البهي الكاوي والحيل (2) مشمرا للكفاح
 بخيله ، والنرجس ترمي عيونه زهر «الزين والبها» في الغدو والرواح ،
 وجزران تملأ قصباته تمس مع لرباح
 حتى طار اغراب الغسق ، ارفع مدق كاس ليريق نعت صاحو
 لسمان اعل التسم اخيرا طمو صباح
 وحين الفجر في اعل الكراكت واضر ادواخذ اعل ضو صاحو
 فوق امناير لغصان كل طر ايغرد بعراج
 واهمام القبل كشرىف حاكم دار العجلا غرت مصباحو
 امر لشجار ايها يهوه لحسن بجمال المصباح
 مالت لشجار وفاحت لزهار وغنات اطيوار اعل لفجرو تلقاو
 ضحكت بالفرح اتقاير الزهر في ظل اللقاح
 شب الورد العكري يفوح شف السوسان في امصباحواتبها اسلاحو
 شب الخبروري يخبر الحكم لعشيق الفضاح
 شب ابها حسن الياسمين كيوخلاني في حالي اكثر تحاحو
 شب الخيل خيلو امشيرا مشمور اللقاح
 شب اعدون النرجس كتراعي لبها والزين في اغداه وفرواحو
 واقوام اقضب الحزبان يتمايل بين ارياح
 وعبد ابن علي في موضع آخر ان الليل قد افن سلطانسه يسدل
 الظلام بأحجته ، ويملا الفضاء بعساكره وينصب خيامه كانه فارس سوداني
 شجاع يمتطي فرسا ادهم ويمس سلاحه ؛ وتجاوبت معه النجوم فـلاح
 ضياؤها في الجو ، وتحت علمه أخذت تدور الجمال طريقها للمكان وكأنهن
 عرائس لم تنظر لعن مثلهن ، وفي المكان مدت فرش ملونة بين الاشجار
 والروض البهيح وحدوله المنسربة
 حضر بالك يا عاشق لها شف اهمام الداج مد بالظلام اجناحو
 عمر لفضا بعساكرو ودق اخباه افلبطاح

(1) هو النوع المعروف في المصحح بالخبور

(2) لعل أصله الخيري وهو الزهر المعروف بهذا الاسم في المصحح

نحكي سودنى اشجيج يشختر بفارتو اعلى ادعم سل اسلاحو
وانجوم القبلا لاجلو فالحو امضاهم لاح
وابدور الزين القاصرات تحت اعلامو يامن اتسال للمرسوم راحوا
همان اعرايس كل ريم شلا شافت للمساح
لبساط ايخير لعفل بهرشات عل للوان ما بين ادواحو
والرياض امبهج بهرايسو اجداول بين ادواح
أما ابن سدماه فيستمر مجلس أنسه يوما وليلة ولا ينتهى الا فى
العشى وقد اصفرت الشمس ، وهو وان لم يشف لوعته فان الوقت الحلو
الذى امضاه عل قصره خير من مائة عام :

هذا النهارنا جوزناه (I) اعلى التمام
شمس لعشى راحت صغرا * فالزین ما اسخت ابنظرا * باقى ماشفت الحظرا
لئلا اويوم عندى فعواض اميات عام

وأما العلمى فى «الساقى» فمفضل الفجر :
راح الليل اعلم لفجرتنا لصبح العراقى * يسا ستاقى
دوز اعلى الحظرا بفاجدك تزيان الموسيقى * وازرع (2) للساهى ايفيق
وكذلك يفصص المدغرى فى «الصبوحى» :
اغتم الصبوحى يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار امغناها
لاترتى لبحرئيس كب ورا (3) ربى غفار

(1) جوز بمعنى قضى وامضى ، وهى من -جاز بمعنى فات ، لاتستعمل الا فى المنطقة الشمالية من المغرب اما فى الجنوب فيستعملون دوز وداز، ويبدو غريباً أن ترد عند ابن سلبجان الفاسى

(2) ازرع هنا بمعنى صب له أو قدم له الخمر ، وهى توحى - سواء فى هذا الاستعمال أو غيره - بالحركة الخفية السريعة .

(3) أرا بمعنى هات لاتستعمل الا بهذه الصيغة كاسم فعل الامر ، ولعل اصلها ارى مصدرع راي فى المتكلم كأن الطالب يريد أن يعطى الشيء حتى يراه بعينه .

والوقت عند المسح قد ربي حشيش في «ساقى» هو العسمة عسمة

أعـسـروب :

ووفى العليا وأعدى لنا من مبرجت أعشما مدام المسح

أسافى عقب النهار هذا فوز أبوقت لمرور راسما من الدواج

شف الذهب الرايحاً « لسبب ثوب لغروب والليل أغشاها

ومثله يريد انجار في «الذهبية» أن يقتنم لحظات الغروب فيشرب :

غير كاسى يا مديم قبل التروح الذهبيا

شف لبهم حين اتمكن فظلامو غلب ضى النهار

ورسم «ميرد» «الساقى» اطارا طبيعيا لمجلس الشرب فى غاية

الروية والجمال ، فالطبور تغرد وتسبح والحسان ينشدن القصائد والعروبيات

والاغنيات ، ولاعصان تتمايل والنسيم يهب :

شجاع لخمير فبنات الحى باح وافشا مكنون اسرارها وطار احياها

لاح طير الحسـن الكسـيل

ذلك مقصايـد تشبه ذلك بعروبها تلفظ والخرافنهاها

كنعت المايـا والسـيل

ناخ الفجر والليل انشال ولطيار اتسبح المن انشاهها

ولقصان اكساها تبجـيل

عب من حو لفلـك اسـيم بعد طـيلت لقمـ البين للوداع ادعاها

كـنادى بالعـزم ارحـيـى

وبدول امترد كذلك فى «فرجة لعشية» :

بالصفرا والكيسان خمرا بشوا معصورا

« من عرسان ولعرايس وكموس التروح وعلى حضرت ملاح

هدى تسنى واتزيد

والدوب ماتنسها

ديك اتجاوب بنشبد

دامحلا صوت الفاها

لخراترقص واتميد

بكرايح شف اهوها

هادى تسحر لدهان

لحرا تفتن مبشورا

ديك اثريا ديك كمنارا ففساق اديوح

شرق اضياها وضاح فى حرجا عل اللون

بخلاعتهم مشمورا

يتمكن ويروح امن انظرهم تايه مفلوج

بتشكى دون اجرار

مايفدهم ثمان

هل لخدود المعصورا

ملا لتقمه مانتج ماشلا فنتوج

يوم اوقرها يشحاح

ويسنعرض المدغرى فى «الساقى» أنواع الطير التى اعتلت أغصان

الاشجار مفردة مسبحة لله فرحة طرية ، ويشير الى المغنى بشدة الاشعار

وعازف العود يفرق برفق فتزهى لنقره الريام ويقمن للفرص :

شف يا ساقنا لفراس : خاطبين اعليهم لطيار قاطبا عساسا

ايسبحو . من له التمدس

شف لمام ابشوقو ماس : ولبشيقا يغنى بفصحتو الغدا اتواسا

جاوب الحريل والسمريس

شف كمري يرثى فهواس

امحاوراه امقنين اصوتها الهول اتاسا

شف كلال امثيل اعريس

شف لطيار افطيب اغراس

اكما ازهنا لاريب ازهاوا الفرحوا دون اعكاسا

كل طير انفصلاه اوجيس

شف غانى ينشد عساس

شف مول العود ايزهى اريمانا بسياسا

له قاموا فرحا ورفيس

وبجده كذلك في «اساحى» يصور حو المجلس اساحى فيذكر المعنى
ينشد بأنغام وتواشيح يصاحبها العود والرباب ورقص الفاتنات :

ماشقت أساحى ارحيق ينظم الكاس اعفود ويضحك فالشمع انواح

والغنى بعام فاصححا * لوتاه احجك من الخمر الكفاحا

مهر ك — وشيح * واليسان —

وسعيدان اتصيح * والرباب الى نايح

لو شف بنميح * هجاب اتصيح

بنغاييم واشطيح * ولقاييس ودواوح

ويضيف لدغرى في «لمصوحى» الى هذه الآلات الجناح والجنك

والكمان والسستري :

شف العود والقانون واجنح والجنك اكمنجا واستتر احدها

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغاييم لوتار

شف الآلى موسيقتو شهات اعلى حسن انغاييمو في ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا على الرضا ماغزلو حرار (I)

ولكنه لا ينسى التعريجة

كب الخمر الكافح * اصاحى واتراوح * بالنعريجا واكباح

ومثل هذا التصوير البديع لآطار مجلس الشرب نجده عند الرجزاجى في

«الساقى» حيث يقول :

شف الستان رفيع مبهاج
موجود فيه كل ماكنحتاجو

شف اغصان الروض كعرايس دحت بدواح
بخلخل ودبالح اعقود الجوهر لوضيح

وادواوح واكمامها ابلعطر تهحى واتفوح

شف البان ايبان كهفف الزين المياح
يتنه بنساييم لعطوف امرح تمريح

متمنع فطفاحت الشباب امورد واجموح

(I) يعنى قصيدة «المصوحى»

شف السمرجل شامخ النهود ارخي لدواح
بالفرحات اتعاقوا بعشيق الالوتيريح
والتشين امقابلو امع العرصاد المصوح
شف الليمون الشط والرنج من عطر وفيح
والورد القاني ابطبتو يجلي كل اطريـح
والورد السرى مع الورد العكرى مصوح
شف الجدار مودحتو امعكر قودصاح
وامعمم بعبدق السباني للفرح اجميح
والياس دوار املور بوشامو مسروح
شف ليزيى شف طمـح : وامدلك اكف لعصور قطهاجو
شف السوسن ابطبـح : والخزان وامصل الماك ابتاجو
وانظر لنخابورى افسـح : والزين ولبيها مترونق فدباجو
شف المعشوق اشف عاشفو بغرامو نواح
والنمام رقبهم هي قلبو جمر الفيح
والديدى والديدمان والخطما واليرروح
شف الشكوكى انقول عشقى شاكى لحلاح
والخيلى خيلو امسرجا فالמידان اطفيـح
ولباغ ابخالو وسامنو للعكرى مجنوح
شف الجمر طاهجا البهر شاخص بمـح
يتزها فالغالب ايجول ابنظر واطمـح
والحكم افحكمو ايجور م يشفق من مكروح
شف اليرقان اهوا ازرقا حنى انحل ووجاح
وابهجا والفن ادمحابق زاهر وانصيـح
السوسان امع لقرنفل واشكرنط ملقوح
شف اجداول فهدرها سر امن الفاح
فخلخل لسواح جاربا نديح بالسبيـح
واترضع فنواور خواص ابهاها عذبي مسيوح

شف التراع افكل مهراج « وارياضا امزخرف راهي تعواجو
شف امشوات الساج والعاج « وليسمين واسرايرها فنهاجـو
شف امشوات حرير واديساج « وامخاد واخذادي بالذهب انساجو
شف اطيوار ابلغام كتعربط ما شربت راح
صبحت تشوانا ابلهوا تفجى هول التلييح
بالسر المكتوم كل طير ابا فيه اينوح
شف الحدد ايمائو ايحير عقل الرجاج
والسمريس انقول شي اصى يقرأ بالتوصيح
والحاف ايجاب الزطوض ايشكى للبح
شب الزرور ايتيه ويرقص وخفك ابلجاج
يتهد ويبدل النغام اسجول اتوشيح
ما مئو نشاد رايق المعى بالموضوح
شف الهيزار ابلغتو ايحير فمسا واصباح
ويغرد فالليل والنهار ابصوتو لفصيح
والكلال ايروج افقفز بنشيدو مسدوح
شف ازروال ايتروك يفصح فوق لفصح
ومقنين اسادم الجنان اتوضيح توضيح
والحضرا فى غايت الزهو والعز المنصوح
وانظر للصح امطرده الساج « ضوا ابرائو بهضا من تملاحـو
والشمس امعالمها ابلبراج « لفحت كل روض ازهرت احراجو
وازهنا ما بين لشنساج « لا وعد لارقيب ايروج بهراجو
شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح
وانظر ليكنجا اوشوف العود ارجيح
ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح
شف اصبهان امع الحسن والمايا فى تنقاج
شف العشق الصافى لزم العفا باش اتريج
والتوفيق من لكريم نعم الى الصبح

وفى الرفقة يرى ابن على أن يكون كل واحد مصحوباً بخيلته
يرضى بها ويتسلى في صعاء ، بعيداً عن العواذل والحساد ؛
كل الخليل اقتبأتو اخليلاً » بالعز والرضا في ساعته لوصول
يسلوا في حضرا اجديدا » بقيوب صافيا رغم اعلى العمدال
كل خلية فد لبست افخر الثياب وعلا جبينها تاج كابدر الوصاح
مرصع بأعلى الدر والجوهر ، وقد شربن حتى عربدن ووقعن ، ولكن لم يدبثن
أن افعن مترنمات بأحسن الاشعار :

لبست لبسا واعلى اجبينها تاج ايحير الضمير من متع الما حو
بالجوهر والدر النفيس تعنى بدرا وضاح
رشفوا كيسان الخمر وعربطوا واصفاو الولعات فالحين اوطاحوا
ثم قاموا واتفوا وصاحوا بشعار الفصاح
وكذلك يرى المدفنى فى «الديجور» :

والصفرا تسطم كهلال واكواعها مثل النجوم فالخمرا عامو ،
وهل الخمر فبساط كل عنراوى حازن ريـم
ونكنه لا يلبث فى «السافى» أن يهوى الشرب مع جماعة الفاتنات ؛
شف حضرا تسحر لغلـاس » شف خودات اهواويات اقلهوا وناسا
راخفات شعر داج اغيس
ويود ابن سليمان أن يشرب مع حبيبته فى جمع احبابه واهله :
يحلا امع القاك اشراىى » ما بين لا متى واحبابى
تنسى امحايى واعذابى

أما أنجار فيريد فى «الذهبية» أن يفوز بالشرب مع أنكار المدينة :
اساقى فوز بالمرايه والمرحات » وازها بموانس لحضر وافخر بهم
بهم للسور وازرع الطاسات » ساعف عرض الريام لنك ساقهم
أش من فرجا تلذمن غير الخودات » زهوا للعاشقين فرحا بمجيهم
وقد يعرفن الشاعره الشعبى عن الخمر الى غيرها ، على حد ما تصادف
عند الرجراجى الذى لا يرغب فى غير الاتاى والسكر من عيون حبيبته
وخدها :

الساقى بين للاح كب اتأى الفرح : ترك الخمر او لا تقربو بالتصحيح
واسكر بعيون لمسهح : ومن الخلد الموضوح
وعلى حد ما تصادف كذلك عند الحاح اذريس لحش الذى يريد ان
يشرب من الخمر المباحة .

رف اعلىنا يامديم واهدى لنا عين فرجت لعشيا امدم المباح
ولكن مثل هؤلاء الشعراء سرعان ما يجدون من يغريهم بالشرب :
فهذا المتبرد فى «فرجة لعشمة» قدمت له الفائنات كأسا مليئة بسائل أبيض
مصفر شك فيه أن يكون ماء ، وادرك انه عمر مباح وعسر عن شربه ، يحسن
لامره وصحكن ، والحقن عليه فى أن يشربه حتى يظهر له آثاره ، فهو زهو
بنى عذرة المشهورين وسدواهم ، شاربه أكثر بطشا من السيف وأحد من
أسنة الرماح واسرع من ريع البحار ، يطق لسانه وتنشئ جوارحه وتحمر
وجنانه وينزاح عنه ستار الحياء ، وكل من لم يذفه لا يرتاح :

رفعوا لى كاس املان : ابيض وامعاه اصغورا
هذا لماشكيت قلت لهم للعقن اخروج : ما هو ليا مباح
قالوا لى خلد اشرب : تنظر واتشوف اعمالو
قلت لهم ما تقرب : منا فى حالت حالو
واضحت لهم اعجب : ضحكوا الريام وقالوا
هذا زهو السلوان : لبنى عذرا المذكور

مولاه ابطش من اسهام واسرع من ريع الجوج

واقطع من سن ارممـح

فوق احوارح نشـوان : واعلى الوجناب احمورا
بسرـح للسون واكشف لـحيا للمهروج

من لاذافو ما ارتاح

وهذا المدغرى فى «الكاس» يغرى صاحبه بالشرب منكرا عليه - فى
استفسارات - خفافه ، فهو لم يطرب للغناء ، ولم يشرب كؤوس الفرح ،
ولم تصبه سهام العيون فى شفاف قلبه ، ولم يعض تفاح الصدر ، ولم يدق

رحيق الشفاه ، ولم تهزه ربح الهوى ، ولم يهزمه جيشه القوى بخيوليه
المتوئبة وسيوفه القاطعة ، ولم يسهر السالى متأوها متوجعا جريحا ، فليكشف
عن الجولان والهيام فى صباحه ومساءه ، وليشرب كأسا مترعة تمحو الهموم:

غدر كأس الراح لتأونت عقدك ساحسى * يا ساحسى
اسمع ما قالوا الناس فالكأس ابغى امزاحا * واقبل منى ذا المصيح
وانت عفلك رايع * ماهر وكثيرايع (I) * مادفت اكيوس لغراح
ما عكروك الوامح * وسط الفس الجراح * مانكوييت امن الماح
معضيت تفانح * فوق الصدر اطوافح * ماذقت اشغوف لجباح
ما هزك ربح لهوا وغيوانو بين ارياحسى * يا ساحسى
ما هزمت جيشوا مع انصالو بخيول اطفاحا * تبرى بسوف الذبيح
ما هزك فالنوم من اسنوت الشماشب وارماحى * يا ساحسى
ما خلاك اعلى لفراش اوجدك تداحا * ولا قاصك شى اجرىح

يكفك اصاحى تجول هيم فمسا وصاحى * يا صاحى
غدر كأس الراح ، بلقداح اهمومك تماحا * غلغل فى مرطيطح

بل يذهب الى أبعد من ذلك فيعد الذى لا يشرب من الدواب :

من لاعربط سارح * فمرايح واتسارح * عدو من كسب لمراح
وماكاد يقسدم على الشرب تحت تأثير الاغراء حتى رأى فى العرشف
صلاحه وعلاجه ، وأقبل عليه بلهفة عساه يعوض ماضاع من عمره :

اسقيه اسقييه قال لى فالتمصاى اصلاحي * يا صاحى
أرا لى نفدى الى امضى من عمرى واتماحا * واملاى حتى انطىح
بل انا نجده فى «ساح» آخر يقرى صاحبه حتى يلين ويستجيب ويرغب ،
ولكنه يتعامى عنه ولا يلبي رغبته ، وبشره ينحرق الى أن يضيق به الحال
فيعرى رأسه ويكشف عن رغبته الجامحة ويطلب مباشرة من الساقى أن

(I) ج كمريحة وهى الفناء عامة وتطلق خاصة على النوع الذى يقوم على
قصائد الزجل .

يصب له في القدح الكبير حتى يغم ويغوص مفايت ، ون يرمى عرج الضعيف
 القه : وما كد بسرب حتى غاب وعانت معه همومه ، ثم أفاق وأتى على
 كل لخمير ، بل ، أن معريه خاف على نفسه أن يشربه بكثرة ما أبدى من لهفة .
 فاق لساحي امن اسهوه جدد عيا بشوفا وهزني واشمزني بالمح
 نحتو (1) . رجعت لو اججحا » جايغاما اعليه دزتو برجاجا
 وبعدها صاق به حالو عرا راسو زد للصغرا دون امزاج
 وانطق للساقى فى امكاجحا » قال اسقمى امن الرحق لغراجا
 كب ارالى ابلكبيرياك انغمو مفايت والصفير ارميه السمراج
 صاح اساح اعاب ما اسعجا » واصبح هو ابكاس لدام اتماجا
 فاق ارقص ابلاخفا واضرب الرش (2) ادواقال لاسميه اوسقسسيه اصاح
 واضغم فالصغرا الشارحما » وادوالى قال لى مرتك (3) لاراجا
 شفت الساحى . شرب كل شى سنكت انهاري وخفت لايشربنى يصاح
 وعنده أن الذى لا يشرب مصاب ، حياته فارعة ، وهو وغد شعيج
 بخيل :

من لا اشرب ارزيج » عايش ريج افريج
 كابى وغد اشحيج » عاش فزماو كالج
 ونجد المدغرى نفسه يتحدث عن مغريه بالشرب فيعترف - مى
 مزح بين خمير العنب ومدام الحبيب - بأنه كان يجهل كل شىء عن الخمر وأنه
 كان سليم الجسم مرتاح البال الى أن رآها فى عيون سكرى ، وشاهد
 عصيرها على خدين جذابين . وكان قبل شرب المدام - ويقصد مدام العيون
 والحدود التى كانت مطيته للمدام الاخرى - حرا مرتاحا مزهرا روضه ،
 بعيدا عن طريق الهوى ومشاكه ، لا يشرب كؤوس الحجر ، ولا يشتعل الجمر
 فى قلبه ، ولا يعرف اللوعة والسهر ومرارة الغرام :

-
- (1) لم أجبه من نخل نخالا
 (2) لعله الزقى ، وضربه أى شربه عن آخره
 (3) مرته والمرأة التعب والمحنة .

كنت امهني اسليم مانعرف ياخنارى * كاس اولاً طاساً اولاً خمير

ولاندرى اشروطها * فحشرت الخمارا

أنا سيدى حتى انظرتها * من اشفار اسكارا

أنا سيدى واعصيرها * اعلى الخديس المسرا

أنا سيدى قبل لدام ما داخل تحت احكام غير مرتاح

ما عرفت اللهوا جرا * اولاً شربت اكيوس الهجر * اولاً شعلت اقلبي جيرا

مطلوق معذرفى اعدير * زهو مكدل بازهارى * ما نعرف ليعا ولاسهر

فى طيب النوم ما عرفت النفرام امرا

وكان الاغراء بالشرب سبيل الشعاع الشعبى للتعبير عن رأيه فى

الاستمتاع بملذات الحياة فامتد يد ينصح ساقيه الحيران الموله أن يستمتع

بالحياة حين تتاح الفرصة ويفرح والفرح لا يتم بغير الشرب ووجود الحسان،

وينصح أن يتمتع بصره ويتنزه فى هذه الوجوه على ضوء الشمع ونقرات النغم،

فقد فات أمس بسروره وشقائه ، وقديما نصح بالايستبدال الانسان ساعة

الهناء والسعادة بالتعب والشقاء ، ويطلب منه ألا يكون بخيلاً :

قلت للساقى شد احزام * لاتعائب نفسك بلام

خذلك انفسدا

افعل ما معدو هل لغرام * حين تعطف عنا ليام

مرحها ينسزادا

أش من مرحا دون مدام * واش من حضرا دون اريام

للقبوب السدا

متع ابصارك واتزهى افوجه لحباب او ما يداوى لقلوب واشتهاها

بالنغاييم واشمع اشعيل

أش باقى لك من تكاد لينت البارح معلوما ابفرحها واشقاها

ما يحضر امعاها تهويل

فول فات اصحيح اسمعاه لا اتبدل ساعت لهنأ ابتعبها واشقاها

اولاً تكون عل لجواد ابخيل

كيف يذهل عقلك وبغيب ولعواذم قدامك كلها ابما عتناها
هيب نفسك للطوع انمىل
وابن عى يريد أن يفوز بالزهو والسلوان مادام الله سيعفو ويعفر :
دا ربى يعفو اعلىنا » ازها وفوز هذا حد السلوان
وهو فى «الصموحى» يدعو سافيه الى أن يفتنم شرب الفجر مادام
الزمان فى عقله ، وأن يشعل مصباحه بالهنا ، فمن لم يفز ويفهم لن يتسلى
الحشم امع للميح اصبحوك » أما ترى الزمان فغفلا
واشعل ابلهنا مصباحك . من لا يفوز ما يتسلى
'ما المدغرى فيدعو الى تنزيه النظر وترك الهوم بالاخذ والمطاء واعتنام
وقت المنادمة بالشرب فى الطاسة فييس فى لحظات السرور وصفاء ما يفتق
ويزعج ويمعث فى لقمب الوسائوس ، وليس مثل الخمر بشوه ولا فى
شربها باس :

نزه ابصارك لوح لباس
هاك ورا اعن ازمان لمنادما بالطاسا
ما ساعب عا تهويس
لا يروم اخيبرك وسواس
كب وانشط واتزهي ما عليك فالوسوسا
ليس يهوان غرك ليس
رادف اعلىنا بالوناس
مايحال الصها نشوا اولا فخمرك باسا
كب وحض من كان العيس

وهو يرى فى «لزهو» أن متعة الحياة فى البنات وسكنى القصور
والفروسية والموسيقى والغناء واللباس والتنزه فى الطبيعة وشرب الخمر:
الزهو فبنات اشبان » ولمازه والخيال اميت لوتر والغنى
ولقماش روض اكيسان
وما محمد بن الوليد فى «الساقى» فيشرب ليطفى لهفته :
الساقى ضيف الله ضيف » غدر الكاس اكن اخفيف
باش نطفى هذا اللهفا

وعنده في «الصعرا» ان الخمر تذهب الوسواس والاهوال ، والله
لا معنى لحياة الذي لا يروي منها ظمأه ولا يحيى نفسه بأنعام الاوتار ، بل
ان النفس تحاسب صاحبها ان لم يجعلها تزهى وتسمع ، وعنده ان متع
الدنيا كائنة في الكسب والخيل والبنت ، ثم ان الله غفار :

طاب الزهو ولم الشراب وذهب وسواس الهول

فرجا بياض العز ولها فرجا لمن ابغاضها
بشعر يابششار

آش را من لاکب از اوهاج افدولت لفحول

آش را من لاجاد وسخاوزها نفسو حياها
بنفایسم لوتشار

من لازهى نفسو اتحاسسو قالوا هل لعقول

زهو الدنيا لكتوب والسرور البنت ازها
والمولى غفار

وقريب من هذا نحمد عند العلمى فى «الساقى» حيث يرى سرور
الدنيا وزهوها فى الجمال والخمر ، ويرى الصولة والعزة فى القنسى
والفروسية :

اسرور الدنيا وزهوها فالذين العرقى « يا ساقى
والصولا والعز فى اركوب الفرسان احقيقا » وامم العذرا ولوريدن

وعند آتجار فى «الذهبية» ان لحظة الزهو تحيى القلوب وتسل بالافراح:
اساقى ساعث الزهو تحيى لقلوب « واتسل ابفراح بالشوق الجالى
والشاعر الشعبى فى اقباله على الشرب واغتنامه للذات لا يتنى وبه
ويأمل فى عفوه وغفرانه ، يقول ابن على :

دبا ربى يهفو اعلىنا « ازها اوفوز هذا حد السلوان
ويقول المدغرى .

قل للساحى ايفيق امن النوم يسمع انصاحى « يا صاحى
بمعالم وارياح لهوا تهدي طبيب الراحى « مولانا عانى اسميىح
ويقول كذلك فى «الساحى» :

فى اساحى هاك فنجالك والقاء ارشغو ارشيف ياك المولى سماح
والت هل لوفى السامحا « من لا اشرب لدام ما فيه اسمحا

كما يقول في «الصباحي» :

اغنم الصباحي يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افمنهاها
 لا ترني لسر يس كب ورا ربي عمار
 ويرى العدمي في «الساقى» ان الله كتب لسعادة للسعيد والشفاعة
 للشقي ، وانه لا داعي لاستنكار النوب أو محاولة تجنبها ، ثم ان الله غني
 مشفق رحيم :

عمار لي نسطاب فرجتي يتحقق روناقي يا ساقى
 خل الخن وهات لي الصهباء والكاس احديها : وامل لي ذلك الحريق
 كاتب مولانا السعيد ساعد والساقى شافى : يا ساقى
 لا تستكر امن اذنوب اولاتنكل عن تيقا : مولانا غاني شفيق
 والامل عند نجار في «الذهبية» ان يمحو الله ذنوبه ويقبل توبته بجاه
 برسول صاحب الشفاعة :

وانهابت لحدث اطلبو من لاينام يمحي اذنوبنا وايتوب اعدينا
 بجاه محمد نبينا

اشفيح فينا

حشا ايها بننا

ربي الكريم من لا تخفاه اخفيا

معلوم ابلوفا وعبيدو يرحامو

بعد النكد مع لوزار

على أن بعض الشعراء لا يقصدون من الخمر حين يتحدثون عنها غير
 الخمر الصوفية ، وأبرزهم ابن رموية والحراق وشقور ، يقول ابن رموية
 في دالته يخاطب المريد السالك :

اشرب لازم الكيسان ووصال لسلاتسوان

لقد ضاق الزمان عن الحاهل لعتمود

قد شربنا كؤوس زالت بها الهوس

غبرنا مات بس (I) ولاعرف مقصود

(I) كلمة غير واضحة ولعله يقصد مات أسى .

خذ العسل الصافيا امن اجباح الصوفيا

واسقه للعروجا ولا تكن احقود

ويقول الحراق :

اغتم كاس الراح * هاحبيبك زار

'سبي اودور * الف الشرور * طول الدهور

ضلل الشراب * فالنكد غساب * والخبر حساب

رشف لكواب * مع لحباب * عين الصواب

فازها فيامك * لو اتمش انهار

نظرا فلهيب تمحي كل احرايم * والرحمان الكريم ياللي نرحمه

اذا ماضى ماتنفع اعزايهم * لو بعمال الخير كلها تلقىهم

ويقول شقور :

من عند الغنى تفيننى * وتنزهى امع لحبيب ابلا فخرا

اسق يا ساقى الخمرا * هذه ساعى لرضا

اظنت فيك ايلا تفدننى * واتزلنى فى امراتى لعلا

ايا الباقى كى واسقننى * وشربنى امن اكوس الخمرا

هن لقلوب هزم هزا * ياللى بيدك كل عزا

داوى لقلوب باش تبرا * ياللى بيدك كل قدرا

ياسادنى يا موليا * نظروا نظرا خالصا فيسا

انظرت فكم نظروا فيسا * نشرب شربا حقيقيا

سعدى بك وارضى اعليا * يا محمد سرك فيسا

كذلك يجد ذكر الخمر الصوفية عند الفلوس الذى يبدو مضرا بحب

المختار شاربا من خمره ، وأية خمر هي ؟ ما أحلاها دون ساق أو كاس ،

وحدث قبل ان يخلق الكرم ، تسرى فى روحه ومهجنه وعروقه ، وهى

سابقة عنبه فى الازل :

محلا خمر الحب دون ساقى من غير اعراقى * خمر قبل الكرم خالقا

واسرات افزوحى ومهجتى واعروقى واسفاقى * ليا بالازل سابقا

بمدن الرسول الاكرم سقيت اورافه وتفتحت أزهاره وفاح شذاها ،

وبهواه أينعت أشجاره وبالحب ترنمت الاطيار مفردة بأصوات سماوية تشد
تواشيع الفنون والاشواق ، وتسبح بألسنة ناطقة لا يفهم تسبيحها غير
الخالق الكريم :

بمادامك ياسيد الرفاقى نسفات وراقى * وازهارى بشمالك وارقا
وشجارى بهواك طافحا فالبسنان الناقى * واغصانى فالجو خافقا
وانهارى بشناك مسواقى ماها دفاقى * وادواحى بالعشيق باسقا
واطيارى بالحب كنالغى ما بين احداقلى * بصوات الكريم طالقيا
بتواشيع لعنون ولتواقى تشد كزواقى * واتسبح بلسون ناطقيا
مايقفه تسبيحهم الا نعم الحلاقى * من ودك بسرار خارقيا
وقل هؤلاء جميعا كان المدغرى فى «الكاس» قد وصف الخمر بأنها
معينة لم تعصر ، وبأنها سمقت فى وجودها الكرم وبأنها أطف من
الهوى وارق من النسيم ، يكفى شم عطرها الفياح لكى تسكر وتنف العقل
وتسبل الدموع :

خمر اقديم ابلا عصير من قبل الكرم افلاحى * يا صاحى
الطف من لهوا ورق من لرياح للياحى * يثلف عقلى الى ارجيح
من سمو تكفه طبتو ابلعطر الفياحى * يا صاحى
يضحى ما بين لفطار سايح دموع سياحى * ما بين الحضر اسبيح
ولكننا لا نحفى شكنا فى أن يكون قصد الخمر الصوفية رغم النفمة
الفارضية التى تطفى على هذه الالبيات التى يبدو أنها مجرد صنعة ومحاكاة،
وترجع هذا الشك بقية القصيدة التى يفرض فيها صاحبه بالشرب كما
تقدم . وما نقوله عن المدغرى نقوله كذلك عن العلمى الذى سبق أن مثلنا
ببعض شعره .

ثانيا : الكون والطبيعة :

إذا كان الشاعر الشعبى قد اغرم بجمال مظاهر الكون والطبيعة
فاتخذها اطار لمجلس لشرب ، فانه طل يتعشق هذه المظاهر حتى بعيدا عن
جو الخمر ، فوصفها وصفا رائع التصوير بأروع التعبير يكشف عن سلامة
دوق ، وصحة . وجدان ، ورقة حساس وشعور بالجمال ،

واستحلاء لحقيقته حسب زعمهم . وهو في وصفه نقادون وشخص ويسر
المعاني في صور حسنة مبنية بالصفة . يست فيها
الحركة والحياة ، وينبعث منها من ذاتية ما يجعلها
تعكس حال نفسيته وحيوية عاصفته في امراة . وتجاوب مع تلك المظاهر .
وأدب في ذلك أسماء «الذهبية» أي غروب الشمس والصباح ،
و «الديجور» أي الليل ، وهو عندهم الدج والبهيم ؛ وأطلق عليها كذلك أسماء
«الربيعية» و «العريضة» و «البستان» و «المشوم» و «النحلة» وما إلى ذلك
مما يوحي بمظهر من مظاهر الطبيعة والكون

1 - الكون :

وصف المدغري الشمس القارورة صفراء ذهبية ، وشمسها بعرض شتراء
أرخت عنانها ، أغدت تغبر على الروابي والسهول ؛
شف الذهبيا اخلاودها في ذهب التشعار
وارخات اصروع النجوم فوق الوطيان اتغير
نعمها شكري امحننا من خيل المنصور
ويرى الحاج ادريس لحنش أن الشمس في لونها الذهبى ليست
ثوب الغروب وقد هجم عليها الليل ؛
اساقى نكح لهدر فوز اوقت السرور واسقا بين ادواح
شف الذهبيا الرايحا « ليست ثوب لغروب والليل اغشاها
ويسمح له الذي جعل الشمس تشرى في كل أرض ، تزهي ونروق
في أول الضحى ، وتعلو لتلقى أشعتها على الجدران ، ثم تتجلى في كبد السماء
يخطف سناها الاضار وكأنها عذراء في : « عذراءها » لا يسقطه أحداً ينظر
جمالها ؛ وإذا ما حان الغروب بعد ذلك يصفر حجبها في حظات سرور
لابسة أردية حمراء ؛

أساقى سباحان ربنا هذا الشمس افكل ارض تتجلى عل لبطاح
واتزهي في أول الضحى « تنشر فوق الجدار بيروز انماها
تبدا بها بعد ذاك تتجلى في كبد السما اسناها يخطف للماح
كعدرا فاصفر طافحها « لامن يقوا يشوف فجمال ايهاها
ابدحان اغروبها اساعا يصغار اجبينها الغروب تروح ارواح

نكسارى - ص - ناصحاً - عكرى مغبوق فيه تغرب فى ماها
 وحى فى حالة الغروب - وقد احمرت حدودها وعدت معصورة -
 شديدة بالسكر التى شربت حتى ثملت وغابت عن وعيها ، فاختطمتها عاشق
 كان مسروراً لها وغطاها بأجبحته ، وترك أهل الغرم يتوادعون ويوحدون
 تنكبي نمر - الطيور والأشجار ، ضارعين الى الله أن يعيد لهم اللقاء .
 كبيت يعنى حمة الذى أغض حفيه استجباء وهو يودعه، معذرا ومصاصا
 وممسما ن رهر ، دمة لينزه واياه :

والشمس احمارو احوودها ونعصرو نحكى اعويتها زرعت كاس الراح
 ومن الغلات طايحاً - جار اعليها اوصيف عاشق وداه
 عس اعليها بلعين حتى غابت عن حالها اوغطاها تحت اجناح
 واترك هل لغرام نسايحاً - تتوادع ابفراق والوقت ادعاها
 واطيور الستان ناحت على الفرقا بصوت حالها وكذلك لدواح
 رفدت العشاق فاتحاً (I) بكفوف ارزاقها ايولى ملقاها

سب الى يوم نيم الشفارو واستجيا رفل الى ودعتك - اصح
 واستعير لى ابلهصافها - واحلف حتى يجرى وينشو انزاهها
 وعند المدعوى فى « لدعية » أن الشمس فى غروبها تذبل وتصفر
 كالحبيب الذى هجره حبيب بعد أن وعده بالوصال ، فظهرت على خده آثار
 الفراق ، ولبس ثوب الضمنا الاصفر ، وسكب الدموع ، وذبل لونه وفقد
 الصبر ، وحارت لعقول فى أمره ، كلما انحدرت شمس العشية للغروب
 زد لونه تفسرا خشمة من ليل وطوله وما يكثر فيه من فزع - تس - وسكاب
 الدموع - صبح اصفرار حده ، صادق حمره ، وزوده شمس العسة ناهبا
 وكبره - مدور على املاك المحسن .

وما غروب الشمس ابلهوا تذبال وتصغار
 كن احسب امناولوا احببو وارجع للفيصر
 خلاه افوكر ابلا رفق امفرد مهجور

(I) رعد مدحه لى رفع كفية ليقرأ الفاتحة ويدعو اليه .

وظهرت افخسرو اعلاامت الفرثما من لضرار
والبس خابورى امن الضنا واسكب دمع اغزير
بسموا سيوف لفرآك جرحودىما معكور
وادبال اخیالو اوحالتو طاحت من لغيار
فغرامو واشكايتو وعشقو لعقول التحير
يحسن عونو عادم الصبر بالفرثما مقهور
ما حد لعشيا تغرب النونو فالتكدار
من خوف الليل الطويل والفزع والتقيير
والتنهاد اكيت الصبر وامداع لبحور
فوق الخد اصفورتو اتبوح ابصحت لخبار
والذهبيا كاتزيد فوق اخدودو تشحيير
نعنها عذرا اعلى افلاك الفرائى اتدور
ومثل هذا الربط بين الغروب والوداع نجده كذلك عند علال الصدراتى
فى ذهبيته حيث يقول :

الشمس اغروبا عبارا
راحت مشمورا
وانبات اكوكب السيارا
كانت محصورة
والبدر انما ودر دارا
لبلت عاشورا
والبين جار
تفرقنا من بعد لمزار
واتودعنا من لوكار
واقده واجمار
قلبي واش جاىصبرو ،

ويبلغ هذا الربط عند الحاج محمد النجار حذا يجعل شمسه لا تغيب
مقط يوم ودع أهله فى الصحراء للسفر الى فاس ، ولكن تصاب بالكسوف

وتظهر النجوم فى وضوح النهار وتنتشر الظلمات :

لله يا هلى سمحوا فى شى فأت

وادعوا لى انصيب امنايا

فى بلد فاس كنز اغنايا

عند الشراف هل لعنايا

يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا

لبسط لكفوف ضى وادجا للخالق ساير لحلايق يفقر الواتى

فجميع السبات

الين آوين الشمس فالسما ريناها كسفات

حتى ظهور النجوم فالنهار الكهار العاتى

والظلمة سدات .

ويصف المدغرى الليل فى «الديجور» فيدعو لرؤيته، مال ظلامه وأطلق

كواكبه فى هالة وهمة كأنه سلطان من السودان أقبل فى حلة فحمة راكبافرسا

ضخما أدهم ، بيده أمان الملك وضمانه ، وخلفه جيوش من الفرسان ملأت

الافاق تحيط به من كل جهة ، يمتطى جنودها خيولا دهماء ملجمة مائجة كانها

البحر الزاخر لابسة حدلا من ريش الغرب والظميم :

شف الديجور ارخى اكواكبو من شور القبلا ايهيل وبمبل اضلامو

سمطان امن السودان يتقل فى هما وازخيم

لابس برناط فوق امن ادهم متكلضم كورى فثمان صولت تضخامو

قابط لمان امن الشريف واكبل فى زى افخيم

شف اجيوشو تاكو اوعمرو لافاق اييمين اشمال خلفو ومامو

فاق اهيكل دهما اتموج نحكى زخار اطميسم

شف اخيامو فالكور كوروا بعساكر فرسان كلها قابط الجامو

بكساوى من ريش لغراب وارياش اجناح الظليم

والليل بسكونه وهيبته وغموضه ملجا يأوى اليه المحبون ، بثونه

هموم وأحزانهم ، وانطلاقا من هذه الحقيقة اتخذ المدغرى وسيلة لحوار يقصده

منه الى تحقيق غاية وتبليغ رسالة، فهو بعد أن شبهه فى «الديجور» بالسلطان،

نخيل المحبين حضروا يقدمون له شكواهم مصطفين في ساحة قصره ، منهم
من يشكو الهجر ومنهم من يشكو التبه ، ومنهم من يشكو العشق ومنهم من
يشكو الغرام ، وآخرون جاءوا يقدمون له الهدايا يرجونه ان يظل مسدداً
ستاره عنهم لنعموا بملذاتهم ويستمتعوا :

شف السور فالعين عمروه ارباب الغوان ومرار على خدمه
دارت بالشكيا اصفوه في حرب تحزيم

شف الشكيا شي اشكا بهجرو شي بالشبهان شي ابعشمو واغرامو
شي بالفري شي جايب لهديا لليل ايكيم

تقدم المهجور يشكو هجر الحبيب بعد طيب الوصال اسيرا باكيما
رائيا ، وقد طال صبر قلبه واقسم الحبيب الا يك أسر ، وهو يرجو الليل
ان ينظر لحاله ويتدخل بلطف لديه ليكشف له عن حصة حال البين ، لعله
يلين ويقل استعطف محبه فيرد عليه السلام ؛ ويود منه ان يجمعهما في
مجلس انس يستمتع فيه بالنظر الى جمال حبيبته ولاستلذا بكلامه ، عساه
يرفو خرق قلبه الكليم . ويجيبه الليل بان عليه - رغم الهجر - الا يياس ،
وان يطل بابواب حبيبته وهي خدمته ، وان يلاين ويسعف هواه في غير شؤم ،
وانه مهما طال به الهجر لابد وان يلتقي مع حبيبته في مجلس شرب وانس
فكل من لازم باب لجود لابد داخله :

زاد المهجور اشكا ابوجورو من بعد طيب الوصال ارجع مهجور
قال ادجي قدسي اصبرو (I) هذا الشحال ونا نرتي مهجور
والهاجر خلانسي ايسرو بشمايلو احلف لاطلق ايسرور
ابغيتك ياليلي اتسوت من حال واترشبو الى انجي نسعي ادمامو

ينين تدمامي لايردي . لقهرت اعمو
ابغيتك ياليلي اتقول بلطف الله عاشت رد سلامو
واتبين لوال الصدود من بعد الوصل ادميم
ابغيتك ياليلي اتمنا فبساطي نشفا ابها ونسمع اكلامو
يرفي ماقطع . يادجورنا من قلبي لكليم

(I) ها أكثر صبره .

قال : سيدور لى عزال هجر . بحسب حبيب لارول عن منامو
 ويساعف عرض اهواه لا يكون اناعزم سنبسم
 من لازم باب الجود لاغنالسو من مدخل لو اقلول نالهجر ايامو
 يتلاقى بالمحجوب بين كاس ساقى ومديم
 وتقدم التائه يشكو حائرا مرارة الهوى وحور مالكة وتينه بشبابه .
 ويرجو الليل ان يكفه لعل ان يطفىء نار قلبه ويعالج سقمه ، ويطرد
 محبزيه . وبعد الماء الى مجره . وفن سبب سسم ، ويرود منه ان
 يلم شملهما حتى يرتاح قلبه من اللوعة ؛ وعساه بعد ذلك ان يقبله خادما
 وعبد له . ويجب ليل بان من صبر وتحمل الهجر والجرح لابد - مالم
 يمن - ان يفوز بصيده مهما طار ، وينصحه بالامهال والمسايسة والطاعة
 حتى يفوز بالنظر الى جمال حبيبه ويشرب معه :
 شف التيهان شكا اضرى م من ته مالكو حارت لولول
 قال اداحى لهوا امرو (I) « من تيه امن اهويت اريت امن الجوز
 هو تايه فشباب صغسرو « ونا امتعو واين در انسدور
 ابغبتك ياليلى اكلمو يالك ايعالج نار ضر قلبى وسقامو
 تغنم اجر الملهوف ابلهوا ياليلى لهيهم
 احسب سلس اتقول للمحجوب ايرد لحررز الكسدامو
 والما اللمجرا والرتاج اللباب اقلب اسليم
 ابغبتك يليمى اتلم شلى يفرغ قلبى ابلعتو من تخدمو
 لعل من بعد الصدود يرصانى عبد اخديسم
 ادوا لهييم اقل من اصبر وتحمل حمل الصدود وعكر اجسامو
 يقبط صبدو ولو طار لاتمل اصدود لغريم
 ارخى غنو حتى ايوالف اتبعو بسياسا ولا تخالف لكلامو
 حنى تشفا بحمال صورتو والكاس افتعويم
 وتقدم لعاشق بشكو السهر ، تكشف صفرة لونه ما فى قلبه من
 داء وتكفى الغاهم للفضاء والحكم ، ويرجوه ان ينظر الى حاله مكويا

(I) ما أكثر مرارته

مفاتر حبيبه ونظرات عينيه ، ما نظرت اليه الا زادت جراحه آلاما ، متلهفا الى الماء وهو
يجرى متوجعا في مكانه ، ويستفسره عن وسيلة لاطفاء عطشه ومعالجة رثق
سهام حبيبه . ويرد الليل ليؤكد له أن العاشق في حيرة مستمرة يقضى
ليله بين الخوف والرجاء ، ويخشى الفراق حين يتم له الوصال ويظل مشغول
البال عند الهجر دائم البكاء والالين :

زاد المعشوق اشكا اسهـرو « واصفورتو كشتت اعلى الخد اسطود
واظهر فوق الوجنات سرو « كيف يخفى اخبار القلب المضروب
والى عايق يقضى ابنطرو « ايجود ويصمخ عن حال المعذور
ابغيتك ياليلي اتشوف حال المكوى بمحاسنو وخزرات انيامو

وقت ماريتو كيزيدلى تجراح اتعديـم
ابغيتك ياليلي اتشوف حال الملهوف اماه ما اخطا وسط ارسامو

صبرو راحل بفرا من اهو امع العشق افهيم
ابغيتك ياليلي اتقول باش اتبرد لله رشتات اسهامو

لى عطشان الحب ولهوا شربى شرب الهيم
ادوا لبهيم اقال ذاك حال العاشق مشغول طول عمرو فعظامو

مايين ارجاه اخوفو كايكسم داجو تكسيم
ايلا كان احبيبو امعاه يخشى من لفراق الصعيب من بعد امكامو

ويلا فرقو يبقى امعلق الخاطر غير ايزيم
وتقدم المغرم يشكو القهر وأهواله الكثيرة ، ويشكو أوصاف حبيبته
التي لاحد لها ولا حصر ، ويريد من الليل ان ينظر الى من اسود حاله
وادلهم وطال ، شبيها بحاله وبشعر لطيفة الطويل المرخى على الاوراك فى
سوالف مدتوية كالشعابين تاركة باله فى كدر وسواد ، وقد الهبته نـسار
الخدود ولسعته الحواجب والعيون لسع الارقم ، وكأنها فى نظرتها سيف
ابن عبس يفرس فى قلبه ، وهو بعد هذا يشكو زندق حبيبته يلهبان نار
حشاه وقد انهمرت دموعه غزيرة كالمزن شبيهة بلآلى ثغر الحبيبة وجوهر
جيدها . ويجيبه الليل بأن من اكتوى بنظرة العيون مصادف اعدامه ، ولكن
لله يجود بالصحو بعد الغيم :

زاد المفروم أشكا أبقيرو ۞ ومدامعو امزون اعلى الخد اتقور
قال أداجى لهوال كئسرو ۞ شلا انعيد من رمكات اليعمور
توصاطسو عضدى ما نحصرو ۞ بهم جيت شاكى من غير افجور
ابغيتك ياليلى اتشوف من هو حالو اكل اطويل او حالك تدهامو
مثل اشعور الباهى اطويل وعلى الوركين وخم

واسوالفها مثل التعابن الملويا فى خاطرى اكلالو واهامو
والقوس السعنى من الحاجب لقايى لسع ارقىم

سميف عنترا فدواخلى امن الخزرا فى يوم الغباح جرد صمصامو
والهيبو من لخدود ياهلى والوجنات اجحىم

وادموعو مثل اجواهر الشفر ولاجوهى جبدى اعلى حسن اقوامو
والزند زلد نارى افلحشا من يرفو لوسىم

وادوا لبيهم اهل امن كوا من خزرت لعيون ذاك صادف تهدامو

لكن الله ايجود بالصحو من بعد التفيسم

وتقدم الذى هجره احبته يشكو حر نار الفراق فى قلبه وغدرهم به
بعد ان وعدوه بالوصال تاركين قلبه منهيا لايعرف الطبيب به علاجاً ،
ويساله عما قد يعرج هوله وهيامه ، ويريد منه ان ينظر اليه بفراصة وعقل
ويعالجه ويخبره بمكان احبته ان كانوا تحت جناحه ام فى خصب يعمون ،
ويرد الليل بأنه ينفى له ان يسأل ويجول ويفنفى أثر رحلتهم ، وان لم
يقدر على ذلك فليصبر على الضيم ، فكل من يعمل يصل ، وليس امام العاجز
الا ان يصبر ولايشكو اذ عجزه هو سبب ما يقاسى ، والذى يتمسك بالامل
يعوز لايد بغوث من الله :

زاد المفروم أشكا ابفسرو ۞ قلبو ابجر نار الفرثا مدعور
قال اليبى طباب غدروا ۞ بعد التفاق عن لودا و اشهور
ترگوا قلبى كاوى ابجمرور ۞ عكز الطبيب ما عرف الدياشور
ابغيتك ياليلى اتفدى بفاد تفجى اهور قلبى واهيامو

وانظر فيا بفراست لعقل لك حبر احكىم

ابغيتك ياليلى اتعالج الصب الى رحوا احباب قلبو فيامو
واداوا امعاهم خاطرى اولا باقى له احليم

ابغيتك ياليلى اتكول لى وامن صدوا لمتى واين حامو
لاينهم تحت اجناحك السعيد اوغى خصب انهم

ادوا لبهم قال سول اوجول اتبع ارحيلهم فى أنرو هامو
كان انت ما قديت بالداعى اصبر اعلى الضييم
من اخدم اوصل والعائز يصبر لايشكى عكزو اسباب هجرو واعدامو
والى ما قطع اياس لاعاء ايغشو لكريم
وهكذا قضى الليل وحكم بفكره لارباب الهوى ، وفصل بالحق حتمى
شاع خبره فى كل مكان وجد فى العمل ساهرا يشهد له الشمع والخمر :
أمرواحكم وافضى ابكمـــــرو . لرباب لهوا بالحكم المشهور
وافصل بالحق أشاع حبـــــرو . « اكل فح بين امدان وادشور
واحهد فالخدم ابسهـــــرو » بشهادت الشمع والخمر المعصور
أما الذين قدموا الهدايا - وهم أهل الانس - فجاءوا يطلبون منه
ان يطول وفد النغم وشعشعت الخمر وأضاء الشمع :

جاءه ناس الفرجات ولخلاعا واهداه أراودوه عن طول امكاهو
قالو لوياسنطان هل الحب ابغيناك اتقيـــــم
حلات الصيفا والمدام شعشع والشمع ازهى اولاح فخدود اريامو
والكيسان المديدان حربها تجرى فى تعويم
ويدعو المدغرى فى «الصباحى» للتمتع فى **طلوع الفجر** ورؤية البدر
مضيئا كمروس برز من الحجاب وحوله الكواكب فائنات يرعاهن تحضن به
يمنة ويسرة، ويدعو كذلك - مستغلا أسماء الكواكب فى تلاعب لفظى رائع -
لمشاهدة المشتري ولوعا بشراء العاشقين ، له سوق عامرة بهم ، وزحل
باعثا حمرة على الخدود كمصير الخمر ، والزهرة زاهرة خدودها يزهى
المحبون بجمال ضوئها ، والكيوان يكوى القلوب بلانار ، والمريخ مرخى
لشامه ، والشرىا متملية من سناها بعقد والنجم يزهى العاشق بغرته ، ويهيم
بضيء مناره ، والنسر ين يسرى فى الرياض بعسكره والنسيم يفوح عطره
صبيبا بطلوع الفجر :

شف البدر الضاوى اعريس قائم اخجبا واكواكبو اعوانس يرعاها
دارت دور المقياس به عليمين وايســـــار
شف المشتري له سوق عامر برقاب العاشقين والسع بشراها
شف الزحل ارقى اعلى لخدود اعصير المسطار.

شف الزهرا زهر اخنودها رضى صحت يسوا عند حسن صاها .
شف الكيوان اكوا ايكينو لقلع . ابلان نسا

شف المريج ارجى سم شف لني يا سما عقد من صاها
شف المبرى برى على الم صاها

شف عرر برى ايهر العاشق وامنازى اقبشر صاها
شف النسايم ابطاها عجر بسوك صاها

اما الفجر فكسلطان راكب فرسا اشهب ، وقد صحت في يساره صاها

حادة يركض خلف وصفاة في كل مكان مشمر صاها

شف الفجر احكينو اشريف راكب اشهب وبلان - برى صاها (1)
بجري اعلى وصفاة بنى صاها

وهو قد اشرف على الاطلاع متوبا كانه المولى اسماعيل ، ناشر علمه

المنصور وضاربا بسيفه المصفول في جرس صاها ، سفير صاها

الخدول الشهباء النحيبة الصاها :

شف الفجر اركب فوق لطلال « قديم نعيه مولاي اسماعيل (2)

شف اعلامه منصور قتال « سيفو اعلى شير الديجان اصعب

شف كم من اشهب ارفع مازل « شيهان خاطف لكها له اصهب

ويقارن ابن على بين الصبح والليل ، بن الصبح كسلطان ارجى ذيل

ازراه لابسا حلة من الديماج ، وبين الليل في توديعه كفر صاها

واضات مناره ، بين الصبح كنس يهو في تحميته ، وبين الليل سال دمع

غرابه وقد بدا الضوء من خلال ذلك منحيا بطرد الظلام وبزيجه ، وظهـر

حمام القبله كالامام في احراب ، ودار القلث بمشيئة ربه قاحعت الكواكب

وهب النسيم من بين الظلمة والنور يحرك الاشجار :

الصبح كغريف ارجى ذيل ايرارو « لبس من الديماج اعمر

والليل كغراب اسود شاب اعذارو « وشعل امن الضياء امناسار

الصبح كالنسر يتعلو « والليل سال دمع اغرابو

(1) ما أحدها .

(2) في رأى استاذنا الخليل لدكتور عبد العزيز لاجه في أن ذكر صاها

السلطان في مثل هذه القصائد ربما يدل على أن بعضها كان مدح

للمديح ولكن الحروة لم يحفظوا هذا المديح .

والضوء فى السماء اتجلى * رسل اعلى الظلام اعقابو
انظر اترى احمام القبلا * مثل ليما فى محرابو
الفلك كيف دار ابصنعت دوارو * واخفى الكواكب سياتو
هب النسيم بين الداج وانهارو * شوش ادواحنا المسراو
وعند المدغرى فى «الدهبية» ان الشمس ارخت اكمامها معولة على
«لروح» ، وقد احست بالليل فارسا حازما مشمرا يجمع جيشه يريده
الهبجوم ، فركضت هاربة من بين الاشجار تبدو اشعتها كاسماك الشابل
تلمع وتضى :

شف الشمس ارخت لكمام * عولت للروح افنتها واقياما
حست بالديجور لفلان * جمع لجيوش راد الحركا بزعا
وهربت وعرت لوهام * خلعت لور الرمح اشقرا بسلاما
...

والشقرا تجرى اعلى اجهدها ما بين اشجار

والفارس تبريمتو اعجب محزوم افتمسيم

وامزارح شمس لعشى اشوابل تمنع واتنور

واذا كان كذلك موقف الشمس امام جيش الليل الجرار ، لم تطن
مقابلته - وما كان لشيء أن يوفق بينها وبين عبيد أسير - فان النهار قد
اختطفها وحملها بحزم على اكتافه وغاص بها فى الغروب لتزف اليه فى عرس
يشيع خبره فى الصباح ، ولم يترك لجيش الليل غير الضباب ، وحاول هذا
الجيش أن يعثر عليها ولكن دون جدوى ، وظل الليل يعض الندم يرمى
بحره بالموج والظلام ، وشكت اطيده فى اوكارها باستثناء أم الحسن التى باتت
متنفة ، وحز فى نفسه أن يختطف النهار المشرق نجمة الانارة ويتزوجها ، وان
ينكر ذلك كل يوم :

شف الشكرا شافت المظلام ابعسكر جرار

واعرفها مثل الظليم ما طاقت لو بعكسر

واش ايلاقى بينها اوبين الميسور

حوصها جيش النهر عن كهلو والتشهار
واغطس بها في اغروبها محزوم اغتشمير

خلى غير الرعد والضباب الجيش الديجور

طلق الليل اعساكرو اعديه ايمين وايسار

شرق اغرب اعياء ومايوكد ومن دير الديسر

ماوجد وجرا اول الكاو المنزلها شور

حوص خيتو ولد لهمام * وابقي الليل بات افغصا واندام
يرمي بحرو موج واضلام * بسواد فوق برناطا دار اعلاما
واشكات اطيرو اغلرسام * من غير أم الحسن باتت نغاما
وبقات الفصا افخاطر الديجور القوار

حين اخطف لو شارق النهار انجمت التنوير

واعمل بها عرس كان فالصبوحي مذكور

وبقى جيش الليل فالنهار ايعوم ابتكار

يخطف شمس اعشيتو ايفادى تارو بهديسر

واتروح اعروسا امثين جيش الفجر المجهور

ويصور المدثرى الصراع على النجمة بين الفجر والليل ، وكان كلا منهما
سلطان بعسكره وحيشه ، أحدهما - وهو الليل - راكب فرسا أدهم ،
والآخر - وهو الفجر - راكب فرسا اشهب . وببيهما ظهرت النجمة
بهية مضيئة بارزة كأنها عذراء منعمة . وتقابل الجيشان ، جيش ليل بسلاحه
وخيوله ، وجيش الفجر بالقمر المضيء . وادعى الليل أن النجمة ملكه طوال
لاحيال ، وزعم الفجر أنها زوجه بالعشق الخلال وانها دائما فى رعايته
تلازمه لاتحيد عنه . وماكاد الجيشان يلتحمان فى قتال مرير حتى انتصر
القمر وحاز عروسه ولبس رداء عدا يعرفل فيه :

نقط جفنتك شف شف حرب الفجر مع الليل

كن اهمام امع اهمام بين اعساكر وامحال

واحد عن ادهم حجر على اشهب مسعود
 فالتفت من روعه على حماد حرب اطويل
 ولتحمى بهماهم حسن ابهما سعد
 عنها عذرا امختلرا تأملت بين الفحول
 لدجا انطت فجمالها بالعسد والخيول
 والفجر ادغم فيه بالكمر حربو قتال
 وبلغت النخس السيلر والسيف المسعود
 وقال ذو ملكي من حل الجيل
 والفجر ادعا قال ذك زوجي العشق احلال
 في حوزي دوما املازما جنبى ليس اتحول
 انطمت حين افلكفاح ابعط واصهيل
 عامت الكمر اعين اجيوش الدهم لسطال
 حاز الفجر صروستور ولبس ايزر مرفول

2 - التوبيخ :

« من الاسلوب الذي وصف به الشاعر الشعبي مظاهر الكون ،
 ذاتها باضاً بالحبوبة والحركة والمقارنة ، صور مظاهر الطبيعة ، فهذا حماد
 الحمري في « ربيعته » يصور انهزام جيش الشتاء أمام الربيع الذي أقل
 كسلطان منصور حاز كل فخار ، نصفت السماء من الغيوم ورمت ثوب الخزن
 وبدأ في الازرق قوس قزح بألوانه المختلفة كانه على خصرها حزام (I) :
 سارت لمشائي كالجيش ايلا انهزام افلكحار

من بعد رم طبلو واتصر سار فلفقد اكسير
 وحامد يسمى الربيع حاز لتفخار
 وصاب ما بصيب المنصور ايلا امشي اعماه احير
 ارمات السما ثوب حرها ولبست الافتخار
 واتعزمت بالسبع الدوان التي امسدها لخير

(I) سار = اقرب في قوس قزح : حزام بلا فاطمة الزهراء .

وهمد المتبريد يرى في « ربيعته » أن الربيع آقبل بأبوابه ، وعمت
سرقة ولهب والخبر ، وغدت الأرض في حنتها السندسية الموشية كعروس
سلطنة مسورة أحياء بعد الموت نزع الامصار ، وبدا المطر في تبه زوجا
للأرض تسود بحاسنه ؛ وبوم صمها وسقاها حملت منه ووضعت للسرور
ذكر وسان ؛ فأرمرت الانوار من كل صنف بقدره الله ، وخرج الناس
للسر من كل مكان .

من ربيع كل سنوارو

• عامنا عام البركا ولها والخير

من بركت النبي صلى الله اعلى باهى الصورا

انقش الارض احكمت اسرارو

• صبحت اعروسا سلطانا انوراتوير

واثابها اسندسي وانراورها انراش منضورا

من بعد موتها احياءها * بعوارص لمطار اسقاها

سبحان ذا التنا والعظم والجود

لمطر كابها يتباهى * والارض زوجتو فحضاها

بحسنو بدعت لجمال اسود

فنهار ضمها واسقاها * منو احملت فوق افضاها

ضمت للسرور اذكورا واغبود

لنوار كل صنف اتصوارو

كيف صور وصنع من هو الكل دئب اغفير

من طبت الجنان الساعد لساعدين بالزورا

هاج لربيع وافتح نوارو

فيه لخلایق تهدي كافا اكهل واصفير

لنراهمو اتكبن من كل ارسام له وفطورا

ثم اخذ في وصف الاشجار والطيور على حد ما سبق ان رأينا في اطار

مجلس الشرب .

وعند لطيب الواسنرى في سرابته الربيعية أن في قبال الربيع

سعادة الايام وانتشار مظاهر الخير ، فقد حاد الزمان وضحك
وانفجرت الاكدار وزالت الاحزان ، وظهرت الزهور المختلفة
اليها ، وبدت الارض كأنها من حور الجنان ، طاب عليها السرور
وهى بهذا عروس زفت اليه فجاء عليهما الزهو وغدت بارزة
وأحمل الحمل :

فصل الربيع قبل الوقت ازيان * واعلامات الخير لدو
حاد الزمان واصحك ثغر السلوان * والتكد اتعجا اوزال
وابطايح الزهر اعلى كل الوان * تسبى من راها ابه
والارض زى حوريا من رضوان * واعليها طاب لله
نحكي اعروس واعروسا فى اوان * اعليهم جاد الزه
صبحت بارزا فكساوى حسان * دام الله اجمالها و
ومثل هذا نجده عند غانم الفاسى فى «ربيعينة» :

الربيع اقبل فيأمو الريح غلاب * وانكسات البندا بك
كعروسا من كل قماش زايداديباح * حانطا بثياب الكبر
هايجا عذراويا امن احراج لغناج * ابلحاسن تسبى فاه
جات ايام الزنا بالزهو ولفراح

اقبل فصل الربيع وايام السلسوان

الزهو آتى وانشرح
وعنده أن الربيع من يضل الله وتمعة من نفحات الجنة
حال ايام الربيع من جنت رضوان * بانث لوراق والزه
سحان الوحيد عظيم الشان * بدع اجميع لشيآت
جاد اعلينا برحمتو والسلوان

أما ابن على فيرى فى «الزهو» أن وقت الزهو يدعو للنظ
فى ايام الربيع والاستماع بجماله كسب :

وأشجارها ، تتعانق أغصانها فى ترحاب كما يتعانق الاحبة بعد طول غياب ،
تسابل معربة من شراب كؤوس الندى الرائق السكيب ، وقد ضحك الزهر
وبكى الطل ناحبا كأنه عاشق تضحك الحبيبة لبكائه ، تتجاوب معه نغمات
أوتار العود والرباب المطربة تنقر عليها أيدي العذارى :

حل عينيك واتنزه زد شوف واسطاب
فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا
غصانها بالفرحات اتعانفو ابترحاب

كيف عنق لحبيب احبيب بعد غيبا
تمايو وعربطوا مريضهم بشجر
امن اكيوس بدهم امروق اسكيبا
الزهر تضحك والطل ابكى اسحاب
كن عاشق تضحك لبكاه شى حيبا
وبوار اتجاوب بعم عود وارباب

فيد عذرات اصوات اوتارها اطربا
وهو يشبه اشجار البرتقال والليمون محبة بفاتبات من بنات العرب
الدين يسرع ابطالهم لاجاد كل من استنجد بهم ، وهن يصنن بسمرتهن ،
تزين اجيادهن وصدورهن قلائد العقيان :

شف رنج اللتشين اليم كن خودات
من بنات العربان الصايلات بالتي
دمشق اعقيان محمسا الغلادات

اطالها من بهم استفات دايم اتقيمت
ويشبه اشجار الرمان المصطفة بعرائس لاسات حنلا حمراء متوجة
الرؤوس :

شف صف الرمان ابهيج كالعرايس
لابسات العكرى فعراشها اعلى الراس
ويشبه اشجار التفاح بذكار اطلت نهودهن الصغيرة ، وماكادت تطل
حتى اخذتهن الحيرة والدهشة من اكف لشاق وتملكهن الخدر والرغبة :
(21)

شف صف التفتح اربا افأرض لامير

كاعزبات اضحت انهودها اصغيرا

كف طلوا وانبهضوا حازهم تحيير

من اكفوف العشاق راهبا احديرا

ويشبه الورد بخدود أبكار المدينة غائدات من الحمام ، شعورها مبتلثة

تقطر على ماء ورد الحرد العنبري الطيب ، يعدلن ويملن في ربح علابة
كانهن من تمر العباب :

شف صف الورد اياكي اخدود لبكار ٥ ساكنات المهجا (I) البيضاء ابنت لضر

حيات من حمام اشعورها قطار

فوق ماورد الخدين طيب عنبر

كايعدلو وايميلو ربحهم غلاب ٥ كاقراصن بالبحر امانز هو اسجيبا

ويشبه النخلة بعروس بكر تمقلد الياقوت والعقان والجواهر ،

تتمايل مع هبوب الريح من العريضة والسكر ، وقد أرخت شعورها مسدنة
ومضفرة ، وهي من بنات الحضر زاهية كريمة يفوق حودها الوافر جودحاتم

شف ديك النخلة نحكي اعروس سكرا

امقلدا ياقوت وعفيان والجواهر

كتمربد هي اريوح احوالها بسكرا

اشعورها مسروحا وامضفرا اضفاير

من لبنات المزبانا زاهيا وحضرا

غالبا حاتم طي ابجودها الوافير

ويشبهه أحواض الزهور تكشف عن ابتسامها من النقاب كوجنات

السكارى :

ولحواض بنور امبسا امن انقاب

كن وحات سكرات بالصهيم

(I) البهجا من أوصاف مدينة مراکش .

ويشمه أديم العرصة بزرايى مفروشة لمنزه مناسقة ، زائه رقم
 حريري يفرج الكروب ، ليس من نسج الانسان ولا كتابته ، ولكنه من نسج
 لبارى جلّت قدرته ، أما جداول الماء وسواقية فكالمهابين تجري منهبة
 الاحصاف :

شف ارض العرصة ماكيفها زرايى * امعرشا بنزايه هذى السدى ابنسبا
 ابلحرير امرقم يفجى ادجا كرايى * ماتنسحو بصباغ اولادخل الكتبا
 بيد مول القدر منسوج يا حبايى * اتفكروا واعبروا ثنقاو كل رغبا
 شف ذاك لما فسواقى انسج صباب * اكما التعابن تجرى واحضانها الهييا
 ونجد عند المدعري كذلك وصفا غير مباشر للزهر والاوار فى «النحلة»
 حيث يستعرض مختلف الانواع التى تمتصها ، يقول مخاطبا اياها فى حربة
 القصيدة :

صولى باشاما لطريفا وازهاى اغنى ودندنى وقطفى منى لزهرا
 تراق اعلاج كل ضر * ابنت الملك ملك هما واتمار
 وفيها يرحب بالنحلة ويهنيها على الصولة التى تتمتع بها فى امة
 العير ، ويطلب منها أن تغنى بين الورود والرهود وخدود الجميلات وعيونهن
 الذباجة : اوحى الله لها فى كتابه وألهمها للسجود فى السهل والوعس
 وبطاح الندى لقطف الانوار ، وجعل فى شهدها دواء وحكمة وكسب :
 سهلا واهلا بك بالسحلا واهنيا بالصايلا صدى عن لطير
 غنى بين الورد والزهر * واخدود الزين ولعيون النحارا
 اوحى لك الله فى اكتابو لهمك لبطاح الندى ولقيط لنوار
 والجولا فالسهل ولوعسر * واجعل فيك الدوا وحكما واتجارا
 أما ابن على المسفيوى فى «المشموم» فيدعو العاشق الى قطف الزهور
 وضمها فى باقات لتقديمها الى احسان :
 يالعاشق قطف النوار بين لردم * كل وحدا رغم لها افنوع مشموم

ويستعرض أنواع الزهور التي تضم الباقة وكأنها عرائس التيفل
فبقول :

من افون الوار اجى اعريس التيفل
والزرهقان اسرى والشقيق والياس
بابسوج اطماج اقمرمزي افتخبيل
ولبهر والسوسان امجاورواسكلماس
ياسمين اغنبار امع لبها افتحقيل
ولعشيق اعاشق والرج والنرجاس
فرنفل والخبي والورد فاح بنسمام
ولحكيم دون اشريع ابلغرام محتسوم
خد الجوار اشكى اشكا ابلغرام
باح سرو من عشق الباهيات بقيوم
امشوقا اوشامها يسحر لعقول
وفزين ازويول الراحا اللقال
والباغ وابفحيح واليدى منمبول
نشون فعابتو وعنها ما بسلا
والعقيون الددحان اصبح معلول
شاف الزين لسهج من عائق عسل
ولم يكن الربيع وحده الذى يسج فرصة الحروح لسنزه والاستمتاع .
وانما كانت غير قليل من المناسبات تتيح مثل هذه الفرصة لاستعراض جمال
الطبيعة والفاثات كشعبانة وعاشوراء ويوم الزيارة ، يقول امترد فى
شعبانة :

يوم سنين اشعبان اسعيد بدمن ييغانا
لنزايه جبت اعوانس لمدين الحمراء (I)
آش را من لارا لريدم يوم داروا شعبان
كعرايس نحكىها بارزا افحضرت كسرا
(I) الحمراء من اوصاف مدينة مراکش .

ويقول الحاج محمد النجار في عاشوراء :

أجى اتشوف يامن لاشاف الهايات يصداوا

كيف شافت عيسى حسن يوم عاشور

ويقول الشيخ العربي القاسي في خروج الفاتنات للزيارة يوم الجمعة .

خرجوا لبيكار

يوم الجمعة لسواحل لبحر

بالآل وانغاييم لوتر

حاموا الزخار

شف امديت سلوان (I) زاهرا

خرجوا لبنات للزيار « واحى يامن ابغا ايزور

تهنا واتشوف دالعبارا » خرجوا في افراثن لبحور

قالوا يزهاوا بالمبارا » خرجوا برا لقصور

ملاحظة : شعر الفكاهة :

قبل أن نترك هذا الجانب الباسم المقبل على الحياة الى الجانب العابس الجاد ، نود أن نقف وقفة قصيرة عند فن من الشعر الشعبي لاشك انه تعبير عن روح الاستمتاع والابتهاج ، وهو شعر الفكاهة ، وتعرف قصائده باسماء كـ : « الزردة » أى الوليمة ، و « الطجن » و « الفار » و « الكلب » ولكن الاسف أنا نبحث عن هذه القصائد ولا نعثر منها الا على بقايا قليلة . وقد أكدنا الاشياخ بها صاعتي اغلبها بسبب ما كانت تثيره بينهم من شغب وشقاق حمل المنشدين يحاشونها وكذلك الجمهور .

من ذلك ما يحكى من أن الناس كانوا يطلبون من المنشد قصيدته

« الفار » فيقولون له :

« أنه تبجي احلو من فمك » فيرد : « اعلى اوجوهكم » ؛ ويقولون انه كان

للغالى الدماتى قصائد في « الكلب » وكان الناس يطلبون الاستماع اليها

بمحضره بمثل قولهم « قولوا لنا الكلب دا الغالى » وكانهم يشتمونه ، فتضايق

من ذلك وأحرق كل التاحه فى الموضوع ، وحرم على حفاظ شعره أن ينشده .

(I) مدينة السلوان يقصد بها مدينة سلا .

ومن القصائد الباقية قصيدة «الزهو فى طبلا حسن» ، وهى تنسب
للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، وفيها يرى أن الزهو فى مائدة
أكل جميلة وصيفية شاي عليها برديان ، وكؤوس ملونة :

الزهو فى طبلا حسن

لبرارد زوج وكيسان

لونهم يهوانى

احكيهم خرجت بلعمان

مهمل فوصاف الكيسان

عين عجا و لخابورى (I) امع لخصر يهوانى

شمس لعشى يسحر لدهان

وفيها يقول مستعرضا اوانى الشاي ومحققاتها من صينية وبراريد
وكؤوس وزنا بيل (2) وبفاريح (3) وبابور (4) وقوالب سكر ومرشات «5»
ومبخرة «6» :

ولبرارد نحكى شابات يافهيم اوزانى

امحزمين بهمام السلطان

ولبقارج مثل القرسان

راكمين اسروتا وامحزمين المدانى

...

در بابور اصفر فلوان

شعل نار ففى كلب ابلعجا فانى

(I) العجا هو الازرق السماوى والخابورى هو الاصفر .

(2) هى فى الغالب اوانى ثلاثة احداها لحوب الشاي والثانية لقطع لسكر
والثالثة للنعناع .

(3) بالاء أو الميم ج بقرج بفتح حرف الراء - ومد نطقه فى البوادى -
وهى آنية على الماء ، وتعرف فى المشرق كذلك بهذا الاسم .

(4) جهاز على الماء ويطلق عليه فى المشرق السامور .

(5) مرشات تملأ بماء الورد والزهر للتطيب وهى فى الغالب من الفضة.

(6) مبخرة احراق العود .

عشق الصبل والكيسان

ولقوبل مثل اشبيان

والزنبيل مثل البيران

ولراشى نحكى غزلان

بارزين قطبلا والعود القمحجرا، ني

عبق التسم بالدخان

ويقول عن الحلويات والمأكولات ذاكرة السطيلة (1) وكعب الغزال (2)

والغريبة والمحمرات والمحشوات والمقليات والمشرملات (3) ، من ضلعة (4)

ومروزية (5) وشواء وطواجن وكسكوس بالعراخ والحمص والبصل :

در بسطيل فالفطران (6)

واطماصل (7) من كعب اغزال من شعل مخزنى (8)

واغريبا من شغل اليمان (9)

(1) ورقاق رقيقة من العجين محشوة باللوز المطحون أو قطع الفراخ والبيض، تطلق وتجمع على شكل دائري .

(2) قطع من الحلوى محشوة باللوز على شكل الهلال .

(3) نوع من طبخ اللحوم يشترط فيه قبل طبخها أن تشرب بالتوابل وخاصة الفلفل الاحمر .

(4) لحم محمر فى لسمن والغالب أن يكون قطعة واحدة ومن لحم الصدر، ومن هنا كانت التسمية .

(5) ويطلق عليها «المعسل» وهى نوع من اللحم المعسل يوضع عليه اللوز والزبيب

(6) ، (7) هى الصحنون .

(8) نسبة الى المحزن أى الحكومة والسلطان ، وهو وصف يقصد به الشيء المتقن الرفيع سواء فى مأكلا أو ملبس أو غيره .

(9) تسمى هذه النسبة غريبة ولعله قصد أن أشكال هذا اللون مسن الحلوى فى اختلافها ودقتها شبيهة بأشكال الوشى أو لرقم اليمانى المعروف

امحمرات اثلاثا فيبان

امحمرات اثلاثا ومقليات اثلاثا ثانی

امحمرات ادجاجات اسمان

حمر الضلعا فالفران

سرزیا لمقلیا یاكل الشبعانی

واشبو امن لحم الحرفان

والطواجن مثل الوصفان

ولفرارج مثل الصبيان

فوك لكسكسو بالحمص والبصل روياني

والسمن مدوب تزمان

ومنها كذلك قصيدة «الزردة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، ويرى نسي
حربتها أن المضغ فن وفراسة وأن الذي لا أضرار له يظل يدوك الاكل في
فمه قبل أن يبتلعه :

والمضغ اضراسا من لا ايليه ضرسات ۞ كيملوج فمضيفو عاد تيسرطو
وعنده في دخولها أن الصديق الذي لا ينفعه بخبزتين لا يعول على
طجينه ومقره ، ويكتفى بشد حزامه ، مقنعا بطنه بالشبع من طعام لسم
يطبخه بنفسه ، ناسيا اياه ليعود الى قوته الذي اعتاد ، ولكنه وجده غير
ذی طعام ولم يسغه فلفظه .

ولحبيب الا ينفعني ابزوح خبزات ۞ مانعول عن طجينو اولا مرقطو
اشد كرشى وانفعمها انقول شبعات ۞ امن الطعام ملاطيتو اولا نصبتو
انظن كرشى عمرات اولا عتيق حدجات

وانسى من بالى قوتو اولا قبلتو
كان لي قوتي وابداني به نسقات ۞ ما نسيبتو به امبالي اولا تركتو
امين دقتوصبتو ما فيه شي النسقات ۞ ملفاه ارميتو من بعد ما مضفتو
وفي عروبي من القصيدة يتحدث عن الولايم التي يذهب اليها في
غاية الزينة حيث يجد كل ما يشتهي من موائد رصت فوقها الطواجين
وأصناف الاكل المشبع الشافى للأمراض :

كم من زردا امشيت فيها ليس اجلست
ولقيت اللى ابغيت فيها عل لنعمات
وادخلت الدارها امقبة وزينت
قريت لصحونها اللى قبلت
واطواجنها امعمرا جات وحضرت
فوق اميادى امبرجا زهوا للسلات
وما وجدت امن اطعام اصاف اعملت
يشفى صر لبدان من هي زردت
واليوم ابطون منها شعت واروات
وهي قصيدة تبدو مستوحاة ومقتبسة من قصيدة فى «الوصاية»
للعلمى يقول فى حربتها :
اللعب من غير اشطارا فوق روس حريات
هكذا مثلث ابنادم هي اعشرتو

وفى اولها يقول :
حبيب الا ينفعنى افيوم حرات * ما نحمل عن قلبى غل امن اكلفتو
نساء ونترك حسو انحسبو مات * وانعود يراسى زليت امن اعشرتو
ولعله واضح أن «زردة» ابن عمر ليست غير قلب لموضوع «وصاية»
العلمى . على أن قلب القصائد ومسختها يشكل نوعا خاصا من الشعر الحكامى
برع فيه اشياخ مراكش ولاسيما الشيخ احمر الراس ، وهو أن يأخذ
قصائد جدية ويمسختها ويقلبها الى موضوع هزى ، ومن الامثلة على ذلك قوله فى
الابيات التى اصنها (I) :

اللازهور ازهر وازهارو * بك الزهر الا ازهر
صولى صولى يا غزالى زهرا
فهو قلبها الى ماياتى :
سكران ريت يامس يلفظ بشعارو * اسكر وطاح فى دولت ليكار
ماصاق حتى اتكون العشرا

(I) من قصيدة : «زهرا» للتهامى المغربي .

ومن ذلك أنه أخذ «حراز البغدادى» :

مال حراز الدامى ما يتق بياهيها « غير حاضى لوقسات
بالدوام امجنبنى اولاً يرومنى قطعياً

فقلبه الى الخراز :

مال خراز البالى ما يتم الكلبات « شابات وعزبات
كل من جات يبطش بهـ « ويفضى لها اربع وخطيبا
وفيه يقول مستنكرا حال الزمان وما تفشى فيه من انحلال خلقى :

اوصى الزمان فاش ابغوا اميا ملعرج قتالا

ويلا اعيوا ابولوا ايقرحطو (I) ابلا جنوى

ولكن هذا النوع صاع كذلك بسبب ما كان يشع فيه من فحش وعبارات
نابية ، بعد أن ظل تداوله محصوراً فى نطاق خاص .

(I) ايقرحط أى يخفق . وهو هنا يشير الى واقعة كانت حدثت بمدينة
مراكش ، مجملها أن خرازاً يسمى الحاج الاعرج كان ورعاً متديناً ولكنه كان
يتصيد النساء الباغيات ويحتال عليهن حتى يأخذهن الى دكانه ، وكانت له
فيه مطمورة ، فيذبحن ويلقى فيها بمونهن . ولم يكن أحد يعرف كيف
يختفى هؤلاء النساء الى أن وقع ذات مرة أن طمر احداهن وأخذ قفطانها
وباعه فى السوق ، ولم يكن هذا القفطان ملك القتيبة وإنما كانت قد استعارته
من إحدى صواحبها ، وحين اختتمت المرأة وانتظرت صاحبها القفطان فلم
يصل ، أخذت تبحث وتساءل ، وصدفه وحدته فى السوق فتمسكت به ،
وانتهى البحث والتحقيق الى أن الذى باعه هو الحاج الاعرج فحكم عليه بعد
أن اعترف بجرائمه ، وطوفت المدينة قبل أن يفقد فيه الاعدام ، وكان
يصيح أثناء تطويعه بأن الفساد كثر ، وأنه لم يكن يسعى لغير الإصلاح ،
وكان يقول بأنه لو أطلق سراحه لبضعة أيام لما بقيت باغيه واحدة فى مراكش

الزهد والحكمة

يتمثل جانب التجرد عند الزجال المغربي في شعري الزهد والحكمة ، يقصد منهما الى الكشف عما يفعل في نفسه من بزم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس ، والى وعظهم وارشادهم عما هم يحسنون هذه السلوك . وقصائده في ذلك تعرف بـ «الوصاية» و «النوبة» و «القلب» و «الطبايع» و «الموعظة» و «النفسية» وما اليها مما يوحى بروح التأمل والتنبيه . ولا تكاد نجد قصيدة لا يملأها الوعظ المباشر المقصود بعيدا عن حديث الشاعر عن نفسه وتأمله لحياته في حسرة على مافات منها ومحاولة استخلاص العبرة له وللآخرين ، وكأنه ينظر الى المجتمع فوجد الاوبئة تنتشر من مجون وانحلال ، والى الناس فألقاهم مشغولين بمفاتن الدنيا عن الدين ، فتحركت عاطفته الاسلامية واحساسه بمسؤوليته الاجتماعية ، فتصدى يعبر عما يفعل في نفسه وما يراه السبيل الى اصلاح ، وعلى الرغم من ان الوعظ غدا غرضا مستقلا قائم الذات ، فانه لم يتح الفرصة للشاعر أن يطيل النظر ويتعمق ويعدل في جدل فلسفي او اقناع منطقي ، وظل مجرد حكم وعظات تتسم بالبساطة والسذجة ، وان لم تخل من بعض التعليل وخاصة في ذم الدنيا والتزهيد في الحياة ونظر الى الموت ، ولكنه تعليل مصدره العقيدة في صورها البسيطة . وكان يمكن أن ينطق الشاعر الشعبي في ذم الدنيا من تجربة صوفية تجعله يخلق بروحه في أجواء العشق النبوي — ولانقول العشق الالهي فهو لا يكاد يوجد كما سنرى (I) — لا يرجو غير الاتصال بحضوره عليه السلام ومشاهدة وده لينعم بمتعة حبه الروحي بعيدا عن متع الدنيا وملذاتها وزوات الجسم واهوائه طالما أنهما ثابتان ، ولكنه لم يفعل حتى في أضيق حدود هذا النطاق ليتأمل الكون ويدرك كنه أسرارها وما وراء حجبها أو لينظر اليه ولو مشدودا الى اطار الطبيعة لا يتعداه ، واكتفى في ذم الدنيا ببذنها والتزهيد في

(I) في آخر الفصل الرابع من باب «الموضوعات»

مناعها مادامت دار فناء زائلة ، ومادام الانسان مجرد عابر لها الى السدار الآخرة ، وانطلاقا من هذه الفكرة المتأثرة بالدين ، رسم الشاعر الشعبي للحياة الدنيا صورة بشعة منفرة خسيصة لا يغتر بها الا مغفل مجنون لا يعتبر من الماضين ، وهى صورة نجدها فى القصائد «الجفريات» (I) التى يستوحى فيها الشاعر واقع الحياة والناس ليتنبأ بما سيعبر من أحداث ؛ ونجدها كذلك فى القصائد التى صورت الوقائع ، وهى قصائد يغلب عليها الاستسسلام لقضاء الله وقدره .

أما الموت فنظر اليه الشاعر الشعبي نتيجة حتمية للانسان والحياة، لا فدره على تجنبه والفرار منه ، وسبيلا للخلاص من متاعب الدنيا ، ووسيلة الانتقال الى العالم الآخر حيث نعيم الجنة الدائم والسعادة الحق، واعتبره مقباس التسوية بين البشر ، جديرا بالتأمل وان لم يكن بالشئ الغريب ، فقد طالعت ألفرة الانسان له وهو ينظر فى التاريخ يرى فناء الدول وموت الانبياء والعظماء، بل يرى الناس حوله يموتون وكذلك الطبيعة ، حقا انه يأتى بفتة ، ولكنه على ذلك سهل كالنوم .

وقد ظلت فكرة الموت وضم الدنيا سطحية عند الشاعر الشعبي لم يتعمقها ولم يفلسفها ولم يتأمل جزئياتها ودقائقها ليكشف عما يعتمل فى نفسه وكل انسان ، وعما يتطلع اليه دون أن يعرف كيف يصل اليه أو يدركه أو يعبر عنه .

يقول المفراوى فى تنبيه الانسان الى أن الدنيا فانية وان الدوام لله وحده ، ودعوته الى أخذ العبرة من الفناء مادامت الصحة لا تدوم والشباب يخسون :

مادام الملك غير لندائم لمعين * وما سواه اقلورا كلو فانى
خالق لشيئات كلها رب لكوبين * نفنا واكداك بامرو نعم الفانى
الصحة ماتدوم والصفر تخوين * اسمع منى لصح واقفه تبيانى
عبر من داتك فالزمان * واش لــــــبدان

(Z) نسبة الى الجفر وهو جلد ماعز كان يستعمل فى الكتابة ويزعم الروافض أن جعفرا الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث الى يوم القيامة .

ما زالت فلا تيسر ان * كف كان اكسير
واعلم بان الرحمن * رب جمع لكوان
عاني مغنى مسان * ليس ليو لمثيل
واعلم بان البقا المن يحيى لعظام * من له الملك حق دايم بدوام

ويحاول أن يبينه لعبرة من الغابرين على هذا النحو :

وين نوح فسلام

وين لفضيل سام

وين يدمت أحام

...

وين أيوب افلر صام

...

وين صالح وحام

...

وين داود لهمام

...

وين ابراهيم وين اسماعيل لجد * وين يسحاق وين يعقوب ولادو

وينو الياس وين دانيال اهل الجد * وين ذا النون اسرور قلبو واعبادو

وين ادريس زال به اغيار النكد * اذ الفريين من ابغ فى تجهادو

وين موسى المعهود

...

وين شبيب أهود

...

وين الممرود اصولتو

...

وين حاثوت ادنمو

...

وين فرعون الامتو

...

وهو يرى ان الدنيا ليست غير دار مزاح وشقاء وبكاء، من تنعها ذمل غفله

وغدا هى تعب دائم :

الدنيا ما تصبح غير دار لمزاج

. . .

دار التعب أنكلاح

. . .

ولبكا والوجاح

واتبعها عقلو جاح

عمرو ما يريح

مثل الدنيا عنده كمثل نزل يحط به المسافر أو قنطرة تعبى نهرا أو
سوق تعمى بأموال النجار ، فواحد يربح وآخر يخسر ، من ضحكك له بشعرها
لا يلبث أن يبكى شاكيا من الفقر والغدر :

الدنيا كيف شئ انزلا بين امصار » والاقنطرا اتدور عن شئ نهر
والاسوق عامر ابدال التجار » واحد فاسلعتو اربح والثاني اخسر
لاتمن ضحكها ايلا ضحكك بشغار » من ضحكك لو ابكا من اشكاها بلفظ
غدارا ما تدوم منى خذ لخبر

وهى عنده حسناء فاتنة ، يحبها كل من يراها وتحلو فى قلبه ، ولكن الذى
يفوز بها ويدوق عسلها لا يلبث أن يسقى منها المر :

هذا الدنيا حكيته الا طفلا » حاطت ببها اشمائل الزين الكمول
من راها دون ريب فى قلبو تحلا » مهما يطمع فى ازمان كل اوصول
من واغاثو اودار منها شئ خصلا » بعدن يسطب اعسلها تسقيه ادقول
وعنده أن الدنيا لا يامنها الا محنون أغوته بالكذب ، وان شرابها الخلو
يعود مرارة وغصة ، وانها سرعان ما تسترد ما تمنح :

الدنيا ما تدوم يا صاحى هيهات » من يامنها اهليل اسلبتو بعد اعطاثو
لو تسقيه لمصال ترحم بالفصات » أما من امر سلبتو بعد اعطاثو
والدنيا عند النجار دار شقاء ونكد وغرور :

دار الشق ودار النكد ودار لغرور

اويح امن اغواثو امسال » عقلو امع الطمع والمسال
ولا اتفيد فيه اعمسال » الزاهدين دركوا فيها نهج لفلاح

بلسان الذكر والصوموم * واصمات النبي المعصوم
وعند ابن علي ذي «الوصاية» ان الفجار يرونها جنة وأن الصوفية يرونها
جحيم المؤمنين ، فما أسعد من تركها وتخلي عنها :

جنا بكل فاجر واجحيم المؤمنين شافتها الصوفيا
ياسعدت من سلم في اهواها وحلاء

وعند ابن سليمان في «التوبة» أن البقاء فيها لله :

ما فيها من يبقــــــــــــــــي * غير نعم الباقي
يا غفيل مالك شاقــــــــــــــــي * ليس تاتزيد احماقي

وعند العباس المبرر في «وصايتة» انها دار الغرور مليئة بالآفات، سلوانها
احزان وسرورها عصت وضحكها نكاء وصدقها كذب :

امن اكثر دار لغرور بالآفات * تركوا الغنايا منها لغدر مורות
سلوانها احزان وسرورها غصت * اضحكها ابكاواصدقها افشروابھوت
سبحان امن اخلفنا واذھرنا بالموت

ومثل هذا يقول علال العلوي في «المراس» :

.....

عمرها ما عضت العاهد الحد اولا خضت عار

دنيت لغرور ولقرار

.....

ياما ضحكك عن ابنادم

.....

وبعداً تعسر

.....

ايلا تضحك غير مر، تكذب مرآت اهلكدار

.....

وتقول أواه كيف صار

.....

ما ظني في ازمان بقدر من شاقو عاد ناكرو

ومادامت الدنيا كذلك ومادام الفناء محتوما فلا داعي للتفكير في الموت

فهو سهل كالنرم ، ذلك ما يراه ابن حماد ويدعو نفسه اليه :

أراسى يامشسوم كيف ايجيك النوم * من هم الموت ما تخمم يالعمسا
 ماتعرف كان ترحل الليلا واليوم * تحبل واتشوف لبطريق اتعام
 أما ابن سليمان فلا يريد فى «الطبيب» أن يموت ، ونحس عنده رهبة
 من الموت لانكاد نجدها عند غيره لعل مردها الى شبابه (I) :

الطبيب يعرف دايا والسوا سومو غالى

عالجونى ياناسى لا نموت موت الغفلا

وكما احس الشاعر الشعبي الضيق بالدنيا فكذلك احسه بالناس ،

وهكذا يرى العمدى فى روح من التشاؤم ، أن كل أبناء حيله مطبوعون
 بطابع واحد ، فشائبيهم النفاق والنحائل والمصانعة والخداع ، وهى كلها
 علامات الخراب :

هاذوا شروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

بالحيلا ولمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

مذهبيهم ندرية خممت اولاد جيلنا كاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الرياء ولم يعد وجود للاحسان والصدق والحياء والعرض

والحسب :

شاع الريا ولحسن اعبر والصدق غاب

وارتفع لحياء والعرض والحسب

وغدت الصحبة وسيلة للاغراض ، بالذى يخالط احدا يريد أن

يشمت فيه ، يغدر به بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصحبا اسباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

غير تتركن لو يغدر فيك

مايخليك دير كابوس لغدر فيك يتسناك

ومن أجل هذا فهو يدعو الى معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلطف ويصانع ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايف فالرخفا والشدا ابخاوتو يستصمان

(I) أصيب ابن سليمان بداء القلب ومات وهو دون الثلاثين .

وإحدى عدهم عرّض في كل مكان ، لوطم وفف لئس حيو —
ويحوصون في سنده الحروب ، يتزاحمون لتفصيل يده . ولكن لئس حيا فيه
و تما في أمواله ، وإد ما استقر بعض عنه لئس حتى الإقرباء منهم إليه .

مول الدنيا عزيز الفلحرا ولسون « واملن ذاك ايرفعوا بجانبو أهل البيد
و يظن يوحى من كذب عجماء عون « وعليه الموم ايصار عوا الحرب الشديد
ما بهم فيه محبتو احسن الظنون « واين كان يتزاحموا اعلى بوس اليد
ويلا امتقر واحماق به فقر ايهو « واقريب فالنسبا ايعود من ابعيد
فالغنى تخصم به الهامات وتعبر سباته حسنات ، أما بفقير فيبفضه
الناس بلا سيآت ، سواء عندهم موه وحياته ، اذا سكوت قلسوا عنه
نه حثال واذا نطق ستعاذوا من صوته :

مول الدنيا يخضعوا له لهامات

سباتو عند هل الخدع حسنات

وعندل المال ايفضوه ابلا سيآت « سبر عشو سبرا موتو
ايلايسكت يصير ختال وبهات « ويلا يدوى القوم تسعاص من صو و
وفي نفس الروح وميل الى القوة يرى العلمى في قصيدته في «المولى
عبد لرحمان» أن الاعمى لا يبصر جمال الضوء ، وان الاصم لا يصفى لرائع
لايكار ، وأن الحق ليس له صديق يذكر في هذا الزمان ، غير السيف وصلت
في وجه لطفة والبعة الجائرين :

ما يميز حسن الصو النواحل العور

ولا ايهز الصمك طيب الفا افكارو

من ماله اصديق افذا الزمان يذكرا

دون صدر السيف اهلاشمتت اضمائر

من دغى وادغى واتقوى وخالف اوجار

جراهن الهند اخسران لعدا اتبادر

وهو يرى ان قلب الجاهل السيد لا يثبته غير الحسام ، أما غير ذلك

فمستحيل كما يستحيل أن يسك الذهب من القصدير ، أو يرول طعم المرارة

من الحنظل او يغزل خيط الحرير من الدوم ، أو يحارب بشوكة السمسم — ار ،
أو أن يعصر الزيت من الرمل ، أو يتخذ العسل من اعشاش الزنابير :

ما يلين قلوب الطامس تدكير

لحسام يود ويعلم التمسار.

ما سقرع سك ببرز من لمزدير

اولا تروى من الحنظل طبت لمررا

ولا بعزل من عرق لدوم خبط لحرير

اولا تكون الحرب من شوكت السمسم

كان محال امن الرملا الزيت يعصار

اولا تكون لعسل امن اعشاش الزنابير

وعنده انه يستحق المكروه كل من لم يؤد زكاته وبغى بالفساد ، وان

الصبيان يذهبون ضحية الكبار والنساء ضحية الرجال :

يستهل من لايسخا بزكا ولعشار

واستهل من يبغ لفساد وضرورا

راح ذنب لصبيان اعلى اوقاب لكبار

وراح ذنب النسمان افدمت الذكور

والسبب أن الدنيا بهرت الناس وأعمتهم عن الحق والصواب ، وانها

بدأت تغرى حتى ذوى البصيرة :

بهجت الدنيا تركت كل واحد مسحور

عاد حسن ابهاها يسبى هل لبصيرا

ويرى أنه لا لذة في حلاوة تخالطها المرارة ، ولا فضل في مدح يعقبه

الندم :

لاصلح فاللذا بعدن احلات تحرار

ولا افضل فالمدح المعكوب ابلاءماير

وعنده في «الغار» — وقد بدا عليه لاعتدال في الرأي — أن الحياة لا تخلو

من الحلاوة والمرارة :

يوم شديق او يوم احلو او يوم زقوم ❦ او يوم مستعجل بين الطيب والزهايم
ويمثل هذا المطلق يعبر في «طامو» :

معموم كيف مادامت رحفا ماتدوم شدا
هذا مواجب احكام اصروف الدهر
يسوم احلا من طعم التمر

ويوم كبيل المنظلل سر
، يصل هذا الاعتدال عند غير العلمي الى حد الدعوة لعدم التأفف من
لزمان فالخير والشر دائما موجدان ، وليس من دواعي للنكاه طالما ان كتاب
الله محفوظ في الصدور ، وطالما أن رحمة الله تمحو اوزار المذنبين :
يقول الشاد :

لا قبل شي يا حبر اعلى رمت ❦ الخير والشر افكل ازمان كائين
ما حد اكتاب الله فالصدور ❦ لاه نكبوا اعلاء
ما طاعين داس من رحمت الله ❦ واحببنا الشافع رسول الله
فاش جا ذنب المخلوقسن ❦ عند واسع الغفران
وبهذه النزعة يدعو الى ضرورة المعاشة والمعاشرة ، مادام الناس اخوة
بعضهم لبعض ، ويخدم بعضهم بعضا حتى يكرهوا كالبنان المرصص
خورك عبيدك وانت ديم لحورك ممدوك ❦ لاتأديه الله يهديك ما يزيديك
لك عايش و نتيأ له كتعيش ❦ لاتكونوشى طوب هشى ابى اهشمش
عيشوا بالله والنمى ولقرآن امع الحديث

وميم السعى لى غير ذلك وقد جعل الله الناس طباعا مختلفة كما يقول

مجدد ، رمت

سبحان الله بالطبايع دلناس ❦ مابقى من لاهاج اغرامو

والناس احوال كل واحد فى حالت حالو

وشيه بتشأوم العلمى تشأوم النجار الذى من الحياة ومحها ولم يمس

يرجو غير الموت فهو طوال حياته يعانى من الحزن :

مل قلبى من دنيا كنها امحان ❦ اولاً بقى يترجى الايموت هانسى

امن اصبايا شسدي و سق لير . . . رهن اشبايا لازاب شسدي . . .
ولا قد خسر الناس فلم يجد فهم غير الذئاب والثعالب الضخمة
متكثرة في صورة خرفان واحمال ، كل منهم يكيد للآخر ، بعضهم تن الادمية
بعد ما بين السماء والارض :

غير الذيب الخاه وتعالب لخصان « في حياي غنم هذا الازك جانسي
بين لادمي واقوام هذا الزمان » قد ما بين الارض امع اسما الفاني
ويحس الغربة في مثل هذا الجو ويتساءل هل هو من هؤلاء الاقوام
أم أن وقته فات أو لم يحن بعد :

واش انا من هذا القوم بالعرفان « اوبقي وقتي ولا امضي الزمان
وقريب من هذا الروح لتشاؤمي نجد عند تلال العلوي في قصبة
«المجد» حيث يرى أن «المجد» - ولعله يفهم به الخير - لا وجود له ولا أثر ،
سأل عنه في السهول والجبال فقبل له غاب اسمه وحياله ، وسأل عنه
لعلماء والعارفين في كل المدل فأكدوا له غيبته وأنهم يبحثون كذلك عنه ،
وسأل عنه الذين تشبهوا في كل مكان وقصدوا من أجده الاولياء فقالوا
انه غاب عن صدد العرش ، وسأل عنه رجال الفن والذوق ، فأجابوه بأنه
غاب عن كثر الكذب والبهتان ، وسأل عنه التجار واصحاب الاموال فقالوا به
لقد ذهب بعد أن فشا البخل ، وسأل عنه أرباب الصناعات في مدينة فاس
القديمة فأكدوا له أنه لن يعثر له على أثر :

اسألت ابي الشريف لاسم ما بين اوطا مع لجبال
قالوا لي غاب له الاسم وكذلك احيالهم

واسألت اعميه ناس لهما واهل التسمية اذملالي
قالوا لي غاب حقا وكذلك اعميه انسالوا

وسألت اعميه من التجار واقصد اعميه كل والي
قالوا لي غاب بعد وصديو صناد عمرقال

واسألت اعميه من ائفثوا والي بدعو الفن دلي
قالوا لي غاب حين كثر البهوت بسجال

... عليه فلم يجر والنهابا وهل المالى

فالوا الى غاب لاتسول لردل ابخالو

واسالت اعده فالصنائع وبحثت افاسيا البالى

فالوا الى غاب ليس توجد منهم قلالو

ومن خلال هذه النظرة لمحبة والناس يحاول المشاعر الشعبى أن

تكون انبعاثا شيقا بعض الصنائع لتي يمكن أن تحنب الوقوع فى مخالف

الدنيا وهوى الزلات ، من هذه الصنائع عدم مطاوعة النفس وهوى

والشيطان هم أعداء ، يقول ابن على فى «الوصاية» :

ولنفس ولهوا والشيطان احدا لاتطاولهم قطعا

واش من عاقل يامن يافهم فعده

وبقول الشاوى :

لعن الشيطان * بالغافل كما لعنو لله مولانا * مهما يدور بك اخزه ولعمرو

ويقول عبد الوارث فى «الغياشية» :

خالف نفسك واقطع * كل علاقا عنك

واشهو (I) لاتتبع * وسقطها من ذهنك

واعروق اهواك قلم * انت نفسك منك

ومها لتقتشف فى اللباس وعدم الزهو به ، يقول ابن حساين يهوى

عن لمس الحرير وما يبهى الابصار اسوة بالرسول الذى نزع «المروج»

لاتملك فروج من احريير وتبهى لعيان * واعظم بين ايمان الانبيا نعم العذنانى

نزع نزع لبغض بعد حاه اهيا فالحين

... قول كذلك :

لاتبحتر فكساك وانفايش واتانى

واكنه لا يريد ان ينسكن ويكون ذليلا ، فالمسكنة والذلة لليهود فى

كل وقت وحين :

لاتتمسكن نالحيات ما والدين ، تمسكين * والمسكنا لليهود افسايرلزمانى

ومنها الدعوة الى عبادة الله واقامة الصلوات ، فعبد الله بن احساين

(I) اصداها اى شىء تهواه .

بنبه الى وجوب أدائها مع المحافظة على الصلاة الوسطى ، وهى العصر عني
المشهور :

قم الصلا حين وقتها لاتعسر مديان ۞ والعصر عندك ايفوتك وقوسانى
حافظ عن جمع الصلا وهاد الوسطى تمكين

ويحث المغراوي على عبادة الله :

اعبد مولاك رب وحدانى ذا العرش ۞ اعبد مولاك لاغنى ذنك يمحيه
ويرشد الشاوى الى صلاة الفجر وضرورة اغتنامها ، فهى ربح وفود
بالغنايم والطاعة :

يالنايم فق امن النوم راقب لفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتموز ابلغنايم والطاعة

ويلج كذلك على الصلوات الاخرى :

ابعينك اصلات الطهر تلتقك سابق للجامع

لا تعرض فيها واحمل غمك تقوى واقناعا

ابغينك اصلات العصر لا تفوتك اوبها دافع

اهويل الفاقا والمغرب صونها دون اضياعا

ولعشا ودها نى وقتها بتضارع

والشفع الوتر زد لعصاك راحا وارياعا

ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحشش :

اتلها فالدين كن رجل ثبت اقدامك ۞ صلى بالخشوع امع الناس اوقاتك

و جددى بعض نصائح السلوك الصوفيه ، كما عند مولاى محمد لزبادى

المنالى ، حثا على المحافظة على الصلوات وملازمة الزاوية وتلاوة الاحزاب

ولازراد :

لوقات احفظها وزاويا اتلازم ۞ ابلحزاب ولوراد امرتين ببيان

يافقير اصنعتك هى الذكر دايم ۞ والصلا والسلام اعل النسى العدنان

او كما عند محمد بن رموية فى داليه اذ يقول :

خذ طريقنا معهودا واشيوخها موجودا

ولسرار منها تبدا للعجب السعود

...

احمد عن الحسن وعن الحبيب لجنس
واقصد حضرت القدس لبي باسم المقصود
يا طالب الالهام امن اصدور لسلام
افنا طول الدوام في اشرايع اهل لجود
بالسمر والصيام والعزلا والقيام
ولتصدق ابدا القوم انت بهم اتمود
وعند المدني التركماني أن الزهو في فراءه الكتب واداء الصلوات
والحافظه على وقت الفجر وفي الصوم والحج والجهاد :
الزهر افلكوب الوقات في واصلات المحتار في وقتو والصوم
والحج الجهاد فالنصاري يوم المصوم
ومن الصائغ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول ابن احساين
في « للقمانيه » يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في شدة لاتلين
وفي أي مكان وزمان :
وامر بالمعروف فمن ما كنت لاتليان
وانهي عن المناكر لقباح افكل ازمانى
ومنها الحث على التوكل : يقول المغراوي :
اعمل تكلك فالحه « لاترتجى سواء
ويقول بوخريص في « المدونة » :
دير تكلك ياقانط افلغى السلطان « اتوحدو وقت ما تدعبه سامع احنين
ويقول ابن علي في « الوصاية » :
اياك لفلاحا والرزق الصامو ايجبو لك اوليا تولو كيف يديرو فديتو ورساه
ويقول علال العلوى :
انا تكل فالحه يوقيني « لقديم الديم من لاينام ولا تراه اعلم
جيد الجواد الا ايجافيني « المالك لكريم القاني من لاتطرد من بابوسعين
وتنضح الدعوة الى التوكل وترك التدبير عند عبد لوارث في « الفياشيه »
حيث يقول :

منظ من ررقى لشر * وحلق يبررقى
 أنا ملى مياش * وش عبا عسى
 ...
 منى آش اعلى * ونا عهد مملوك
 والاشبا مقضى * ما فى الحقيق اشكوك
 رى سطر لى * ونا طرى منسوك
 ...
 والارزاق اعلى لله * اكل من رزق الله
 يا قلبى لاتهم * واصرف هم الباطن
 المقصور لو محنم * كيف اترى واتعائن
 سلم تسلم واعلى * أن المقضى كاين
 خذ الرفق ادلىك * واترك عنك لتدير
 واستقنع بقلبك * ياتك الله بكثير
 ذا التعب اكل اعلاش * وقل الشى يفسى
 قلوا لى وقتك ضايق * ولنغف ما تكسب
 قلت ارزق الرزق * من ذا يقوى يحسب
 قلوا امشى للاسواق * وتمول واتسبب
 قت افراخ لعشاش * حالفهم رزقمسى
 ومنها طاعة لله والرسول والوالدين ، يقول الحسن :
 نادر بطاعت الله اوقوى زادك

طع لله اوطع النبى وخدم والديك * تظفر بالنجاح ويتنور حالك
 ومنها اختيار الرقيق الذى يطيع الله ، يقول ابن على :
 واختر من اترافق شرف الى طاع خالقو جمعوا ولفيا

اعسى ايجلك واتولى للوحيد وحده
 ويقول غانم لفاسى فى «التوبة» يدعو الى العزلة وعدم اتخاذ الهمم
 اذ لم يعودوا صالحين :

أفبى ما بقى امع من اتصاادى * ويكون البيب محتفل وعشير صدق
عش هانى وحك وكن فاحر انفيه * وكل من حب اولاد ليوم زايد اشقاء
عش وحك حتى لهل البلاء ابلاعم * كان ملى من لظه ربيع مقسم
كل من دزك دوزو هون به وانكبه * بعد ما يصر سرقو لاغما امس احلاء

ومنها صون لسان وفرج ، يقول ابن على :

وحصى السانك وفرحك واعرف من اشاك ناظر فيك وفيما

ويغوى لحش :

لا شتم محبوى أذب السانك لا يدك

نحبان انسان ايومك فى امهك

ومنها غص الابصار عن المحرمات كما عند ابن على فى «الوصاية» :

غص لبصر اعلى المحرم واشتويت المحرم كل خطبا

اقليل من شاف وصربو الشيطان ولا خطباء

واتسع نطاق التوصية عند الشاعر الشعبى حتى غدا ارشادا الى

ما قد يعود على الانسان بالخير فى دنياه أو الى ما يمكن أن يعتبر أديب سادوك

ومعاملة . وصيحة العنى أن يتحلى المرء بخمس خصال ويتحجب خمساً

أخرى اذا أراد ان يكون سعيدا ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة وترك

الملام ولقاعة وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق لثني والطمع :

من حفظ خمساً دالحسنات حفظ محكام

وفيه رسمخوا كرمخ لوشم افلهادوسم

الصمت والعزلا ويهدنا وترك لملام

ولقناعا من كسبهم امن

يعمل ميمو . ولسمع له يسفام

يرتفع بعد الخفض الهمت الضراعهم

ومن اترك خمساً دالسمات ترك عزام

من اجملت المحروم الى اعده حارم

لحسد والكبر والجفا وضيق لشيام

والطمع ست الدل اناصب لحشايهم

كل سببا من ذا السبب ضرر سمام

فاق سم الحيات الرقط السوداء

ومن لتصلح التي تكاد يجدها عند كل الشعراء : صلة الرحم ، يقول

ابن احساين يوصي بصلة الرحم ولو بعبور البحار والوديان :

واصل رحمك وين كان شگك لو ابجور اويدان

ويقول ابن علي :

واصل الرحيم ولا تقطع صلته اقرب اولا بعديا

وصلو لاتقطعوا اولا يصلك اخطاه

ومنها المحافظة على حسن الجوار ، يقول ابن احساين يوصي بالمحافظة على

مال الجار وعرضه واعانته ، مشيرا الى أن الرسول ظن أنه سيورث من كثرة

ما أوصى جبريل عنه :

ما وصى اعلى الجار جبريل افكل اوان

حتى ظن لزمزمى على الجار فمكائى

يورث ورث الدم لون ما اتاه التبيين

مال الجار احضبه كن مالك صونو تنصان

واعلى عرضو كيراقب لجليل الفاسى

واختصار القول كل جار الجيرانو عين

ومنها الصدق والوفاء ، يقول ابن علي :

الصدق ولما فالكما ولعاهد ولقبول من الوهبيا

من اقل عنو رب الكائنات هنــــــــــــــــاه

ويقول الحاج ادريس لحنش :

شهد احزام الصدق ولوفا اعرف مايعيبك

ومنها لتخلي عن البخل والاسراف ، يقول ابن احساين :

لا بخل لا سرف كيرضى رب العالمين

ويقول ابن علي :

الرفق الفلمعيشا قالوا افصل من النجارا بالف ميا

ومنها تمجيد الكرم ، يقول الشاوي في «الحواد ولبخال» :
يا مولى عمر نعم الجود لفضـال « ولبخال اعطهم لخلا اوتـم لخـلا
ومنها الحث على التواضع ، يقول لحش :
لا ترفع هما اعلى لعباد اذا رعوادك « بوس لقدم لا تحسب اكبر شأنك
اياك العجب يخطر لك ببالك
اذا عظمت نفسك كل لها مالك
ذكر لها الموت تنهزم الذات وتهنيك
وابقى اتحول والى فاتوا قدامك
ومنها عدم الفخر بالآباء ، يقول بوخريص :
لا تقول أنا بويـا كان سيـه لكران « شف ماتفرس من بعدو انت ابتحسين
ومنها الحث على الصمت ، يقول العنسي :
الصمت كبقولو لعرب حكما « مجدوه اشعار القدمـا
اسكات عام احسن من كلما بغير ندما
ويقول لحش :
واهود بالصمت فيه سر اكثر ايقويك
واتصـب غايت الراحـب من شيطـانك
ومنها تجنب لغدر والشبهة والتجسس والغيبة والنميمة والمزاح واللهو ،
يقول ابن عسي :
اياك لغدر والشبها وامواقف لشيـات الى سويـا
خوك بالناس الى وتك كن لوخـا
نوصيك لاتجس لاتعتب لاتنم لاتجهل ارليا
واعظ الخلق اوجهو لاتسبو فقهاء
ويقول الحاح ادريس لحش :
واترك قيل اوقال والمزاح اوشين يهيك
خوفى اعليك تمضى فاللهو زمامك
لاتدخل ما بين زوج بالشر احرام اعليك
واتشتت طباب ابتزويك اكلامك

ومنها فعل الخير دون التطور الخيء ، يقول ابن احسان :

اهل الخير اولتعاينو يرجع لك تانى

ومنها عدم الرد على الشر بالشر ، يقول ابن احسان داعيا الى عدم الرد :

على السريير معللا بأنه بكفنه جزاء أنه خفف معاصي المظلوم :

من عمتك بكفك مية خفف عنك عصيان

ومنها الصبر على المحن ، يقول ابن احسان :

صبر ياراسى ولا تكون عل لمحان حزين

ويقول ابن على فى سرابه .

الاسى كن عر مصابك صبار « الصبر مفتاح الكنوز والخير »

ومنها معايرة اهل العلم والدين ، يقول ابن احسان :

واهدي وانهدا وعاشر اهل الدين وليقين

ويقول لحنش

واصحب ناس الدين لاتخالط من لا يوريك

ومنها الفرق بالصمان والايتام وتوقير الشيوخ واغاثة المحامين ، يقول

ابن احسان :

وارفق بالصمان وليتم رحمو بالى كان

والشايب نوصيك وقرو ولو نصراسى

عن الى استغاث بك كن ابنى الصعب اعوين

وكانت «الجغرياته» «مجموعة أخرى ذهبها الشاعر الشعبي شل الفطرنج»

«المتشائمة للزمان الذى يراه يتنكر للمستحقين ويصفو للسفلة» و«...»

يتأمل فيها أحوال المجتمع والناس ويذكر العيوب والمناكر المنتشرة ، «عتمند»

فى الغالب على الرمز وتلميح والاشارة والتشبيه والمقارنة . ومن خلال تأمله

يتنبأ بما ستعصى اليه هذه لآحوال من ظروف ووقائع وأحداث

ويذكر الاشياخ للفقيه العميرى لامية جفرية يحفظون منها قوله :

ذاك الولد المهبول « اصلو من اناضول

الفرخ يشبه احوالو

هو قول وحده الناس مطابقا لوضع لمولى عبد العزيز (I) بعد أن هزمه
أحوه المولى عبد الحفيظ (2)، إذ أن أمه تركية، مع أن الشاعر كان يعيش في
عهد لمولى عبد الرحمان (3). ومثل هذا قيل عن زازة الموقت التي أولها
سنة ١١٠٠ هـ فيكون بكافس باريق... ستفد أكن عايق واتبع الفرزا
واعبر ما ذكره فيها عن هزيمة فريسا تنبؤا بما تعرضت له أثناء
الحرب العالمية الثانية مع أنه كان يعيش في أواخر القرن الماضي. وللموقت
في يومى جفرى يستغرب فيه للشيخ غدا شفاء والربيع خريفا، وقد تكلسم
الضرب... سنة ١١٠٠ هـ حتى الجهاد أو صولة الفارغين... ولما الناس في ضيق،
وانتشر الخلاء والمخا، وفشت المحدثات، وكثر الهيب والحطاب... ولم تعد
الدرهم غير رخرة في اليد لا قيمة لها، وانعدمت البركة، وأجدبت الأرض
فلا تتيح نى صنف أو شفاء، وتمكن لحرص من القلوب، وهمت ربيع الكساد
تاصفة على لاسواق؛ وهو زمان ليست لدوالى فيه سطوة، وإنما هو الدهر
ينصرف في الصاد كنف يشاء، تارة يقبل ويرضى وآخرى يستخط ويماف،
وليس يوم جد وزير يقبل شكوى المظلوم ليبفها دون خيانة أو مقابل... ومن
غريبا أن يرى كل هذا بعد أن غدا الدين رخوا والايان صعد، في موسى
المغاربة، وبعد أن علا شأن اليهود (4) وأصبحت... رادله المسلمين.

- (1) تهلى من سنة ١311 إلى ١325 هـ. (2) تهلى من سنة ١٢٦٠ إلى ١٢٦١ هـ.
(3) تهلى من سنة ١238 إلى ١276 هـ.
(4) تجدر الإشارة إلى أن موضوع اليهود، أو غير المسلمين من شعوب
«الجفريات» لاسميا في هذه الفترة. ولا يبدو ذلك غربا فحقائق التاريخ
تفيد أن الجمعية اليهودية في بريطانيا كانت قد أرسلت سنة ١28٥ هـ
أحد أعضائها اسمه روشاين تطالب حكومة المغرب بمنح حقوق وامتيازات
ليهود، وأن بريطانيا ساندت هذه المطالبة بواسطة سفيرها في المغرب ونشر
لسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيرا أعلن فيه رأى الشرع ومسا
يوحب لليهود من حفظ... نعمة بعمه الصام، فاتخذ لليهود هذا الظهير ذريعة
لنشر... طغيان مما اضطر السلطان إلى نشر ظهير آخر بمن فيه القصد
من «ظهير الحقوق»، ذهب فيه إلى أن الإيضاء إنما هو فى حق أهل الضرورة
والمساكين منهم المشغولين بما يعينهم وما صغاليهم المعروفون... والعجور
والتطاؤل على الناس والخوض فيما لا يعنى فمعاملون بما يستحقون من الأدب
(انظر الاستقصاء للناصرى ج ١ ص ١١3 ط ١٩٥٦) الكتاب سنة ١٢٥6 هـ. ولكن
اليهود استمروا فى سلوكهم محمدين بالعدل الاحمية وسعدوا بها ونصحتهم
المغرب.

وعند المغرب ينحط في مشاهات العمى والغواية :

سبحان الله صيفنا ولي شتو * وارجع فصل الربيع فالبدان اخريف
ملى فالغرب عندنا طنبور ادوا * والناس افضق حال ملغلا والصريف
ثم اتشما الكيف وكثرت النشوا * وافشما فينا النهيب والهييف والخطيف
وادراهمنا اضحات فيدينا رغو * لابركا انقات لاشتوا لاصييف
والحرص اعلى اقلوبنا لنالفسو * وادبع ريع لكساد عل لسواف اعصيف
نزمان ما تشوف للولى سطسوا * والدهر بين لعناد كيقبل ويعصف
ولا تلقى اوزر كيقبل شكوا * ويبلغ مايخون ما يرضى تكليسف
قلت اوعدى اضحات فالدين الرخو * ولى ليمان عندنا فالغرب الضعيف
لمهود قصدت لعلو دركوا سطرنا * واقبلنا دلهم عاد الغرب اكيفيف
وقريب من هذا قصيدة الشيخ محمد بن عمر في «لهرج ولعتان» ،

يقول في حربيها مؤكدا ان الهرج والعتنة - كما اخبر الرسول عليه
السلام - مسجلان على هذا الزمان حيث يكثر الجور والفوضى والاهوال :

الهرج ولعتان به اخبر طه ايماننا * حدثنا عن الزمان
ايـجـور الزمانان * يقوا هول اتفرتنو
وبها يذهب الى ان الناس فتنوا بالدنيا وشغنوا بهومها مفدوا كالدواب
لا يحسون محنها ، فقد انقلب الزمان ، ولم تعد للعيش متعة او هناء ، وعمت
الفوضى ، وكثرت الفس و نعدمت الاستقامة ، وفتقد العاقل لذى يرشده
الناس بحبر وينبهم للشر :

يا اح الولهان * بهوم نديب الفاتنا
من شطت لنا اقلوبنا * عشنا كالحيوان
لا من فاق ايتحانو
وانقلب الزمان * لا لدا فالعيش لا هنا
والدنيا رها امفدنا * من كثرت لعتان
لا من غادي فيمينو
لا عاقل يقطنا * يهينا عن سو افعنا
وينبها ويفيدنا * ولفساد ييسان
واعوان الوقت اتعينو

ولسببى احسن وعلى قسيمة يتقبة فيها باحتلال فرنسا للمغرب.
وفيها نصف حال الزمان كما اُخبرت به الاحفار ، فقد كتبت فى الوحى أنه
فى السنة الحادية عشرة ستكدر عيون المياه ويتضرعن الضمادع فى ردىان
وتتقوى الذئاب ، وتضعف المباع ، وتصول البومة على النصور ، وتنزل
مكانة دوى الهمة ولشان ، وتعلو مكانة السعة ، ويصبح العجاز فى قمراد
مكين ، ويغدو الوجهاء والشرفاء كالحيوان ، وبظير القول الحق تخبر به
الاحفار معدنا دخول الفرنسيس (ل ف ر ن ص س)

بعد الصلا على الرسول ابوضح بمان
شرط الساعا بوصف حال الزمان
بها لافار خبروا باقى السنين

نظروا فالسواح باحوا بالكتمان
فى عام احداث غشوض العيسين
ويتفرعن اجران فى اجميع الويدان
اتقوى الذياب والسبع رجم مسكن

حتى موكا اتصول على اجميع البيزان
واعل الرفعا تخمد ويعلو من شمين
ناس الرمعا تعود خافضا بهم الشان
تضمحن قوم لفجور فى اقرار التكيين
واهل الجاه يضحوا مثل الحيوان
يا اسفا الحق يبقى باين ابسان

خبروا به لافار لام وفا ورا ونون وصاد وسين
وهو يعرى - من خلال لحفر بالطلع - انه فى السنة الثامنة والعشرين
ستخرج الجيوش ، وتكثر الاهوال والمحن والفتن ، وبضمين العمش على
الفقراء والمساكين ، ويتولى الحكم قوم طفاة ، وتقسو القلوب بعد المن ،
ويبسم الحظ للاغنياء ، ويكثر البنيان ؛ ويعرى أنه ستشتد الازمة فى العام
الرابع والثلاثين ، وتدمع العيون فى السنة السادسة والخمسين حيث
سيموت الناس خلال شهرى شعبان ورمضان ، ولكن لن تبيت البشرى أن

تظهر في العام التاسع والستين لثوب ربح النصر في العام الرابع والسبعين:
تخرج لحرك (I) في عام اثني عشر وعشرين

تكثر الهوال ولمحان امع لفتسان
يضيق العيش على الفقير المسكين : ويتولوا الحكم العوم الطغيان
ترجع لقموب قاصحا من بعد اللين : يخرجوا هل ازال ويكثر البنين
وما وقع عام اربعا وثلاثين : بعد شد اتدور واتعم البلسان
تدمع العين عام ست او خمسين : واتموت الناس بين شعبان ورمضان
يظهر بشار عام تسعا وستين : فيه لبشر ايبان ما بقى تمحان
ريح النصر في اربعا وسبعين (٢) : خبر الاجفار فيه يرتاد الولهان
ومن «الجريات» قصيدة «لطف الله الخافى» لمجاح احمد الغرابي

وفيها يمزو لى ضعف الايمان فساد الزمان وتولى الطغاة بالقهر والجور :

لولا ضعف الايمان : ما يضعاف ازمان

ويولوا الطغاة : بالقهر حاييرين

نقد شاعت المحرمات وكثرت المعاصى وغفلت القلوب عن الموت ، فكان
صعب أن تظهر العلامات دون خفاء ، لتطفى الظلمات ويفشو المكر والكذب ،
وتعمر الحياة قوما يطفى عليهم حب الشهوات ، يأكلون السمحت ويفدون
صماعيا :

نحن بالمحرمات : والمعاصى قنوت

واقلوب الناس اضحان : عافلا عن الموت

العلامات انبات : للمورا ماخفات

واقوت الظلمات : والمكر المهرت

قومان صممت واعمال : عنهم الحيات

تبعوا حب الشهوات : وقت سحب السمحت

(١) لحرك ج حركة وهى الغزوة وحروج الجيش للحرب .

(٢) تجدر الاشارة الى ان تاريخ نظم القصيدة كما باحراها هو الف واثمان

واربعة وسبعون : «تاريخ عمه شر يلفاهم» فالعين بسبعين والهاء

بأربعة والشدن بالف والراء بمائتين .

فلم يعد شيء يحب في هذه الدنيا وقد عم النفاق فلا عهد ولا ميثاق
ولا صديق ، صعب لوقت وضاق وكسدت الاسواق ، فلا بركة في الارزاق ،
وكيف والناس حادوا عن الطريق ، فاصبح الدين غريبا وكذلك أهله ،
وانعدم الرعق بالصعفاء والاخوة والجيران ، وتكثر لدم لفصيلته :

ما باقى ما يعيشان » فى ازمان لنفاق
لا عهد لا مثمان » اتوجدو لا اصدىق
الوقت اصعب وضاق » كسدت لسواق
لا بركة قدرق » خارجين الطريق
الدين اغرب وانساق » فى بعض الامواق
واهلك فقدو الرعق » ما بقى ما بلىق
والدم من دمو جافى » ما برق عابى ضعفت خو اوجار
وهو يرى ان مثل هذه الشدة طيبة طالما ان الناس لا يجربون المعاصى ،
ولا يلجأون للاحسان ، ولا يحالفون الشيطان ، ولا يحسون باليقين :

ما حنينا عصيان » ما طعننا احسان
ما خالعا شيطان » ما حسنا بيقين
لذلك يلزم الاستعمار فى الليل والنهار ، وفى خشوع وذلل واحتقار ،
وتلزم التوبة الى الله عساه يجبر الكسر ، ويمحو الاوزار ، ويفيل مـ
لعثرات ويجود بخيره وفضله الذى لا حصر له :

لزمنا الاستعمار » فالضيا ولسحار
بالذل والاحتقار » الخشوع لكبير
وانوبو للقهقار » كافا اهل جهار
وانقولو يا جبار » اجبر اللى اكسير
امحى عنا لورر » امقيل الاعثار
فضلك شلا يحصار » جد عنا ابخير
وهو لا ينسى ضعف الامة وفضاء الله وقدره ، فيرفع يده اليه بهذا
الدعاء :

يا نعم الحى الكافى » اكفنا شر الوقت ما نشوف اغيا
(23)

يا مول الفضل الوافى « فضلت مايتها ولا اتحدو إشتاير
عجل يدواك الشافى « وارحم ضعف الاما الفارقا افلوزر
قادر تبلى واتعافى « تسخ الشدا ابلعمو اكما فلخبار
يامول اللطف الخافى « الطف بنا افما اجرت به القدر

كذلك كانت الاحداث الحربية السياسية والازمات الاقتصادية
والاجتماعية تبعث الشعاع الشعبى على التأمل ومحاولة البحث عن الاسباب
والمسببات واستخراج العظة والعبرة، يغلب فيها عليه أن يعبرها قضاء وقدر،
من الله ، وأن يقف منها موقف الضعيف العاجز مثالما باكيا راعيا اكسب
الضراعة الى الله أن يهرج الكرب ويجود بالعمو .

فالكفيف الزرهوى فى القصيدة التى يذكر فيها خروج أبى الحسن
المرينى الى القيروان وهزيمته يرى أن الله مالك عقول الامراء وشاد نواصيها
كل زمان ومكان لا يدبرون الا بأمره ، وان النصر رهن بطاعة الله ، وان
الهزيمة نتيجة حتمية للمعصيان :

سبحان مالك اخواتر الامراء « وانواصيها كل حين وازمان
ان طعنوا عطفوا لنا نصرا « او ان اعصينا غضنا اكل اهران
ويرى أن قلب السلطان كالخوزاء، وان قلوب الرعية تحرى مجراه، وتتبعه
وتستشير به ، ان عدل فاح نسيما يخترق الآفاق بعيره الذكى ، وانكشف
الحجاب وبدا نوره يسطع كالمصباح بضياؤه يعم أثره على الانسان والحيوان
والنبات والجماد ، وان جار ساد الفقر وحل الرأى فى القلوب :

قلب السلطان يقال كالخوزاء « وقلوب الخلق حاريا مجمره
ان كان عادل استأفت لهما « يطلع منها اسمهم ايشق اذكاء
اذا يعدل قد فتحت القصور « كمو مصباح وهو اتصير لظماء
حتى فالسندلا امل السرى « يظهر عدلو اعم والاحسوان
ون كان جدير شا قترا (1) . يصعد منها على قلوب السرى

والشيخ الاكحل فى قصيدته التى يتحدث فيها عن وضع المغرب
والمسلمين فى القرن الثالث عشر واحتلال الجزائر (2) ، يرد الامر الى قدر

(1) من القنر والافتار بمعنى الانقار او من القنر ج «قنرة بمعنى الفبار»

(2) كان احتلال الجزائر سنة 1246 هـ (1830م) ومعروف ان المولى عيسى

الله ومشيتته واذنه ، فقد قضى أن يرتد العرب ويفشل المسلمون ، و أن يحل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والاسلام :

العرب ابقدرت الله اتعود مرتدين
اتعود باذن الله سكان للكفرا

وبسبب هذا على ذلك بقول بنسب للرسول يؤكد أن كفة المسلمين سبقت في آخر الزمان ، وأن القرن الثالث عشر سيشاهد قهرهم وذلتهم :
ول الرسول : ساح دول الجحيم .. بين خلوف (I) راقب شف ما يطرا
آخر الزمان يعكس وقلب ليام .. قرن ثالث عشر فيه ابني مصر
ينفقوا على ابلاد تسمى يا كرام .. صدك روي الزمان هكـوزا
فيها الولي لمخصص وينكر بعوم .. جعلو الله عباس اقبالت الكفرا
سبحان مالك الملك لواحد عظيم .. آخر الزمان ماذا تحوز من قهرا
هذا القصص مذكور عام من اسنين .. في قرن ثالث عشر ابلا عبرا
وفي استسلام لقدر الله وفضائه ينتقل للحديث عن الموت والفاء :

لروح فانيا ولجثا مرميـن .. مالك ملوك يبقى اولا بعدها عبرا
سبحان امن اخلقنا بعد العدم كان .. من بعد اوجدنا نضحا والثر مدونين
سبحان امن اخلقنا امكون لكون .. واجعل وكل عبأ عزرائيل
ويؤكد فكرة القضاء والقدر في قوله :

يا مالك السما يا عظيم يا جواد .. واحمى ما جرى بسبب القهرا

الرحمن كان يساند الامير عبد القادر الجزائري في حربه مع فرنسا ، وهي حرب استمرت من 1246 الى 1264 هـ فقد قدم الامر الطاعة لسلطان المغرب على أن يتيح له محاربة المحتلين من ارض المغرب خاصة بعد أن هزموه سنة 1251 . ولكن فرنسا لم ترض عن ذلك وادرت أن تعاقب المغرب على موقفه ، فقامت بحملة سنة 1260 في «اسلى» من اعمال مدينة وجدة عند الحدود المغربية الجزائرية هزم فيها المغرب واضطر على اثر الهزيمة أن يعقد معاهدة مع فرنسا كان من أهم بنودها نفى الامير عبد القادر من المغرب ، وهو بند اضطر السلطان المغربي الى محاربة الامير الجزائري وارغامه على التسليم ، فما كان منه الا أن سلم نفسه سنة 1264 .

(I) يخاطب الشعائر الجزائري الاخضر بن خلوف . ونخشى أن تكون القصيدة ليست للاكحل كما يرويها الحفاظ وانما لابن خلوف .

ما هي دار لكلام من حاكم حـلـ « شف القومان ساييرين اكقول اكقول
واحننا فاتباعهم ابلقدر الموصول

وليس يموت أحد دون اجته المعلوم ولو احاطت به الاحطار والمصائب،
ومن حان أجله فلا يستطيع تأخيرهما كان غنيا ذا مال ، وليس في مقدور احد
ان يهرب مما كتب له الله وسجل له وحكم به عليه :

ما يموت افلورا مخلوق دون أجل « لو ايكون اوسط الغضب ما يوصلو
ومن اكمل محسوبولو كان كاسب موال « ما ينفعو الا دعيا (I) ايمد رجسو
كيف يمنح من مكتوبو او كيف ينصال « من احكم العرب اعليه وسجلو
حقا ان مشيئة الله قد نفذت ، ولكن لابد من لطف منه يفرج الكروب،
فلا شدة الا وبعدها فرج ، وتلك حكمة الله حتى يذكر ويحمد في كل
الاحوال :

كل من راد الله عل لورا اتودا « اولازم لطفو ايفاحي هم ضيق لنكاد
كيف معلوم الرخما بعد كل شدا « باش يذكر الله افكل ضيق وارغاد
ثم ان لقاء الابطال ومقابلتهم شرف ، ومن لم يلقهم محقر مهما علا
شأنه :

من لا يلقى لبطال لو يعلى محفور

والذي بغفل عن الاعداء ويسكت عنهم اويهادهم مغرور :

والغافل فالزمان عل لعدا مغرور

ومثل هذا نجده عند الحاج ادريس بن علي في «التطواني» (2) حيث

يوصي الغافل الساهي ان يستعد لجهاد بعد ان جار الاعداء :

اساهي خد اخبرـار « وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيت ياغفي احنال لامر لجهاد لعدا جاروا

واذا شاء الله رحم الضعف ، وحبر الكسر ، وأتى بالفرج ، واتساح

للمغاربة غزو الكفار وارغامهم على الرضى بالغلب ، وبدد شملهم وكسر

سملهم .

(I) حيننا وبسرعة .

(2) قامت حرب تطوان مع اسبانيا سنة 1276 هـ (1859) في اول عهد
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن .

ايلا راد الستــــــــــــــــار في ايفاحي عل لسلام اد لكــــــــــــــــار :

يرحم ضعفنا وياعاملنا ابلعراخ وعسى تجــــــــــــــــارو

ونفــــــــــــــــزو فالكفــــــــــــــــار * حمى يرضوا الغلب بجهار

وببدد لكريم اشملهم وسفونهم لهم يكــــــــــــــــاروا

وعنده ان الرومي - والمقصود به الكافر - مكرر ، وهي حقيقة تسميها

بعض الناس ، فمجنون كل من يغتر به ويامن لجواره ، فهو في مكره من

النار ان لم تخدم في الحين تزيد اشتعالا ، لا مثيل له في الغدر ، فهو

يطمع بجد في مدن المغرب ، ولكن الشاعر يدعو الله الا يحقق طمعه :

والبعض انساوا ما صــــــــــــــــار * ما يعرفوا بين الرومي هل امكارا

مهبول كل من يتغرا بهذا الزمان والكافر جارو

الرومي مثل النــــــــــــــــار * قالوا ناس التشبيه ولعــــــــــــــــار

اذا ماطفتها فالساعا اتزيد هذا تمكارو

ليس ابحالو غــــــــــــــــدار * طامع فمدون الغرب بتمــــــــــــــــار

لهلا يوصلو ولا يوفى له ظن هو وانظارو

وإذا كان المغاربة قد أصيبوا بهذا العدو فلاهم شغلوا بالدينار وأنهمكوا

في الاحذ والعطاء وقوى بينهم البغض والحسد كبارا وصغارا ، لم يعودوا

ينهون عن المنكر ويوقرون السادات ويزودون الاولياء ، وقليل منهم من

لا يؤذي جاره :

ايــــــــــــــــا اولي لبــــــــــــــــار * اعتبروا نظروا انــــــــــــــــا العــــــــــــــــار

واتأملوا وهذا لقول اللي بان ياسيدي اثارو

لتهنــــــــــــــــا بالدينــــــــــــــــار * واغــــــــــــــــطنا بالدنيا بالخبــــــــــــــــوذا ورا

واقوى البغض والحسد افهدا الجيل هي اكبارو واصغارو

لانــــــــــــــــهي اعلى المنكــــــــــــــــار * لا توقير السادات فزيــــــــــــــــار

وقليل من اتصيو في هذا الحيل ليس كيدي جارو

وهو تعليل نجده عند الموقت في «نرازية» حيث يقول :

سكان الغرب كلهم عباد النويــــــــــــــــس * فيهم الي باع دينو بالخبــــــــــــــــرا

ويرى الحاج ادريس ان الامل في الجهاد ، ولكن لا جهاد بدون تقوى

ونصر ، فهما كالاساس للبنيان ، وليس يكون حصيفا اى ناسا حقيقيا
اساس :

ليس يقوم لجهاد يالامت لخصوان « دون المفوى امع الصبرهادو باثنتين
تمثيل الساس للذى رايد بيسان « اشمن بنبان دون ساسا يكون احسين
وما حدث ليس غير تنفيذ لحكم الواحد الفقهار ، فعسى الله أن يعفو
ويظهر وينصر دين الاسلام على مله الكفر بحاه رسوله المحنار :

من سعاوه لعفو امع اطهارا « ينصر ديننا عن مت لعدا ابجاه طه مختارو
وللشيخ اسماعيل المراكشى قصيدة أنشأها حين فرضت حكومة الحماية
اول ضريبة على المغاربة يقول فى حربتها متوسلا الى الله الا ينجى الناس
للمخلوق ، وأن وجود عليهم بعوه ويجيرهم من الضيق :

لاتولجنا للمخلوق يالخللاق « جد لنا بعوك اوجرنا امن الضيق
ويقول فى دخولها متوسلا اليه بحرمة البسمة واسرارها أن يفرج
كرب الزمان المظلم ، ومتوسلا اليه كذلك برسوله الا يحاسب الناس على
تقصيرهم لانه مشفق رحيم :

حرمت البسمة واسرارها افلا تاق « فرج اعدينا من هذا الزمان لفسيق
لك زكنايا الاهى اموال لبسراى « لاتحافنا بالنقصان لك اشغبسقى
ومها هذا العروبي يرجو الله فيه أن ينظر الى ضعف الناس وقد
ضاقت الاحوال ، وكلت العقول ، واثقت الصدور ، وذابت الاكباد محسرة
بنار الشدائد ، وبكت القلوب مخفية دموع العين ، وغدت الاجسام كسفلى
غارقة :

انظر من حال ضعفنا ضاقت لخلاف « كلت لعقول افلصدور الموثوقا
ولبعض اكبادهم دابت من لحراق « من نار الوقت والشدائد محروقا
وقلوب اتنوح خائبا دمعت لرماءى « وامنيل اجسامنا اسماين مفروقا
وللشيخ ابن عمر المراكشى قصيدة فى أزمة «البون» اى بطاقة التموين
ايام الحرب لعالمية الثانية ، يرجو الله فى حربتها أن يحن ويخير من الزمان
وفتنه ، والا يترك الناس فى الصف بالوسائط :

حن يامولانا فينسنا « اوجرنا فسالزمان

اوجرنا من لعتسان * ولا تخلينا في سرييس (I) بالوجهما
وعميها يؤكد فكرة قضاء الله الذي قدر الغلاء، ويرجوه أن يعين الناس،
ويفرج ما نزل ، فهو وحده العاطف المشفق :
كل شيء ابقدرت المولى * من اعلينا قدر لغلا
ايعيننا بقدرتو رب لعساء * عالم بنا يفحي ما تصدر بنا
قسم المعيسين * من غيرو مالنا احنين
ويرى أن ما قامت به الحكومة من جمع للقمح وتنظيم لتوزيع الخبـيـس
الهام من الله ، وهو الذي امر ولاية المراكز أن يعيـموا رجـالا يشرفون على
العملية ، يساعدون الضعيف والعاجز والمرأة والمريض والكفـف والطالب
والشريف :

لهم المخزن من لا ينـام
ايجمع الزرع افكل عام
حتى يامر به لكريم
الى محتاجو افكل يوم
ايقبضو طايب (2) منهم
ومر الولايات كل مركز يعملو لو ارجال
رياس ايعرفو الفصـال
وايساعدوا ضعيف الـاما
والعاجزين والى حرما
وايميزو الطالب ويرفعوا بالشريف
والى مضرور امع لكفيف
ومثل هذا يقونه بي قصيده اخرى في الموضوع :
حاد المعين برحمتو وافجا كل ضيق
بالهام من المولى قام المخزن

(I) سرييس أى الصنف ، او ما يطلق عليه فى مصر «الطابور» ، والكلمة
من المخيل الفرنسى .

(2) طايب أى ناصح .

بالزرع الى كان اخزن

بيعان المسكين احسن

افكل مسكن امراكن دارها

للمساكن افقرا

او ماعملها لصحاب الزرع افلمطامر

الشحاتا هل لقطار

ولمحمد لجلو قصيدة في نفس الازمة ، يرى فيها أن الزمان أصبح مرا

والمصائب كثيرة ، وماذا عسى يفيد ؟ فقد خاض الناس في المناكر ، وعمرت

الاسواق بالمعاصي ، وظهرت علامات كثيرة وعجائب تحجب لعقون ، فلا الكبير

بهاب ، ولا الصغير يحترم ، ولا الجار يوقر جاره ، لاهياء ولاعهد - وشغل

الشیطان الناس عن أداء صلواتهم وعن كل ما يهمهم :

هذا الوقت امرار * ولصايب كترو شنهو ايفدنا

خضنا فالمنكار * ولعاصي بها عمرو اسواقنا

علامات اكثار * ولعجايب فيها تفها اعقولنا

لا رهبا لكبار * لا صفار ايحشمو في جيل وقتنا

الجار امع الجار * لا احيا لا عاهد حجات بايننا

لهننا الفسار * عن اصالات الخمسا ولي ايهمنا

شف الوقت احمرار * من افعالنا هذ الوعيد صابنا

ويذكر بعض مظاهر الغش المتفشى في اوساط التجار ، فالجزار يخطط

لحم الغنم بالماعز ، واللبان يضيف الماء لتحليب :

شف الى كزار * كايبيع لنعجا غللى (I) امسوفنا

شف الى بكار * بالمياه اخلط لنا احليبنا

ويستعرض بعض مناكر الوقت فيذكر منها كثرة النساء وتبرجهن في

جلاليب واحدية ملونة ، يزين عيونهن وحدودهن ، ويلون أطرافهن ويكشفن عن

اساورهن وقفاطينهن الجميلة ، وقد بدت الحواطم والادى المحصبة بالحناء :

(I) تقلب بعض الالسنه نون الغنم لاما .

لعيالات اكثـار * بحاللب واسباطها امونا
ويصبغو لظفـار * والدمالج فوق الكبوط باينا
والعينين اكـار * ولخدود الحمرا تلمع باينا
بقفاطن تشكـار * ولخواتم وحنانيها امزينا

وفى الوقت الذى يبقى الرجل فى الدار تخرج المرأة بهذا النبرج ،
وتأتى بالسكر والدخان لتكيف مزاجها به :

الرجل بالـد * ولما فالزنا تمشى امشرنا
واتجيب السكر * والدخن هذا هو ارشوتنا
وليست الشابة وحدها التى تعرض زينتها وانما العجوز كذلك تضع
المساحيق على وجهها ، وتصبغ شعرها ، وتظن نفسها جميلة فتأتى المنكر ،
ثم ان الساحرات كثيرات :

لعكوزا ثـوزار * كاتعكر وتقول أنا امزونا (I)
نعمل فالنكار * والشعر اتصبغو ما هو ادينا
السحرات اكـار * كايـحرو ويقولو ياخذينا

ويعطينا صوره لحال العيش الضيق الذى نتج عن أزمة البطاقة ، فلا
أمشة موجودة ، ولا صابون للتنظيف ، وواقية السكر التى تسمح بهـا
البطاقة لم تعد كافية ، وليست فى الدار مؤونة فلا سمن ولا زيت ولا فحم ،
وليس فى السوق لحم الغنم او البقر أو الجمل ولا سمك «المرنا» المعروف
وهى حاة جعلت ربة لبیت تقلق وتعرب عن هذا الفلق فى قول لزوجهـا
بأنها ضاقت بطبح الخضر كل يوم وخاصة البطاطس ، وكأنها موصى على
اكلها من طرف الطيب :

لا كـان طهـار * لا صويين باش انگلعو اوسخا
أبون السكر * ولوقيا مباقشى اتقـدنا
لا عـولا والـدر * لا سمن لا فخر لا زيت كاينا
لا غلمى يذكـار * لا جمل لا بگرى لا حوت مرنا
لمرا بالمعـار * كاتقول للرجل طابو اقلوبنا

(I) تصغير مزيانة بمعنى جميلة .

عيينا لخصصار كل يوم الخصرا هي اطيابنا
 طباطا فغطسار واش ليطاط نعدسنا اطيبينا
 ومع ذلك فكل شيء متوفر في السوق السوداء يباع في الخفاء :
 تحت الكونطوار (1) كل ماتبقى من لسدوع كايينا
 حبيب المرشي انوار (2) كل سلعا مخزوننا ليس باينا
 وهو لا يرى شيء ذلك كله الا تنفيذا منكم الله وقضائه ، فيرجوه لا يسه
 الامور وينشر رحمته لتعود الاسعار كما كانت ، حتى تزهر الايام وتزدهر
 لحياتنا :

تصريف الفهــــــــــــــــار ولقضا يتصرف بحكام ربنا
 يا عالم لسرائر يالمولى يسر لنا أمورنا
 ربى يا غفــــــــار ليس عيبت فالى مخلوق كيفنا
 حامل من لوزار لكن ارحمتك ياربى اتعمنا
 يا رازق لعمــــــــار يا لغنى من لا يخطاك حالنا
 ويرخصو لسمــــــــار كيف كانوا تزهر لنا ايامنا
 يا نعم الستــــــــار جد برحمتك يالكريم غتنا

ولللحاج محمد بن عمر قصيدة في زلفى محمد الخامس يقول في حربتها:
 قولوا يا هي معظم يوم السبت اقمدين الحمرا يذكار

عمنا لطف الله وخمد الفتاين
 وفيها يرى أن كل شيء بقدر الله ، ولا بد من تحمل هذا القدر والصبر
 عليه الى أن يفوت ، ولن يفوز بالنصر الا من رضى بفضاء الله وقبيل مصيره ،
 اذ لا ينفع الهرب منه في شيء وليس للعبد أى اخنيار ، فماله الا أن يسلم
 الامر لمولاه ويدعن :

سبحان امن اقضى بقدرتو واحكم ابما اجرى فى جميع البشر
 قدرو هولانا واعلم كل كايين

(1) مدرج البيع والمائدة التى يقف خلفها البائع ، والكلية من الدخيل الفرنسى
 (2) السوق السوداء ، وهى من الدخيل الفرنسى كذلك .

يقوز امن اصبر لشدة احتى اتقوت * وارضى واقبل ما صـ
 اعمقضا ما ينفع لهروب يالغاطن
 ليام دايرا والملك امعاها ايدور * ما لعبد اخنيـ
 سيم الامر المولانا اوكون داعن
 وفى قصيدة اخرى له فى نفس المناسبة يدعو الله أن ينصر المغاربة
 ويفرج الكرب ، وأن يخلصهم من يد أعدائه العصاة الحاكمين الدين رضوا
 لدنيا وكرهوا الآخرة ، فاعلقت يدور ولا بد لكل شدة من فرج :
 ربى يصعربا عنهم لا بد لفلك يدور والسوايع هذا حال الزمان
 فالوا لدهات ما تدوم الشمـ
 بالطف يتصرف لقضا فالاريا
 يالعالم فرج كربنا ياغيـ
 سيدنا محمد طه خاتم الانبيا
 لاتخلنا ياربى بيد هاد العصـ
 من اعليها حكمـ
 لاحرا كرهوها وابقاوا غير الدنيا

وكما نظر الشاعر الشعبي الى الاحداث المحلية (1) ، فكذلك نظر الى

انقضاء العربية الاسلامية (2) وتأمها من خلال ايمانه بانقضاء والفدر

(1) ليس من شك فى أن حرب الريف التى قادها محمد بن عبد الكريم
 الخطابى لتحرير البلاد من مختلف ألوان الإستعمار تعتبر من أهم
 أحداث المغرب المعاصرة ولكن الأسف اننا لا نعثر لها على أثر فى الزجـ
 على الرغم من الشعبية التى يتمتع بها ابن عبد الكريم وعلى الرغم كذلك
 من لصدى القوى الذى خففه هذه الحرب فى النفوس .

وقد ذكر لنا الأستاذ ابراهيم الكتانى أنه حضر مرة موسما لاحد
 الاولياء فى الشمال - لعله موسم سيدي عبد السلام بن مشيش - وكانت
 تمام حفلات رسمية حتى المساء يحضرها مسؤولون عن السلطة وحكومتـ
 الحماية تفض اشرها جموع الناس . ولكنهم لا يأتون - بعد اطمئنانهم الى
 صراف هؤلاء اسـ
 شعبية بالعربية والسربية الريفية فى تمجيد هذه الحرب ، وقد حاولنا فى
 احدى رحلاتنا للشمال أن نعثر على بعض بقايا هذا التراث ولكن الأسف،
 اننا لم نوفق لذلك . ويبدو انه ضاع بسبب عدم الاعتناء بتدوينه كتابـ
 او تسجيله بالصور ، وبسبب موت الحافظين له كذلك ، وهم فى الغالب
 من الشيوخ الذين شهدوا الحرب مع ابن عبد الكريم .

(2) تنسب لابن على ولد اريز قصيدة طويلة تسمى «المصرية» نظمها
 فى دخول نابليون الى مصر ، ولكننا لم نعثر لها على اثر .

في النصر والهزيمة على السواء . وقد كشفت حرب فلسطين الأخيرة (I) عن تجاوب شعبي صادق مع هذه القضايا ، نحسه عند الحاج محمد بن عيسى الذي طغت عليه عاطفته الوطنية المتأججة وحالت بينه وبين النظر الى حرب العرب من خلال حقبلة المكبة التي أصابت العرب والمسلمين ، فهو يحمده الله على أن تألق نجم الاسلام مضيئاً في الآفاق دون حد لنوره ، وعنت كلمة الله بسر خبرها جميع النفوس ، وظهرت أمة الاسلام في برج النصر يؤيدها الله ، وقد توحدت جيوشها ووفقت مترابطة على طول الحدود ، ونادى حط النصر وظهرت بشائره فسعد من كان قمر ما منه

وحد قطعها أحنحة لطار:

وبعدها يالامت لسلام الحمد لله اطلع النجم الساني
واتجلى فالافاق بان ضيو ما هم محسود
وارقات الكلام العالي واخبارها سر النفوس يا جمع اخواني
وظهر شعب الاسلام اينو لحليم المعسود
في برج النصر شهدوه اجيوش لسلام جات من كل اوطان
واتحدثت الاما لواقفا فمناهج لمحسود
نادى فال النصر وبانت ابشائرها يا سعد من اضحى داني
ونا ما صبت جناح ولوصال اعليا مبعود
اليسست دولة ليهود فانية منذ العهود الاولى للتاريخ ؟ تفصمهم القيادة
الرعاية ويخدلهم لله فنهم في الحياة وأذلهم في كل مكان ، وجعدهم ضعفاء
جبناء :
مبطولا دولتهم ياهل خلاهم طورا في اماج طوفاني
لا رايس واعى القوا لامن بهم ايلود
واخذلهم مولانا افلحبت اعنتهم أدلهم في كل امكاني
واحعلهم فالدنيا اكراف (2) لكراف المجنود

(I) حرب السنة أيام (يونيو 1967)
(2) الكرماء تعنى البخیل حين تطبق على الرجل وتعني القبيحة حين تقصد بها المرأة ولكن الربط هنا بين كرمًا والجنود لا يجعل الكلمة تعنى غير لضعيف والجبان .

ثم ، ألبست شوكة المؤمنين قوية ؟ وعدهم الله بالنصر والغلب على اليهود مهما انتشروا في الآفاق ، فما كادت تسبح بشارة الفتح الالهى تعم الامة الاسلامية ليهلك الطغاة كما هلكتمود من قبل ، حتى سطع نجم الاقبال وبدأت علامات الفرح والسرور والسودان تحيي النفوس والبيد ، ونهضت سائر الامم والاجناس لحماية بيت المقدس مطلقة اعنتها مستعدة للقتال :

شوكت هل ليمان قويا وعدها ربى بالنصر على لجبانى
تعلب سائر ليهود لو اكساو الفقير المسودود
مهما سمعت بشار السعادة عم لسلام بالفتح الربانى
يهلك جيش امن اطفا ربنا كيف احلك تمود
ها نجم الاقبال بان شف علامات الفرح والسرور اسلوانى
شاع اذكرها واحيات به لمهاج امع لبدود
قامت سائر لجناس ناهضا جات اتحامى على البيت طلقت لعنانى
محتالا على لقتال واكدا بطرارد وبسودود
واليهود لا يؤمنون ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، والاحمق هو الذى
لا يحناط من أعدائه ولا يحذرهم :

بالك تامن من خالفو الحد ونقضوا لمهود
وكذلك الميثاق ليس فيهم الى بنا ابتق يقرأ لمانى
لحمق من يامن فى اعداء ماينجا من لنكود
وقد بدأوا يطفون ويتجبرون ويسعون للفتن مذ مدة غير يسيرة ، ولكن
الله سيهزمهم ويصون منهم البيت ويحييه :

هاذى مدا ليهود باش زاغوا واطغوا افرعنو ورادوا لفتانسى
ربى يهزمهم من البيت ويعصو من ليهود
فارض الشام شرفها الله وأمنها من قديم ، لذلك فهو يرجوه أن
يحميها من اليهود الاجلاف :

الارض الشام الله شرفوا من قادم للآن فيه سائر لمانى
يامولانا حرسوا امن اجلاف الاما لهودود

وإذا كان ابن عمر قد نظر إلى الازمة بمنظار غير وقعي فأسناد بوجهه صف المسلمين وهوة جيوشهم وبتخاذل اليهود وتشتتهم وما نتج عن ذلك من انتصار أصحاب الحق وبهزام الأعداء المتعصبين فإن الشيخ ابن الكبير المراكشي كان أكثر واقعية في النظر إلى الازمة ، وتأمل أحداثها والاعتراف بانكاس المسلمين وليس أسبابه الحقيقية . فالمسلمون مشتتون متنازعون ، في حين أن العدو إلى جانبهم يترصد الفرص للانقضاض . يسأله حينئذ وصدوره يزودونه بالسلاح :

الزعر ادهانا امع بعضنا بعضا العدو افعيننا يتسنانا
وامعاه لخوت سدهوه قد ان اسحب سراب
والمسلمون في حاجة ملحة إلى الاتحاد ونوحيد الصف ماديا ومعنويا ، ومتى كانوا متفقين متراضين فإن أحدا لن يستطيع هراجهتهم :

لازم للصف انوحدوه حس امعنا نقاخذو الامن يقوانا
إذا كنا موافقين ما يلحمننا كذاب

أما اليهود فطفلة منجبرون ، وليس من يهلكهم ويمحقهم غير الله ، وهم أوياء مستأسدون ومنحدون لمحاربة المسلمين ، وقد نجحوا بالقدر في إهانتهم وتشريدهم ، وإذا كانوا أقوى منهم فإن أخوتهم وحلفاءهم يمدونهم بالعون

لهود اطاو اتجبرو اولامن يهلكهم غيرك العاظم مولانا
امحقهم ابلقوا القادرا والسهم الرعسباب

ليهود اقواو اتنمرؤ واتحدوا عن قتل اخوانا وقصدوا لهانا
هانونا هملونا اشردونا غدرنا لكلا ب

ليهود القاوا اخوتهم عانوهم بقاوا اقويا عن اقوانا
فوتنا هو انت اوقوتك ما نحتاج اجباب (I)

وهم لم يستحووا من انتهاك الحرمات سعيا إلى تدمير أمنيتهن ، سموا النساء ، ومكروا بالشيب والشباب ، واتخذوا المساجد مرقص ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، ونهبوا وشردوا وقتلوا :

ليهود انواو ايقققوا امنتهن ايبكونا يسبو نسوانا
بواغ الفحش ابعاملو الشايب ما والشاب

(I) اجباب : البنادق ويقصد أي سلاح .

امساجدنا للرقص هيؤهم اولاد الفاجرين قصدوا متفاناً

قتلوا نهبوا لخوت شردوهم فكس اعضاء
وهو يرى ان المسلمين خدعوا في المعركة حيث نكل بهم العدو
وتحداهم ، فكان مصابهم عظيماً ولم يشاركهم فيه أحد ، لذلك فهو يلجأ
الى الله يرجوه اللطف بعباده الاسرى والانتقام من العدو وحفائه ، فمنى
نزل الضيم بالعبد فليس ينجيه ويغيثه ويفرج كربه غير خالقه السني
يرعاه بالليل والنهار :

لمصاب اعظيم اهل الدين لمتين اتخدعنا ولا امن ابكى لكانا
اربي ياربى لطفك نرجاؤك يا وهسساب
عجل باللطف اعبيدك اسرى شوه بهم لعدو اراه اتحدانا
والقى من يحميه واحنا فاحما احماك الغلاب
العبد لا يضام الا من ايغشو يلا خالقو اولاً سواء ايفاجى لكرا
ولكن لانه من التعجيل بالتوبة والاستغفار حتى تكشف الغمة ويشفى
المصاب :

الله اهل لسلام بادروا بالتوبوا واستغفروا وطلبوا مولانا
يعجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصاب
ولا بد كذلك ان ينخلص المسجون من كيد الشيطان ، ويشكوه الى
الله وقد عجزوا عن محاربته ، فهو سبب كل ويل ، اغراهم بالطمع ، واستحوذ
عبيهم فغدوا له اعوانا ، وبعدوا عن الصدق ، لذلك فهو يطلب الله الا
يحاسبهم وان يعفو ويسامح ويصفى ما هم ويجعلهم اخوة متحدين :
اجعلنا من هل ليخلص واحفظنا من كيد يبليس من فصد انكانا
لمن نشكوه غير لك ما طعنا له احسراب

هو السباب الكل ويل خدلو يارب راه يطمع كاع (I) ادانا
كهربنا ولينا اعوان عندو واصدقنا غاب
: ربي ياربى اولاً احفنا يا كريم سامح اصفى مانا
بك اجعلنا نتحدو ونضحاو للخوت احباب
(I) كاع بمعنى جميعا ، ولعل اصلها في المصحى القاع ، وكان الوصو
الى قاع الشى يفيد جمعه كده .

وقد أوصى الله المسلمين وأنباهم بعباد اليهود لهم ، وببهمهم الى ان
من اتخذهم أولياء فهو منهم ، ولكنهم خالفوا قول الله ، وخضعوا لاهوئهم ،
واتخذوهم أحبابا وأصدقاء وتزوجوا منهم ، فكانوا بذلك عونا لهم على العلب:
لنا قال المولى لكريم راليهود اعداكم ابهذا وصانا

خالفنا قول الله كلنا درناهم احباب

من ولاهم الله قال هو منهم ابلا احيا احضعنا لهوانا

وتزوجنا منهم عبيهم كنا له اسباب

ولكنه متفائل طالما ان كل شدة لابد وان يعقبها الصرج :

الشدا ينبعها الرخا احنا نترجاو تحقيق نصرك يوفانا

رب اللطف الخافى انت المعطى من دون اسباب

ثم فيم الخوف والجبين ، مادام الموت حقا على الناس ، ومادام الاستشهاد

ضمانا للجنة ؟

الموت اعلينا حق ياك من مات شهيد احنا اوفاز ما يحتج اضمنا

راح اعريس الجننا افلاخرا يا سعدو يسطاب

ملاحظات :

نود فى نهاية هذا الفصل أن نسجل بعض الملاحظات ، عماها تكمل
الجوانب التى قد تبدو ناقصة فى نظرة الزجال المفربى الى الحياة .

الاولى : أنه على الرغم من أن الشاعر الشعبى عاش فى حياته وفنه
منجاويا مع مجتمعه مهتما بمشاكله وما ينعرض له من وقائع وأحداث ، فإنه
يبدو وكأنه لم ينظر الى هذا المجتمع الا من علو وبعد ، لم ينزل اليه ولم
يقترب منه ليختلط به ويرسم حياته اليومية لعرض لوحة مكتملة الملامح
والابعاد . قد يكون ذلك صحيحا ولكن الى حد . حقا ان الشاعر الشعبى ظل
وهو يعالج مشاكل المجتمع والحياة محصورا فى نطاق خاص ، هو نطاق
القضايا الكبرى التى تشغل الراى العام من انحلال يصيب المجتمع
او ازيمات تعترضه ، ولكننا لانريد أن نفى عنه النزول الى الشوارع والاتصال
بالحياة فى أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها ، ونكاد نجزم بأن هذا الشعر
ضاع بسبب عدم رغبة الجماهير فى سماعه وترديده ، وبالتالي عدم اقبال
(24)

المنشدين على حفظه وتداوله . ونكاد نحزم كذلك بأن مثل هذا الموقف يتخذه الجماهير والمنشدون من شعر لا يسيغه الذوق الجماعى للترديد والغناء جعل الشاعر بدوره يحجم عنه ولا يقدم عليه الا حين يقوى الانفعال فى نفسه ويضغط عليه ويجبره على القول وفى الحدود التى لا تزغ الذوق العام . ويبدو أن رجل الشعب - شاعراً كان أو منشداً أو مستمعا - لا يرى فى الحياة اليومية العادية موضوعاً للامناع طالما أنه يمارس هذه الحياة ويعيشها بكل الابعاد والجزئيات . ومع هذا فإن الباحث لا يلبث أن يعثر على نماذج - ولو قليلة - تثبت تجاوب الشاعر الشعبى مع مشاكل مجتمعه ومعالجته لقضايا . من ذلك قصيدة «المطر» (١) التى تصور قسوة فصل الشتاء على الفقير الذى لا قدرة له على الاحتماء من البرد والمطر . بالقسم الاول منها وصف حال الجو الطبيعى ، لقد هبت الريح ، وصوتت الرعود ، ولعت البروق ، وتهطلت الامطار ، وراح كل الى مقره ملتفاً فى جلبابه ، وغدا الحى بمشيئة الله وقدرته خاوياً بعد أن كان عامراً بالناس ، ووقف الشاعر يطل عليه من سور سطح بيته ومعه كاتبه :

حسيت بالريح الصرصارا * والرعود افلكوان ايزيم صوتها بهديرو
لبروك من القبل شـارو. * خطفوا المن انظر لبصـور
وابدت شى امشأتى غزارا * صابا من لسحاب الواسقا الما لكثير
والناس كلها لفـرارو * سرى وراح فالغـبـور
طلبت عل الحى امن اسطارا * بانى فاضى بعدن كان فيه جمع اكبر
كلا امشى اسريع السـدار * يضحى من لمطر مستور
سبحان امن اقدرتو جبارا * جل شان الى كيخلى الكون بعدامير
ويلا ايريد لو تعمارو * يضحى افساعتو معمـور
لمطار ما عملت الفـتارا * وناكما اصبحت افبيى ظلت ما قدرت انسير
وامعاى كتابى مختـارو * يدري الشعر والمنشـور
وفى القسم الثانى يطلب الشاعر من كاتبه أن ينبه الاغنياء الى أنهم

(١) سجلناها من المذيع غير منسوبة الى صاحبها، وسألنا كثيراً من الاشياخ نسب نهتد الى معرفة اسمه والغالب أنه معاصر .

مصاييح التنوير وراحة المآلم ، يجب عليهم الا ينسوا مواطنيهم الضعفاء ؛ ويرسم صورة للعامل الاجير يكدر الشتاء صفو حياته حيث يظل يدور طول النهار يبحث تحت المطر عن عمل يكسب منه قوت يومه فلا يجد . ويعود في المساء الى المغارة التي يسكنها ويفترش فيها مع أسرته الحصى ، فيدخل خاوي الوفاض يارغ اليدين وقد تعثرت قدماء من شدة الكدر والهم ، ويلتف حوله الاطفال ، وتحس زوجته بحقيقة حاله ، وتحاول تصبيره على ما قدر الله ، فهي من أسرة نسيئة كريمة راضية بعيش الحلال مهما كان قبيحا ؛ ووجود مثل هذه الزوجة في بيت لرحل الفقير عمارة له .

قل الكاتب لهل لغارا « عار لفكار اعليكم يا مصاييح التنوير
انتم افشعننا دكسارو « وانتم راحت المعكسور
الى ايظل يخدم بجارا « انهار تاتيه الشتوا كيطل في تكدير
من حيث مادرك مسوارو « او يظل افطار ايـسـدور
وايعود اندعى اللعمار « فمن يوجد لطفال وزوجتو اعلى حصير
ويشوك اللحم واشعمار « لوصاب لرضى به تغوز
ويزيد بلقندام العثارا « والدراري به يدوروا اكبرهم واصغير
واتحس زوجنو بكسارو « واتقول هكذا مقـدور
بنت لجواد نسل الخيارا « راضيا بالعيش والحلال لون كان اقصير
اعمارت لفقير افسارو « زوجنا ومنهسا مسرور
ويستعرض القسم الثالث نماذج من الغرباء المشردين الذين يفدون
الى المدينة ، وليس لهم فيها مأوى يجدون فيه الدفء ، منهم من يخنبيء تحت
الاقواس وقد ستر جسمه بازار أو لبس ثوبا قصيرا أو ممزقا يكشف عورته ،
ومنهم كثيرون يذهبون الى المقبرة عساحم يحتمون من الامطار ، ومنهم آخرون
يسبونون في الطرقات يسعون الى جود الاغنياء ، ولكن هؤلاء في دورهم
ومصورهم مدافعون في البطاطين والاذر لا يحسون بشيء ، وقد نسوا الكون
والخلق :

ماريت من حاوا اللعمار « امسردين ولشاقى كطبح بالتدبير
ماريت من جاوا اللعمار « امسردين وصابو الشتا ولا لقاوا نصير

والدفع ما لقوا اثارو » بين لقوس داروا حـ
فيهم امن اكساتو دزارا

فيهم بالغنى من لابس ثوب عل الجسم اقصي

فيهم امن اتبان اعوارو » من شرك اوسط المحصور
واشغال متهم فالمقبسرا » امكشمن امن امشائي كطرح بالتبدير
واخرين فالزناقي سـاروا » يسعوا جود هن لقصور
وانت اكما لبخيل افـدارو » ناسي الكون والمعـصور
وانت افيشك ونفشارو » بين لبطاطن وليـزود

وهي القسم الرابع والاخير يكمل اللوحة برسم ارملة لا قوت لها
ولا كساء ولا نور ، تظل تدور في البساتين تلتقط الفاسد من الخضر ، ولكن
جسدها طاهر اشترت بالجوع طهره ؛ وما قد اقبل الشتاء بمطاره ، وهي
تعلل اطفالها ، وتفكر في وسيلة للتصرف فيما قدر الله ، في حين يطل الغنى
في تعاليه وتعاطفه ناسيا كون الله وخلقه :

لو كان ريت كمن صبـاروا » مات لها والدولادها افوم اعسير
اولا بقى لها تدخارو » لا خبز ولا كسا لا نور
واتل في ابساتن خطـاروا » تلتقط الطايش والعيان والجسد اطيـر
بالجوع شاريا تطـارو » واليوم جاتها لطـصور
صبحت للدراري حـزارا » وكنخم كف المعمول في اضمـال قددير
وانت افيشك ونفشارو » ناسي الكون والمعـصور

الاحقة الثانية : ان الشاعر الشعبي لجأ في الوعظ الى الخطاب ، وهو
خطاب صريح مباشر قد يوجهه الى نفسه او الى غيره . ولعل مخاطبته لنفسه
تعتبر من قبيل التجريد المعروف في علم البديع حيث يجرد المتكلم من
نفسه شخصا ثانيا يحاطبه ، بل انا كثيرا ما نجد الشاعر يوجه الخطاب
لرأسه وقلبه ؛ ففي خطاب الرأس يقول ابن احساين في « اللقمانية » :

لازلت نوصيك ولو صاياعلم وعرفان » راسي ياراسي ايلا اصفييني لبداني
واعملت بوصايني اتنال الدنيا والدين

ويقول ابن علي في «الوصاية» :

اراسى نوصيك يالزايد تعبى واشفايا » من خنطت هل جيلنا اعزل

ويقول ابن سليمان في «التوبة» :

تب ياراسى لا تشقى » التاعب لابس من لعراق

لا تامن بالدينا ابناسها عرارا

ويقول شقور :

بسم لكريم صفت انحاسى ياراسى بسم لكريم خصمنى تخليص

ويقول المدي التركمانى في «الزهو» :

اراسى تنها من لزاج ابناسو شواه » والفى هل لفساد وخطا والفعل المدموم

ويقول علال العلوى :

اراسى واش ادلعيمسا » يزاك اخايب لفكر

الشيب اجرا اعلى الصفر » وانت مازال افعميا

مطموس القلب ولبصر

وفى خطاب القلب يقول ابن علي :

يالقلب اتفكر ماغات المولى والتالى * كيف شافوه اخرين اولادواوالمكيف اجرا

ويقول العلمى :

عدتى يالقلب الغافل تخطا الصواب

الصمت كبتولو لعرب حكما

مجدوه الناس القدا

واسكات عام امضل من كلما

ابعر ندهما

وقد يخاطب الشاعر غيره على حد ما نجد عند المغراوي فى خطاب

الغافل :

يا غافل حضر مالك » لاتامن اقدار لغرور اسمع نوصيك

ويقول الشاوى :

حضر لدهان يالغافل اصفى لوصيتى المزيان

ويقول الحاج ادريس لحنش :

أغافل مثلى اعلی اصلاح اسمعنى توصيك « بادر تب لله وحضر بالك
وفى خطاب الساهى يقول بوخريص :

يالساهى عما يعنيه والعمر فان « قم واعزم واخدم يكما امن اتفرعين
وفى خطاب النائم يقول الشاوى :

يالنائم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تنعم ربحك واتفوز ابلغايم والطاعسا

وفى خطاب الفاطن يقول العميرى :

يالفاطن مغرور الواهيا افطن

وفى خطاب محبى الدنيا يقول العباس الحرار :

أغابطين فالهانيا ام السيات « عنموا اتوابها قبل الايفوت الفوت

وفى خطاب ابن الدنيا يقول ابن على :

لك يا بن الدنيا خذ اوصايت الدهات الى مرويا

قول مومن لك اعطاها اوخوك فالله

وفى خطاب قبيح الاعمال يقول محمد ولد سيدي بوعمرو :

زال حكمك من صرفك يا قبيح لفعال « يالى عن منهج السالكين ما يل

وفى خطاب الواله يقول الحاج محمد بن عمر :

يا أخ الولهان بهوم الدنيا لفاتنا

من شطنت لنا اقلوبنا

عشنا كالحيوان

لا من فاق ابتمحانو

وفى خطاب الصاحب يقول الشاوى :

رد بالك يا صاح اوصغ طرز لقول « كن عايق فايق خذ لشيا بمهلا

وفى بعض نصائح السلوك الصوفية نجد الخطاب يوجه للمريد كما

عند ابن رموية اذ يقول :

يامريد وجه قلبك واقرا لوح الشهود

أو الى الفاهم كما عند الشريف المرباط محمد المنالى اذ يقول :

ياهميم صنع لنظامى اوكون فاهم » ردت نوصيك أوصايا فى اطربق لخوان

الملاحظة الثالثة : ان فكرة تنبيه الغافلين المتهافتين على الدنيا جرت

بعض الشعراء الى تخصيص قصائد للتذكير بقدرة الله وعظمه على حد ما فعل

المقراوى فى قصيدة له تناول فيها تكوين الانسان وخلقه ، ومختلف أطواره؛

يقول فى أولها :

سبحان المهيّن خالق الانسان » من ماء مهين والاصل صلصال

لآدم أبو البشر امع زوحتو صنوان » منهم ذا النسل افلزواج نسمال

سبحان امن اخلق جميع لوجود شاهد » لله بالشنا والحمد والشوحيـــــ

سوى امن اكفر بجهالت لاحد » عن نهج لهذا ضل اشتقاء اعند

شان الله اعظيم كيف ينكر الجاحد » واشهود اقدرتو فى اصنعتو ترشيد

وفىها يقول :

كم قد اتى افحكهم القرآن » تلوير انشيت من حال الحال

نظفا ثم عتقا افأول النشيان » مضعا ثم لحم اعظم اوصـــــ

وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن على العمراى فى «الذرة» التى يقول فى

حزبها :

يالساهى من نومك بق سح الرب » لمتا وانت تايه افلغرور لسواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب » سيدنا محمد طه اشفيغ لعراب

وفى عروبي منها يقول متحدتا عن الذرة وكيف قسمها الله اربعة

اقسام ، الاول للرسول عليه السلام ، والثانى للقلم ، والثالث للعرش ،

والرابع للكبرى :

من نور اقبط قبضا واقسمها » اعلى ربعا اكما امن الدار حادى

القسم اللولى للحبيب اجعلها » وقل لها كون محمد كانبـــــ

والقسم الثانى لقلم انشامها » ومن القسم الثالث العرش الثالث

والقسم الرابع للكبرى ورثها

الفصل الثالث

مع الناس

لكل انسان فى مجتمعه علاقات تربطه بالاناس الذين يشاركونه الحياة فيه أفرادا وجماعات ، وهى علاقات تتسع وتضيق بمدى اتساع وضيق مدى العددي لهؤلاء اناس ومدى متانه وعتور الروابط التى تشده اليهم او تشدهم اليه . ويمكن اعتبار هذه العلاقات عند الشاعر الشعبى من خلال مستويين ، أحدهما عام والآخر خاص . اما العام فيتمثل فى نظرتة السى الناس كجماعات واهتمامه بمشاكلهم وقضاياهم وتجاوبه معهم فى رضى عن سموكهم أو نفور منهم فى سخط على هذا السلوك . وقد عرضنا لهذا الجانب فى الفصل السابق لما رأينا فيه من تكميل لرؤية الشاعر الى الحياة وبلوره هذه الرؤية وتوضيح لاتجاه الحكم والعظات التى نتجت عنها .

وأما الخاص فينحصر فى العلاقات التى تربطه بأفراد معينين ، قد تكون لهم فى نفسه أو فى المجتمع مكانة تقدير واكبار ، فيثنى عليهم احياء وأمواتا ، مدفوعا بالحب الصادق حينما والتقرب والتملق احيانا كثيرة ؛ وقد لا يكون لهم فى نفسه غير الشعور بالمنافسة والخلاف والخصام ، فيصعب عليهم جام هذا الشعور ذما وتعييرا فى غير هوادة او لين . وهو الجانب الذى سنناول فى هذا الفصل ، نقصد به فنونا ثلاثة هى : المدح والرتاء والهجاء .

أولا : المدح

من عميق ادراك الشاعر الشعبى لما هية الشعر ودوره انه ابتعد عن فن المدح انشدها واشمدا ، وفى غير قليل من الاحمال والازدراء ، وكأنه أحس بما فيه من فتور العاصفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع ، وخلوه بشجة ذلك من اماع الدهن والشعور ، فلم تفتتح قريحته للنظم فيه ، وجاءت مصائده لذلك قليلة ، وهى على قلتها لم تجذب الحفاظ اليها والمنشدين ، فكان أن صاع أكثر إنتاجه فى هذا الفن ، الا ما كان منه فى مدح الرسول عليه السلام (1) ، فانه انطلق فى أجوائه ، تسعفه عاطفة خالصة اساسها

(1) خصصنا له الفصل الرابع من باب الموضوعات .

العقيدة الراسخة والحب الصادق ؛ بل انا بجد الاشباح به شعراء وحفاظا
حين يلقون تسمية المدح او «المداحي» لا يعرفون بها غير المديح النبوي .
ومن ايدنا نص يفيض بهذا الروح ، يعيب فيه بوعمره على الشعراء
الذين تحلوا عن تمجيد الكارم والفضائل ، وغدوا يمدحون الناس
ويصفونهم بما لا يتخلون به ، وهو يفقد في الممدوحين خصال الثناء ، ويرى
ألا أحد يستحق المدح عبر الرسول الكريم :

قال الاديب عمرو * ام اعشى الشعرا

اسمعا عن الاعيان * وفديم الزمان * كانوا يمدحوا الاحسان
واليوم تمدح الانسان * وتقول ذا فلان * ساعا توجدو عجزان
اصم غايت الرقيب * يامن هو البيب * لك فالداس اعدو وحبیب
تمدح ياأخي لسجيب * وتقول ذا اريب * وترى السعد فيه ايخيب
امن هو البيب احسب * في ذا الجيل اغريب * هذا صح ابلا تكذیب

نجم الثنا قد غاب * عننا حقيق واغبا

وانبطلت لنساب * رجعوا لكرام تربا

وكذلك الاصحاب * لاتامن الصحبا

نحفلك اعظيم ايمان * حقيق بالبيان

ما تمدح ولا انسان * سوى سيد الثقلان

لك بجد الشاعر العباس الحرار يعتز في بيت من قصيدته العشرية

انه لم يرفع بقوائم شعره سطوة منك أو طاعية جبار :

انا اللي ما رفعت بقوايم شعري * سطوت مالك شامخ او اظفى جبار

ومع ذلك ، فقد وقفنا الى تدوين عدد من القصائد ، ومن أهمها مجموعة

مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1) ، والمولى أبوبكر بن

السلطان الحسن الاول (2) وكان خليفة في مراكش للمولى عبد الحفيظ (3) ،

وامك محمد اخامس (4) ثم ابنه الحسن الثاني

(1) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ .

(2) تولى الحسن الاول من سنة 1290 الى 1311 هـ

(3) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ الموافق 1912 م .

(4) تولى من سنة 1927 الى سنة 1961 م ، حيث خلفه ابنه الملك الحسن

الناثي

أما المولى عبد الرحمن فيمدحه ابن سنيما ويذكر استعدادده فـي
مراكش للخروج الى حرب في الحوز لم يشهد لها مثيل ، زأدها وجود
السلطان بهاء وهناء ، فابتهج الناس وانطفت ألسنة المنشدين تلهج بشجاعته
وجوده وعفه ودكائه :

فرحا يا بهجت لحضر وانزها * زاد سيدنا فنهاها
اعلى اسرور الملك ايفرحو كل اعقول * واتبشري يا بهجت لمدون
وهو ياسيدي وعنى ازهوك ناسك تنشد بمصاحبت السون
وهو ياسيدنا لهمام بن الامام لمجد بن سيدي هشام
اشريف امن اسلام صى ليام

اشمجيح امن الضراغم والجواد على الحلائق
بالحوز عنمت به طيف امنها * صاحب لعقل وانباها
قام حارك بها جميع لحروك امثول * ما شأفت عوضها اعيون
ويخبرنا الشاعر بتقليد للسلطان يقضى قبل الخروج للحرب ان يزور
على عادة أسلافه ، رجال مراكش السبعة (1) ليفوز بذخيرة أهل الكمال
ويقال مفصوده :

وهو ياسيدي ومنين وجد الحركا واسكاد الشور
افعل ما فعلت اسلافو لفضال
طاف عن سبعنو رجسـال
فاز بدحيرت هل لكمال
حاجتو نال

ونجد العلمى يدعو له الله أن ينصره ويهزم اعداءه الطفاة المتجبرين :
غث لهمام ابريـح النصر يانقهار * ونقد ادعوتو فـالطفاة ولجبابـر
ويتوسل اليه تعالى أن يجعله من كل ضرر :

يامن رسى اجبال وارصدها بصخور * وابحور الطاميا ابـقـهـرو محصورا
واحجب صو النهار بظلام الديجور * واهزم لغسيق ابلـفـجر باهى الصورا
ياعالم ما بدا وما تخفى لصدور * سلتك بملايك لحجوب المشهورا
احفظ ذات لهمام من كل ضرورا

(1) هم أولياء هذه المدينة المشهورون : يوسف بن على والقاضى عياض وأبو
الصباس السبتي والجزولى والتباع والغزواني والسهيلى .

ويرجو الله ويسأله أن يكسوه حبة من نور هيئته ويؤيده بالنصر
والحكمة وبوجود عبده بما يبهجه ويسره ، وأن يسعد خطه أينما حل ، ويبارك
فى عمره ، وأن يجعل دفاعه على أعدائه كدعاء نوح على أصحاب الطوفان :
يا تحليل اكسه حلا ايهبتك نور * وايسوا بالغلب وكرموا ابما ايسرو
وظفرو بالحكما اوله سكم الشور * ااكل بقعا ببارك ياربنا افعمر
اجعل ادعوتو دعوت نوح النبى المبرور

اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو انبترو
ويطلب الله أن يفتح له باب التيسير وأن يجعل الاوياء والصالحين
حيثما لحمايته يدافعون عن كلمته ويفيرون ، وأن يعينه ويحفظ جيشه
ويؤيده علمه بالنصر ، وأن يهزم قوم الفساد والزور المخالفين :
افتح لمام غربنا باب التيسير * والصالحين جيش لحماه ايصيروا
حق اعلى اكلمتوا يوكدوا ويغيروا

نعم المعين عن لهما المنصور * واحفظ جيشوا وايد علمو بالنصر
واهزم قوم لفساد واهزم قوم الزور * وافن قوم لمخالفا بسنون السمر
وفد عم الازدهار عهده فربح التاجر والمتعلم ، وغدا الصبى الصغير فى
الكتاب يتقن تجويد القرآن الكريم :

انزايه ايامو ظهرت لو افجمع لقطار * نال كل من اقرا واربح كل تاجر
توجد الصبى فالكتب اصغير محضار * ايجود الآى تجويد لفقيه الماهر
ورى فيه الفقه العميرى اميرا للمؤمنين شجاعا ربيع الشأن شريف
النسب من قریش ، ينوس به الى الله أن يعم الامة بالاحسان :

ربيع الشأن * ماتهمو شجاعان * فحروب امدان

نسبتو عدسانى * من قریش مير المؤمنين

ابا رحمان * كن لى مسنعان * بمن تلا القرآن

ودنى واعطانى * اعطاء من خير الدارين

بوجود السلطان * مولاي عبد الرحمان * عمنا بالاحسان

انمحدو فزمانى * من احكم فالبرين وبحرين

انتقاد له الزمان واخرى له الدهر عنانه فاصليح احوال البلاد واعز
الله به الاسلام :

اعطاء الزمان * الدهر اخرى لو لعان * اصليح به البلدان
حفتني وارضائي * الله بحكامو عز السدين
وعند عزوز الممتوي انه اعز المدوك ، نادت مدينة مراكش بصولته
ونصره ، فخير سلطانها ومولاها وسليل الرسول :

لث البهجا ندادت * يابن هشام السلطاني
صول اعطاك الله النصر يا عز المدوك * مولاي عبيد الرحمن
انت هو السلطان * وانت هو مولاها
مولاي عبد الرحمان * نخبتم لمفضل طه
وهو خلاصة الاشرف ورأفة الله بالعباد ، أمن الخائف وأغاث اللهفان
فعدت الايام حلوة والاوقات ضاحكة ، كما ضحكت ثغور الذين احبوه
بجوارحهم حب الظامي للماء :

هيا خالص لشرف * يالهام الهشامي
بك الله عنا راف * يامول القدر السامي
أمن بسك الخواف * ياغيث الشرب الظامي
ايام الدهر احلات * واضحكت اوقات الزمان
كيف اضحكت افواه واجوارحها حبوك * حب الماء للظمان
وأما الخليفة الموني ابوبكر فيمدحه محمد بن لقرين بأنه هلال ساطع
سعدت بنوره كل المدن والقرى وجميع أركان المعمور واقطاره ، وهو
كريم وفارس وشجاع بل هو أسد الاسود ، ومن سلالة الافاضل النجباء
دوى السر والعرز والمكانة العالية ، وعدهم انه بالنصر وايدهم بجيوش قوية
تبادر في الجهاد للانقضاى واحذ الثار :

لهلال الزاهر * به سعدت واعبات امدينث لحضر
خوف اقبلا امع لعمارا * والتل وسائر منازل في كل اقطار
ضروغم لقساور * صيلت النجبا تفصال اهل السر
من بهم العز والتجارا * ناسي الدرجة العاليها هما هن لسراد

سطوا وادخاير * . ودهم المولى بالعز والنصر
واعدهم لجهاد فالنصارى * . برزائم (1) ولقواس وقنا اورمع بتار
توكد واتكابر * . فى بحر الهوشا وفحومت السقر
وقت اماركو من ليعارا * . بقدر النار بالعزم ابلا توغار
صال بعساكر * . ولمدافع وارجال وخيل تنشكر
والشجعان امقلد ازكارا * . ابامر الله ربنا لجليل الستار
حت لبشار * . بالخليفة سيدى مولاي بوبكر
يم القرا فارس لفزارا * . مسعد لسلام كافا بالليث الغزار
وهو بعد هذا شريف النسب ، بحر فى العلم ، خطيب على المنابر
تزهى له الارواح وترقص اغصان الشجر ويفوح طيب نسمات الازهار ،
ثم انه لايعتا عن ذكر الله يفتى به الهموم والاكدار :

النسب الفاخر * . يم لعلوم الفالح صاحب الذكر
نافى شفق الهول ولكدارا * . به ازهات الرواح جن او انس واطيار
مايمن امنابر * . ابلعطوف رقصت القطبان فالشجر
هب انسيم الروص ابلبشارا * . ونفح طيبو امن الرضا بنساييم لزهار
وعند عبد الرحمن ابن الفقيه الحاج الصاهر انه خيفة السلطان المولى
عبد الحفيظ نعم الخيفة ، بمثله تفخر الخلافة فى كل عصر ، واذا كان
السلطان سعيدا فى كل مناطق مملكته فهو بخلافة المولى ابى بكر اكثر سعادة
اخليف المالك فى ذا الجيل * . على الهما بالتحلين
حل ونعم لخلاف به فالعصر تفتاخر * . ضمها العز الوافر
من اسمعات مولاي حفيظ ايسايرلفطار * . اسعد بخليفتو اكثر
بتمم شفائه (2) استقام الحط وعم السرور مديدا . رانش . وقد
دعا الاشياخ للحفلات التى اقام فلبوها فرحين مبتهجين :

بكمال راحو متسقم لنا الشور

تلغى السرور بالراحا فالبهجا * . انحمدو مرفوع الدرجا

- (1) ج رزامة وهى الصخرة الكبيرة او القطعة الثقيلة من الحديد .
- (2) يبدو أن القصيدة قيست فى تهنة الخيفة بالشفاء من مرض .

كايناديننا للفرجا

فالسلا ما لبات اقلوبنا القول الذاكر * فرحنا اضحى متكاثر

ايجاب التلبيا بسرورنا اتبشر

وتوضح غايت لخبر

وهو محروس بالسبعة بدور رجال مراکش

محروس عز لخلايق بالسبع ابدور

منهم سيدنا يوسف مول الفار

والذي بالشفأ (1) يذكر

ولهمام السبتي غيار

له سندا مركز الاوليا ابيدو داير

والمجد صاحب الدليل (2) اعنصر ايعور

فكفالتو يجمع احراكو واسكون

وحرم سيد التباع ايكون

له رقا واحجاب ايصون

سر وعلان

الغزواني ايققوا ببشائر

جالبين كل ادخاير

ابسيدنا السهيل يسهل جمع لامر

فقصه مولاي بوبكر

ومثل هذا وذاك نجده عند الشيخ عمر المراكشي ، لا يضيف الا اليه

نجل السلطان مولاي الحسن ، وأنه جزيل العطاء للفريب والبعيد ، وفريد
عصره في الكرم :

نجل الملك طلعت البدر السانسي * ياسيدنا * سيدى مولاي بوبكر

يانجل الماجد الشريف الحساني * ياسيدنا * ياغايت كل امن اتضر

(1) كتاب «الشفأ في أخبار المصطفى» للقاضي عياض .

(2) كتاب «دلائل الخيرات» لنجزولى .

معطاك اجزىل عل القاصى والدانى * ياسيدنا * فالجود فارد العصر
ومن المدح الذى قيل فى محمد الخامس مانجس عند محمد المودن
انطواني يصعب فيه بأنه الهام نور عينيه ، نصره الله واعطاء سطوة
فاقت سطوة كل من سبقوه ، شبيهة بسطوة هارون الرشيد وعبد الملك
ابن مروان ، به يفخر العصر ويباهى ، حاز الادب وحسن الخلق والتواضع
والدين اسم . سم الله عن ربة الرسول عليه السلام وسلالة الملوك .

صرو وبى يستاهل النصير * سيدى محمد لهام نور اعينى
اعنده الله سئلوا عطيت سطواب * دوك الذى فايئين فى لزمانى
كسطوت هارون الرشيد * ومالك بن مبروانى
اعلى لعصور اتباها عصرنا * واستفخر بها لهام يافاهم لوزانى
حاز الادب وحسن الخلق * امع لتواضع ما بهجا الانسانى
نسم الدين لمتين * زاد خاصو به الرحمان
ملك بن الملك ولد ملك * دار الملك يا فهمم التبيانى
من دريت عين لوجود * الشافع فالعصيانى
ويتوسل الى الله ان يصلح رابه بحرمة اسمه العظيم :

نصلح ربو يا كامل لسطعا * حرمت اسمك لعظيم يا رحمان
ولادريس الزمورى قصيدة خلد بها حص (I) وضع الحجر الاساسى
لمدارس باب شمالة المعروفة بمدارس محمد الخامس ، يمنحه فيها بأنه نهض
بالعلم وانشأ المدارس وأقام المساجد ، فأناح للشباب أن يتفقه فى الدين
وعربية واللغات وعلوم العصر :

يحيا يحيا ملك غربنا سيدى محمد الشريف الحسانى
كيف احيا لمدارس امعا العلم ومسجد للدين
فى ايام المروك لسلام المصريين اتفهموا فكل لديانى
حتى العجم وعرب اقراهم دركوا جساء امتين
بوجود نعم الملك لمشرف واقف احريص ابقلب ذاتو يقطانى
اعلى لمساجد ومدارس للقرايا واشيات اخريين

من اعلوم التوحيد وعلوم العصوريا واقرأوا القرآن

ينفقها في دين لسلام واقواعدو المثبتين

فحياتو المبروكا اتزادت امساجد وامدارس اللقرايا ببيان

واتجددو لمساجد اللي اقدام ببني في تحصيلين

وبعد استعراض مطاهر الاحتمال ، وصف وضع الحجر الاساسي لهذه

المدرسة التي ستكون فائحة خير كثير ، دون ان ينسى اكتتاب سكان الرباط

لاقامتها وافتتاح الملك لهذا الاكتتاب بمبلغ مليون ونصف من الفرنكات :

من بعد هذا الخطاب وقف لهما حجرت الساس فارح قلبو هاني

نزلها بلطافا في ساسها بالفتح المبين

تحقيق دا المدرسا افغربنا فيه خير اكثير لسلام بالبيان

آذن عنها ملك غربنا نجل الحسين

هو الاول معدن الجود اتكرم من مالو الخاص دون الكتماني

مليون ونصف مليون اهداه سيدي ولا تونين (1)

وامر هل الرباط كلها تفنم دالاجر ونفص يالحساني

لاين هذا هو الخير هذا ارباح الدارين

وهو في مدحه للسلطان يذكر انتسابه للرسول الكريم ولسلالة ملوك

هو ياقوتتها المضيئه ، وهبه الله الحكمة والعقل ، واحبه فغدا محبوبا عند

شعب ، لم يتقدم مثله في المغرب سلطان :

بوجود هذا الملك ونعم ملك اصل الملوك نسب طه المداني

هذا يافوتنا منهم اصوات ابنور مبین

هذا الملك الله فيه اوضع حكمت واعطاه عقل نور نوراني

هذا حاز الملك الشميخ والسعادة لمسلمين

هذا ملك محبوب عند ربي وعند العباد الفلحصر والعرباني

هذا سلطان مافات في غربنا مثلو بعقل اعطين

وعند العيساوي القوس انه رمح في الحروب مهند يجدد ثوب العز ،

وأنه صاحب المجد ووارث العلوم من الاجداد ، وأنه أسد تسعد بصولته

(1) دون من باعطاء المبلغ .

العباد ، اختاره الله وحمل ثنائه مخدداً في القلوب بفضله فيها حكمة ، وقد
سعد من جعله عماده وسنده ، فهو ينبوع الفضل والجود ، من لم ينظر الى
عرشه بعينه يظل بصره غليلاً وقلبه متجمداً يعاني من جراح لالتئمه :

العر بلك تالك امجد

رمحت اقلحروب امهند

واثنك اقلقوب امخلد

يا صاحب المجد

يا وارث لعلوم ولعيا من جد الجد

يا ضرغم حميا سعد بك لعباد

واختارك لجليل الجيد

حكيمك اقلقوب امفد

يسعد امن اعلتك امسند

ايولوج تكندو

يا ينبوع الحود ولفضل شلا ما ينعد

من لاشاف اعرشك ياسيدي ابلىماد

بصرو ابلا اشكوك امرمد

قلبو عمل لبدا متعلمد

لازال اقلجراح ايكمد

ويراه قد فاز بالانتساب للنبي الكريم وحاز جميع المزايا والمفاخر
والامجاد ، ودعو له الله أن يديم صولة نوره المحمدي الذي اضاء نجم
المغرب :

دام الله ايام صولت النور المحمدي ❀ من به اضوا نجم غربنا سيدي محمد
حاز الفخر ومجد ولزيا نجل المهتمدي ❀ سلطان المغرب نورنا سيدي محمد
ومن مدحه بعد هذا ما قاله مولاي احمد العلوي متغزلاً في جمال صورته
وعينه الشبيهتين بعيني الغزال :

نصر الله اجمال صورتك يا نجل الشاد ❀ اتهيل الزين ولها سيدي
محمد

ويقول كذلك :

الله ينصر احسان اجمالك ✽ ياذاث الادب والطفاف يا نور اتمادي
ولعله كان متوقعا أن تكون وفيرة حصيلة القصائد التي مدح بها محمد
الخامس ، لما كان يتمتع به من شعبية نتيجة مساندته لكفاح الامة من اجل
التحرر ، وما عانى من حراء ذلك ، ولكن كثيرا من هذه القصائد ضاع بسبب
مع حكومة الحماية لترديد المحفوظ منها وبسبب اتلاف الشعراء لما دونوا ،
خوفا من عذبات التفتيش التي كانت تقوم بها سلطات هذه الحكومة في
البيوت * وقد ذكر لنا بعض اشياخ فاس أن العيساوي الفلوس كان اكثر
الشعراء مدحا لمحمد الخامس ، ولكنه اضطر تحت ضغط مضايقات السلطة
والخوف من البحث والتفتيش الى دفن مجموعة كبيرة من قصائد هذا المدح
في احدى المقابر *

حقا ان عهد الاستقلال أتاح للشاعر الشعبي ان ينطلق في مدحه ،
ولكن اسراع الاحداث وتوالي المناسبات ورغبة أجهزة الاعلام ، والاذاعة
خاصة ، في أن يواكب الشعر الشعبي هذه المناسبات وتلك الاحداث ، كل
ذلك جعل الناطمين - وهم قلة معدودة - يتكفون مدحا يغطي عليه التقليد،
نأليا من كل روح ، بل يبدو في أغلبه وكأنه ليس غير مسمخ وسلخ
لبعض قصائد الغزل او مديح النبي وآل البيت والاولياء * وهو احساس
نشعر به ونحن نستمع الى القصائد التي نذاع في مدح الملك الحسن الثاني
كهااته التي يقول مولاي احمد العلوي في حربتها :

الله ينصر سلطان هل لبها الحسن ✽ راحت اعضاء روح الروح سود
لعيان

ومنها قصيدة لسلام الفاسي يقول فيها :

حيالك الله يالبدر الساني بهلال نور اعباني

ياالحسن الثاني يارفع لاسم تاج المغرب سيدنا

ومنها كذلك قصيدة للشيخ عبد القادر مدحه فيها بمناسبة اسعراض
الجيش ، يقول في حربتها :

فرحوا بالخوان بالجيش الملكي اديالنا * قايدهم كبير سيدنا مولاي الحسن

من له لجنود طأعين

وولاهي وصنيته لعلها لأحمد سيوم هذه حربنها :

قيد بجيش اهامام الشعب نور لتماد ^١ نأج تبجان العصر اوسيد لسيادي
عسى انا الى جانب هذا المدح الذي استعرضنا أهم نماذجه ، نجد
لونا ^٢ من المدح «جماعيا» اذا صحب هذه التسمية ، على حدها نصادف
عمد الحسن بن شعرون في رجل الطريفة المسحية (١) يمدحهم بأنهم نور
وشعاع وصياء للعيون وعلاج للعقل والروح ، من شرب خمرتهم ارتوى في
حضره الرخوى ، تسميه تؤوسها ايدي محبيه ، وغدا متجليا في بساط
السوان ، يسدت طريقا تغمره الافراح ، وجعه الله في مقام العز ومنحه
السر والفصل والفتح :

ناس الفتح اللغوب نور واشعاع اضيا لعياني
واعلاج الروح ولعقل منهم امن اسقياه
باح ابتمرت لحياب وارتوى افحصرت الرضواني
بسكواب اللي اتناول ببيان امن اهواه
فيه اتجلى يشراع في ابساط البسط السواني
واسلك منهاج ابلفراح ايوا في من راه

ثانيا : السراء :

ويطلقون على قصائده تسمية «لعزو» او «لعزاء» ، وهو مثل المدح في
نظر الشاعر الشعبي ، لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة
للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد . ولولا ان بعض المعنيين
دونوا في كتاباتهم نماذج لهذا الفن لكان ضياعه كاملا ،
ومن أقدم هذه النماذج قصيدة للحاج اعمارة في وثاء الشاعر عبدالله
ابن احساين ، يبكي فيها ويطلب من الشعر ان يبكي على ابيه كالمرأة
التيلى وينوح كالطائر الغريب في الليل وأن يسقى من دموعه جذور النخلة
التي كان يجلس في ظلها لينظم ، فمن يحلو له العيش بعد عبد الله ، ولن
يعرف كيف يتصرف في الشعر ويخرج من مأربه .

(١) احدى فرق درقاوة مسوبة لشيخها فتح الله بناني الرباطي .

ابك اعلى اباك اشعري ابكا دشى امرا ثكلى

او نوح كينوح ورشان اغريب بوحود فالليل

ابك اعلى اباك اشعري واسقى اجذور ذا النخلا

الى اشحال (1) من شعر احداها رصعوا باك اكبيل (2)

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحلا

وبايدا امشى عبد الله ابقيت فالتشعار اوحيل

وللحاج اعمارة كذلك قصيدة فى رثاء الشاعر بوعمرو يتساءل فيها

عن شعره لم لاينطلق ، وعن دمه لم سال على الخد كالنهر ، وعن ذاته لم

ارتعدت ، وعن فكره لم تجمد وقلبه لم خفق وقد جرحته الهموم :

مال دمعى عن خدى واد * مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفاذ (3) * جرحتر الف غدا

مال عقلى يا ويحى باد * مال شعري ما يتسدا

وهو ينالم ويتأوه لفراق حبيب قلبه الفد النبيل المنير الذى برز فى

نشو والغناء فدفا لايعوض :

آه اعليا يالعباد * من افراق احبيب الكباد

النبيل الفد النشاد * سيد من غمى او اشدا

بوعمرو لمنير الوفاذ * لحبيب الا ليه افدا

ومن أهم قصائد هذا الفن واشهرها مراثية المغراوى فى المنصور

السعدى (4) ، وهى كلها حديث عن فراق الاحبة والبكاء عليهم ، لم يتعرض

فيها لذكر شىء عن الرجل ، بل ليس فيها مايوحى بالموت غير حربتها التى

أحبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين (5) مايرجعون به

كفهم :

(1) اشحال بمعنى كم

(2) من قبل

(3) من فدفا بمعنى طار

(4) توفى سنة 1012 هـ .

(5) دامت دولة السعديين من 961 الى 1069 هـ .

عام شديب مات الذهبي اخيار لقراب * ما بقى للسعديين باش ايرجحو
فقد رمى الفراق الشاعر بسهم غاصب من قوسه أصاب قلبه وزاد
ضربه بسيف ضربة هدت كيانه :

لفراق ارعاني قوسو بسهم غصاب * ما خطاني مكن قلبي او لوحو
بعد ما مكنتي جاني بسيف غلاب * هدي واهزم ديواني وجيحو
ولم يكتف في الرمز لفوة الفراق بالقوس والسيف ، وانما جعله اميرا
يصول في حزم وشدة ، يقود جيشا ما كاد يصل حتى أطلق عليه سهام وترو
الشديد وضربه بالحسام ضربة قاتلة :

جاني مير لفراق صايل متحزم * واقصدني للفنا ابجيشو واعلامو
بوصلو لاحني اببساط امسهم * من وتر اشديد ما خطاني بسهامو
واضربني ضربت لمقاتل بسهامو

وهو من اجل هذا يحق له أن يسهر ويبكى بالليل والنهار ، وينوح
نواحا تنعجب له الغربان وتشيب :

ايحق لي نبكى للفرق النهار والليل
* انقطعوا ساهر وانجدد اعلى اصباحي
وانكثرو من دمع المهرق كالسيل

* اتعجب واتشيب الغربان امن انواحي
ويلومه الناس على البكاء فيطلب منهم أن يتركوه في حاله وقد بان
عنه احباؤه ، وغدا من وحشتهم كالطائر الذي قص جناحه بعيدا عن أهله
وطنه ووضع موثقا في فقص ، طأل فيه سجنه وكثرت محنه :
دعني يالايمى اعلى لفراق نبكى * غابوا على احباب قلبي ما بانوا
رائي من وحشتهم في حالا نحكى * طير امقصص فارق اهلو وطانو
في فقص اوثيق طال سجنو وامحانو

وعنده أن في ابكاء راحة للذي التهبت فروجه ، وأن الدموع تطفىء
ناره ، ولولا البكاء لذاب قلبه وضلوعه من لهيب الجمر المشتعل في مهجته ،
أما تنهده فتنهده له الشواحق وتنحطم الاشجار :

لبكا راحا للمقروح من الهيبو * عندما يبكي تخمد بالدمع نارو
اشواهق لو بانو بالنهد ايريو * وارياض الناعم ينحطموا اشجارو
مهجتي واضلوعى لولا لبكا ايدوبو * اعلى الهيبو شاعل فالقلب من
اجمارو

ولكنه القصة الذى جعل الفراق يعز عبه أن يرى روضا يانعا مزهرا
فأبيسه واحرقه :

لغضا فرسا والين عند ماصاب * روضنا متنعم حرقو وكلحو
وبك هي الدنيا تدور دواليها ، متلثة وفارعة ، محزنة ومفرحة ،
جامعة ومفرقة ، مشغلة ومعطلة ، يكثر رزقها ويقل موقوتا ومحدودا ومقدرا
كما يشاء الله :

هكذا الدنيا كدولاب اتحول واتدور * دورها يملأ ويفرغ في كل حالا
تارا بالحزن وتارا بفرح واسرور * واجتماع وفرقا وشغال ولبظالا
وارزقها المضمون ابوقتوا يفور ويفور * كيف قدر بحكامو ربنا اتعالى
وللحاج محمد النجار هروية في الفقيه حمدون بن الحاج (1) يترحم
فيها عليه راجيا أن تظل البركة في ابنه :

رحمت ربى اعلى لفقيه السى حمدون * والبركا فخليفتو عز اولادو
ويرى واجبا أن ترويه فأس وغيرها من المدن وان ينوح عليه المحبون :
واجب ترويه فأس واقراها وامدون * واكثر الحب فيه يقوى تفرادو
ويدكر أن الفقيه كان معروفا بطبعه الحلو وبالجود والحياء والعلم
والانشاد والاطلاع الواسع والتضلع في الحديث وسنده ، وأنه ألف كتابا
يحيى النفوس فاق في أسلوبه ابن زيدون ، لو رآه ابن عبدون لانبهر :

1) هو ابو عبد الله حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج السليمانى
المرداسى توفى سنة 1232 هـ . وقد ترجم له ولده ابو عبد الله محمد
الطالب بن الحاج في كتاب «رياض الورد الى ما انتمى اليه هذا الجواهر الفرد»
وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 396 . أما فصيحة النجار
في رثائه فواردة في ديوان في الثناء على ابن الحاج اسمه «روضة
الميلوفر ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التي هي اعطر مسن الادفر»
مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 383 D

عاب الشيخ الشهير بالطبع الممدود * والجود امع لحيا وعلمو وانشادو
 واشما حلا لشافها تنشط لبدون * واتحلى ابلحديث واسما باسنادو
 بهت لوراه فى احياتو بن عبدون * سبحان اللى عطاء وارضاء وزادو
 وارفى بالقاط رايقا عن ابن زيدون * واعلى من باد فالحقيق جتهادو
 كذلك نجد لکندور قصيدة فى رثاء المولى عبد الرحمان يرى واجبا فيها
 عليه ان يرثيه بدمع لا ينفطم كالطر المتهاطل ، وان يبنى طول عمره هائما
 حريدا عليه ، ويرى واجبا عليه كذلك ان يبكيه كما يبكي الذى فارق حبيبته
 ففدا بيته خاويا مهجورا ، ولم يعد له من حبيبته غير الجبال ، وأن يبكيه
 بكاء الذى فقد أهله صائعا فى السهول والجبال ، يبكي تارة ويبيه اخرى ،
 وأن يبكيه بكاء العليل الذى فقد الصبر والعلاج ، يسهر مرة ويغيب ثابية
 ويسقط نالثة .

أنا الواجب نرتى بدمعتى عن خدى طول الدوام كالودق الهاوى
 ونا الواجب نبكى طول عمرى هايم مكدان
 ونا الواجب نبكى مثل من هرق احبابو افدورى ابقى رسمو خاوى
 باقى غير اخيال لحبيب وما وجدو ما بان
 ونا الواجب نبكى ابكا المفقود اعلى ناسو وتاه فربا واسهواوى
 ترا يبكى ترا يتيه بين اجبال اوطيان
 انا الواجب نبكى ابكا المعلوم الى صبرو امضى ولاصاب امداوى
 ترا ساهد ترا يغيب ترا طرفو يقضان
 فالصاب جلل والرزء عظيم ، لذا فهو يعزى المسلمين فيه ، فقد كان
 ينبوعا للحكم والعلم ، ادبا نبلا راجع العقل ، يعرف كيف يجرح ويداوى
 هذا فى كل شىء ، ليس فى افطار الارض من يعوصه ، حجابا مسدلا على
 رعيته ، كم رد عنها من اخطار واطفا من بيران ، وكم انعم على رجال حكومته
 وحاشيته ، وكم فدا من قوم عى لحفظه الموت ، وكم رقى رجال العلم ونهض
 محاسنهم

نفقد لهمام الا انصيب عوضو فقطار الارض كان يحرح ويداوى
 اديب النبيل ارجيح افكل اشيا فله اوديان

كم من صهديات (1) اطما اعلى اترعيا فالبحر ويرو لمهامه واعداوى
وابقت احجاب الستر اعلى العرب والذلف ولان
اما لاصف من قوم افلمحكوما بالخير ايعوز كل من حرمو ياوى
وما من قوم افدا افساعت الموت افكل اوطنان
وما رقى من قوم افلمجالس دا العجم الا ايحد سامع والداوى
واحيات امجالس العلم بين اكهول وشسبان
وموت السلطان لم يترك اثره فى نفوس الرعية فقط ، وانما تركه فى
خيول الركب التى عدت كالايتام مكوية بلضا جمر الفراق ، وفى المطل (2)
الذى عاد يسوح من ايتم والهجر بعد ان كانت ايامه هناء وسلوانا ، وفى
النود والاعلام ، ونفوس الجنود الابطال الدين كانوا يسرون خلفه لابسين
افخر الثياب كأنهم عرسان :

حلى خيل انكاد اكم ليتام هداك الدايروم كالليث الكاوى
بلضا جمرت لفراق ماقدوا افراق السلطان
خلى لمضل اينوح عن افراقو بلسان الحال صاب شلا ماناوى
عاد اميتم مهجور بعد لهنا والسلوان
حلى لمزارك ولعموم والرايات ولبطال كلها بندو طاوى

كانوا فحلاف امير سيجرجو امثل العرسان
وترك الموب اثره كدلك فى نفوس جوارى القصر النائحات وعبيد الدار
تانهين وفى العلماء والقواد والوزراء ، وغدا المشور خاليا والاطيار نائحة
على الاعصان ، وسكت صوت المغنيات اللائى كن يسرن حسف السلطان
مطلقة اهازيجهن وزعارسهن كالرعد :

حلى لجواد اعلى افراكو ۞ ترثى اكما ارثيت انا عل لفراق
راعييد الدار ابقاوا تايهين امع كل اطريق كلها عقبو كاوى
وبقولو فالعاهم سييدا غمتو لكفان

(1) ح صيد بمعنى الحر .

(2) يعتبر المضل من أهم مظاهر الموكب السلطاني .

والطلب والقياد واتباعها داك الدا اينوح بالسمع الفاوى
والوزرا هالفاهم كيفولو كنو ما كان
والمشور فاضى عاد بعد توكت سيدى بن لبصال مات العنقاوى
واطيار عن لغصان كينوحو جهر وكتمان
خلى لفياد اصواتهم خجلو ابعده اصوات لكوان مافيهم داوى
كانوا خلف السلطان كن رعد اهدمت حيان
وبلغ اثر الموت حدا ادرك خف السلطان وحداه اللذين باتا يشكوان
ابهجر والاهمال :

وابقيات امحائسى اتماكو * مهجور ما يوالم لطلوعو ساك
والشربيل الباهى امساكو * مهمول عاد كيدرك (1) تدراك
والشاعر يمنى لو استطاع ان يفديه بروحه ، ولسكن عمره انتهى
ولامناص لاقرباته ومحبيه من الصبر :

واسكن نعم السلطان قبرو * لوكان ابلقدا برفتى نفديه
لكن انتهى حد عسرو * الصبر واجب اعنى الى داني ليه
تلك حال الدنيا الفرور ، اين هم الاقوام الماضون ، اين كسرى والظاهر
والرشيد والقوم الشجعان؟ كلهم ذهبوا ولم يبق الا الله سبحانه ، خالق
العباد وقاهرهم بلموت وانحاكم عليهم بالغهر :

هاذى هي الدنيا العارا ومن القوم الى امضوا وين الكسراوى
وين الظاهر وين ارشيد وين القوم الشجعان
ولا دامت الا المن انشاها من قبل الا ايكون العامر والخاوى
سبحانو جل اجلين ربنا سبحانوس سبحان

سبحان امن احلقنا وبالموت اقهرنا بعد لحيات الجليل الفوى
واحكم بالقهرا اعصى اعبادو نعم المنان
وربما كان من جميل الرثاء واصدقه ماتحى به ذكرى بعض العظماء
على حد مانجد عند الفلوس فى قصيدة عن «مقتل الحسين» يقول فى حربتها
بالحضرا سمعوا وفات نور لنوار ولد فطيم الزهرا سيدنا الحسين

(1) يخنبى ويختفى .

وهي استعراض للاحداث الاسلامية منذ وفاة الرسول عليه السلام حتى حادثة كربلاء ، يختمه بعروبي يعتكى شكوى كان آل الحسين قد تضرعوا بها عند قبر جدهم :

مهما دخلوا ضريح لحبيب المهتاد ✽ قالوا يا جدنا الهادي محمد
 لوريت شين صار بنا دون افتاد ✽ في كربلا امع اجيوش الا تنجد
 قتلوا لنصار ولصحاب امع لولاد ✽ وابن هاشم كلها يا محمد
 قتلوا دون حق فامهامه لوهاد ✽ واحنا فالشوم ولعطش يا محمد
 وقطعوا روس آل بينك هل لعناد ✽ تركو لشباح افدوطا يا محمد
 سفقوا دم تشراف واعصاوا الاحد ✽ سبوا على المرتضى يا محمد
 لوريت شين كان دار ابن زياد ✽ هو واهلو وشيعنو يا محمد
 طعن الحسين كل من كان الملقناد ✽ ولا رحموا اطفالنا يا محمد
 قطعوا راسو ولاخشاو امن الجواد ✽ داسو بالخيل مهجتو يا محمد
 كشمعو الحريم دوك لعدا والحساد ✽ وبعدهما اسباونا يا محمد
 داروا لما احبال واغلل ولكياد ✽ ماسفقوا من احوالنا يا محمد
 وجهاهم للقوى يا محمد

وبجد كذلك عند محمد حسن الطواني قصيدة في ذكرى المنطري مؤسس مدينة تطوان ، وكانت قد احيتها جمعية «عمد الرحمان» ، يقول في اول اقسامها :

نشأت هذا الذكرى السعيدا ✽ السيد المنطري امجد تطوان
 فامت لخبيا جادا وكيدا ✽ سام سيدنا مولاي الحسن
 نادات ابداء الحفلا الرشيدا ✽ واعلى راسها عباد الرحمان
 وعو يفتنم فرصة اقامة هذه الذكرى ليقترح تكوين ثلاث لجان ،
 الاولى لترميم ضريح المؤسس ، والثانية لجمع المال ، والثالثة للعناية
 بالتاريخ راسها السبد التهامي الوزاني (1) :

لا تخسنا يا كريم افهذا المشروع لعظيم بجاه سيد اعجام وعربان

اوفقنا نجميع كل خير ✽ وبأرك فالجميع اتخص اللجاني

(1) احد علماء تطوان الاصل ، ويشغل فيها حاليا منصبا عميدا كلية أصول الدين التابعة لمعرويين ، وهو مؤلف «الزاوية» .

لجنة الترميم المضربح عنها بالوفيق لاغنى يترسم ينصان
نصحاوا بالضربح نفتخر * فرحا لهل البلاد ببلوغ الاماني
ولجنة جمع المال عمها بالتأييد ولعنا سرا واعلان
ونجة التاريخ تذكر * ابصرة سميدنا الهمي الوزابي
ومثل هذه وتلك القصائد التي تحيي بها ذكرى محمد الخامس ممثلة
في «ثورة الملك والشعب (1)» ولعل احدث ما نظم فيها قصيدة للحاج محمد
الموفق يقول في حربتها :

أمن اعظمها ذكرا يامن اتسال تاريخ امجد
ثورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار انقاه
لكن المولى جاد اعليه ايبدو واكرم مثواه

ثالثا : الهجاء :

ويطلقون عليه «لهجو» و «الشحط» او (الدق) عند اشياخ مراكش ،
وكلاهما بمعنى الصرب . وهو اكثر انتشارا من المدح والرثاء ، بل هو من
اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الزجال المغربي وجذبت المنشد
والجمهور ، لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية الشاعر عليه ،
وما يترك في نفس الجمهور من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة
و «صراع» واختصاص في أقوى وأحد مظاهرها ، وهي مظاهر غالبا ما يكون
سببها السجال الفني الصرف بعيدا عن النزاعات الشخصية ، وان كانت
لاتحلو منها في بعض الاحيان .

وإذا كان الهجاء يأتي في قصائد كاملة غرضا مستقلا قائم الذات ،
فانه يأتي عرضا كذلك ، اذ لانكاد نجد قصيدة مهما كان موضوعها لم تختتم
بأبيات هجائية ، على حد ما سبق ان بينا لدى الحديث عن بناء القصيدة (2)
وتعرف قصائد الهجاء باسماء مثل «الدعي» اي الذي يدعى ما ليس فيه
و «المطموس» اي الميذ ، و «الديب» و (الرامي) و «المهراز» اي المدفع و
(1) الواقعة في العشرين من اغسطس وهو اليوم الذي نفي فيه الى جزيرة
كورسيكا مع أسرته عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة والف .
(2) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب «الشكل»

«البوغاز» و «الفرصان» أى السفينة الحربية ، وهى كلها أسماء تدل على أن الشاعر الشعمى كان يستوحى هجاءه من المعارك الحربية والبحرية خاصة . ويلحق بالهجاء الفخر وما يتصل به من محاولة تعجيز الخصم فى قصائد أطلقوا عليها «السولان» أى السؤال ، وهى عبارة عن احاجى والغاز يعرضها الشاعر على خصمه يطلب منه فى تحد أن يحلها

كذلك تلحق بهذا الفن قصائد تعرف بـ «الخصام» او «المحاوره» ، وهى قصائد مفاخرات ومباشرات على نحو «المدنية والعربية» او «الشابسة والعجوزة» او «الخادم والحره» او «الزمنية والعصرية» .

ومن أدوع الهجاء قصيدة «صارم الطعن» حيث يتعرض الشاوى لخصومه (1) ، يراهم مجرد حثالات ، يصيحون كالذئاب العاوية ، يلقون بأنفسهم فى المخاطر وهم دون مستوى مواجهه ، ويشبههم باليومه التى تصطنع القوة والبراز ، وبالدجاجة التى تشد الباز من جناحه :

ريت موكا خرجت متصنعا الكفاح * والدجاجة شدت فالباز امن اجناحو
ظهرت ادياب الغابا عرسو اقلبطح * ولحتايل بعد الكلبا اليوم صاحوا
ولكن انى تهم الهرب وقد وقعوا فى قبضة الباز ، كبلهم بسلسلة
مهنده غدوا يرزحون فى قيودها ، وسيفترسهم كالاسد ويشركهم مجرد
شظايا :

لين تهرب قوم الضبعا اوشاق لمراح

* صادهم باز اغنمهم تحت من ارياحو

لهم اصنعت سلسلا من شغل الهند

* من عشر ادروع مالكيها معدودا

بكعوب امن النحاس واخراس اعلى الوجد

* واما فيها من لعنائق موجودا

دالهادا يشجبد فالغلال واحديد

* بين خرص لكعوب اعدابها اقزادا

طاح فيهم ضرغم لوحوش فارس اليريد

* اتركهم اشطايا مهما ارقى ونادا

(1) الاسمف اننا لم نوفق للتعرف الى اسمائهم .

وهم عمى ومدعون ومن احط المستويات وافبحها ، ولكن الايام سلطته
عديهم باصلت فيهم سبيهم ، وهم يعرفون انهم متى وقعوا في قبضته فلن
على سراحهم :

من الزبالا للطيفور (1) او مجرا انبالا

✽ ماشفوا القوم العميا ابسنين فعلوا

سلطتني ليدم اعلى اقباح لقباح

✽ كن داعى بالزور ابصرى انجرحو

كلهم ايعرفوا خبرى افكل مركاح

✽ امن احصل فيدى عمرو لالقي اسراحو

ومهما بكوا بالدم وناحوا بالليل وانهار فانهم لن يرتاحوا ولن يخرجوا

من سجنه الا بالموت :

اسناسلى عنهم مطبوخا افليل وصباح ✽ كل واحد بكى ويقول يا جياحو

ما يخرجو سجنى حتى اتغيب لرواح ✽ لو ابكاوا دموع امن الدم لارتاحوا

وعنده انه خير للجاهل بالشعر والعاجز عن خوض المعارك ان يعذر

نفسه ويترك الامر لاهله والا يحاول رفع راسه ، فان المغلوب لا يقدر ابدا

على معاندة غالبه :

من لا يدري الغا او لا يقوى لحروب

✽ يعذر رسوا ولا يخرج امن تراسو

يخمد خمد الدياب بين اوطا واشعوب

✽ ويفارق فالفا اسيدو ونجدو

واش المغلوب كايغاند غلابو

(1) سريانة سريانة والطيفور يقصد به شيطان متقاربان ، ففي لهجة اصل
شمال يسمى مائدة الاكل ، وفي غيرها يعنى مائدة صغيرة مقعرة
يحمل بداخلها صحون الاكل أو الحلوى أو التمر والحساء أو غيرها .
وعالبا ماتسعين فى المناسبات والولائم الكبيرة . وقد استبدلت
فى معظم الاوساط بالصوانى الفضية . وفى كلا المعنيين يدل التعبير
على انتقال من منزلة الى المراتب التى تعرض أمام الضيوف ، وهو
نمط الاعمال السريع من مستوى وضع الى مستوى عال رفيع دون
استحقاق . راء سار كالمثل يضرب فى هذا الباب .

ويعزج الهجو بالفجر فى أسلوب غير مباشر ، فيرسم صورة مثالية لاشك أنه يقصد بها نفسه ، يبدو فيها دائم السهر من اجل التحصيل والفوص على المعانى والافكار الزاخرة ، يبحث جهد الامكان لارضاء غيره واسكات طيين المتفرعين ، يتجنب الجهلة واصحاب الضغائن والاحقاد ، ويرافق أهل الفائدة ويجالس العناء ويصاحب العقلاء يصيئون له الطريق ، له اشياخ فى كل مكان يطيعهم ويروى عنهم ، وهو بعد هذا يتقلد السيف ويركب السعن معلنا عن استعداده لخوض الحرب ، وقد ساوت قوة ذراعه قوة اللسان ، أما خصمه فعلى هذه الصورة ، كما يبدو من استقفاياته الإنكارية :

أش را من لابات امساهر العفن * والفكرا جايدا افزاهر المعانى
بالمفاتنا * باش ايسود اعلى لوشا فزمانو
أش رامن لايبحث افجهده مامكن * واعمل مايرتضى القاصى والدانى
والفراعنا * يقطع زيار عيطةا بوزانو
أش را من لاهل الطايلا اركن * واترك فازوايت لهمل هل الضفانى
والمراكنا * واعمل هل لعلوم من رفمانو
أش را من لاليه اشياخ افلوطن * واروى منها كما اروينا يعلنى
من اشياخنا * اقبل الطاعا امزدرى شانو
أش را من لاجرد صارم الطعن * ويركب اسفون لحروب وايعطدانى
ها حنا هنا * ويكون ادراعو ابحال السانو

ولا يكتفى بهذا بل يزيد فيصف خصمه فى أسلوب مباشر ويشبهه بالحاجه الملقاة على الارض تدوسها الارجل فى مقت ، بدفت به الخيبة والفشل أن ببل جلد دوه بعد تسخينه ، وتقلد للطعان عصى طنبا رمحا ، وتدرع باجلد ليقية ، كل همه مصروف للء بطنه ، لايفتر لسانه عن الشتم والكذب ، لايصول مع غير المعابين المدحنيين ويتمنى الحثالات :

كتسخيما فالطين * معفوسا بالرججين * والمفت اعليها باين
فرك جلد اكوالو بعد ما اسخن * قلد كلغا وطنبا رمح اثمانى
للمسطاعنا * واعمل جلد ابنى القيط اعوانو

همتو مصروفا فعمارت لبطن * والسانو بالشميم يصنع واياني
 به مامنا * واصوابو نعيم زاد امهانو
 صومو عند اصحاب الناب والدخن * يحس لعاش لحتايل بالغانى
 كان شوفند * يكشر ويعرى اعلى تبيانو
 ايكندوب اقبيو طاوى اعلى لحوو * نكن مهما ايتوك حر البيزانى
 بامعاينا * يتلف فرك اليوم عن جناحو
 وهو من قوم الخداع والشيطنة والكبر ، منهم مثل الخنافس تسكن
 حرب رستم بلاوانى البالية ، وقد حنت قفاها وهى تدب يدوسها
 الناس ، او مثل الذباب يتجمع على جلد لبن فاسد مطروح .
 هن لخدع واتشيلين * وانمفعا وانهرين * لهم اموحد تموسى
 زيهم زى اخنافس بعضها اسكن * فالحرب ابعضها ادرج بين اوانى
 بالبا احنا * لنتعميس اقفاء من دبانو
 او دبان اعلى شكوا من الرغن * بات البنها وظل من ليها انسى
 عافها اعنا * عنها وارماها اعلى عديانو
 ويحاول ان يستنجع من الموقف بعض الحكم فيرى فى ايجاء بالمفارقة
 من رين حصمه ، ان الزر رخاى لايسح فى الاماكن العفنة وان نبات
 بجمته لايشبه الحرير انرقيق ، وأن من عمى عثرت رحله فى قب برونسه :
 ماتسح الزردخان فامنازل لعن * واحفقا ما شبهت لحرير الغانى
 من عمت ايمو قلوا هن لوزان * بمر رجلو اققب سلهامو هانى
 حيث لاغنا * بطل لكهان سحر اكهانو
 ويروى ابن حمدوش فى قصيدة هجائية يحاطب بها ادريس لحنش
 ان كل من دق بابه واستغفره لابد وان يجيبه ويرد عليه ، وأن كل من آلمه
 صرسه يصرخ بملعه ، وأن مايقدمه الانسان من خير وشر ليس غير سلمه
 لابد وان يرد ، وأن لكل قول جوابا :
 من دق الباب * مايلو غير احوابو * غر به من جابو
 من صراو الضرمما جا الكلاب (1) * قالت لعراب
 الجبر والشر اسلوفا كل قول بجوابو

(1) آلة قمع الاسنان .

ويرى محمد الزلايحي ان قول «الدعي» باطل ، وأن سجيته لاتساوى
بصلة ، وأنه بالجهل يصلي نار الجمر ، وأن سور الدعوى لا أساس له ،
وأنه لابد ان يهرم جسد الجهاد ، مهمة كثروا ومهما حاولوا الفرار :

قول الداعي بطل * نهزم جسد الجهاد اجمعهم لو طالوا
لويهرب لى عرض او طول * من صادفتو مبطول
وما سجيوا ماتسوا بصلا * بالجهل فوق الجمر اصلا
سور اندعوى مالى الساس ضايغ قالوا

صح عنى حد المعقول

مروى عن هل لعقول

وهو لايعبأ بادعائه وانما يتفنن مقاله ليصيب به المقل ويثقل كاهل
الجاحدين :

مايشوشنى قولت قال * اولاً نعياً بوجه لمغالى * امطرز امقالى
زنجار افلمقالى * والجاحدين لفظى عنهم ثقلا
ويهزمه دون قتال ويرعمه على الرضى بالقهر والغلب ويقطعه اربا :
نهزم الداعى دون انصال * حتى يرضى بالقهرا عن انفصالى
وانفصلوا فصالى

وهو لا ييمه الارذال مادام سورة عاليا ، وكل من حفر حفرة لابد وان
يقع فيها :

مايهمنى شى لردال

سورى سور عالى

والحافر كايوقع افما احفر فمدالو

أما عباس بن بوسنة فسور دعيه منهدم وشمله مشتت :

سور الداعى مهدم وشملوا مشتت * راب سور الداعى واتشمتت الشمل
كلما اشتعلت نار الحرب أصابه شرارها بسبب سوء أعماله :
كل ساعا نيران الحرب تنشعل

اعنى الداعى تزند من قبح افعالو خاب فاعلو

سعيه بخيب وغزله ينحل ، وقد بعث الله له من يجزيه عن افعاله :

خاب سعى الداعى واتحل ماغزل

عن فعلو جاب ربنا من جزالو يوم دازلو

وقع بين اوقايح الزلزلا

وأما محمد بن عمر الكفيف فقد فاز برضى الشعراء ، وغدا لذلك

شجاعا بارعا وعودا فى عين «الدعى» الوعد اللثيم :

أنا زنجار فى اعيون امن ادعا * قل لليم الوعد الداعى

برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراعا

وفد كثر الاشياخ التافهون الذين لانبعث كلامهم على غير المفت والمثل

يحطون به من شأن الفن ، ولو سكتوا لكان خيرا لهم :

كثروا فزمانا اشياخ الربعا * اكلامهم ايقوى تصداعى

مهما نصفاه كاتمقتو وانمل افساعا

والهرتلا امبخسين السدعا * اعلى الفاهم اصمكت اسماعى

لو سكتوا خير مايقولوا معنى مبشاعا

ولم يعد فى هذه الصنعة مايليق بعد ان نزل الميزان ، والسبب هؤلاء

البهغال الذين فضحوا سوق اشعر فى كل مكان دون حفظ أو رواية أو طبع:

مباقى مايليق فى ذا الصنعا * اكلام بالميزان الكراعى

...

فضحوا سوق الغا ابغال السرتعا * اشحال منهم املاو ابقاعى

ماحفظوا ما رواوا مايطبعوهم طباعا

ومثل هذا نجد عند مولاي احمد بن عبد السلام العلوى فى القصائد

التي كان يهجو بها خصومه (1) ، منها قوله :

بالسدخل بحر المعنى ابغير تبججال

صغ طرز ابيانى وردات افلخجالى

وقوله :

لاتسقى لاشراراك * يالداعى سيف السانى اطوال

واكتشفت اسراراك * بالمواهب رمحي شظاك

(1) ذكر لنا أنه هجا كثيرا من الاشياخ وخاصة الغالى الدمناتى .

وقوله كذلك :

لذاك احرصوك * يالداعي مالك منو اسلاك
قطعت احرصوك * افبعضا نارك تكبت لك

ومن الهجاء المتبادل مانجده بين ابن علي وتميمه ابن سليمان * ففي
«لين ارضو» مخاطب ابن سليمان خصمه حيره في تحد ان بساطه في
منعة عصاه وفراسها خير ولكن لا يطاها غير اقدامه ، فهي نعمة على كل وغد
فبيح لا يستطيع الاثتراب من العساكر التي تحميها والرقباء :
ابساطنا في قلعا ماتوطاها ادمام

الا اقدامنا توطاها * صعب اجبالها ووطاها * الحير افراشها واغطاها
بقما الكيل داسر * فيها حاسير * ابلعساكر مادام احياتو
مايتعدى شى احدودها من دون الرقبان
وود داس بقدمه على قفا الظالم العاجز الذي عدا كالبومة يخمد صوتها
بما صرصر الباز الحر :

رحلى اعلى افغات الظالم * من لا يكون فارس ناجم * رانى اعلى لحروب
املازم

أش اداء لسفارا * يوم العارا * انقى اعبارا * موهون اقدانو
يخمد فرخ البوم كان صرصر حر بيران

ويستعرب لجندول الماء يعاند بحر الطوفان ، وللظمادع تترك المستنقعات
وتخرج للمصحراء تقصد غار الثعبان ، ولاهل الوقت يرفعون شأن الكلاب
الناحية منهم ويحملون الاسود :

كيف احرا للساقيا اتعاند بحر الطوفان

... .

او بله ربت الجران كيتعدا مرجاتو

اخرج للمصحرا ابفى ايروم الفار الثعبان

... .

اهل هذا الوقت بقباح مثل الطاروس انبجاتو

رفعوا له الهجاء والسبع ماداروه افشان

ويرد عليه ابن عبي في «لديب» يذكره بفضلته وجميله عليه ، ويكنى
حن ذاب بقصة يحكى فيها أنه خرج ليصطاد غزالا اذا به يصطاد ذئبا ،
لجاده لذاره وعقب عنه في حمر واشفاق واصفقه في روض الازهار وأطعمه
وسماه وبعه لم يرص بالنعم العبيبة الحلال التي قدمها له وطنت نفسه تنوى
نحيبه في خربه ، فلم يلبث ان هرب من اذار :

« خرجت ابى (1) اعذحيات الصيدا عرضي انصيده اعزال
حيث لصيادا برى يصطاد ما يجيب الوجبا * ما جاب غير ديب وشديتو
الموسمى ادينو فالروح اريثب له بعد الغلبا * حنيت نو واشفقت النمريتو
في روض ازهارى است هذا الديب اشقيق الميوت واشبال
وجبتلو لحم الفانى نحساب فى امكانى * يرضى بانعايمى اطعمتوا واسقيتو
وترسى دحبرى ما ارضا بانعايمى واللى احلال توكال
ما كآن عيشتو غير الجيفا كان صابها * فى خربا خلى لك الملقى فى زيتو
اهرب من وكرى واش وكرى باى للديب يالعقل
ويكنه نه بالمرصاد يبحث عنه . وقد وضع له مصائد كثيرة بن يستطيع
الافلات منها مهما حاول الجرى والحيل والفرار ، والويل له ان وقع فى
سنة ، فهو يبشره بحرب لن يقوى على خوضها :
وابشروا بحرب الا يقوى له فى اهومو يغما * واشفايت الدياب افشتتو
تعرفنى نبرى حرثو ويلا جينو له لهوال
اشحال امن امصايه عسى فامجابى وكمن خشبا * بلديب ويل بوه ايتلا
جيتو

آس جهدو يجرى ينقطع جهدو واتبور اعليه لحيال
لم يعترف بالجمين ولم يعرف ان احسانه اليه هو الذى سيحكم
ويصرف وباتى به فى الحال ، اد ذو سيسجنه ويبيده الى ان يموت :
ما يعرف خيرى فيه يحكم وايجييو لى الزمان والحال
واندير له ساجور الهند ابسسلا اتقلها كورا * حتى ايموت فالسحن ابغيتو

(1) مضارع برا بمعنى بحث .

ويستأنف ابن سليمان هجاءه لابن علي فيوجهه ته «قرصانا» يقول في
حربته :

هكذا قول للداعي ايدير قرصان ويخرج * كيف من سافر بين امواج
واغصم وانجا

ويرد عليه ابن علي في «قرصان» آخر يعذب عليه الفخر هذه حربته :

حجب القرصان السبع لمثاني

من عين كل معيان اذا يفها ابحسن اجمال القرصان
ونفث وقفه قصيرة مع ابن علي في قرصانه الذي خاض به غمار
البحور عاريا بالخارطة والبوصلة ومختلف الرياح والكواكب فاهما منتبها ،
ميزانه النظر الذي لايمثله ميزان :
راكب فوق اللجات قرصاني

فابحور لعاني صاب الواري وجال فوق الجوج الطوفان
ونا مدوب وقبض ادماني (1)

ندري انكارطا وامعلم فابوصلا او حافظها على لتقان
وارياح اتميز ليس تخفاني
وكذلك لكواكب ندرها ماشوف اتراكم لمزان
ابسطاسي وادماني وديواني

واعنى كل ربح اسافر ماني اعشيم (2) دهرى حاضى لوزان
عايق فايق بالشوف ميزاني

قالوا هل النفا فالغاهم ولا ابحال شوف العارف ميزان
فقد اطلق قلاعه وقصد عمدا بلاد العجم والديلم والعراق واليمن ،
وجال في البحور السبعة ، وغاص بحثا عن المرجان والياقوت في مختلف
الوانه :

نهضو لقلوع وجلت بالعماني (3)
لبلاد العجم والديلم واكدالك لعراق وبلد اليمان

(1) المقود • (2) الغشيم : قليل التجربة •
(3) عمدا •

والسبع ابحور ادخلهم عانى
ندرى احسابهم وامخير باللى ايزيد واللى فيه النقصان
جوال عل الوجبات فازمانى
غواص بين لجات لبحر اصاح صنعتى نصاد المرجان
والساموت الوهاج يرضانى
من كل لور عدت انصيف لبيص والزرق وكذاك اليرقان
واللون الرابع شابه القانى
هذا مناصف اخلاكى وقت مانصيف لك اصدور الغيان
لم يشاهد احذ مثل ماشاهد وهو يبحث فى اعماق البحار عن الجواهر
والعقيان والدر واللؤلؤ واللجين والزمرد والزبرجد والعقيق والحجر
اليماى ، وقد اجتمعت له فى خزائنه من هذه الكنوز درر مسبوكة فى خيوط
من الذهب ، كما اجتمعت له ألوان من الاقمشة والحبل والحلى . ثم عاد
الى شاطئه بلاده مدوت طلقات المدافع يتجاوب صداها فى كل اركان الفضاء:
من لاشاف اكما شفت باعيانى
بين اللجوج غير النبرى برجحتى اعلى الجواهر والعقيان
والدر امع اللؤلؤ شهانى
واللجين والزمرد والزبرداج والعقيق وحجر اليمان
واللى يشبه هادوا فتبيانى
فاخزائنى امد خر من كل ادرار نصبح فاسالوك الذهبان
من كل انواع اوسقت حجانى
اوسمت امن افماش الهندى اوما يماثل فانواع الحجان
كجملت البر ابلاد عشيرانى
بامدافع شلا ماجوبت او جاوبو انفاضى من كل اركان
وما أن وصل الى الشاطئ حتى رفع السنجق ولف القلاع ومد الحبال
فجاء التجار للقاءه وجاء آخرون لا يعرفونه يسألون عن المرسى التى قدم
منها ، وتم البيع والشراء ، وعاد الى مكانه وقد ناداه وقت الفرج والسرور :
وارفعت السنجق بعد جولانى
انقبت لقلاع واجبدت احبال مركبى واقلعت النيشان

حات جميع التجار تلقى

واخرين عاد سمعوني جاو ايسرلوا شمن مرسى اخرج ولا

بشعوا واشراو اورجنت لمكاسى

ولى ايريد حاجا خلصها (1) من اخزايو بعها ثمان

هذا وقت الفرجات نادانى

بالعز وبهنا والسطوا والفرح ولما واسرور وسدوان

هذا خرصد الا ايسر تاسى

فالبجر المحيط اخارو عند الدهات من يدريو القرصان

ومثل هذه المساجلات الهجائية ماتبادلها ابن ريسون والغرابلى ،

يبدأها الاو فيوجه لحصمه «الرامى» بعد ان اتقن الرماية وحضر سلاحه

مزودا بالبارود والرمصاص وخرج للصيد متوسلا بالمولى ادريس يدعو

الناس لتفرج :

جال عقلى فى نرميت بالرياس واتمزج * ساكنى منها فى تهاجرو

زايد درجا

درت شىخى عفاح الغرب صاحب الطبع لبيح * هبت الواخد عن منهاجرو

فى ذا البهجا

درت ربا مقيو ماياها امن ازناد امزبرج * فى ايمىنى واللى نحتاجو

من ما رجسا

درت بارود امشعر صمعت ايفادا وسنطرج * ابلحساب وتعبير اصناجرو

عسقلنى صنجا

درت مايكفيه امن ارمصاص فى اوجه لعدا يخرج * لوخرجت الميدان اهراجرو

تكمى خرجا

هكذا قول الدين ابعى بالرميا يتفرج * شاركو يسقطها فابراجرو

حاضى مرجسا

لقد شمر عن ساعده وخرج للصيد ، فويح للغراب ان صادفه فى الجو

فسيصيه بما لن يعالج منه ، وهو غراب اسود القلب والريش ، دعا عليه

(1) دفع ثمنها .

لمرى دريس فلايستطيع الاقتراب من أسوار البرج ، وان حاول فانه سيقع :
عن اطرافى شمريت اخرجت للصيد سندرچ * عل لبدا نرعى من راجو
كنتبجا

...

ريح نراب اللى فاجو صار ريشو سار امدج * لادوا لا راقى لعلاجو
طير الحلجا

فيه دعوت مولاي دريس مايروم السور ابن * عالس العنب امثيل ازباجو
وعند لمحا

طاح فيقتال المذكور الذى شانو يوهج * صيدو من عنغو بافلاجو
سالح ملجا

ويرد عليه الغرابلى فى «بوغاز» انشاء يحول دون خروج القرصان (1)
وقد اختار لانشائه بقعه على الشاطئ بين الجبال والفجوات ، وأقام مرسى
بنى أسوارها من الحجر المنجور ، تحيط بها البساتين ، وأبوابها ثمانية
ليست عند عجم أو خزرچ ، وحول الاسوار أطلق الاسود والاشبال والنمور
التي ستفتك بأظافرها فى المعاندين :

درت بوغازى لقرصان وقت مايزعم يخرج * نلتقاء نفاض امن ابراجو
يصدق وهجا

اخترت بفعاعلى حرف اليم بين اشوامخ والفج * حق مانع بفرائن هاجو
ليس اتنفجا

نشيت مرسى وابيت الساسها بيان امدرج * للصعود اترقات ادراجو
عز ونسجا

من لحجر المنجور اسوار فاقت المرمر لبلح * واشرارم كدور افتاجو
ترمى وهجا

وليساتن عن ربع ارکان وانفاض الكمن برج * درت خلف السور وتبهاجو
دور افبهجا

(1) يبدو أن «بوغاز» الغرابلى رد على «قرصان» لأن ريسون وليس على
«الرامى» ولكننا لم نضر له على قرصان .

دوت بيان الامسى افسس لعجام وخزرج * كل باب افتقويم ارتاجو
خزرب حوحا

واحفير اعلى السور ودور ولسود اعلى المنهج * ولشبال افراد وازواجو
سكننت ولجا

والنمور قلوب هل لعناد بامطافر تبعج * من الفاوه لتفاه اسمماجو
قطع المرجا

ويجيب اين ريسون على خصمه فى «المهراز» الذى اقامه فى مواجهة
البوغاز ، مرفوعا على سور منيع من الحديد ، يصعد له بألف درج ،
تنطلق منه على البوغاز قدائف ثقيلة تسعه وتزعج قلب الجاحد وتنزل
كالصواعق عليه :

فى اعراض البوغاز انشيت سور مرصود اعلى اللج
طالع من لحديد ادراجو
ألف درجا

سور مهرازي سور امنيع سام فالبحر امزبرج
ضن واجزم من راد احراجو
تركو نهجا

قابل البوغاز المخدوع بلعاير يتفرج
من البومب (I) ايصالى لرتاجو
حتى يفجا

كل بومبا فيها قنطار لجعيد اتزعسج
صاعقا تنزلوا فامهاجو
وقت الخرجا

ولكن الغرابلى يرى أن خصمه بليد جاحد جاهل ، أئلفه الشيطان ،
فعدا عاجزا عن التفكير والانتاج ، ووقع من أعلى الجبل على حجر صلد
فتكسر :

(I) القنابل والقدائف والكلمة من الدخيل الفرنسى .

ريت ملب الداعي مطموس علف ابلجحد امصح

* عاييم افجهلو من تسماجو

حلکو ريجا

نلعو شيطانو واحکم اعليه عمرو ماينصح

* لوحو بين احياف احداجو

يبهيم ادجا

طاح من حرف اعلى منداف فوق من صلده امزدج

صادف اهراسو من تزداجو

وادلج دلجا

واذا كن يظن انه بالمهراز سينسف له البوغاز فهو مخطيء اذ قد صنع

له «غطاس» يفوص كالسمك في البحر ، زوده بالمدافع والقذائف والمناشير ،

يهتك كل من صادفه أو اعترضه .

درتلو بابور الغطاس صدد مهرازو لعرج

* زى سمك ايفوص ايتماجو

بين اللجا

ابمهراز واصواعق والنفاض وامناشر تسودج

* من القاوه خرقوه اوراجو

فوق الموجا

هكذا من ينشى غطاس تحت لمواج ايموج

* كل من صادفو قلب اصناجو

وابقى كرجا

سم بوغازى وارقى فالصعود واخفق كمن فج

* اعفارت الجن ابخرق امواجو

خرجت حرجا

من زعم يدخل تحت ارمائتي ابمهراز امكرج

* مايم ابطالى كجكاجو

دون المرجا (1)

(1) ذكر لنا الشيخ بنعيسى السراذ أن لهاشم السعداني قصيدة سعى بها

ومن أشهر الهجاء المبادل ما دار بين الغرابلي والتركماني ، وهما هجاء أساسه خلاف موضوعي حول الايمان والعمل ، وهل الايمان وحده يكفي أم لابد من العمل ؟ ويطلق عليه «لعراض» أي المعارضة ؛ فالغرابلي يرى في «الدعى» أن الشهادة وحدها ليست كافية وأن العمل واجب ، في حين يرى التركماني في رده عليه أن في الايمان بالله ورسوله كفاء وخيرا في الدنيا والآخرة ، وأن نية المؤمن أفضل من عمله ، ويبعدو أساس الخلاف واصحا في حربة كل من الفصيدتين ، يقول الغرابلي :

يالداعى بالعرف اصغ الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ويعول التركماني :

الداعى شهيد والشهادا بالله ابالرسول تكفى واكفات وكافيا اوخير

فالدنيا وافلاخرا اكسر * والمومن نيتو افضل من اعمالو

يبدأ الغرابلي فيرى أن خصمه دخل في بحر لا يطيق هول أمواجه ، وأنه سار مع هوى نفسه ، وأنه بلغ من الهبل والعمى حتى غره الايمان وزين له الشيطان سوء الاعمال .

ويرى أن كل من صفا قلبه يعمل ، وكل من عدا عليه مشوبا يستحق الأثام . لقد أمر الله بالفروض ، فكيف يريده أن يتساهل فيها ؟ ثم ان الشهادة لا تكتمل بغير شروط لابد ان تستوفيها . انه يريد أن يطلق عناينا شمه الله ورسوله ، فهو ناكر تسمى العلياء التي أنشأها الله من النور ،

الى الصلح بين الغرابلي وابن ريسون يقول في حربتها :
الصلاة اعلى الماخى سيد كل ماخالحي ادرج * لمفضل طه واذاواجو
زين الفلجبا

وذكر لنا كذلك أن ابن ريسون كان السابق الى هذه الخصومة وأن الغرابلي لم يكن يكتفى في الرد بالقصائد فقط وإنما كان يلجأ الى التمايم ووسائل السحر - وكان بارعا في ذلك - فتصدى لخصمه بها ويقال ان ابن ريسون طل من اثر ذلك مدة اثنتى عشرة سنة مقعدا في بينه مكتوف الايدى الى أن قال السعداني قصيدته في الصلح والتمس من الغرابلي أن يذهب عند خصمه ويقبل رأسه . فذهب وماكاد يمسك بيده حتى نهض من مكانه سديما .

محرره هبتهمه بعدم التميز بين الحلال والحرام وبأن حياته كلها سمه وقجور
ريهان وبأنه لم يجالس العلماء قط :

يلدأخل في بحر الا تطبيق لواج احوالو
يامساعف لفراضها افغيواف احوالها
من اهبالك غرك ليمان بالمطوس انجالو
ك زين شيطانك سوء اعمال وبهالك
من اصمات امرايت فلبو ايدير مايحجر حالو
والذي مارايم لصفا اماتمو يستحلاها
مر فرصو ربي شد قيه رتبغى تسهالو
واشهادا لهاكم من اشروط لاريب امعاها
كيف ترخف من شد الحق بعد رشذك مرسالو
النا كر شمس العليا الى امن النور انشاها
يالى مايفرى بين لحرام حتى واحلالو
عشتك فالدنيا الا افجور وافشر واسفاها

...

حاسب قول النوام حين نصحك باقوالو

يالى ماخالس عمرو هل لفوايد وانباها

ثم اخذ في شرح وجهة نظره والتدليل عليها مبينا أن العمل أصله
النية ، وأن كل من سمى لشيء يناله وقد حاب من لا يبحث في شريعته ولا
يعرف مقاصدها ، وأنه ينبغي معرفة مايجب في حق الله تعالى من صفات
لكمال ومايجوز وما يستحيل ومعرفة فواعد الاسلام ، من صلاة وصوم حتى
تقرب الدين ويكتم ، وترد عن النفس مخالف المنكر والفحشاء ، بل انه يطلب
مه ان يردعا وينذرهما ويقهرهما ان طغت بحديث الموت :

لعمال أصلو النيا ومن اطلب شى اينعطالو

خاب من لاخبر فاشريعته وحقق معناها

جيب ما يوجب في حق الجليل صفات اكمالو

او مايجوز او مايستبح كيف تباينا طيه

جيب اوصاف اقواعد ليمان يامضييع رسالو

اوحيب اوصاف الاسلام كان كنت (1) تقرأها

فالصلاة والصوم اتها و قوم دينك و اكملو

اورد نفسك عن فعل المحش قبل تفرق فخطاها

لومها وانذرهما فعسى اتنال زى اللى نالو

الى اطغات اقهرها بالموت حق تدخل لجواها

حقا أن الشهادة مفتاح الدين وبدءه ولكن الفرض تمامه وكماله ، والبادىء

للعمل دون انهاءه كالخارج للحرب وفى يده قبضة دون سيف * فالمسلم

يقول بلسانه ويعتقد بقلبه وينفذ الفروض بجوارحه ؛ ويخشى على كل من

فرط فى الدين اذا ما حان أجله أن ينسى الشهادة ، فلا احد يضمنها عند

الاحتضار الا من جاد الله عليه وذكرها وحافظ عليها :

الشهادا مفتاح الدين والفرايض لكالو

من ابتدا لشيا دون اكمال سار حجا فابداها

زى من راد اببطا دون سيف يلقى عدالو

واش من مرا للبطا دون سيف تقضى بامصاها

القول باللسان والاعتقاد افلحديث اكما قالو

ولجوارح تمثائل من افرض عنها مولاها

كل من فرط فالدين لقويم يوم ايجى اجالو

اعليه ايخاف ايلا يحتاج للشهادا ينساها

ماضمن حد الحد افساعت لمنيا تعطالو

غير من جاد اعليه الله وافتكرها واحضاها

ويستفهم فى النكر عن تارك الصلاة او الصيام أو الزكاة أو الحج ان

كانت تكفيه الشهادة فينجو أم لا تكفيه فيحاسب ويعاقب :

جول واسال فالخمس اوقات امن اتركها مدالو

كان فيه القول او اشهادتو اكفاتو معناها

(1) كان كنت بمعنى لو كنت *

حول واسأل من اترك الزكا ولا زكى مالو
عاش فحرام او اشهادتو اكفاتو معناها
حول واسأل من اترك الصيام واشروط اكمالو
كان يتعاقب او اشهادتو اكفاتو معناها
حول واسأل من وجب الحج بعد زادو فاحللو
كان يتحاسب او اشهادتو اكفاتو معناها
ويطلب منه أن يتوب ويرجع عما مالت اليه نفسه ، وأن ينمسك
بالتقوى والطاعة حتى تصفو داته ، وأن يتخلى عن هواه ويطرده الشيطان
اللعين الذي يغويه ويزين له مساوئ وبئذ الشهوات ويتسرب الى داخل
الانسان ويسرى كسريان الدم فى الجوارح :
تب وارجع واترك ما ريت له لجوارح مالوا
ولازم النقوى والطاعا اتفوز ذاتك بصفاهها
لهوا والشيطان اعداك يالتابع عدالو
ايبين لك لفضل حنى اتغيس نفسك فبلاها
اللعين ايلدز لسومين شهوت محالو
افجوارح يسرى سرى الدم ويسكن فحشاها
ولا يتركه دون أن يرميه بانجهل والعمى واتباع الشيطان ، ويسأله
كيف يلقي ربه فى ظلمة العبر ويوم الحشر حين ينشر أمام كل واحد كتاب
تسجل فيه الاعمال الحسنة والسيئة فيجازى عليها جميعا :
غابت اشمووسك واهزمها اظلام جهلك باكحالوا
لادبك الشيطان اعماك زى قومان اعماه
باش تنقى غبت اللحد ولوقوف وتهوالو
يوم تزفر جهنم اعنى لخلايق بالظاه
يوم لاتسمع مرو لاشعاعتو ولا كثر مالو
فى اصحوفك توجد لسطار دون ريب نراها
من ايجى باسسيا بمثيلها امن الله تجزالو
من ايجى بالحسنى عشرا من المهيمن مجزاها

ويرد التركمانى فينهم خصمه بأنه حمار ابن حمار ، دخل ميدان المعارضة بالجهل ، حاملا خشبة غير مجورة ولا مسواة ، وأراد أن يتطاول على من لم يكن يعرفه ولا يسمع به ، ويتساءل عن سبب ما نزل به ، أهو مصاب بخلل أم مدعو عليه فى وقت صادف باب الاستجابة مفتوحا ، أم أنه يجنى نتيجة حلف زور أو غضب الوالدين ؟

ياداخل بحر المعنى بوجادى (1) واحمار بن احمار ورافد كلخا ابلا نجير واتبع من لايلو اخبر * ولاعمر اسمع حسك مدالو واش انت مخلول او صادفت شى دعوا امكنا ساعنت لجابا اعلى الضمير او احلوف ابلا اصفا اغدر * أو من الوالدين سوقك واضلالو ويدعوه الى الاستغفار لو كان مسلما متحققا من الشهادة يراها اعظم من أى عمل • فكم من مغرور ظن يعمل حتى اقترب من الفوز ولكنه تبع نفسه فمات كافرا بأعماله ، وكم من احد ذاق بعد الكفر حلاوة الايمان بقلبه فشهد بالله والرسول وأدرك وغار واعتبر بفصلها شهيدا ، وكل من قالها لامحالة يسير الى الجنة يوم الحشر ومعه فضل الله ، اذ تكفيه الخاتمة ، فهى تعادل كل حياته :

استغفر لله لونت مسيم وامحقق بالشهادا ماتجعل عنها اكبير
أهى من كل شى اكبير * ولاعنها اعمال يعلى باكالو^{١٣٤}
والعمل ابكلمت الشهادا أهى به واش من عمل انفع كمن اغريير
اخدم حتى شاهد الظفر * واتبع نفسو ومات كافر بأعمالو
واكداك ضدو اشحال من واحد بعد الكفر داق غسل احلاوت ليماز ابخبير
وانهار اتبرا من الكفر * اشهد بالله والنبي بلغ اعمالو
قالوا مات شهيد امن افضنها واجميع من قالها افعمرو للجبا لاعنى ايسير
وامعه فضل الله افحشر * تكفيه الحاتما اتعدل بجالو
ثم انه لاينكر الاعمال ولايتركها ولايدعو الى تركها ، ولكنه يرى ان
المومن مومن ولو كان زانياً أو سارقا أو هاجما أو قاتلا أو مخمرا ، ومهما
اعتبره خصمه كافرا ، اذ تكفيه كلمة الايمان • والمومن لايد وأن يتوب مهما
(1) ابوجادى بمعنى عديم التجربة •

حاد عن الطريق ، وهو يحبر اذا تاب ولا يعدم الفضل طالما انه محافظ في قلبه على هذه الكمة ، فهي رأسماله وسلاحه وعزه ونصره • وهل ياترى يقبل العمل من حمار مثل حصمه لولا أن الله يسر ويعفو ويقبل عباده ويرصى عنهم بجوده وفضله ؟ :

ما نكرت اعداء ما تركتوا ولا عمرى انيت حد ايتركوا لكبير والصغير
الا لالايم قلت لو اعذر * وما فالفيب امن احكام ابجالو
والمومن مومن قلت لوزانى او لاسارق او هاجم او قاتل او مخيم
نطق اللام قال ذا كفر * قلب اكفاتو السابما واسعد فالو
والمومن يرجع بعد يدلع ولا بد انال فضل الكلما من لالها انظير
وبلاتاب المومن اجسر * ولا يعدم افضل حاضى راسمالو
والمومن من فضلو وراسمالو واسلاحو ونصرو وعز اكلمتو ليما فالسريرو
تلقها ويحمده ويشكر * وجعل ارجاء افلمكرم قبالو

...

ولعمال اصلا او صوم واژكا واجهاد وحج ياترا يقبال من امثالك لحمير
والستار يسمع و يستتر * وقبلنا ابجل جودو وافضالو
وبحاول ان يطهر فضل كلمة التوحيد فيراها تضم سبع كلمات تصد
عن سبعة ابواب من ابواب الجحيم والى ، يطفر صاحبها بالنعم ويسلغ
الآمال • واذا كان العمل من الفضة فكلمة الاخلاص من الذهب العالى
العيار ، بل ان الله خلق عمودا من نور لا يقربه الا من يقول لا اله الا الله :
وكلمت التوحيد حاب لحديث اسبع كلمات ضاما ضد اسبع ببيان فالسعر
والى تغلق باب واظفر * مولاها بالنعم وابلى امالو
والعمل اىلا ايكور فضا كلمت لخلاص ذهب يبريز امشعر خالطو اكسير
وافضل ربى ماينو احصر * سبحان الدايم لغنى جل اجلالو
عمود امن النور ما يلحقو الا من قال لا اله الا الله السامع لبصير
بهتز العمود ويجهر * يبردت وسع لفضل ومن افضالو
وهو يرى حصمه قد ارتكب ذنبا كبيرا لن يستطيع الكفير عنه بغير
الذهاب لمدينة مراکش مدموما حقيرا حتى ينهى من امره بالذبح • فسينادى
(27)

بالنعير في الحمراء وغيرها من المدن والقرى والبوادي ليعلم به ، ثم يأخذه
للحمام حيث يغسله بالمطران ويخرجه بعد ذلك في موكب مكبلا مغلولا ،
وينصب به الى فندق الجلود ويبسسه جلد تيس اسود ، ويضع له اسورة
في حجره ، وحزاما بظفائر وحذاء من النحاس الاصفر ليرقص به ، ويتوجه
بكومة من الريش وعمامة عليها خمسة قرون طرية اللحم ، ويعلق له سبعا
حباتها من الحنزون ، ثم يطوفه المدينة بالولاول والزغاريد ليرجمه الاطفال
بالحجر وينكتوا عليه ويضحكوا طوال سبعة ايام ، وان تعب خلالها يعاد الى
اغلاله ويركب حمرا :

وانصحك ما ريت مايكفر ذنبك الا اتجى البهجت لدون امبهدل احقير
وانجرك وامثالك ينجزر * حسي نحتال عن اخلاصك وافصالو
ونطلق البراح (1) افلمدين الحمرا وافحوزها ويمشى حتى للغرب بالنعير
فاباد (2) امدان اوغر (3) * يعمم بك لسلام ويرجع في حالو
ونا نفرج بك انديك الحمام الديب ببياض تفسس وانوم افغديرو
وانجرك ابهندقا وطر (4) * ويديك امكتفا وعنقت فاعلالو
ونسلك الصدق بطلنا ونعرق اعليك واحد الكسوا مكمولا اعلى الشهير
ماقيمتها مال افنمسر * من غروس اشبه القلبك فاكحالو
وانبايل (5) افجرك طايشين ايمانا واشمال والحزام ، محالف بصفاير واعسير
والسباط اهدام امن الصفر * في رجيك لشمصيح ايغل امشانو
واعلى راسك رايم اركوا بالريش اي عنها اعدما برذيل افوفها النير
حمس اقرون الحومها اخصر * ومن البيوش (6) شى اتسايح يحالو
وانصوفك اعلى الشهيد افمراش بالذ ولولاول وزحام اكثير ولهدير
ويرجموك اصمال ابلحجر * من ايغيبوك ولا ينضالو

(1) المتادى • (2) البوادي •

(3) الجبال •

(4) سبغ: ان ذكرنا في المدخل ، من ... الهسقة والشر

(5) اسورة •

(6) الحنزون ويطلق عليها كذلك اغلالة وخاصة في لهجة اهل الرباط •

سمع ايام وكل يوم تطويها فالحومما اولا ابرمتي ترجع لفلايلى ايسبر
فوق احمار زنه وعثر * حتى يجتمعوا الناس ويحتالو
كذلك كان الفخر عند الشاعر الشعبي جانبا فى فن الهجاء وان لم

يحفظ باهتمام المشد والجمهور ، لما فيه لاشك من انانية وحب شخصى .
ومن الفخر ما يذهب اليه محمد بن الصغير يخاطب حساده انهم لن يستطيعوا
معارضة كلامه مهما اتفقوا ضده ، فشعره يحلو انشاده ويتنوى الناس لسماعه
ويطربون ، فهو غزل صاعى سلس رعبى عرف كيف يسلك فيه مختلف
المسالك والمسارب ، لا يخشى من الفرق ، وقد شيد قلعا واعتلى القمة :
قولوا للباغضين قولى ليام اتلافى * محال ايعرضو اكلامى لوجاواتفاقى

نظمى يتفال اعشاقا * اهل الفرجات شوفوا
غزلى صافى اسليس رتقا * سالك منهاج كل طرقا
وايق امسارب الطروق

جفنى مضمون من الفرقا * وامشيد ابلقلوع زرقا
وازيادا طالع اللقوق

ومنه قصيدة لعباس الحرار يفخر فيها بأنه لا ينفذ صبره عند الشدة
يوم يضيق الناس وتعبس الوجوه ، ولا يقطع مورده يسقى جميع الظامنين
حيث لا وجود للماء ، ولا يغيب نجمة زاهرا مشرقا بنور ثنائه فى كل مكان ،
وبأنه لم يمدح قط ملكا أو طاغية ولم يؤد احدا ، ولم يفصح سرا له او
لغيره ، ولم يأكل غير أكل شريف حلال ، وبأن شعره لا يحلو من حكمة
وبأنه ورث الرياسة عن اجداده وأنه لا يمر من مواجعة الاقران :

أنا الذى مضابق لشدا صبرى	* يوما تنفأبح لوجوه انا الصبر
أنا الذى مايزول للظامى نهري	* مورد عذبي فامواطن لا ما يذكار
أنا الذى مايزول فلك اسما ذكرى	* يشرق بالكواكب الثنا فى كل اقطار
أنا الذى مارفع باقوايسم شعري	* سطوت مالك شامخ او اطمى جبار
أنا الذى ماكوبت مخلوق ابحمرى	* كاتم سرى ولا نصصح احد اسرار
أنا الذى ما اخلات من حكما جفرى	* مشتمل اعلى قوا ابفادت كل اخبار
أنا الذى مانكدر اجواهر ثغرى	* سميت منان لو انجوع اسنين اشوار

أنا الذى وارث الرياسا من بكرى * من جد الجد حزتها امن دارالدار
أنا الذى ما اتشاهد اعداى ظهري * يوما تتواجه لقران لقدى الثار
وكانت على العكس من ذلك عناية الاشياخ «بالسولان» كبيرة ، وهو
فن يتصل بالهجاء وتحدى المدعين ، حيث يوجه الشاعر لخصمه جملة اسئلة
هى فى الغالب احاجى والغز ، ان لم يحل رموزها فهو مغلوب وعاجز .
وغالبا ما يمهّد للسؤال او بالاحرى لمجموعة الاسئلة بمقدمة يخاطب بها
المدعى او راوى القصيدة ، وكذلك يختم السولان .

فهذا ابن على فى «سولانه» يطلب من ردى القصيدة أن يفخر بالسؤال
الذى ليس له مثيل :

باسؤالك استفخر يا حفاظى * اولا ابحال عند الى عارفين سولان
ويخاطبه فى القسم الاول يؤكد عليه أن يفخر ويواجه كل معارض ،
وأن من عاتبه او اغتابه فكانما عاتب الشاعر او اغتابه ، ويخبره انه ضبط
الحروف ورتب القوافى ، ويوصيه أن يقرأ جهرا ماكتب له على كل الناس
القريب منهم والبعيد ؛ ومن كان منهم يدعى فليجب على السؤال وليجمل فى
معانيه وليشرح جوابه حتى لا يظل مدينا فيشهد عليه العدول :

باسؤالى استفخر واتلق كل من اعاتب

الى ايعاتبك كنو عاتبنا

او غتبك كنو غتبنا

او هكذا فالشعر اكتبنا

اضبطنا لك لحروف والقوافى لها ترتيب

اقرا بالجهر ماكتبنا على لبعيد ولقريب

واللى داعى لنا ايرد لجواب

ايحول ادمعانى

ويشرح لسؤالنا اجوابو

اولا يعمود مديانى

واعليه شاهدين اعدولى

وارضى ايكون مديان

ثم يستعرض له بعض الاثغار كهذا الذى يسأله فيه عن ماهية علم الشعر
ولواهب وكيف تسرب للنفس ، وعن اقسامها التى لا يعتبر شاعرا من
يجهنها ؛ وكل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه الله الموهبة
وبوصى راويه الا يهاب المدعى بالجهل ، فهو اعجز من ان يأتى بمثل هذا
السؤال أو هذا الشعر مهما طُل به الزمان :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولواهب

واعلى اشمن (1) اسبيل يدخل لجسام

كان تهم فالخلق ارسام

فسموه الفهم اقسام

من لا يدريها لا يقول شاعر فالقول ايجيب

واللى داخل بحر هوا بجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

واللى ادعا اعليك ابجهلو بالك تستهابو

ما جاب عوص سولانى

الو ايعيشى ما عاشى المرو ولا ايجيب لوزان

ويختم القصيدة بتحذير للمدعين ان عجزوا عن الرد - وهو عليهم

واجب - انه سيبقى دينا فى عنقهم طوال الحياة ، وانهم لن يساوا شيئا

بعد ذلك ؛ ومن عرف كيف يحل السؤال فليشرح اجابته وليعرف بمصادره

وليستظم ذلك على نفس الميزان :

وانسال من ادعاوا بجوابى واعيدهم واجب

ويدا يعجزو عنهم يبقى دين

لجواب الواضح المبين

طول ما دمن فالحيين

لاتحسبهم اسواوا وخذلك فالخلط تجريب

من بققه لشيئا اكما انشاها علام القيب

معاوى باتينى افصح لخطاب

(1) وعلى أى .

ايهيدى بشرح 'سؤالي فاشمن اكتاب صابو

واعلى اكلبوع مزانسى

واعلى اكواكبو وادراجو طرقان هن الغيوان

ويلتر كمانى «سولان» يفول فى حربه :

اصنع اوجول واتأمل يا انسان * جاوب اسؤالى كان انت البيب فاطن
وسال فيه من جملة ما يسأل عن طائر يجول نسي البر والبحر دون
اجحة او زاد ، يقطع الارصين فى ساعة ويصعد للسماء بسرعة ، يبيض
ويهرخ فى البطاح ، رأسه فى ذنبه ، وليس لعينه منيل بل له عين زائدة
واذن ، ولكنه لا يسمع الا بواحدة ، ترى ماهو وأين يقيم ؟ :

عن طير سلتك ايجول ابلا جنحان بر وابهجار

وابغير زاد 'ولا ليه ابصاعا

ويقطع لرضين افساعا

ولسما يصعد باسراع

وايبصر ويهرخ اقلبطح ايمين واشمال

وابراسو فى عزبشو وعينه ابغير امثال

بمعهد وبودنيه رد بالك

ويسمع غير بودن وحدا سبحان ذا المواهب

وابعيس زايدانى

يندر اوحده مابدرى

اكما هو اوفين كاطن

ومن امثله يفسر عن رأى الشرع فى امر رجل سافر الى فاس
وترك زوجته فى القصر ، وفى يوم سفره تزوجها غيره فولدت له ، وكتبت
للزوج المسافر تخبره بمولود رزق به وأصبح ذا مال ، وتقسم انه ليس
ولده ولا ولد زنا وتطلب منه ان يلحق بها على الفور ، فامتل وحضر ولكنه
وجد نفسه مغلوبا على أمره وغريبا بعد ان كان قريبا :

وانهار فاش سافر غيرو خذها

وارجول سافر الفاس اخلى زوجته اقلقصر

اولدت امعاء امن ابطنها
ولدت اكتببت الراجلها
فالكتاب قالت ولد زاد عندك واصبح ذو مال
بالله ماهو امن ازنا ولا هو ولدك واحال
واقدم بانكحيرا وجسى اتمارك
وامتائل الرحول امرها واضعها امن المغالب
من بعد كان دخلاى
عنه الامر ارجع برانى
والشمرع باش آذن
وبصل ماختم ابن على ختم الشركمانى فقال :
ياحافظ اللف خذ اسؤال المن ادعا امحتصر
يعزم بدجواب اويأتينى به
ويرضى بالغلب اعليه
ويقبل شرطى وانوريه

اما فى الخصام فينحمننا ابن على فى قصيدة «العربية والمدينية (I)»
بحوار رائع بداته بنت المدينة فرمت مجاورتها بأنها كلبة الدوار رببت فى
لخللا ، واذكرتها بالقرب تملها فى الصباح وبالخطب تجيعه فى النهار
وبالرحى تسهر عندها طوال الليل ؛ حياتها تعب وشقاء ، ورجلها حافية
متشقة ورأسها عار ، تفترش التراب عند النوم وتوسد حجر الكانون ،
وتشتان ما بيننا وبين بنت الحضر تربت مصوبة فى بيب العلماء ، وأين هم أهل
البدو الوسخون من سكان المدينة يعمرن المساجد وينصتون للخطب ويعثون
ابناءهم لكنايب :

قالت لمدينا *العربيا واش افعالكم تنسأهم
ترببت لخلا كلبات الدوار *آش ايجيك لبنات لحضر واترابى لعلوم
وانست بدويا *ما تفكرت لكرب فبالصباح تملهاهم
واتحرفى احبل لخطب كل انهار وانطلى واتبانى اعلى الرحى ما طال الديوم

متعوباً مشقياً * ارجليك ابلحفا ينشقوا اقسرت اشقاهم
والراس ابلعوا عمرو ما يستار وابحال التمود ترقد من جهلك واتقوم
كحيا مطويها * بالرفايق كمتغطى بكفاهم
واتوسدى مناصب كانون النار واتروحي عيانا اعلى التراب ترقدوا حموم
مافيكم انقيا * هكذا سيرت هل برا اسواك واسواهم
شيخيكم لهل الظل والجدار * وامساجد للخطبا امع الصلا وامسايد وارسوم
وردت البدوية مشبهه الحضرية باليومه فى الفار ، دائمة المرض
لا يغيث عنها الطبيب ، لوبها يصفر بدون داء ويذبل من اثر سم جبر الجدران
الذى يعكس عليها فيجعل طبعها ساما كذلك ، وهى ميتة فى حياتها ، لم
تخرج يوما الى البادية لتعرف الى حى محاورتها تحيط به الاشجار ، وتحويه
الخيول والسيوف والرماح والاشواك من الاعداء + ثم ان العرب موصوفون
بها كرام الضيف وبالطبع الكريم ، وهم كذلك ينشؤون المساجد ويتخذون
الخيام كتائب للتعليم ، وكل من زارهم ينال من خيرهم على عكس المدن
التي لا يوجد فيها شىء دون مساومة أو شراء :

وادوات العربيا * قالت المدينية يالفاهم الفاهم
خمدى ياشبيهت موكا فالغار * آش ايجيبك لبنات لعرب واعوالى واسهوم
وانت بلديا * شوف لثالك ماعمر الطبيب يخطاهم
وابغير صر كتدبال وتصغار * سم الجبر اىولى اعليك مايشبه لك مسموم
موتك وانت حيا * يالى ماشفت عمرك عربنا وماواههم
امعيرين بصوارمهم لقفار * لوكان اتشوفى حيا اذا حاكت قوم القوم
بسروت محضيا * ابلقنا والدركا يدرقو امن اعداهم
وامثيلهم من يوصف وينكار * هما كرمين الضياف وهل الطبع المكروم
وامساجد منشيا * ربحيام الطلها واجميع كل من جاههم
يمشى ابخيرهم يتشكر تشكار * واش ادى اللمدون كل شى بالمثرا والنوم
وعلى هذا النمط تسير المحاورة تتناول جوانب مختلفة من الحياة
الاجتماعية فى كل من المدينة والبادية . تفخر المدنية بأبها محجة تحافظ
على الصلوات وتعيش حياة زاهية منعمة وترفل فى الحلل والحلى ، وتعير

البدوية بأنها سافرة نضل تسور في الاسواق وترعى الابقار وتقلع نبات
الدوم ، ليس لها مآثر هي به من العيم والرفاه والحنى واللباس ، عيشها
مدموم اسامه الذرة والشعير وعصها كثير والماء عندها قليل * أما العربية
ورى أن التقوى موجود في القرى والمدن على السواء وبغير ساكنات المدن
بأنهن شر الخلق ، اجتمعت فيهن كل الهوم والسيئات وأعمال ابليس ،
ساحرات كاهنات عادات بالاحوة والازواج ، تمعش فيهن المناكر * وينتهى
لحوار حين تعبر العربية بأنها من أصل قرشى معروف وأن الله وعد العرب
بثلاث بالجنة والقرآن والرسول ، وتذكر بنت المدينة بأنها ببغضها للعرب
تمعن الرسول ، ولكن هذه سرعان ماترد بأنه لولا موقف محاورتها مامت
العرب بسوء لأنها تنفاني في حب الرسول وفي سبيل حبه تتفانى عن كل
مآثبات فيها من شتائم وتطلب منها ان تستغفر *

ثم يتدخل الشاعر ليصلح ويفيم لهما نزعة ليسديهما وينسيهما الخصام:
قللت الهم اعلىا * صلحكم وانراهم كيف كنت نشاهم
وصالهم وقمت الهم انهار * كيف يشتهاو الباهيات وافجيت الهم
اهوم

ومثل هذا الخصام نجده عند امثيرد في قصيدته التي حربتها :
امى احنا وايلي امى لوريت يافاهم اللفا ماذا صار البنت احصر والعربيا
وايلي امى لوريت يافاهم اللفا

ولكنه يجعل محاورتيه تدعوانه ليصلح مايبهما ، فيندخل وبرى
كلا منهما فيبدي اعجابه بجمال العربية الكامن في جادبيتها وعيونها الفاترة
وخودها الموردة وقدها العالى ؛ كما يبدي اعجابه بجمال بنت الحضر
الشبيهة بياقوتة في تاح النصر مصونة في ابهج المدن *

ورى أن الله كتب عليهما هذا الحصام وأنه ليس فيهما مايعاب ؛
فلم نلبثا أن انشرحنا لكلامه وصفا قلبيهما وغدا تتبادلان العيب والصحك :

قالوا مرحبا جابك ربى يافصيح الشياخ اعز الماهرين

حول اخمسم قالحين فارقنا

فنت لهم حتى عيب ما هو فيكم

زينات زينكم يرصاني
انت اتبارك الله العربيا
امروثقا مسرارا بعيون نايمه سرديا
واخدود فاتح عكريا
وامد فم صارى
وانت يابنت لحضر
يقوتا فى تاج انتصر محصيا
فى بهجة لمداين صولى ياروح راحتى وهنيا
هاد لغير جابو ربى
لجواد ميعيبو
حاشا يكتا من لخصام
انشرحو واصفاو لقبوب افرحو

جازونى بخير اجازيت الباهيات ساروا فى حفظ الله ديك
سبع لخر لها ضاحك
ومن اروع قصائد الخصام وأشهرها قصيدة «الخادم والحر» للغرابلى
يقول فى حربتها :

قصا احرات للخادم والسحرا * يوم ظلو فخصام اكثير عل المعيار
وفيهما تصف الخادم (1) الحره بأنها كسولة وبخيلة وصفراء وباردة
ونسيبة ومسمومة ، دائمة الشكوى من الاضرار غير قادرة الا على الخصام
والتعبير ، كل من مسها يصير غليلا ويصفر لونه ، امها ساحرة وابوها
يفضى يومه فى جمع لاعشاب والبخور ، وان كانت حره فانها هى الاخرى
مد تعنى وتطفر بالحرية . ثم ان الخادومات يكن فى اسور الكبيرة عزيزات
فيهن العلاج والمنة الطيبة ولوبهن يفوق لون العنبر . ونرد الحره بأنها
تستحق كل محصل ، فقد قبلتها للسخرة وهى كالحماره يحفظ بها الويل ،
لاخرج من المطبخ ، وتصرب بالليل والنهار ، رائحتها كريهة ، ولونها اسود .
ونذكرها بيوم مجيئها فى حال بؤس بلباس وحذاء ممزقين ، ثم انها منار
شؤم ، كل من اقترب منها يعمى من شدة رائحتها الكريهة . ولم تكشف

(1) المقصود بالخادم الامة .

الحرّة بهذا الرد وراحت فعفت معها فى القول - الذى سنمبل به - ووصفها بأنها عجوز بنت عجوز وبأن الله فضلها عليها ، لو قتلتها لما حثت أى شىء ، وأنها قريبة قادورات وعلقة فى بئر ، طبخة تسرق اللحم من القدر ، أمها تكشف عن الحظ فى المحار وتشهف على القديد ، وأبوها يسعى من دوار لآخر يضرب فى طاسات الحديد ، وأخوها يجول فى الحي ينفخ فى المزمار من أجل جمع قطع الخبر لبيعها ويبقى بالجوع ، أماهى فكالخنزيرة أو القردة المنسوخة . ثم تسألها أهى على دين الاسلام أم كاهنة ؟ وكيف تم مجيئها جائعة حافية عارية الا من فوطه انزرت بها ؟ وبأية عملة اشتراها التجار أبلالمح أو الودع ؟ وتذكرها بأنها حين وصلت لم تساو عشر دينار، وكم مرة دللها السمسار ، وكل من رام شراها يأخذها لتقصى الدليل عنده ويصبح وقد تضايق من رائحتها الكريهة وشجيرها الشبيه بالمنشار ، فيردها للدلال ، الى أن قدر لزوجها أن يشتريها دون مشورة . وحين اتت لببيت وجدت ربتة بارزة فى فراش قبتها ، جميله لابسة افخى الحلى والثياب . ثم أخذت تصف جمالها وبشاعة الخادمة مقارنة بين بياض شبيه بضوء القمر ولون كقطعة من الدبل ، بين سواف رائحة للتصفير وشعر مكور كحجوب الابزار ، بين خدود حمراء منقوشة وخدود مشفقة كالندوب عليها بالاطفار، بين أنف دقيق كالبار ، وانف متنفخ كالكير يوقد نار الجمر ، بين شفاه حمراء كالشهد وشفة بعير ، بين نهود صدر كبرتقال فى شجر ونهود كالباذنجان الكبير ، بين اقدام دميقة وأقدام كاظلاف الحمير . وما ان وصلت الحرّة الى هذا الحد حتى فقدت الامة وعيها ومسكت بحجر وقذفت الحرّة ولكنها اخطأتها ، فحصى وطيس الحرّة وأخذت تلطمها وتضربها كيفما اتفق بقفس حديدي كبير . وقام هرج وضوضاء فى الدار ، وكادت ان تقتلها لولا ان حضر الجار وفكت الامة من قبضة سميتها . وحين رجع رب الدار وحكى له ماوقع باع الامة واستراح وعاش بقية ايامه يزهى مع زوجه الجميلة :

قالت افلجواب الحرا مهما اطوال لكحار

سكنى يالئكرا بنت الئكرا ❀ اعليك فصلنى ذا لئقدرا

اولو اقتلتك شى مايجرا

لاش اتصلحي باكربت لخنز ياعلقا في بير

طيا با طباخا او سارفا اللحم امن الطنجيسر

اتقول يما حافظا الكارا

امك ابلودع شوافا واعلى لكديد تسعار

وابساك يالقنجا (1) * بالقرتبا ايطل ايكون وايدور كل دوار
اوخوك اقلمدينا داير شهرا * كايستوط افقرن اعشاري افقاع مزمار
وايدور افلحوم ايلم الكسرا * ايسيعها وايقيب بالجوع بن المطير
وانت امثل حلوف في قفرا * او قردا ميسوخا ساكنا افلوعار
اعلى اضنايتك حكم المسخ اجرا * عيدي لى جنسك اسلام او كفار
واعلى امجيك عيدي لى كيف اجرا * ابلودع ولا بالملحا اشراوك تجار
جابوك ابدحفا والجوع ولعرا * ولا اسويتى يوم اوصنتى اعشور دينار
ولاعليك بعد اكشيف السترا * امتزرا بالفوطا وامتبعنا السمسار
واشحال ماتدلتي من مرا * من راد ايقب عندو اثبات فالدار
فالصباح كيغول ايولا هي جرا * بايتا كانشخر شخرات زى منشار
وصنان ويحك خنزير شكرا * خرجك للدلال وعاد له ماصار
دلال امن احواز البهج الحمرا * اعيا ايهيت وبعدها ابقى افكرار
حتى جا المغرور امع القدرا * اشرا وخلص فالساعا ليس دار بشوار
وامنين جيت صبييني مشتمرا * بارزا فكساوي واحلول زهو لبصار
وافراش فبتى ماهو في حضرا * كل من شاهد زيني دون قيس يعداد
شوف ابيض لوني كفى القمر * شوف لونك كنقطة امن اظلام لسحار
شوف اسوالف تعجب للضفرا * شوف شعرك لمركب كاحبوب لبزار
شوف انقيش عل لخدود الحمرا * شوف لخدودك زى النادبا بالفغار
شوف الانف باز ابطحا خضرا * شوف الفك نحكيه كير واقد اجمار
شوف اشعايفى كاشهدا حمرا * شوف دوك اشلاقم لمعير جافتحكا
شوف انهود صدرى ليم افشجرا * شوف لنهودك دنجلات دوك لكبار
شوف اقدامي كن خدلج واطرا * شوف لقدامك نحكيهم افراقش احمار

(1) الحمارة *

تما انرا الخادم رفدت حجرا * شبرت اعلى الحرا واتقول كلبت الدار
زكلاتها وحركت لها الحرا * ابقات تعطيها بالزكروم دون اختيار
وما اكلت من طرش ابلا فترا * عاد رجعت لحسبها بعد بان لعوار
بالهرج نوضت فالدار الكسرا * امشات تقتلها لوها كان حاضر الجار
وفكها وخرجها واتبرى * حين جامول الدار وعاد ليه ماصار
باعها وهنا راسو وابرا * وسار يغتم زهوا اياموا مع الخمار
ومثلها قصيدة «الزمية والعصرية» لحسن اليعقوبى ، وحربتها :

آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار (1)

زوج هيمات اصغار

شبابا عصريا وامع الحاجبا فالحورا

وفيها نجد ثريا «العصرية» تنهم هنية «الزمية» بالامية والتاخر ،
لم تذهب مثلها للمدرسة ولم تحضر المجالس ، مشغولة بأعراض الناس تشتم
وتفتاب ، ولكن هية ترد بان محاورتها غير مؤدبة وبأنها مشغولة بدفاترها
ودعن شعرها المحنوق وتسريحه ، لباسها بعيد عن الوقار ، سافرة الوجه ،
غارية الرأس ، لاتعرف شيئا عن الطبخ وشؤون البيت :

نسمع العصريا اتقول للزمنيا

يساجارتى اهنيا

سمعى منى اخبار

من يوم اسكنت احدى جارا وانثيا فاشفار

ياحسى لله ساليا بخصامك جمع لفكار

عمرك ماشيت اتقول شسى مدرسا

اولا حمير محالسا

ولا اهواتك الدراسا

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس جارحا بالسانك

فبت لمياس

(1) الخصام .

مشغولا بيا

اولا العنت شيطانك الشرير

خوذني نصفك تشتمني فبا

حجر ابلا اخفيا

فالسنت تاعت لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للشتما النار

بالسانك قلت اعل الشكارا (1)

مصحوبا ديما امعايا

ممليا ابكتوب عن لفتخار

سابق بالمعيار

كابرا اميا فالسب ولغتب والزورا

لا لك المدرسا فايقا عل لبحار

ياتسمعي لخببار

يلزمنيا غشميا اموحرا للورا

قالت الزمنيا بجهار

يا لعصريا هذا عار

ياك حق الجار اعلى الجار

ما عرفت كود الهدرا (2) اعل الشكارا

فمت كسيرا

وزايدها اتلقى ابلحجار

مخصوصا ادب بالشبانيا

يسار هط البوياسا

منطونا ابلشعار

السانك مطلق ما عرفت مونا

ولا اعجنتك معجونسا

(2) صحة الكلام وصوابه

(1) محفظة المدرسة *

ومع اكنائشك مشطونا
طول النهار
انا زمنيا او حاجيا في داري
وامع الشغال طول انهارى
ليا اصغاي
انت ديما امقرب
صايا فامعزم امع اقويمحا دون اخفا امجيفك
اكريفيطا خانقك
وانعلا محسوب صاندالا
للخرجا والدخول
شرع الله امعاك يالعصريا
مادرت اصواب ليا
فالشعر امحلقاه تيا
دون لغراض لقصار
حتى الراس امع لوجه باين
لادرا لانكباب
فالوها مثلا اعل ابحالك
خرحي سوق الزحام
آش اتعرفي فالطباخ
طجين امحمر ابلفراخ
ولا ميذا ولا مخرقا
ولا بسطيللا امورقا
لاقورما لا محنشما اشغل الدار
زايدها تعفار
ماتعرفي لشغال الدار
حتسى دورا
آش غير الدهنا والراس حالقوالو لشعار

امخالفاً للآثار

فالسؤال نظراً

ماهى ابحال بتورا

ونحبب العصرية بأنها مهتمة بالتعلم وطى مراحل الدراسة ؛ فلم تجد الزمنية غير التركيز على مظهر العصرية الذي لا تراها ولاثقا وعلى معرفة الطبخ وشؤون البيت لاسيما ان جاءها ضيوف فانها تعجز عن تهيب الطعام وتأخذهم الى المطاعم . ولكن العصرية ترد بذنها منقفة وأن الطبخ من اختصاص الخادمة التى تتقن كل أنواع الطهى ، وتخبرها بان خطيبها راض عنها تخرج معه وقد تعرفت الى أهله وتعرف الى أهلها . وتدعوها الى ان تخرج من غمة الدار وتصاحبها فى فسحة بالسيارة لتزور مدرستها . وتؤكد الزمنية انها محجبة تتبع العادة وأنها بذلك سعيدة ؛ وهى كذلك مخطوبة ولكن على الطريقة التقليدية حيث لم ينظر اليها خطيبها ولم تنظر اليه بعد ، يقول أهلها انه شاب صغير ومن خيرة الناس ، وقد خطبها فى البيت وتولى ابوها الامر وهو يبعث لها بالهدايا فى الاعياد . ويتدخل الشيخ الجار فيصلح ما بينهما ويصارع الزمنية بضرورة مسايرة العصر ومحو الامية ، وينبه العصرية الى ضرورة تعلم شؤون البيت . ثم يعود اليهما بعد سنة ليجدهما عملتا بوصيته فتحضر له العصرية مائدة اكل شهية وتسبخ له الزمنية أقسام القصيدة .

ومن الخصام المعتاد مانجد فى محاوره بين العروس وحمائها ، وهى محاوره لم نوفق للتعرف الى صاحبها ، تقول حربة القصيدة :

ماغظمها فالزمان فصا سارت يافاهم لخطاب

بخصام اكثير خرق عسادا بين اعكوزا وشابا

فالعروس تعير الحماة العجوز بكبر السن وضعف العمل والغيرة

ونوعو عليها بالوان من العلل والامراض قبل ان تموت ، بضعف البصر

والبرد وداء الجانبيين والحمى والمرض الخبيث . فقد انحنى ظهرها وشاب

رأسها وخلا فسها الا من ناب ومع ذلك مازالت نار الرجال تلتهم اعضاءها :

قالت للشايبا اكبرت واهترت يالعايبا

غرثي اكرفيت لعكايز مني يعطيك الصباب ولله د اعلى الحبيب
والحمي واخييت يديوك لروث معانيها
بعد ميختت ظهرك احنا والراس لك شاب ■ فمك هافيه غير ناب
مازال ياخلاك نار الرجل فاعضاك ناكبا
وتحببها الحما لنطعن في عرضها ، داعية عندها بانقسطاع الرجاء
كسرا - وعظمتها ولكنها لم تتبه من عماها ، كانت تريد ان تشغل في
بيت كما فعل من هن خير منها ، وتقنع بالواقع وتحمده لله عساه تعالى
يرضى عنها كما رضيت هي عنها عروسا لولدها ، على الرغم من أن طالعها
ان شربا على البيت حيث ضاق العيش واربع الحسب راس ابنها
شباب ، ولكنها كبة لانتعظ طالما ان قلبها ميب ، ورد راس ابنها لم
سمنوف دينها :

نسمع فاشاييب ونطقست ■ قال لبنت كيتك
عدفتي عرضك لمشمت ■ يقطع راسي رجيك
اعيت انواعت وانعدت ■ مافقي امن اعيمت
اعيت اعيتك فلت واشي ماضي يعبرت لكلا ■ واتو من امن راس
واتعرف بين الزمان ابوانو بالسديا
مأجدي كيف لالياتك وانقبى ابنا اكتاب ■ واسمعي عاتق الرب
او طلييه يقبل اعلينا ويهون كل صعبا
كيف اقبننا اعيتك بعد اعرفنا امدامك الزغاب ■
ملي حضروا الخبر غاب
وارضيها ابغضا وقلنا لاهرب من مكاب
تدريت امعاك بالنطافا من حناب رقتنا اصعاب ■
والولد اصغير كيف ساب
نبخيك اتساعيه وانكافي من دي معانيها
وامنين شفت قلمك ميت اكل امن اغراب ■
والظن اللي انويت خاب
احرام اعليك يالكلبا دينك ابلا امراةبا

وترى العروس فى ردها انها لو لم تستح من شيب الحماة للطمثها ،
وأن كبر السن معدن كل العيوب وأن الخدمة والكس لا يليقان بها
وبمئيلاتها من الشواب ، وأن شغل البيت من واجب الحماة ، وهى تخرج
بلا لثام ، وعيها ان تنفق فى السوق وتطبخ وتقدم السطاس (I) وتحضر
المائدة . اما هى فتتعم مع زوجها فى مجالس الاسمات مزينة فوق الفراش
وعلى ضوء الشمع وأمامها صينية الشاي يتسافيان فى سس وديه وضحك
وملاعبة . واذا ما شئت الخروج للحمام أو الذهاب لفرح عند الاصهار فان
العجوز نسير خلفها حاملة لها رزمة الملابس على ظهرها كما تفعل
غيرها من العجائز :

نسمع فالبن ابغير دهشا ■ للشايبا وقلت ابصوت الهيب
ماحق اعليك غير طرشا ■ لولا استحييت امن الشيب
ولاينى يالشاخشا ■ لكبر معدن كل عيب
آش ابقى لى اىلا اخدمتك قولى حشمت بالشواب (2) ■

واتهون انشطب الرحاب

ولانرضى انكون لك خادم ياعجب لمعاجبا

انت بعد ايلانقيت سهم الخرجا اىلا نقاب ■

والمفضيا والطياب

وارفود الطاس يتبع الميدا واعليك واجبا

ونا فامجالس امع ولدك فوق لفراش بالشواب ■

واعلى الماكول والشراب

والشعما شاعلا اقبيتى والصينيا امرتبا

ترا نسفيه ويسقيني بتاي اعحيب املكواب ■

ترا نسلو ابهحجاب

برا بالتية واخنات منى ترا ضحك واملاعبا

(I) آمة غسل اليدين قبل الاكل وبعده

(2) جذبت لهن العار ، من الحشومة بمعنى العار ، وهى كذلك بمعنى الحياء

انهار ايلض لى الحمام واحصور امراح النساب ■
وايلا كنت امس اللباب

تنبعنى ابحال لعكابر بالررما امراكسا
وتسير المحاورة على هذا النمط فى تبادل الشتائم ، يحاول الحماة ان
نحط من شأن العروس والطعن فى اخلاقها ومستوى أسرتها وأن تقع ابنها
بضرورة طلاقها لتحط به غيرها . وترد العروس بالسوان من السباب
نسموحيا من الشيوخوخة وآثارها المادية والنفسية على الحماة . ثم يتدخل
ولد بعد أن حار فى الامر وكأنه يصارع الف امرأة وبعد أن بكى وقرأ ولعن
الشیطان ، فينحني أمام أمه ، يدها خلف ظهره وحده فى التراب معترفا لها
بأنه لها عمد ، ولكنها أحرقتة بالحطب والنار ، وذلك حزاء كل من يساعف
زوجته وتهون أمه عليه وتقلبه نفسه ، وهو يفص أن يؤدي فى الدنيا
وبزيل غضب امه ويريجها على أن يظل متابعا فى الآخرة ليعاقب شر عقاب .
فكان ان لانت الام وحنث وزال عنها كل كرب . ثم نفت الى العروس
بحرم وشر اليها بعينين ملتهبتين ، فاعتذرت لوالدته ورجعها ان تفك رقبتها
من اعقاب وأكدت لها انها تائبة الى الله وأن اسلامها سينم ويحسن على
يدها :

طاح الولد يبكى ويفرا ■ ويعن المارد الرجيم
ويحك اعمامتو ابقهر ■ وادموعو ساكبا ايضيم
واتقول اتلقى ابالف امرا ■ والعز ابوجهك لكريم

اينادى بعد مد ايديه اوراه اوحده على التراب ■
العبد اوكل ما اكسباب

انا مكسوب عبه بالميمما (I) وانت الكاسب
احرقتنى ياميمتى فالدنيا بالنار ولحطاب ■
يستاهل امن اخطا وساب

واسعف امراتو وهان بمو والنفس اعلمه غالبا

اللهم انخلص اهنا وانقول اصف من لغضاب ■

خاطرك ولا بقى اعتاب

ولا نبقي الاخسرا نعايب شر لعاقبا

حنت وارطابت لميما وزال من خاطري لكراب ■

واهنا من بعد العتاب

واتلفت افلمرا بقلب امصم واعيون لاهب

راوكت فمو وقالت لها عسى يش من لعقاب ■

مفقه وحبر ر...واب

واليوم انا اعلى ايديك اسلمت ونله تايبا

وفي تعدد المحاورات في قصيدة واحدة على حال ما نجد في «الخصام بين
عشر جوار» لابن داود ، وهي عبارة عن خمس مجاز — مائة تدور بين
البيضاء والسمرء ، والطويلة والقصيرة ، والسميكة والرفيعة ، والحصريّة
والبدويّة ، والشابة والعجوز . وهي في الواقع مجموعة من محاورات مستقلة
لا يخرج الحوار فيها من الثنائية الى نطاق واسع متعدد فيه الاطراف كما
يشهد من التسمية

تبدأ البيضاء فتفخر بأن لونها كالعاج وحسبها قطعة فطن في يد
لنساج وبأن بين البياض والسواد مثل ما بين الناي والنيار ، والوسخ
والنظافة ، وبأن السواد شبيه بالقار :

لونى ابيض اكما العاج ■ بدى اكما مثل بيض اسحاح

بين لياض وبين لسواد ادراج ■ مثل ناي نيار لساح

انظر فكرتك فالتوب المجبوب ■ صاحب لياض محبوب

وما السواد من راد ينسقى ■ باطل كذاك يشقى

وانت لونك يحكى لمار ■ وادنيث (I) يامودا تعاندينى

فتجيبها السمرء بأن لونها كلون الخمر في الزجاج وكما الذهب يكتب

نه - ، أما العاج فليست تنقش به غير القنابق ، وهي البياض خمسة
كلها بارد وثقيل هي المنح والحير والرخام والعاج والقداد (I) ، تداس
محموسة الثمن بالاقدام ، وليس يسام غالبا غير الاسمر كالعسل والمسام
والمسك والعسر والتبر والبرهمان ، ولولا السواد في العين ما نظرت الى الدنيا
يشرق اكما الخمر في قطعان الزاج ■ نسما وطيبا واعلاج
وبماء الذهب كيثكتب التاج ■ ونفش لقبعب العاج
ماريت افلبياض سوى خمسا ■ معروفين بالثقل ولبراد
منح وجير به تكسا ■ وارحام وعاج غاليبض اقداد
مبخوسين او فلها بخسا ■ تحت لقدام ايجرعوا الكاد
وارماعت لسوام * تعرف للاسمر
شهد لعسل وامدم * واسمك والعنبر
والتبر حين يفنام * وابرهمان لحر

لولا السواد فالعين ■ ماترمي الدنيا
ونخر السمينه بانها ان جلست اشبهت جيشا وان مشيت تبخترت
كمركب محمل موسوق ، جمالها شحمها والشحم معشوق ، لاتحتاج الى
رداء او كساء ، ولحم السمين لذيق في حين ان لحم الهرير مذموم مردود
ليس غير عظام وجلود . واما النحيقة فكالقطعة يبيت زوجها في قنط وهم
ونكد كانه يغسل الموتى لايلمس غير العظام والجلود ، وهي تستغرب له
كيف يذال منها مقصوده :

نمشي مثل المركب الموسوق ■ ويذا نجلس كنى امحلا
زيني شحمي والشحم معشوق ■ مانحاح اردا اولا اجسلا (2)
لحم السمين ملذوذ ■ واما لهزيرل مردود
مارج اعظام واجسود

وانت يارقيا مثل القطا ■ زوجك انراء افقنطا

(I) لم يصح لنا معنى هذه الكلمة

(2) الكساء

أبيات في مرتباً ❁ هائم اهيم مكد
بغسل الموتى ❁ يلمس اعظام وجلود
عجنى وكيف حتى ٢٥ يبلغ امعاك مقصود

فترو. النخيفة بأنه شتان ما بين الغرلة والناقعة ، وبأن السيف لولا
رقته ما قطع ، وبأنها لطيفة طريفة الطمع . أما السينة فلا طعم لها ، يكفي
أن يعرق جسمها قليلا ليحمض :

كان هي لغزالا تشبه الجملا ■ او املحضور اتجلا

...

وامن الرقا السيف كما يقطع ■ ويشطر كل من صادف بدنو
منى عما اللطافا ■ والطبع والطرافا
ياصاحبت لغلاف

وانت باسلا تشبه للزقا ■ تعاض ابطل عرقا
وتفخر الطويلة بقدها الذي يغار منه البند والرمح ، وتشبه القصيرة
بكيس كالسلاحفة الملتصقة بارض او الفردة تتدحرج في مشيها ، وتستشهد
بما يقال من أن الكامل الوافي في الناس لا يغدر وأن الناقص مستعد للغدر
وأن الكامل من الثياب يستر والناقص يكشف العورة :

نطقت الطويلا قلت بالشدا ■ مثلي ايصول بالقده
منى ايعير بين القامات البند ■ والرمح كيف ينحد

...

ومانت ياقصيرا خنشا ■ مثل الفكرون فالراب يحبو
فمشيك اندردب ■ كنك قمردا

اسمع قول الناس واستعبر ■ واتأمل فيه انخبرك خبرا
الوافي بالناس ما يغدر ■ والناقص تزيان لو الغدرا
والوافي فالثياب كيستر ■ واللى ناقص يكشف العورا
فترو القصيرة تشبه قامة محاورتها بقامة الزرافة وبأنها تدور
كالمروحة حين تهب الريح ، وتفخر عليها بأن السهم على قصره يذهب ابعد
من الرمح ، وبأنها لا تكلف زوجها كثيرا في اكل والملبس فيبيت لرحا ،

وبأن في القصر النقاء والطلاوة والذكاء وخفة الطمع ، وبأن الطويلة سرعان
ماصيبها الحذب :

بالريح كاتدور مثل الرفرافا ■ ياقامت الرفرافا
السهم شبر هدى ■ حصلت كيودي
اعلى الرمح كيودي
أنا فاكلي واكسوتى نرفق ■ بالراجل والسبتو فرحان
لقصر فيه انقوا ■ والطبع والذكاء
بانت اعليه اطلوا

وتفخر المدنية على البدوية بأنها ليست مثلها تدير الرمح وتنام على
التبن وتخرج لفظ في الصيف وتمخض اللبن ، وتعيها بأن العرب
مكتشفون دائمو العذاب والشقاء ، وتفخر عبيها بأداء الصلاة واقامة مختلف
شعائر الدين وبنقاء الثياب وستر الوجوه :

مانطحن ارحى ما انبات فاغبين ■ مانرمد اعلى التبن
مانحترقو فالصيف باللقطا ■ ماندحاو امع امخض شكوات

...

لعرب مكتشفين ■ فاشقا اكثير واعذاب
واحد الصلا والدين ■ وانقاوت لثياب
بوجوه مستوريين ■ عن لعيون ماحجاب

وتحيب البدوية بأن جمالها معروف يشار اليه لايحتاج الى شام او
سراويل ، يشرق جسمها كالياقوت او الذهب ، وهي ليست كمعيرتها صفراء
بوشك أن تموت شبيهة بأعشاب الظل سرعان ماتذب حين تهب الريح .
ثم ان سكان البادية يقضون اوقاتهم في الصيد والحفلات ، يصمرون
الخلوات ويؤمنون الخائف . ومن راح ضيفا عندهم لابد وأن يبيت ،
يتنافسوا في الفروسية واقتناء الذهب والخيول ولا يعرفون غير السخاء
والاحسان والكرم والصدق :

العربيا زينها منعوت ■ ماتحناح الشام اولا اسراول
وامدنها يشرق اكما الياقوت ■ او الذهب النايير الشعال

وإما أنت يا صغرى فربت الموت ■ اربيع لطن ابلهوا يدبال

...

بالصيد والعرجات ■ كتطلع الارمان

وانعمرو الخلسوات ■ واناصو الخوفان

واللى ايروح ايبت ■ من ساير الصيفان

نتعانده عل لكادا والمركوب ■ ولندعم سوو لرتوب

والسحا ولحسان ولكرام وصدقا ■ نزلوا جميع رفقا

وشحر العجوز على الشابة بانها لم تعد تند فأراحت نفسها وزوجها

من هم الرضاع وبكاء الصغار ، طعمها لذينه يشبهه ، يدوى شبيها بطعم

التين الذى لا يحدو الا بعد يمسسه ، ثم ان القادة والفرسان لا يركبون الجذع

الصغير ويفضلون عليه الفرس المكتملة يذهبون بها للمبيت فى أى مكان :

اقطعت السولدا واتهنيت ■ واتها زوجى وصبت امانى

ماكسب غير الزبون فالبيت ■ ماعندى مصاص ولا زواى

...

طعمى الذينه وابنين ■ للسائق فيه شهوا

...

ماكتراشى (١) التين ■ يحلا اذا يلوا

...

القدوات اضراغم الفرسان ■ افرسان الحرب والحملات

ماقط ارضوا يركموا الجدعان ■ قالوا بك فامثالهم كلمات

اركب كارج ايبيتك فرحان ■ لاي ماعولت به اتسات

فتجيبها الشابة معيرة اياها بالتجاعيد ، بدعوها للنظر فى عينى

واسنان كل منهما ، وفى جيدها الذى تغار منه العرلة ، والوجه المضيء

والجين الوضاح وثغرها الشبيه بالشهد وريقها التسميه بدمام معسول ،

أما العجوز فان طبعها شرس فخر وكذلك قولها والفعل ، كما أن السم

يخالط جسمها ، وريقها مهلك ، ثم ان الناس لا يمدحون غير الفنى الصغير

سواء فى نبات أو مأكول ، أما غيره فيحطب وتوقد به النار ، ومعروف ان

العجائز لا يدخلن الجنة (1) ؛ وإن الكبير مذة ومرض أول منه القبر ، وليس بحمه الكبير في غير الدنانير :

قالت لها الصغيرا كيف تشبهني ■ بإكما شك المتنى
انظر اترا العينك وانظر العينى ■ وانظر اترا السنك وانظر السنى
والعيد منو غارت الرشا ■ والوجه ايلوح ولجين اصباح
والمرشف شامد وبغشى ■ والريق امدام فى اعسل لجباح
طبعك اقبيح امسوس ■ فو لك امع افعلك
السم فيك ممدسوس ■ ويعك كيهك

اجميع ماهو افتي مشكور ■ فاجميع انبات الارض والمأكول
فالقاح الارض كلها واشجور ■ كل فتي منها ايصول وايقول
والشارف يحطب بالشاقور ■ يصلح للنار اشهير معقول
واللى اعحوز فطعى ■ ماتدخر للحا
لكبر فيه امذلا ■ ومرض اعبر علا
لمبر به اولى

ماهو لكبير اميخ الا فالمضروب ■ مسكوك اموهوب

ملاحظة :

بمد ولوع الشاعر الشعبي بفن الخصام انه لم يقصره على الاشخاص
والما تحيله فى النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون . وقد سبق
أن عرضنا لخصام بين الورود والازهار (2) ، ويريد ان ننف قليلا عند
ألوان الخصام الاخرى

فمن الخصام بين الطيور ما يقدمه محمد بن على المسفيوى فى البستان
حيث يعرض لمحاورة بين أم الحسن والكنار . فأم الحسن تنهم الكنار بأنه

(1) إشارة للحديث النبوى الشريف «اما علمت ان العجائز لا يدخلن الجنة»
يعنى انهن يدخلها شابات

(2) انظر الفصل الاول من هذا الباب

يحسدها لجمالها ويعيرها بين الطيور ، وبأن محاولاته في التقرب اليها
لن تجديه ، وسيظل جسمه يحترق بنار الاكدار تبدو آثارها على وجهه
النابل المصفر من هجره لوطنه ، فقد أصابه الغرور وحصر الى بلدهما
يسعى الى المجد ولكنه لم يدركه ، وهو شقي أسير مقصوص الجناح مسقوم
الذات ، ومع ذلك يريد ان يبرز عليها ويتفوق :

ابغضتني واشمتني بالعار من لطيور

ليس انفعتك في امحبتى تحزار

مكواك في جسمك نار

ومن لكدار

عن جسمك لون الضنا ولصفرار

ومن لفرور

جيت لبلادى ولا دركت شان

ولا عمرت بك اوطان

فى كل آن

تصفار وتديال ابلهجر يرقان

.....

طول ايامك الفلشقا امع السجنان

أسير عمام الجنحان

حتى لبيدان

مسقوما وانت اعول يا ولهان

عننى اتران

ويجيبها الكنار بأنه يعذر في حاله لان العشق وهوى الفاتنات هما
سبب الهموم الساكنة في جسمه ، فقد اتى به صغيرا من بلاد العجم
وأدرك مقاما رفيعا لترثمه بالانعام في أوقات السرور والهناء ، حيث يتصدر
مجالس الانس كالسلطان تحيط به الفاتنات والفتيان ، يهديهم الحسان
ويرحبون بأنعامه المتفنتة :

دار لهموم لوكان اتعرفى الساكنة الفلجسام

فامصايب لعشق واعرام

بهوى اليريام

اتعذرى حالى اولا تزيد اكلام

ليا اتروم

جابونى ونا صغير من لعجام

وادركت اعلو وامقام

طول الدوام

كانلاغى وقت لهنا ابكل انعام

ولا انعام

.....

تمقانى وسط لبساط كالسلطان

بين اليريام وشبان

نهدي احنان

واكذلك فى شغلى ابغيت اليتقان

قالوا اهملان

وتنطق ام الحسن بعد هذا تعيره بان قلبه نى حريق وضيق ، لم

يجد من رفاقه من يشفق عليه ، اخذ بهيلة وسجن وعزل عن وطنه ، لاصديق

له بين الطيور ، هائم فى قفصه دائم الظم والجوع متغير الالوان

قلبك امن اجفاك احريق

وانت افضيىق

ويحك ما صبت اليوم قلب اشفيق

بين الرفاق

سجنوك ابحىلا اولا ايليك تدريق

مالك فالطيور اصديق

ولا ارفيىق

عن وطنك معزول ماتعرف الطريق

.....

وانت يا عجمي اعلى لبدا ظمان

بالجوع النحيف عيان

واعلى اللوان تختلف وانت افلققص حيمان

وسط لمعان

وبرد الكنار معيرا محاورته بأن وجهها أسود كقبتها ، تخرج نسي
الليل شبيهة بالجان :

وجهك اكحل ابحال قلبك

وايلا ايبان الليل تخرج انت من لظان

امثيل جان

ثم يتدخل السمريس ويصلح بينهما ذات البين

ومن الحصام بين الجمادات ماذهب اليه حيل الحاح محمد بن

عمر المراكشي حيث تمثل حوارا بين القلة والغراف في قصيدته التي يقول
في حريتها :

انصام اكثير افاهمين نوضح شلا يوصف ■ والكلا والغراف ■ داروا
باتنين احصوما

باتوا فالمعيار ماارتاوا اولا هم قصصروا

وفيها يقول على لسان الغراف يعير القلة دون خوف بأنها غدت زائدة
لاحتاج اليها بعد ان استغنى الناس عنها بالخوابي التي تملأ بالماء وتبخر
بالعود ، وهي لم تشاهد الركوات المختلفة الاصناف تحمل في همة وشان
مببخثرة على البغال لتملأ وقد وقف عندها الحراس :

نسمع فالغراف ■ قال فاجوابو ولا خاف ■ للكلا فالتعاف

شيظت يامدموما

لخوابي بالما كايعمرو ■ بالعود تبخرو ■ ماشمت ركوا اولا انظرت
عمرك وقاف

عندو ركوات اصناف

دركوا هما واحكوما ■ دايم عل لبغال كيعمرو ■ بالما يتبخثرو

وترد القلة بأنه اولى بالغراف أن يخجل وقد استغنى الناس عنه

عراريف الخزف والبلور الجديدة (I) المحيرة ، تشبهى العين ان تراهها
زينة فى الدور الكبيرة تقدم فى المناسبات ، أما الغراريف مثله فملقاة فى
- - - - -

من شيط يا عراف ■ من شيط يا عراف ■ مساجاتوشى
حسونا

ماشاف اغراف ادلبديع وبلار ابخرو

عشاما ههما تشوفهم فيهم مايتشاف ■ عسا عسا عسا (د) عسا
اكسر عسونا

فى سماعت لفراح سنا (د) عسا عسا عسا

عسا عسا عسا مايبين اشقاف ■ عسا عسا عسا طارت
عسا عسا

بركوه استغناو ابغراف د عسا

د عسا انواع لخصام بين مظاهر الكون مايجع ، به العيساوى الفلوس
فى عسا ، المحمة لنى تصور الصراع (4) عسا عسا بين الليل والنهار ،
يقول فى حربتها :

سمنوا عسا عسا لضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكام

وانصار الضى وحازها الرسمو وانزاح الموم

وهى فى الحقيقة قصيدة رمز الشاعر فيها بالنجمة لبحرسة وبالليل
بالسهم ، وبالنهار للوطن ، فقد اشتد حزن الليل وبكاوه وأبيه وطال
به لسه ، وساله قومه عن سبب حاله فأجابهم بأنه خنفاء النجمة وهجرها

اسمود فى المحاورة الغراف المصنوع من الفخار

(2) الكلمة من الدخيل الفرنسى ، بمعنى جديد

(3) بمعنى زينة وهى من الدخيل

عسا عسا فى الفصل السابق ألوانا من الصراع بين بعض مظاهر
الكون وخاصة بين الليل والنهار ولكنه لم يكن فيه خصام وحوار
كهذا الذى تمثل به

له ، واستغربوا لذلك وقد ضم تحت اجنحته كل النجوم وطلبوا منه اسمها
ونعتها فرد عليهم بأنها الحرية لاتخفى ، يريد أن يذهب اليها فى أى أرض
أو بحر تكون ، فقالوا له انها كانت من قبل فى القيروان ؛
والليل أقروا حزنو من الجفنى ■ كيهدر ويزيم ■ قالوا لو ناسو اشبيك
خبرنا يالهمام

قال لهم النجما اخفات عنى ■ واهجرت النوم

قالوا لو جمع النجوم ■ تحت اجناحك لفحيم

واتقول النجما اخفات لك يا صاحب لحكام

ورالنا سمها ونعتها لاتبقى مهموم

قال الحريا ابلا اخفا سماها لعظيم

فشمس ارض اتكون اولمافا بحور وسام

قالوا فالقيروان قاطنا كانت قبل اليوم

وذهب مسرعا الى القيروان وسائر بلاد تونس فلم يعثر لها على اثر ،
وبعث جواسيسه يبحثون عنها فى كل مكان ، وطالت به السنون ينتظر
وهو مهموم حزين ، ثم جاءه الخبر بانها فى حوزة النهار حيث يوجد سلطان
فى المغرب يمتطى جوادا منجما مستعدا بجيشه للقتال ، فتاقت لها نفسه
وهيا جيشه كذلك ، وكانت مقابلة كاد فيها سلطان النهار ان يأتى على الليل
بسيفه ، وحاطبه بأن طالب الحرية يبغى ان يكون فارسا مقداما وانه هو
صاحبها منذ اليوم :

جاو الجساس جمع قالوا لو يالغريم ■ جينا خبر النجما انيا فارس ضرغام

حاجبها مير الضيا افرسمو وانت مغموم

اوجدنا سلطان فالضيا دون شكا فالغرب امكيم ■

وجندو للحرب واجدا بالرمح والحسام

واهمام الضى اشجيج عن اجودو امسرج ملجوم

قال السداح ابغير توقار ■ لا بد ما نحور النجما بسقارو

وطال الحرب قليل وانهار ■ عندى اجنود هما لدحرب اصهار

فام الضى ابسياف بشار ■ واهوا على الداج كاد يقطع اتارو

وخرج سلطان الضى للوعى بدا يا لبهيم *

من راد لحرىا اىكون فارس حروبى زطام

انا مول السجما اليوم ولا من بعد اليوم

ورضى الليل بالهزيمة وسلم أمر النجمة للنهار الذى عفا عنه وامره

بالرحيل ، ولكن الليل امهه ورجاه أن يكون له عبدا يخدمه فى كل شىء ،

موافقه النهار ، على أن تعقد بينهما شروط تحدد مدة اقامه وتعود على

البلد بالخير (I) :

نطق الداج وقال للمضى انا لك اخديم * وانتظم لحوال كدها كعادت لغلالم

أمر بجميع ما تريد انعمو محتوم

وادوا الضى وقال للدجا هذا الامر الزيم *

خبرنى لصلاح ارضنا شيقدك من عام

قال هك هوام ياها بالشروط المبروم

ولكن الليل لم يلبث ان تنكر للاتفاق وغدا يحشد جيوشه ويقوى

مركزه فى الساحل والداخل ويكسب له اعونا يتقوى بهم ، فما كان من

سلطان النهار الا أن ارسى له كتابا يستفسره عن هذه الحشود ، فأجاب

الليل بأنه يسعى بكامل استعدادده لحياسة النجمة التى طالما بحث عنها

ولافى اهموم والاهوال فى سبيلها ، ورد النهار بأن نجم الحرية فى أرضه

مند ألف عام كما يشهد التاريخ :

احرك الليل وجا على لبحر كيرحل ويقيم *

وازل بالساحل كيف ماذكرت وزاد الفدام

واعمل صدقان احدها واصبح شملو ملوم *

واخرج سلطان بضى فى امجال كفجر ايسيم

وارسل للداج اكتاب بالهواب وحسن لنقام *

قالوا شتريد افارضنا لاش جمعتي د الفوم

وادوا لبهيم وقال جيت للنجما بالتقويم *

هذى مدا جوال عنها فالعرب وعحام

واحجبتها عنى وحجها خلای مهموم *

(I) اشارة الى عقد الحماية المبرم مع فرنسا سنة 1912

خبرنا بالنجما التي اعشقتني حتى نهام *
وانطى سلطان انضى للدجا قالوا يا ثيم
قل: الحريا اعراهما في قلبي مرسوم

قال اهمام الصي للدجا ياك الكذب اديم *
نعم الحريا افارضنا هنى الف عام
طلع لتاريخ العرب شاهد اعيننا كم ارسوم *

وهيات الظروف لبيل فحكم بسلطانه البلاد مستويا على خيراتها
طاغيا ومتجبيا ، يقتل ويسجن ويطرد ويشرد ، واحس النهار بقومه ثابتن
واعين لقصيتهم فدعاهم الى ضرورة الاستعداد للانتقام وتخليص البلاد من
الدين الخائن ، فاستجابوا ، طائعين لاوامره واعتبروا انفسهم حماة الشعب
مستعدين للتضحية بالارواح ، واعترف لهم سلطان النهار بهذه الشجاعة
المعهودة فيهم يوم البراز . ولكنه نصحهم بان ينهضوا للتعليم وان يطيعوا
راى زعيمهم :

فاق اهمام انضى بالدجا خوان امن اقديم
واثبت اليخلاص امن اقوامو وافجا لغيسام
واعرف ما دار الدجا من مكر يله مصيرم

واخرج من احجاب لمكباج ادمجرم هوزيسم
نار اعلى قومو الخالصين ايتسمو لجمسم
بلسان الحال ادوا وقال لهم اليوم اليوم

قائوا قوم الصي لاخفا قولك قول احكيم
احنا لك ارعيا اهلا اشتر الركابك خدام
امرنا واتشوف منا ما يفحى اهموم

نحن حماة الشعب دون شك حادم واخيرم
نحن لشبال اشهود عندنا قاتاريخ العام
ليس انبخلو بروحنا اعلى ذا الشعب المضيوم

قال امام الضي للرعييا بلسان احليم
لديكم افساعت لوغام تخشوا آلام
انتم المخلصين امن الصبا مانا جاحدكم

الذي جدد وصممي يعضو شعبه —
تبعوا ربي الزعيم صاحب المنكر : اهتمام
عملي ربحي وارزاقكم عند المعارف في قوم



الفصل الرابع

في

حمى الله والرسول

ليس غريباً والشعر الشعبي مرآة تنعكس عليها نفس منشئيه
ومردديه ، وإن في غير وضوح وصفاء ، وليس غريباً كذلك وهذا الشعري يقوم
بوظيفة — ولو محدودة — في نطاق التوعية الروحية والتعبير عن شعور
انجماهير الديني ، أن تكون المداخل النبوية والتوسلات من أغنى الموضوعات
التي شغلت ذهن الزجال المغربي وملأت قلبه وعقله . فافاض في القول كاشفاً
عن خالص حبه للرسول عليه السلام ، مادحاً ومصدياً ومتوسلاً ، ليس له من
غاية غير زيارة قبره واسمى بمشاهدة نوره عساه يكسب عطفه وينال شفاعته
ويحشر في زمرة يوم القيامة .

وقد سبق أن رأينا في أول الفصل السابق أن الشاعر الشعبي
انبعد عن فن المدح إلا ما كان منه في الرسول عليه السلام فإنه انطلق
فيه ، إلى حدان تسمية المدح أو «المداحي» لا تعنى عنده غدير المديح
النسوي .

ولم يكتف الشاعر الشعبي بارتضاء القول في المديح النبوي ، وإنما
جعل منه فنا قائم الكيان ناضج الصور مكتمل الخصائص ، تناول فيه سيرة
الرسول بما فيها من صفات وشمائل ومعجزات ، عرض قصصها في قصائد
أطدق عندها المعراج و «الخلق» أي ميلاد الرسول ، و «الوفاة» يعني وفاته
عليه السلام . وقد يتناولها عرضاً في قصائد التوسل والقصائد التي سماها
« حول القيامة » حيث يتحدث عن شفاعته الرسول في أمته ، وفي قصائد
الحنين إلى البقاع المقدسة والشوق بزيارتها ، وهي قصائد يمتزج فيها
ذكر هذه الأماكن بالحديث عن الحب والوجد . كذلك غدا التوسل غرضاً مستملاً
معصوداً لذاته مستوية معانيه ، وإن أتى عرضاً في قصائد المديح .

وكما حبذ مدح النبي فكذلك حبذ مدح ابنته فاطمة وحفيديه الحسن
والحسين ومدح الأولياء والصالحين تبركاً بمقاماتهم وكراماتهم وتوسلاً
بها إلى الله .

وكانت المواسم الدينية - وخاصة ذكرى المولد النبوى والمولد
الطريقى - أعظم مناسبة لانشاد هذه القصائد . وكان ضربج سيدى فرج
بقاس ، منذ منتصف القرن العاشر (I) حتى اليوم ، من أهم ملتقيات
حفاظ الملحون فى ذكرى مولد الرسول ، تسرد (2) فيه القصائد التى تحكى
قصة أسيرة وخاصة منها المطولات التى يندر تداولها ويقل اقبال الناس
عليها ، والغالب ألا تبقى فى هذا المحفل غير قصائد كبار الاشياخ أمثال
المغراوى والنجار وابن على وغيرهم من أعلام الفن .

حب الرسول

عبر الشاعر الشعبى عن حبه الصادق للرسول ، فبدت فى تعبيره
بعض سمات الحب المعروفة فى شعر الغزل والفراق والهجر والحنين والبكاء،
تعلوها مسحة من روحية المعنى وسمو العاطفة ، وتخللها بعض الانفعالات
والمواجيب البسيطة الساذجة .
فحب الرسول عند النجار علاج للقلب لا يستطيع طبيب أن يداوى
بغيره :

يا مسعدنا به حب للقلب ❖ علاج لا امداوى من غير ادواء

اشتعلت نار غرامه واتقدت فى صميم مهجه فلا يطفئها موج البحر
انزاهر لو فاض ، وبكت عينه من الشوق حتى رسمت دموعه سطرين
على الخد ، وعاب الخوم عن عيظه فى كل وقت ولم يعد يستطيع الاكل من
سقم والهيام ، وهو يطلب ممن كواهم الشوق مثله ان يعذروه ، ويرجو
أن يمنح نظرة فى الرسول نور الحق السامى لانه علاج دائه :

شعلت نار اغرمى ❖ واكنات فى اصميم امهاجى قبل الصيام
موج المحر الطامى ❖ لو فاض لاصفاها بالدجل والديام

(I) انظر فصل الاول من الباب الثالث لدى تعليق على قصيدة ابن عبود
المعروفة بـ «الحربى»
(2) انظر الفرق بين السرد «اسراة» والانشاد فى المدخل .

واكتب دمع انيامى * سطرين فوق سحن (I) الوحن بن لجا
 بعد احقيت امنامى * فالضى ولغياهب واصحى قوتى اصيام
 عسرونسى فهيامى * امن اكواو كيفى واكماو اعلى السقام
 نرجسا طب اسقامى * اءح الطر وانموز بطب اسرام
 نور الحق السامى * صلى اعليه ربي وعلى آلو اكرام
 وابن على فى « جل الصلا مهديا » يعشق الرسول ومقامه منذ صباه،
 ولكن البعد يكيد له ، فهو فى حالة يرى لها من شدة السهر ، وقد عظم
 الفراق جسمه وأوهن قلبه ، وفاضت دموعه حتى ان غرفة منها تفوق
 الامطار . وعبتا حاول أن يخفى هواه ، فان عليه شواهد تكشف عن اسراره
 المدفينة ، اذ لا ينفع فى الهوى كتمان . وعرف أهل الغرام داهه ، ولكن لا
 علاج له غير زيارة كنز غناه ومنبع سروره وسلواه :
 عشقى امن الصبا فقامو والبعد كد لى والبيسن
 لحال حالنى مدالى نرعى اكواكب الديجان
 همد لفراق ديوان اسيارى ولخبير (2) صار اوهمين
 غرقا امن ابجور ادموعى ولا عوارض من امزان (3)
 اشحال ما خفيت اهوايا والدين الفلمهاج اكبن
 خبرو اشواهدى بسرارى ما فاد افلهوا كتمان
 وهل لغرام عرفوا ديا مالى اطبيب فالبريسن
 الا اوصول كنز اغنيا هو السرور والسلوان
 ويعبر ابن الوليد عن حبه للرسول بأن فيه عز روحه وهواه :
 آه اعلى بهواك * يامن روحى فهواك عزها واهواها
 وقد تمكن الغرام من كبده وسكن الحب جسمه ، وهو حب خفى ،
 ولكن مرضاه كثيرون ، اصابه فشقيت اعضاؤه وحرمت عيناه النوم ، بقضى

(I) فى الفصحى : السحنة بفتح السين بمعنى الهيئة .

(2) الاسيار المداخل والخبير القلب .

(3) اعوارض امن امزان أى سحاب ممطرة ، وهى كذلك فى
 الفصحى اذ العوارض ج عارض وهو السحاب الذى يعترض فى الافق ، أما
 امزان فجمع مزنة وهى السحابة البيضاء او المطرة .

لديه من الاشواق في مصارعة الافكار والهواجس ، عيناه ترفرفان وجوارح
قلبه ترجو الوصال :

وانت الي اغرامك ذلك اطنابو اعلى اكسادى
والحب ولمحببا ساكن لعضا
راحف وكثير المرصى
سعن واحرم العمصا
سباق عصا

رسات من اشواقى فالنداج نصرع لعزائم
والغير فى امامو متهنى كيبات نايم
عينى اتبات رفرافا
واحوارحى وقلبي ترجا لوصال ليل وانهار

والحراق يخاطب محب الرسول ان يفنى فيه اذا اراد أن يتم له
الوصال ، ويشهد نور الحضرة المحمدية ، ويرقى سعده على جميع الاكوان
حتى يغنيه عنها بنظرة واحدة . فمن كان هذا الحبيب نصيبه فهو يشفى
من كل الاسقام والاضرار ، وتشرق شمسوه واقماره وتأتيه البشائر فى
كل وقت وحين :

يا من ابغى اوصال احبيبو * افنا اشموف نور الحضر.
وارقى عل لكسوان تصيبو * بفيك عنهم ابظرا
من كان ذا لحبيب انصيبو * من كل بس حالو يبرا
تشرق اقلقلوب اشموسو واقمارو * وتحيه افكل وقت ابشارا

اما الغرايلى فيشقى عقله من الحب ويشتعل جمره فى ذنه ، ولو
فاض موج البحر لما اطفأ نار اشواقه . من ذاق طعم الهوى ينصفه ومن
لم يذق لا يعذر ، ليس به غير حب الهادى ضوء عينيه ، فهو يتمنى أن
ينظر اليه :

آه على بحب عقلى شاق * وجمدر المين اكادات فسفاني (I)
ألو فاص ابوجو بحر دفاق * محال ايمرد نار لشواقى
ما يعذرني فهو من لا ذاق * والى ذاقوا يعطوا تحقواقى
حب الهادى ضى لرماف * من نظر فمها برماقى

(I) اتقدت فى دواخله .

وعنده ان حب الرسول ملك الروح والعقل والاحشاء والاكباد ، وترك عيونه «باهرة ودموغة سائبة» ، وليس يثمنى الا أن ينال غاية مراده ويرتاح مزاجه المكدر ، وهو ممدوك يريد ان يكون فى كنف سيده حتى يعيش فى رغد وهناء ، بل انه يهرب من أخطائه يريد اللجوء الى حماه كما تفر من أعدائها العيس والغزلان :

حبك املك الروح ولعقل واحشايها واكبادى * وانجلى (I) بدموع ساهدا
هل يا مدرا انال بها عابت امرأتى * وترى اخلاكى الناكدا
آش انلا المملوك دون سيدو فحماء ابغادى * دينال العيشا الراغدا
اهروبنى لحماك امن اخطانا ما هرب الشادى * واعيس الى ظلمت لعدا
واما القدوس فحب الرسول عنده فرض على المسلمين دائم باقى ،
به يروق اهل الايمان ، وهو رونقه وحلته لمنقة ، وهو يقوى شوقه ويرى
المشتاقين ، بل ان حبه كان سابقا لوجوده مسجلا فى صحيفته بقلم القدر .
ويرى أن كل من لا يمالا قلبه حب الرسول فهو عامى الابصار غارق الذات
فى بحر اللهو ، هائم فى الشقاء ، تمزق ريشه أعضاءه :

حبك فليسلا مفرص باقى عن كل اخلاقى * به هل ليان رايقا
حبك يا عين لوجود عندى هو روناقى * واحول اكساتى امنقا
...

حبك يا سلطان كسل تقى قوى تشواقى * به اروا اقوام شايقا
ونا قبل انكون كان حبك سابق فوراقى * بفلام القدرا الصادقا
قلب الا سكنو اهاوك باقى عامى لرماقى * داتو عل ليام غارقا
فلجوج المنهو لقصف حى هام افلشفاقى * واعضاء ابريحو امزقا

اوصاف الرسول وشمائله

وانطلاقا من هذا الحب الصادق العميق غدا الشاعر الشعبي يستعرض
أوصاف الرسول صلوات الله عليه يقتبسها من شمائله وخصائصه المعروفة.
وهو عند الحاج اعمارة غاية الجمال الهاشمى القرشى المدنى ، حبيب الله ،

(I) العيون وأصلها فى الفصحى من النجل بفتح جتين سعة شقة العين.

وفرة الانصار ، وعين الهدى الهادى ، ومصباح الانصار ، وعين الرحمة ،
وسيد السالكين .

زين الزين الهاشمى القرشى محبوب البارى
المندى قرت لبصار
محمد عين لهذا مصباح انصار
عين الرحا سيد امن اسرا
وهو عند المغراوى فى « عين الرحمة » سيد الرجال المصطفى صاحب
الشفاعة والخاتم :

ازغرتى ازغرتى (I) اعلى المصطفى سيد الرجال
عين الرحا صاحب الشفاعة والخاتم طه
وهو جميل الملامح مشرق الانوار ، المخصوص بغاية الكرامة ، جعله
الله رفعة وشانا وبعثه رحمة :

هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف صلى الله عليه
لازم اعلىنا انحمدو اسم القيموم ابدى لكسوان
وانصلو اعلى الرسول شارق لنسوار انينا
المخصوص ابغيت لكرام جعلو روعا وشان
من بعثو رحا اوحد من فضلوه به اعلىنا
وهو تاج المرسلين وخاتم الانبياء الكرام ، قدره كبير لم يحصر
وصفه اكبر العلماء ، سبجان من خلق صورته وكساه الحسن والكمال ،
ومنحه الحرمة وعلا درجته الرفيعة ، والنظرة الى جماله لا تغدى بمال ، وكل
من عشق غيره لم يعن غير الهول واللهو :

من مدحو يدخل تحت ظل يوم القيامة
لنو تاج المرسلين وانهايت لنبيا لكرام
قدرو اكبير ما سمى وصعو علما
سبجان من اخذق صورته واكساه بالحسن الكمال
اعطاء الحرما

(I) زغردى (انظر آخر نص بهذا الفصل) .

ادرجتسو العليا علاها

نظرا للعشاق في اجمالو ما تفديها امال

هول راسو كل امن اعشق غيرو كيتلاها

وهو عند النجار سيد الدنيا ووجيها ، صاحب المعراج وخير الاولين

والآخرين ، ليس بشابيه أحد :

والقدار اجفيه واعلم سيد الدنيا اوجيها من لا حد سواء

طه مول المعراج خير من ياتو والى فساتو

انه المفضل طه خير الانام .

نحسن به اختامي * محمد لمفضل طه خير الانام

لا مثيل لجماله ، ومادحه لا يخيب ولا يهمل غزله :

حسنو مالو ثاني * حاشا ايخيب مداحو غزلو ما يبور

وعند النجار كذلك انه صاحب التاج واللواء والخاتم ، وانه سيد

الابرار ومشرق الانوار :

لمفضل سيد لبرار * طه شارق لنوار

صلوا في المختار * محمد مول التاج واللواء والخاتم

ويصفه ابن علي بانه صاحب الكرامات خير النسب على القدر :

واثنى بصلات لمفضل محمد صاحب الكرامات بن عبد الله

خير النسب اوعلى القادر

وهو الشفيع انذى جاء بالفرقان ، وعين الهدى وسيد البشر .

صلى الله اعلى اشفيعنا من جا بالفرقان عين لهدا رسول الله

يا عشاق افسيد لشمر * عيننا في اصلاات لمفضل طه

وهو عين الوجود ، لولاه لما كان آدم او اى مخلوق ، ولما وجدت

ارض تسكن او قفر خال ، لولاه لما ارسى الله الجبال ولما وجدت بحور

بمواج تصوت كالرعد ، وبمجايب في أعماقها تفوق لكثرتها ما فوق الارض

وما يعطيها من موج ، لولاه لما كانت السماوات والافلاك تملأها الملائكة

تسبح بحمد الله دون انقطاع ، ولولاه لما كانت العجب والكرسى والقلم

والعرش :

ولا عين لوجود ما يكون آدم ولا يكون حتى مخلوق معه *
 لا ارض اسكان لا اقفر * ولا كانوا اجبال لجبيل ارساها
 لولا عين لوجود ما تكون ابجور ابساج كرعود اترنم نماء *
 واعجائب قوسطها اكثر * من فوق الشرى او موح اعطاها
 لولا عين لوجود ما تكون اسماءات اكل فلك منهم بملاك املاء *
 منم فليس ابدا ابلا افتقر * في تسميع لله بصوات الفاها
 لولا عين لوجود لا تحوب الاكرسي ما يكون قدم ارمرو نهاء *
 منم باسم الله فالسطر * باسم عين لوجود مقرون امعاها
 لولا عين لوجود ما يكون العرش افعضت استعجب مهيا تنشاه *
 خلق الحي عالم الامر * اسمع ادوار به دارت معتاها

ويستعرض ابن علي بعض خصائص الرسول ومعجزاته ، فهو صاحب
 الشفاعة ، وهو الذي انشقت له الارض وحضرت الملائكة بين يديه ، وهو
 المؤيد بالعز والنصر ، رضي الله امته للنعيم ، وهو الذي كانت تسجد
 الملائكة لضيائه كوكبه حين يسطع ، وهو صاحب الاسرار والمعجزات من صفوه ،
 دانت له النحلة ليحني ثمرها ، ونبع الماء بين اصابع يده ليسقي جنود جيشه
 وقد اطعمهم من صاع تمر ، وفر اليه الغزال وكلبه الضب ففهم كلامه وآمن
 برسالته ، ودخل الغار مع رفيقه فستر بابه بنسيج العنكبوت وعشش الحمام
 وشجر اليفطين ، وغرس عودا نخر اذابلا فعاد بذكر اسم الله مخضرا واثبت
 سمرا طيبا :

هذا هو صاحب الشفاعة نهل الذوب لكثيرا واعدو بها مولا
 داخل حرمو ما يشوف شر * ونامنو اطلبت لسروح افداها
 هذا هو من انشفت اعليه الارض اجات لو املاك ابامر امن اعطاه
 حويد بالمعز والنصر * اماتو فالنعيم لجبيل ارساها
 هذا هو من كانت لملاك نصر كوكبو حين يطلع تسجد لضيئه
 يولي ايفيب عسل لبصر * سبعين الف سنا ويطلع فوفاها
 هذا هو صاحب لسرائر المعجزات له ظهورا من حال اصباها

...

يوما كان افحالت الصغر * له الفحل اذنات بتمر واجناها

صلى الله اعلى من اتبع من بسين اصباغو الما اسقا جيشو بعد اظها
اطعمهم من صناع امن اتمر * من بركتو اروات والصاع اكفاها
صلى الله اعلى امن اهرب لغزال العندو اكلم الضب افهم الغاه
واشهد لسو برسلت لبدر * واصعد معصوم كان ملقاء اعلاها
صلى الله اعلى امن دخل برفيقو لئغار ولهبون اطلق غزل اسداه
والبقطين اعرفيها انشر * وحمام العش دار بمهر وابناها
صلى الله اعلى امن اغرس عود امسوس بعد ما ذكر لسم الله
رجع لو من بركتو اخضر * واطعم بتمر مختلف طعم احلاها

ويصفه العلمى فى « الشافى » بانه علاج كل مريض ، رفيع المكان
سيد الموالى وقدوة الافاضل ، شريف القبول سراج الهدى وكوكب
المعالى ولطاهر المطهر والصادق لقول :

جند بسوايا يا طب كل معول * يا رفيع الماوى يا سيد الموالى
يا قدوت لفضالا يا شريف لقبول * يا سراج الهدى يا كسوكب لمعالى
يا طاهر لمطهر يا الصادق القول * ادخيل جاهك عمدا له روف يالوالى
وهو عند ابن الوليد الزاد واعون واعز الاهل ورسول الله المختار

وسيد الابوار :

فيك عاد الزاد العوين يا عز الوالدين

انت ارسول الله يا المختار * منك نور لنوار * وانت سيد لبرر
وهو اكامل البهاء :

ياالمصطفى ضيف الله يا المختار * ياكامل لبها نرعى فبهاك
وجد الحسنين :

من يا مضرا لئلاك ونشاهد نور ابهاك ياحمد ياطه يالمصطفى زين الزين
ياجد الحسنين

وهو عنده جميل بوجه أسيل الخد أسود العينين :

انحى ذاك الوجه الجميل ونشف فالخد الاسيل ونزه فالطرف الكعيل
وهو طيب المسك :

الصلا والسلام افكل ليل وانهار * اعينك يا الهادى طيب لمسك

ويمدحه ابن الوليد كذلك تاج المرسلين ، اعطاه الله فمصح
الرحمة للمسلمين من عطائه ، اها ، به تم الاسلام وصحت الهداية يوم
هداه الله وتولى أمره وأجله من نوره ، وعلا درجته وشرفه ونصر به
المسلمين :

وانت لكريم اعطاك * وبرحما من معطاك * للسلام اعطاها
بك يسلم المسلمون صبح اصدق لمبين
صبح لهذا بهداك * انهار الله اهداك * للهدى هداها
ودها في ليلى تشين بك المولى الحسين
يوم الحق اتولاك * من نور اتجلاك * ادرجتك عسلاها
شرفك وانصر بك الدين يا تاج المرسلين
انه سيد الثقلين ، اكرم الله مثواه ورفع درجات مثواه ، وسماه
الزكى بين الرسل ، وقرن اسمه باسمه ، وجعل الشمس تشعشع فسي
السماء بسور ضيائه ، وزدان به الارض والسماء :
اكرم لكريم مثواك * وارفع ادراج ماواك * واسمك بين لرسال الزكى
واسمو مقرون باسمك
والشمس ابنور اصياك * شعشعت فسمها * زانت السما والارضين
بسمك سيد الثقلين
ونه طبيب روحه وعلاج دائه ونفسه ، احسن فيه الطن مدونه ،
جعل الله صلاته فرضا في مجالس المسلمين ، يحدث عنه العلماء ويؤلفون
انكتب فيه وفي الصلاة عنه :

وانت علاج روجي وروح الساكن افجسدى
وانت اصيبيها واعلاج ادواها
فيك حسن الظن اداها
وانت الى الله امر بصلانك فرض لازم
اعلى امجالس أمتك وحدث بك كل عالم

ولفتها (I) الولاها

واكدايا في اكتب المساح امصحح افلسطار

وهو مدد ونور زعر ورحمة للعباد ، وهو العمين الشافع في المذنبين ،

(I) الراجع انه بقصد التأليف كما يفهم من السياق وليس الالة .

من رأى صورته فاز بالكرامة ونال الكرم ، وتزوج الحور فى جنة النعيم ،
وشمى وغفر له ذنبه بالنجاة من النار :

مدر شفقتك نور اعز للعبادى

له الشكر يا جد الحسنى

يا المصطفى ربى الرين

يا الشافع والمدنيين

يا الممين

من شاف صورتك يا محمد فاز ابكرايم

ننال الكرام

وازايا الحور افجنات النعيم

وابرا ارج واتعافى

والله يغفر ذنبو واقبط النجا امن النار

وهو الامام المهدي وخاتم الشهداء وعروس المنك وصاحب اللوا

والحمد ، رقاء الله وشرعه وناداه :

سبحان امن اكرمنا بالمصطفى الهاشمى الامام المهدي

الشفيع لشفيع خاتم الشهداء

الظاهر لمظهر عروس المنك صاحب اللوا والحمد

من ارقى واترقى واتسرف واتبادى

ويكشف الشاعر عن هذا النداء القدسى يخاطبه به الله ان يا محمد

قد هديتك فاهلا بك فى بساطى فسقم وطاه ، ليس لى حبيب يماثلك ولم

اناد لحضرتى محبوبا ، خلقك من نور النور ، فى صلاة امتك عليك

غفران لاوزارها قليلة او كثرة ، جعلتك شفيعا لامتك يوم الحساب

وبدأت باسمك قبل خلق الكون قرنته باسمى وقدرتى وعزتى وكرم

جودى ، من سالتى بك وحدنى فى غاية الاستعداد ، لولاك لما كان عرش

او كرسي او لوح او قلم او نبي يهدى او ملائكة تاتيكم منى بالرشد ،

ولما كانت الاغاثة والجنة والنار والصراط والنهار ياتى فى اعقابه الليل ،

ولما كانت لنديا والبحر والارض والسماء المضبئة بالنجوم ، ولا الشمس

والقمر والكواكب الفريدة . لولاك لما كان آدم والحواء التي خلقت من
أجل العبادة ، ولما كان الايمان والصدق والمسلمون يهدون الى طريقى ،
ولا حياة ولا ملة ولا صبر ولا زهد . لولاك لما كانت الكسب والعموم ولا
قضاء الحق وشهوده وشهادته ، ولما كانت لصلاة والصوم والحج والبركة
الواجبة فى المال ، ولا الفروض والسنن ولا العمل والدين . لسولاك
ما كان الرعد والبرق والمطر والخصب والشجر والطح النضيد ، ولا
الغسل والاستنجاد والعطاء ، ولا الحكم والحاكم والمملك والقيده ، ولما نال
الاشيخ عندي غاية مرادهم بمسحك :

ناداه ربنا سبحانه امن الله وهداه الى الرشاد
قال نو يا محمد هالك ليفاداد
اهلا بك زد اوطا افسطى يا لى ما مشك عندي
احبيب ، ولا محبوب ليضرتي ، ناد
، الى سرور من نور النور تمتك فصلاتك تمدي
اوزارها من قل النفسان وزاداد
انا الشفيخ فيهم وانت الشافع فمتك يوم اسعد
واسمك خالقو قبل لكون ابتدا

...

قرنت اسمى واسمك بقدرتى اعزتى واكرام جودى
من اسأل بك اوجدنى غايت لوجداد
واعلم قال و يا مختارنا الى عند ظن عبدي
يا لمعلم ، كرمتم لجداد
لولاك لا عرش لا كرسي لا لوح لا قلم لا نبي ، عدي
لا ملايك منى تاتيكم بالرشاد
لولاك لا ايفانا لا جنا لا نار لا جسر صراط امعدى
لا نهار او لا ليل خلف ذا افهنا
لولاك لا بحر لا دنيا لا ارض لا سما بمجوم اتكدي
لا شمس لا قمر الا كوكب امراداد

لولاك ما يكون آدم او لا يكون بادي ولا عبيدى
لا خلائق اخلقتهم لاجل لعبىدا

...

لولاك لا يمان الا صدق الا اسلام يهدو النجىدى
لا حيا لا مل لا صبر لا زهدىدا
لولاك لا كتب الا علم الا شهود فالقرطاس اتودى
لا قضا بالحق تزكى اشهود الذا
لولاك لا رعد لا مبيض اولا فبيض لمزن وكم مزدى
لا خصب لا دوح الا طلح لا نضدا
لولاك لا صلا لا صوم الا حج لا ازكا للمال الوبدى
لا فرض لا سنا لا دين اولاكدا (٢)
لولاك لا فصل لا صرخ ولا يكون كف لعطا بيدى
لا حكم لا حاكم لا ملك لا اقيادا
لولاك لا شياخ ابدحك لعزير يا حبيبى ثابت عندى
عكذا بك اكمل لمرام والسودا

ويصفه التركمانى بانه لا مثيل له فى الارض او فى السماء ، فى
الغيب او فى الوجود ، سبحانه الذى انشاء واسعد به امته ، هو
صاحب المواء والحلة والتاج والورد والفرس النجيب ، وصاحب الخاتم
والسر والمعجزات التى لا عد لها ولا حصر . من اجله خصص روض الجنة
رحمة للسعداء وعذاب النار للجاحدين ، لذا يرجوه أن يرأف به فانه
صاحب الاغاثة يوم الشدة . وهو عروس يوم القيامة ، يهرج غمتها
حين يشتد الهول ويستعصى الفداء :

انت والله ما فدرض امثيك افالسما اوجد * وحدك فالغيب والوجد (2)

سبحان الى انشاءك واسعد بك الام الساعدا

انت المخصوص بالنوا والحلا والتاج والورد * والفرس الناجب لمجد
والخاتم والسر أمعجزاتك شتى امشاهدا

(١) الكد والعمل . (2) الوجود ، أما أوجد الاولى ففعله .

انت لجبك كان روض الجبا رحما لمن اسعد * وانار اعذاب لمن احسد
رافا يا صاحب لغاتا عن ذا الشد الواكد

...

انت هو اعريس القياما مشهار الهول والسكد * بين اهل القرب والبعد
ونت فراجها اذا اشتد الهول وعصا لفا

اما القرايلي ميراہ نور كل الانوار ، سرور الصادق الامين ، امام
المومنين ورحمة لاهل الايمان ، وأول الاولين وامام المرسلين :
أحمد يا نور كل انوار * صلى الله اعليك يا المهروز

انت الصادق وانت الامين انت امام المومنين * انت رحمة ربى لاهل لييمان
انت أول الاولين * انت امام المرسلين * واعلا منهم رتباً واعز وشان
ويخاطب الرسول عليه السلام بأن الله اختاره ورفع قدره واصطفاه
ومنحه المعجزات ، لا سبيل الى حصر ثنائه ، لو اخذت الارض صحيفة
والاشجار اقلاما والبحور السبعة مدادا لما وصف الخلق غير عشر معشار
قدره وجاهه ، من نظر الى حقيقته ذهل عنه مهما كان ثابتاً ، لانه بشر
وليس كالنفس ، اخاره في النوراة والزبور والانجيل والفرقان وكتب
تجميعه :

ياهي جعلك ربى انبي مختار * رشح به نبي من سمر لعمود
ان اصطفاك الملك الجبار * بالتمجست به حجج ولسور
سرك واتاك ما يحصار * في كتاب من لمداد مسج بعور
والارض اصحيا والقنوم اشجار * لا وصف الحق اعشور من عذور
في طرب حفتهم بصر * في قول الواسع وانفور
في سار وحس كالمسور * اخبارك انشورات والزبور
والفرقان والاحقر * سرور بوجوه حمدك المبشور
واما الفلوس فيصفه بانه لتقى حبيب الله صاحب الحق لومه ،
وصاحب النور والتاج والسرور .

صلى الله اعليك يا تقى محبوب الباقي * يا مول الحجج الواقف
يا محمد صاحب اللز والتاج ولبراقى * بغرامك لجلال شايقسا
(30)

المسولة

وكان مولد الرسول الاكرم وما يتصل به من أخبار تعكفها السيرة النبوية مادة خصبة لشحنه قريحه الشاعر الشعبي وبعث الهامة ودفعه الى التعبير عن كمين عواطفه نحو صاحب الرسالة عليه السلام ، وتعتبر قصيدة «مولد النور» للغالى الممناتى من أزوع المصانيد التي سجلت هذا الحادث العظيم ، بدأها بذكر النسب النبوى من جهة الاب ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

هذا محمد الزكى قوشى لنسب * ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف اقرباب * بن قصي لدكي «الحدوب» العرب ابن كلاب يوضح بن مر المجتاب * ابن كعب المجذراحت انقلب الكارب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

عالم ابن فهر المذكور بين لعرب * بن مالك بن النضر دون تكذيب بن الكنانة من به لثال نضرب * بن الخزيمة زخار لحسان لعجيب بن المسركا بن الياس در لعرب * بن نزار ونزار الاديب لحسيب بن ايلاد عدنان المختصار * اجود محمد هاذو سرهم سمارى وانتقل الى نسبه من جهة الام ، فذكر انه ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومتوقفا فى نسبها عند كلاب الحمد المشترك فى سلسلة الاب :

أما أم النسيغ من لها بشريف * من بنت وهب بن عبد مناف ابن زهر المرتضى نعم المتصف * ابن كلاب الذى اسراو ما توصف عو جد الحى اوجد مو تعريف * كيف ارويها حقيق من بعض العراف ثم ذكر نور الرسول ، وقد جعله الله يتكون فى صلب آدم ، وينتقل من فاضل لفاضل الى أن وصل لعبد المطلب ثم ابنه عبد الله :

فصمب آدم اتكون نور سيد ارسال *

وسار ينتاقل نورو من الفصيل الفضيل

انعد ابغ النور الصنب الذكى المفضال *

سيدنا عبد المصطب طب لعليين

كون المولى من صلبو اوضيح لجمال *

آب محمد عبده الله نعم لجليل

وكان بعد ذلك زواج آمنة بعبد لله يوم خميس فانسح رجب او

يوم الاثنين ، لم يلبث أن تلاه الحمل ، وما كادت تحمل به حتى اكرمها

الله بكل خير ، اما ابوه فارمى سعمه وغدا نور جبينه يسطع ليل نهار :

وبعد عبد الله ادخل حق الآمناء * تم حملت بشفع القوم كامل الزين

اول رجب ليس اجمع اكما اروينا * كان عرس آباويه اوقول ليل ثنين

سعد أمينا أم الهاشمي انبيا * اكل خير اكرمها نعم لعظيم لمعين

اسعد عبد الله اهلل لبها السيار * آب طه من فاز ابغايت لوطارى

كان نور اجيينو يظوى افيل وانهار * ابن انور المصطفى سيد انظارى

وما ان عاد الرسول نطفة حتى يودى فى السماء ولارض أن النور

يسطع وأمر الله رضوان ففتح باب المردوس ونطقت دواب قريش فى الليل

مقسمة أن الرمبول قد تكون فى رحم أمه وأصاب الملوك بكم واعلنت

سرهم :

عاد الرسول نطفيا يافهام * بطل مبن الزايقا دوحى لنسوم

يودى فائسا وفلرض ابسوم * سا نامر الجليل لعظيم القيسوم

.. نور سطع من حاز التفخام * الى منو اشفيعنا نعم المعصوم

مظن مينا صحى امدا الليل مفيوم

، مر الله الرضوان لفصيل لوسيم *

ايحل باب الفردوس اكما اتقول لعلام (I)

بم اطلقت ادواب قريش وقت لبهيم *

واقسم بين اتزاد الهاشمى افلرحام

او كل ملك اصبح بين حلاق ابكيم *

اوصاب ليه اسريرو مقلوب صح لكلام

وما كاد يمر شهران على الحمل حتى توفي عبد الله :

لما مرت من حمل مينا شهران * مات المرحوم آب طه بالتمكين
ورأت آمنة ليلة في المنام آتيا يحبرها أنها حملت بسيد البشر على
الإطلاق :

مهما حملت بالتقى طيب لخلق * آتاهما آت قال لها قول البيق
راك احملى بسيد لبشر بليطلاق * قالوا غالنوم رات و رؤيا ~~سيرة~~
وغدت بعد ذلك على غير عادة النساء لا تحس ثقلا او ضيقا او وجعا
أو حرقا :

ليس شعرت بحمل ولا بشغل وصياق * أولا بما يوقع للنساء من الوحوم والحريق
وذاث يوم ، وهى بين اليقظة والنوم ، آتاهما من سالها عما تشعر به
من الحمل ، مؤكدا لها أنها تحمل بسيد الانام . وحين اقترب الوضع عاد
البشير وطلب منها ان تستعيذه بالله من شر الحساد واوصاها اذا ما وضعت
ان تسمى المولود محمدا :

فكانت آتاهما آت بين نوم وافياق *
أقال لها كان اشعرت ابدا الحمل عيني
بسيد انام احميت قال جل بشار *
مهل اعلينا قالت زينت لحوارى
الحين قرب ميلاد المجد خير لخير *
ثم آتاهما دلشمار كيف دارى
الاعيديه ارب لورى الجبار *
من اشرار الحساد امكالب اشناوى
ابلا ، سميت طه سميته على الاختيار *

سبدنا محمد امخرج لغيرارى
وما ان بدات تحس آلام الوضع حتى رأت شبنا ابيض شبيها بجناح
طير مسح على فؤادها فزال ما كان بها من روع وكرب ، والتفتت لتجد
شرابا صافيا ابيض كالحيب فشربته من لظمها ، فاذا هو حلو كالشهد :
كاحناح الطير قالت ابيض لا سميت * جا وامسح عن افؤادها فالحين ابرات
واذهب عنها الروع واجميع الكربات

التفتت وحدث شربا صافيا ابتذعات *
ظنت البن لاجل لبياض كيف نظرت

بالطما كانت نور اهلال كل غيدات *
بعد ما شربنها مثل المصال وجدت
وتقوى المخاض فرات بياضا ناصعا يمتد بين الارض والسماء ،
وسمعت هاتفا يوصيها بأن تصون مولودها حين تضعه من الآفات وعيون
الناس ، ولمحت بعد ذلك قوما وقفوا في الهواء تبدو عليهم الهيبة وقصد
حملوا ابريق من الفضة كما لمحت اطيارا تغطي السماء ، مناقيرها من
الزمرد وأجنحتها من الياقوت ، ثم تبدى لها الشرق والغرب ، وظهرت
لها ثلاثة اعلام ، احدها في المغرب والثاني في المشرق والثالث فوق
ظهر الكعبة :

ولمخاض اتقوى عنها وبعدها رات *
انلعيق ادباج ابياصو ابضيع وصفت
امتد بين الارض وبين السماء وسمعت *
مايلن ايقول لها واحكات كيف سمعت

قال صونيه اخوقت الوضع من الآفات *
خوف من عين الناس. وبعد ذاك لمحات
قوم وقفوا فالهوا حايزين صولات *
فيدهم ابريق فضا او تم ومقات
اطيار غطاو اسمها سرهم ينعات *
من ازمرد منقرهم كيف راد واحداث

ومن الياقوت اجوانحهم ثم نظرت *
بامر المولى شرق اغرب كيف ذكرات
بعدها رات اعلوم اعلا لحقايق انبات *
اجمبعها ثلث اعلوم اعتادهم حسبات

البرلى والشرق الثانى افغرنا رات *
افوق ظهر الكعب لاخور حق واضحات
ثم خدها لمخاض وبعدها المولات *
بالعزم وضعت طه والفراج كبلات

وبذلك تمت ولادة الرسول قبل الفجر على المشهور أو بعده صباح
يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول حيث يجب أن يعم الفسح
والسرور :

أكان ميلادو قبل الفجر كيف شتهار وبعض قالوا من بعد الفجر قول وارى
اصباح لثنين اخلاق اشفيح ناسي لوزار اتناش ربيع الاول قالت لحباري
واجب اتفرحو لحلوقو بقلب واسيار لايين لاجلو كان الخير افلقطاري
وهنا ينهض الشاعر ويقوم (I) ليهدى السلام للرسول الاكرم على هذا
النحو :

حق اعليسا نسلم اعلى محمد وقت اخدوقو انقول من داخل لفؤادي
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد ووحوش لقفار والبطير الفدفاذي
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد لحصا والسراب واقراهب لوهادي
وأخذ الشاعر الدمناتي بعد ذلك يستعرض بعض المعجزات التي
ظهرت اثر الوضع مباشرة ، وأهمها اهتزاز ايوان كسرى وانهدام شرفاته
الاربع عشرة ، وخمود نار فارس التي ظلت موقدة مدة الف عام :

حين اتزاد الرسول طه بحر العلم ظهرت من غير شك للناس اعلايم
منها كسرى اهتز ايوانو واغتم من بعد املاكتو ابقى حاير هايم
واشرافو امن ابنيه عادواليه اردم ربعا عشر كيف قالوا اكمن عاسم
بها كسرى ابقى اضمير و متفاكم

انار فارس خمدت يوما اخلاق لحليم بعد كانت موقودا ألف عام بتمام
وتحدث عن قصة الرضاع وكيف ان نساء سمعد سمعن مناديا يخبر
بموالود في مكة سيتسمد مرضعه ويسعد كافله فهرعن الى مكة . وكتب
حليمة ان تكون مرضعه ، وتقدمت اليه ، فاذا هو يبتسم كالهلال الساطع
تلوح انواره ، فأرضعته من ثديها الايمن ثم أعطته الايسر فرفضه لحكمة
ارادها الله ، وهي أن يبقى هذا الثدي لاخته في الرضاع :

صا بوكن اهلال اوضيح لايح انوار اكدالك وجهو متبسم ذاك فالاناري

I — على عادة قراء المولد النبوي حين يذكرون خروجه عليه السلام
الى الكون .

م حمدو فيديها ابشوق لسيذر . . . لها ليمين اعطانو ابلبن طاري
شرب عنو فاطين اعطات ليه ليسار ليس رادو بحكمت امجصب الشجاري
ابقي الشري لخواه افحليب هكدا سار سبرت لقرشي تحكيم فدا سدرى
ثم ذكر بعض المعجزات التي واكبت السيدة حليلة في طريق
عودتها الى بنى سعد وقد حملت معها المولود ، منها انها عوفيت من ادواء

كانت تحسها وان الامام كان يظلمه عليه السلام طوال الطريق
ربما عافاها من علت الجوارح لاجل ادنى طسه امليح ملاح
وحمم امعاء اتمشى اكما لجوانح . . . سوا يا صاحى من حر شمس لمضاح
وما كادت تشرع حليلة في تربيته حتى بدأت ترى له اسراراً باهرة .
تسلم عليه الحجارة والاشجار ، وترضى هذه اغصانها عليه حين يمر
نجبها لتظلمه :

اقامت احليما بترابى اهلال لفلان سيدنا محمد من عظمو المالك
كل يوم اترى له اسرار ما تنتراك وكم اعلاما شافت للنبي السامك
وساعت امرا بسيد الخلق تحت لشجار اعديه ترخى لفصان اصاح ادلشجاري
والفصاح اسلم عنو لشجار واحجار يا سعدنا بمسكننا من لوعاري
وحين بلغ السن الرابعة جاءه ملكان وشقا صدره واذا من قلبه
مضغة وطهراه بماء قيلت في وصفه نعوت كثيرة :

وحين كمل ربع اسنين الشفيق بتهات كان لو شق المصدر الى ادعى اعدائو
حامو زوج املايك في انهار سدات ثم شقوا صدورو وكذا صميم ذاتو
ررووا من قلبو مضغ ابخير تمرات . . . حروه اباكم اقول في انعامو
واخذ بعد ذلك في الصلاة على الرسول ، وبها أنهى القصيدة .

ومثل هذا يعرض المفصص نجده عجملا في ثايا قصائد الصدة
او المدح ، كما عند السدوي في . . . حيد حيث يقول

ليلت زاد اوحات ليه للملايك دون اعداد رفعوه افنفا من طرير اخصروقادى

للزور لثقات له ملاك اجنود اجنود

طاغوا به اعلى اكون وبغ قصد لمراد وارجع سيد المرسلين لمقام وجدادى

وشرقت انوارو الاحت اعلى الجهات ابود

مهما جاورا يقربوه لمندى انقر وابعاد حتى جات احليميت النسا حرت لسعدى
بالفرحا لها انحاز وارضاهما عين الجود

سارت به الناسها اوربات اضيا لتمام حين ابلغ شدة افدات يوم اعلا ح انكادى
سار اخوه امع الرفيق يسرح مالمو مكود

له اوحى جبريل لمفضل كهيف التمجاد بالطاس البريق من انهر جنت لخلادى
والما من كوثر ولمايك بحماه اتلود

شقوا صدر الطاهر لمطهر نعم المهتاد غسلوه انظفوه زالت المضغ للهادى
شايين دار احكاه خوه واشنع خبر الممجود

وليس كل اشعراء يستعرضون القصة حين يتناولون مولد الرسول
عليه السلام ، بل ان بعضهم يقف عند تمجيد شهر ربيع وذكرى المولد
الواقعة فيه ، على حد ما نجد عند المدغرى الذى يرى انه بقدم هذا
الشهر الانور هب انسيم يبشر بكل خير ، فاضت النعم وازهرت ورود
البطاح ، فليس كعيد مولد النور عيد يزهر ويزهر ، تفيض بحوره وتزخر
أمواج ذخائره ، ويستقيم السعد فيعدو الكون شاكرًا لله :

هب انسيم لعفو ابشركم لعباد ابكل خير
فى ربيع الشريف لنوار فاص الخير لكثير
وازهى زهر لبطاح وازهر من لحزين لكثير
مولود النور ما كفوعند زهر او راهر
فايض بحور موجو رخار امن الدحاير
واسقام الشور يكون اصبح لله شاكر

وعنده أن عيد مولد النبى مور ليس كنوره نور ، يفخر على الاعياد
الكبار بوجود الرسول البشير ، ويفوق شهره كل المواسم :

عيد المولد النبى امنور	ولا كيفو امنيسر
عن لعياد لكبار يفخر	بالمرمول لبشير
ماكفو افلاسهم اشهر	بين انجوتو اشهير

الوفاة :

وكما تناول الشاعر الشعبى قصة الميلاد فكذلك تناول قصة

الوفاء ، وكان الغرابى من أكثر الشعراء استيفاء لمختلف فصولها ، وفي قصائده كثيرة كهاته التى يقول فى أولها :

يا نساىى وحد رب لكون لجنىل * حتى باقى فى ملكو بالدمام لازل
قدر اعىبا فرص الموت دون تهيل * مايدوم املكو يلا لفسى المتعال
ومن أروعها القصيدة التى يقول فى حربتها :

معظم يوم ينوفى بدر النمام * سلطان النبىا بلقاسم
يبدأها بنزل آخر سور القرآن الكريم حين جاء جبريل يختمها له ،
وعودته عليه السلام الى بيته فى صحبه يشكو من صداع حيث عصبت له
عائشة رأسه :

وانزل جبريل بمر الجبار اعلى ارسول خير البرىا
واتلا عليه سور ختمت لسور انظر يا فهم الا شىا

...

واقدم المنزلو وصحبو لحلام وادخل البيت عىشا عسازم
قالت لو اشبىك أقرت لنىام * فقال امن اوجاع ساقم
وادنت عصبت لوخو الاسلام * وابىا غيرها بهلاىسم
وامر عليه السلام بلالا أن ينادى الناس للصلاة فى المسجد حيث
يريد ان يجمعهم ، ثم خرج اليهم وخطب ، وحلفهم الله ان كان بلغ
رسالته بصدق ، وهدى الى سبيل الرشاد ، واحسن العسول والفعل ،
ورأف بالانىام والغرباء والارامل ، وأنبأهم بما فىه صالحهم ، فأجابوه
بانه جاءهم بالدين القويم الواضح ، بلعه بحق لا تبدىل فىه ولا تحريف ،
ودعوا له الله ان يجزىه :

يا قوم سلتكم بالله المتعال * هل حىتكم صادق ناصح
برسالتى او حسن القول الفعال * واصبىل الرشاد اصالح
واحسنت ابلىنام اغربا وارمال * وانبااكم افكل امصالح
قلوا جىتنا حق ابلا تبدال * بالدين لقويم الواصح
بجزىك ربنا بالخىر ولنعام * وانت الكل مومن راحم
واحس سلمان كان الرسول يودع المسلمين وداع الرحىل ، وصارحه

باحساسه ، فكان رده عليه السلام أن الموت فرض ، وإن العمر محدود ،
وإن الجميع راحلون ، لا يحزى احدهم عن الآخر :

نم جاوبو سلمان اقل مقام * ما لك يا البدر المواسم
كنك كتودع جمع الاسلام * وداع الرحيل العازم
قال السبي احمد للمجد * سلمان خذ لك انفسا
فرض لممات عنا واكد (I) * لعمر ليس فيه ازيفاد
واقلق للرحل اوعده * هذا ما جزى عن هذا

وعاد الرسول الى بيت عائشة وجمع نساءه ، وطلب منهن أن يصبرن
والا ينحن لکی يعمهن الغفران ويرغد عيشهن ويزيد خيرهن :

وادخل البيت عيشا بقصد اوکید (2) *
فالحین عن ازواجو نادا
وفال لا تنوحوا والله اشهيد *
صبروا اتمکم ایفسادا
وايکم عفران وعيش ارغد *

ولخير عنکم يتزادا
وتأخر عن الصلاة وأتاب عنه ابا بكر . وخرج بعد ثلاثة ايام للمسجد
منكثا على عثمان وعلى ، فوجد ابا بكر في المحراب يبکی وينوح ، وأراد
الصديق ان يخلی له المحراب ، ولكنه طلب منه ان يبقى في مكانه حتى
يؤم بالناس :

ندا على اتجى والعباس امعاك * واخرج بهم امتكى
حتى اوصل المسجد المبرك * واستنشق اشداء المسكى
يوجد بابكر فالمحراب اكذلك * اينسوح ابلشواق ايبكى
واجنس عن اخلافو درت لفلاك * ايزيم (3) بسقام الحلك
راد الصديق يفرغ لو دون اشكال * ناداه الرسول المكى
اثبت في اصلاک بالناس ايام * تغنم جل طيب اغنايم

I و 2 - أكيد

(3) يثن .

وبعد ان صلى الرسول جالسا تكلم فى الحاضرين ونهاهم عن البكاء والنواح ، وسالهم عما اذا كان لاحدهم حق عليه أن يقتص لنفسه ، فتقدم عكاشة وذكر الرسول بضربة تركت أثرها فى نفسه كان عليه السلام ضرب بها ظهره يوم تبوك ظنا منه أنه يريد الهرب ، فى حين أنه كان يريد أن يذهب للاستطلاع :

صلى اجنوس طه سيد لانام * حتى اقصى الفرض اوسلم
واسأل عن الاما وانطق بكلام * وانهى عن المواح الهزم
وقال يا جميع المحضرا * من كان له حق اعليا
دائى القصاصر افرا * من قبل ما تجى افنيا
ثم جوب باجهرا * عكاش ابغير اخفيا
أقال يا طنوع البدر لخير * انا ايلي الحق شاهر
كنا افارض تبوك افحرب اكبير * واخرجت نسرح ونخبر
ما هو اهروب منى ولا توخير * رب لعباد حاصر ناظر
واضربتنى الظهري دون التقصير * ضربا قثرت فالخاطر
فسالت دموعه عليه السلام وامر بلالا أن ياتيه بقضيب اخذه عكاشة غير مبال بلوم الصحابة وطلب منه الرسول ان يضربه ولكن عكاشة اجاب بأنه كشف ظهره قبل الضرب ، فهو لذلك يريد منه ان يفعل كذلك . فنزع صلوات الله عليه قميصه ، وما كاد يفعل حتى بدا الخاتم بين كتفيه بسطع بنور ربانى يعرج الكروب ونهار فى وصفه العقول والافهام ، فسم سمطع عكاشة المضرب واخذ يتمسح بالخاتم والنبي الكريم يدعو له بالخير ودخول الجنة :

قال جزاك لكريم اعلي خير * وارسل ابلال عند الامر
حاب لقصيب بالساعا ابلجزام * والدمع امن اعيونو سجم (1)
قبضو الشيخ عكاش دون املام * واصحاب النبي تسلايسم
ثم الرسول ندا بالجهر وقال * تركوه حين مبا (2) يقبل

(1) سجم كما فى النصيحى بمعنى سال .

(2) مبا أى ما أراد وهى فى الاصل ما بقى بحذف حرف الغين ، وهو

فقال لو اتقدم والى لجدال * واقص اجزاك منى واعبدل
وقال كيف تضرب وانت ما زال * اقتوبك اضيضى مرفول
انما اتحرى اشدك الحال * نغى اكمل افعلت تفعل
نوع لقميص طه واظهر لختام * بن لكتاف نعت الخاتم
شلا (I) اتصيف لعقول واليفهام * به اخنص عل لعوالم
يضوى بنور واضح يفجى لغندم * من نور اد لجلال العالم
لغريم نال جل الصيغو * واظفن ابكل ما يتمنى
مرغ على الخاتم شيبو * وقليد عروض المزما
وادعالوا بخير احيبو * واضمو ادخول الجنا

وقال كيف تضرب قرت لهداب * ونسا اوصيف من وصفانو
وتحكي القصة بعد ذلك كيف عاد عليه السلام الى بيته ، وكيف بعث
الله عزرائيل ليأخذ روحه ، ولكن الرسول امهله حتى يسأل شيئا يعمله فى
صدره ، ورفع كفه الى السماء وشكا من شوقه لجبريل الذى ما كان يظن
انه سيفعل عنه ويتخفى فى هذه الايام . وما كدد ينتهى من سؤاله حتى نزل
الملك الامين وسلم عليه :

وادخل المنزل يتسنى المكاتب * محسوس امن . اوجع ابدانو

...

عزريل جذاذب وانقر الباب * ثم ادوا ابفصح السانو
وقل جيت لكم ياهل لمقام * ازير دريت بن هاشم

...

قال مهل اعلى تسال بدمام * عن شين ما افسرى كاتم
مد لكفوف وادعا واسأل * وقال يا سامع اسؤ الى

تعبير خاص بلهجة مدينة مراكش وقد سارت عنهم عبارة تعدد فيها هذا
الفعل ، هى قولهم : الى بيت بينو والى ما بيت ما بيتو الى الذى بغيت
بغيته والذى ما بغيته ما بغته . ومن القريب ان يأتى مثل هذا التعبير
على لسان الغرابلى وهو شاعر من فاس ، ولعله فعل ذلك مدفوعا بالميزان ،
ادلا يبدو أن ذلك من تحريف الرواة ، لأن ما بغى لا يستقيم معها الميزان .
(I) فوق ما تصف ، وتستعمل المتعظيم والتكثير .

جبريل ما دعوهم * نبي اصبهي على حالي
ثم لامين في النعين انزل * واقشما اسلام نعم العالي
اذ ذاك اطمان الرسول وحمد اله ، وادن لعزرائيل ان تتقدم وبخذ
روحه مسعذبا لقاء ربه . وفي الحين صعدت روح محمد الى صدره واحس
بقضته تضغط عليه ، وعبر عما أحس ، فاجابه الملك انه لم يدق عشر
معشار سكرات الموت ، وامهل عزرائيل لحظة ليدعو ربه ان يحمي عن
اناء امته ضيق الموت وما يحس من شدة حره على ذاته ، فلم يهبث أن
سمع هائفا قدسيا يقسم له بعزته وجلاله بالا يديهم سوى ما أدعاه وان
بوجود عليهم ويعفو ويرحم ، ثم حمد الله وشهد بجهر :

احمد ربنا واشرح ابتسام * وف اعزرائيل نعم
اعزم وخود نهي لمكام * وجلالنا عظيم لا عظم
فالحين روح طه صعدت * انصر السريفة اورسات
وانطق بلسان اثبت * يا ملك صعبها عصا
قال لو ابحق جاهلث ما دعت * اتشور امن عسور لسكرات
قال لو امهني على ندعو دعاء * غيب واعفو حاتي
خفف على الام ضيقت للمات * رعد حره عن دتسي
سمع اذا ابذن سامع لصوت * وحلال عزتي واقدرتي
لداقو سوى ذاقك من لمرات * وانجود ونعمو برحمتي
وتحكى القصة بعد ذلك ان عليا وابن العباس غسلاه ، ومرو به
كالبدر من البهاء والنور وكفناه في ثوبه كما شاء وطيباه ، ثم دفن ، وقد
ذهلت العقول واحارت الابواب وغدا الناس في دهشة وحزن :

وحارت لمقول ودعشت لوهم * واشتعال امن اضمير اثمكم
وتاوله مقام انصوصو ولعوام * شلا يطيق يوصف ناظم
ادناوا ليه وقت التفسير * ونسبو لمفضل وعلى
وحدوه كالبدر فايكيل * والنور امن ابهاء ايلالي
وكهموه فتيبو اكما قال * وابنوع كل طيب احثنو

وبعد اذفينو اشتدت لنكال * واشحال امن اعقول اندهنو
وتنتهى قصة الوفاة بالكلمة الخالدة التى فاه بها الصديق ليهدى من
روح المسلمين وفزعهم ودهشتهم حيث قال : « من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » :

اكثر اصباح بن الناس وله سوال * شد لفراق عنهم حبلو
وقام ببكر واخطب اهل البسال * خطبا لا تخطبت قبلو
وقال فخطبا يا جمع الاسلام * الموت فرض عنا لازم
من كان يعبد الماحى سكن ارغام * هذا وصف شأن ابدام
ومن يعبد الحى لا يعدم * باقى اقديم بنا عالم

المعراج (1) :

وهكذا ، وعلى هذا الاسلوب فى عرض السيرة النبوية تناول الشاعر
الشعبى قصة الاسراء والمعراج فى القصائد التى اطلق عليها « المعراج »
ومن أشهرها قصيدة عبد العزيز المفراوى وعبد القادر الجرارى . يقول
المفراوى فى أول معراجه :

لسم لعظيم ذا لعرش الديان * رافع لفلاك افلهوا دون اعماد
من خصى المرسلين ابانت البرهان * وارسلهم انلهوا اودين الارشاد
ويقول الجرارى فى حربة معراجه :

الصلاة اعلى الهادى راكب البراق * سيدنا محمد لمشرف الصديق
من اسرى من حرم الى حرم افلغسيق

وفى أوله يقول :

ابديت لسم المولى لمقسم لرزاق * رب لكون الحق الدايم لتحقيق
والصلا عن الماحى طيب لخالق * خير لورا لفضيل الماجد الشقيق
والرضا آل والصحاب والرفاق * وهن البيع والعهد الوافى لوثيق
بعدها فكرى هاج وخاطرى اشتاق * نحتك معجز كبر اكما ايليق
فالسرا والمعراج مغيهب لغساق * لكن اصلات الماجد فولها امبيق

١ - كان مفروضاً أن يسبق المعراج الوفاة ولكننا أخرناه لانه دونها
عند الشاعر فى الاهتمام وهذا ما جعلنا لا نفصل فيه القول .

التصليّة (1) :

ومن عميق تفانى الشاعر الشعبي فى الرسول عليه السلام وتعبقه به أنه لم يقف فى التعبير عن عواطفه الجياشة عند الحدث عن حبه وذكر صفاته وعرض مراحل من سيرته الكريمة ، وإنما زاد — منوعاً فى مدحه ومتفناً فيه — فحصه عنده لسلام بقصائده اطلق عليها « التصليات » يصلّى فيها عليه محاولاً أن يبلغ بصلواته أكبر عد يمكن تصوّره أو تخيله ، مستعرضاً أنواع الكائنات والمخلوقات المختلفة ، عساه يبلغ على درجات العدد والحساب . ومن أروع التصليات وأقدمها تصليّة محمد بن عبد الله بن احسانين ، وفيها يبلغ بصلوات الله على نبيه الكريم الى عدد م هطلت الأمطار وسقت من اشجار ، وعدد ما حمت هذه الاشجار من غلال ، وحمل النخل من تمر ، وعدد ما يوجد من بساتين وأغراس عطرة :

صلى الله اعليه عد ما هطلت من لمطارى *

وما كتسقى امن الشجر

وحملت امن اغلول والنخل عد امارو *

وما من حرجات (2) عاطرو ،

وعدد ابحور والانهار الفائض منها والجاف ، وعدد ما فى جوف الارض من عيون وآبار لا تحصيها العين من الكثرة :

صلى الله اعليه عد لبحور امع لنهارى *

ما واكح فيها او ما اعمرو

وما فى جوف الترى امن اعيون اوعد ابيارو *

شلا شافت عين كثر

1 — المقصود بها الصلاة ، وقد استعملناها محافظة على المصطلحات المتعارف عليها عند الاشياخ ، والمعروف لغوياً أنه لا يقال صلى تصليّة فى الدعاء ، وإنما يقال صلى صلاة بوضع الاسم موضع المصدر ، أما التصليّة فهذه الشئ فى النار لاحتراقه .

2 — الحرجات السابيين وهى كذلك فى الفصحى اذ يقال مكان حرج بكسر الراء وفتحها أى كثر ، شجر .

وعدد لسع القر للعدار ، ولفحات الزمهرير والحرق ، وعدد نسيم
الصباح وما هب من رياح غربية في العشايا الساحرة :
صلى الله عليه عد لسع القر افلعدارى *
وازمهرير الحرق بعد قر
واعداد انسيم الصباح او ما هب ابتعطارو *
واغرابى لعشسي الساحرا
وعدد الرياح والاعاصير والبرق الخاطف للابصار ، وعدد الرعود
تدق طبولها ، والبروق المضيئة تعلن شاراتها عن مطر غزير :
صلى الله عليه عد لرياح امع لعصارى *
والبرق الى خاطف لبصار
والرعد ايلا رعدوا اطبولو وبروق شارو *
وادن بالرعد العارز ،
وعدد الغيم المتوارى الغابر ، وعدد السحاب المحمل انذى حارت فيه
العقول :
صلى الله عليه عد لغيم الى متوارى *
ذاك الى فتوايحو اعمر
واعدد الوارى امن السحاب الى فى كدارو *
كمصحى لعنول قاصرا
وعدد نجوم ثابت والشارى ، ودوران الارض والافلاك فى كل وقت
وحين :
صلى الله عليه عد نجم الثابت والشارى
معروب ولسمحار والمحر
وما دام لليل فى اعقابو يا صاح انهارو *
منهما لحوال دايسرا
وعدد ما ظهر المريخ والمشمري ، وما اشرقت الشمس واضاء القمر ،
وعدد كواكب زحل وعطارد والزهرة :
صلى الله عليه عد ما انبى مريخ ومشمري *
وما بانث شمس ولقمير

وانزجن وكوكب حصار د ساعه يظهر *

ونحمت الزهرا ازاهير

وعدد ما في اعماق البحار ، وما من وحوش في انهار ، وعدد الاطياف

المختلفة باجنحة وحكمة من المبدع العظيم ، وعدد ما باصت انسى الطير :

صلى الله عليه عد ما عدواحل البحارى *

وما من لوحوش اقلقفس

باطير مجاح وسحاب د ساعه تدر *

وما باصت كل طائرا

وعدد الحيوانات الاليفة ودواب النحر واسركوب :

صلى الله عليه عد بكم الساكن لحدارى *

لموالف بنا امن الصغار

واعداد الى للمحير كانوا والى تختارو *

للركبا يوم لمفاخرا

وعدد النحل والنمل ، وعدد الهائم من الحيوانات والحشرات ما ظهر

منها وما خفى عن العين :

صلى الله عليه عد لهوام يا من هو قارى *

ونحل ونمل وعد ما كبس

وما من لهوام ما تشافى من حيث اصغارو *

يوحد المدر الفادرا

وعدد الذين تسوا ذكر الله من ابيض واسود واسمر واشقر واعجام

صغر ، وعدد اقوام البدع والغدر :

صلى الله عليه عد لنفاس اسمر دقارى *

لبيص واسودها امع لسممر

وادهم وابراكا مع الشقر واعجام صفارو *

وفوم البدر والحفادرا

وعدد نكور الليل والنهار

صلى الله عليه ضى وادحا تبقى فشطارى *

مكوبا من احل النكور

صلى الله اصلا اعدوما تمدخ لىو فقرازو *

فى حضرت ربي النايير

وعدد مدن كل لافطار وما فيها من دور وفصور ، وعدد الصبحارى

والمداشر والقبائل ودواويرها ، وعدد تلال التيد والقمار :

صلى الله عليه عد لمدون افكسل اقطارى *

وما هيبت در ولا همسر

والصحرى وادشورها اوكل اقبيل ودوار *

واتلول البيدا القافرا

وعدد الهضاب وسهول والشعاب الخالية والمعمورة ، وعدد الريسى

وعدد كل طول يقاس .

صلى الله عليه عد كدى وحذب لعدارى *

واشعاب القفر او ما عمسر

والربوت او عد كل طول وقيم ممدارو *

بكيال الدنيا الصابر

وعدد الغابات والبرارى وما فيها من عرين الاسود والتمور ، وما بها

من ماوى وغيران

صلى الله عليه عد لغيباب امسح لبرارى *

وعرين الاسد والنسر

والتموى دجميع امن اسكنها كل فى غرد *

صلى الله عليه غازرا

وعدد اكسية الحيوانات الضارية وغيرها من صوف وحرر ووبر

وريش وشعر :

صلى الله عليه عد لكسا دا لى هو ضارى *

بالصوف ولحرر وسوبر

والمكسى بالريش والدى مملف بشعارو *

والى ما صارى اسارا

وهو صلى عليه بقلبه ودواخه ولسمانه وعقله وفكره عدد الاكوان

الذى لم يحص منها حتى عشر *

صلى الله عليه وسلم ، لسلام نفسي واسمائي *

ولسائي وعقلي وسكر

عد الكون الى ما احصيت من حتى مشارو *

صلى الله عليه كاترا

وعدد ما فى عدم الله وهو فوق الحصر ، وعدد الزبور الذى لم يبق

منه غير خبره ، وعدد الألواح العامة بالحكمة :

صلى الله عليه عند علم الله اتمذكاري *

عدم لله الا اسمو احصر

عد زبور الذى الا انى غير اخبرو *

والوح ابلحكام عامرا

وعدد الانجيل وقاربه من يحرفه وطفى نوره جحد الحكمة ،

صلى الله عليه عد لمجيل وعد القاري *

ونقاريا اكما وحي اخبر

قبل ايجيو الى امحرفيو يصفيو انوارو *

جحد الحكماء القادر

وعدد سور لقرآن الكريم وما تضم من سطور ، وعدد حكمه وبرايمه

واسراره ، وعدد ما فى السنة ظاهرة :

صلى الله عليه عد سورات القول الواري *

وما فسور امن اسطر

واعدد الحكمت ولبرهن وعداد اسرارو *

وما فالسما الطاهرا

وعدد الرسل والانبياء فى كل عصر ، وعدد الاولياء والافطاب

والملائكة ، وعدد الجن لدى لم تره الانصار :

صلى الله عليه عد لرسائل افكس اعصارى * والنبي انوار ادبشار

ءاوليا ومصاب وملايك ويس ما ساروا * والجن الا رات باصرا

ومثل هذا حده عند المفاوى الذى يبلغ بصلوات الله على الرسول

في «عن الرحمة» عدد احب وأوراق لاعضان، وعدد الفوكة التي تمتعها
الأكوان في كل عام ، وعدد نجوم السماء وجور الجن ، وعدد اعشاب
البيداء المختلفة الاصناف ، وعدد ما احاط به علم الله وكل ما هو حسي
وميت وكل ما ظهر للعين وما خفي :

صلى الله عليه عدد اطعام احب أوراق لغصان

وعداد الغل افكل عام من كـوان التجيـا

واعداد نجوم السما وجور الجن والحدن

واعشوب البيدا اعلى اصناف ايسار وايمينا

واعداد ما احاط به علم الله كيف اقضاء كان

والحي والميت او شـلا شافوا عينا

وكذلك السجار فانه يصلى على النبي الكريم عدد انحل وشهده ،

والاطيار المغنيه في رياض حافل بالعلال ، وعدد الجراد والنمل وما زرع

الملاح ، وعدد الحصى والرمل ، وعدد انقاس الخسق والالوان والصور

المتشابهة ، وعدد اصناف الارزاق المختلفة ، وعدد اللغات والمتحدثين بها

والسامعين ، وعدد حروف آيات القرآن وسوره والحديث الشريف ، وعدد

ما يلقيه الفقيه لطلبته ، وما في السماء والارض من سكان ، وعدد ما دب على

الارض ، وعدد الرانحين والنادين ، وعدد ومضاب البرق الخاطف وأصوات

الرعود وهبوب الرياح وما تهطل من أمطار ، وعدد مياه البحور وعجائب

الحوت ، وحب الجوهر والياقوت والمرجان وكل ما يلصق ، وعدد الاقمشة

المهدية المزينة كالزرايبي ، وعدد نعيم الجنة والقصور ، وعدد ما في

علم الله :

اعليه اصلات الله دائما قد انحل واعفاء

وما غنت اطيـار في اريـاض احفـيل ابـفـلاتـو

واعداد اجود «جراد والممل جندو يتعداه

وما زرع الفلاح ولحصا والرمل اعتماتـو

ما نقوى لـحصيه

وعدد نفاس الحلق والنبون اصورت لشباه
وصاف ارزاق امحالف او كل امحدث بلغاتو
واللى يصغى ليه
واحروف آيات اسوارو ولحديث اوقت معناه
وما عاد الطلبة اقفيه نجمى يدري معناه
مهما نطق بيه
وما فتخوم اسفاله او قد الساكن فسماه
وما دب على الارض فاطبا والرياح نجمسو
والعطف لمحبه
وما شار البرق لحطيف والرعد اصوب انما
وما هبت لرياح والركم اكفى مزدنس
والمتوكل بيه
وما صبت لمطار امن اسماها وابحور امياه
واعجايب حوت فحجابها وحب الجوهى واتقات
مرجان ايوتيه
وبديع الياقوت الرفيع وما يلمع بضياه
ومعاش الهندى وما يماثل لنور النجرات
لزرابى تحكيه
وانعيم الجن وغصون وما فى عدم الله
ويذهب ابن على فى عدد صوته الى ما خلق الله وما سار على الارض
وعام فى البحر ، وعدد سائر المخلوقات التى لا يمكن احصاؤها ، وعدد ما
ضار فى لحو من اطيار ، وعدد انحن وما قطف من ازهار ، وعدد ما هبت
الرياح وصوتت الرعود ولمعت لبروق ، وما نزل من امطار ، وما فاص
بمائها من أنهار ونبت من أعشاب ونما من أشجار ، وعدد ما انتفع الخلق
بهذا الماء ، وعدد ما ظهرت النجوم ، وعدد اوقات الفجر ومصلية ، وما
أشرقت الشمس وضاء القمر ، وعدد الاكوان التى أخفاها الله :
صلى الله اعلى اشقيعنا عم ما خلق لكريم يدرك من فوق اتراه

وما دب اقداخل لبحر * من مخلقات لا من يقوى يحصاها
صلى الله اعلى اشقيعنا عند * طرو اسيار وارقود الجو اعلاه
بقدرتسو واتروح للوكر * واعدد اجل ما قطف زهر اعدها
صلى الله اعلى اشقيعنا ما هبت لرياح وارعود والبرق اشعاه
وما زلت الارض امن * نظر * واعدد اشوب به تفتحت واحياه
صلى الله اعلى اشقيعنا ما ماصب لهار ابلجياه اساق اسجراه
وما لتفتت به امن اشجر * واعداد ما تنمع الخلق ابلها
صلى الله اعلى اشقيعنا عند ما طلعو انجوم والفجر او من صلاه
وما * الشمس والقمير * واعداد اكون رب لعباد اخفاهما
ولاين على تصليه رائعة يقول في حربتها :

صلو اعلى الصديق الصادق جد الشراف نور العين
مام لنبيا بنقاسم محبوب ربنا الرحمان
وله اخرى يدعو فيها للصلاة الدائمة دون حصر :
عين الرحما يا عاشقين طهصلوا عنده * اصلات الاتحصى امداوما هي ربح مائو
اخاتم كل ارسال

اما ابن الوليد فيصلى عليه مائة الف مرة صلاة صافية خالصة :

يا صاحب الشفاعا صليت عليك في انشادي

امياب الف من اصلا مقبولا

ثابتا من عند المولى

امحققا ما فيها ولا ولا يسولا (I)

بل يصلى عنده في كل ليل ونهار ، عدد الرياح والرعود والامطار ،
والافلام والايواح والافلاك والعرش والكرسى ومياه البحار ، وعدد ما خفى
اسله من اغصان دائمة الفوح والطيب والعبير دوام ملك الغنى القهار .

اصلا والسلام في كل ليل ونهار

اعديك يا الهادي طيب لمسالك * قد ارياح قد ارعادهما ولمطارد

(I) اللولة : الشائبة ، والبدول : التبديل والتحرير .

يا ذا الجليل جسد علينا * في ذي اوديث حرمت في
واجعل امامنا فالجنا * احرمت الشريف ارسد
وارحم اسلافنا واكرمنا * بريادت النظر في وجه
ويرجوه ان يعمل له بريادة مقامه الكريم حتى تشفى
في جماله وان يمنحه ظل لوائه يوم الحساب ليفوز بالجنة وينت
عمل انزورتى امامك نعم النظرا * تشفى في جمالك الرو
وانكون تحت ظل الواك انهار العسرا * انفوز واجبت نار
وهو يرى في «عين الرحمة» ان مسح المختار تمزه وان
يوم القيامة في طله :

ربي كريم اجعل ارحمتو سبقت غضبو افلا زال
واجعلها مقلوب هل ليمان مسح المختار انزها
من مدحو يسخل تحت ظلو يوم القيامة
لنوتاج المرسلين وانهايت ل
ويرى كذلك ان تمجد الرسول يطرد الحاسدين ويطهر
وان صلاته تصفى الملوب من الكدر :

تمجادو يجرى اعلى انكودي ويطهر جمع لحران
اصلاتو اتصفى اولا تحلى بالقنب اغبيننا
ويسال الله ان يلطف يوم الحشر ، فهو قادر على ان
ويعمهم بالفقران ، وان ينقيه من شر النار المحرقة وان يسه
وان ييسر له الطواف بالكعبة ورؤية حرمها والسمي بين اله
ومشاهدة مقام الرسول وصيبة ، اذ ذلك يهنا ويعود طاهرا ك
وقد انطلقت مهبته وراحته روحه .
...

من نساعوه لقبول ينطف بنا يوم لوقوف *
والخلق كل ابغضو

يسعدني مني سعدني مني الخطف *

بالكعبا واشوف حرمها واروا واصفا

شاهد عن لوجه الفصل عن جميع اعدل *

وانشاهد طبيا اوفنو نمصرها وانرها

سما وانعود كيف سمى بها صافى رلال *

اصميم المهجا ايريج والروح اتصيب ماما

ويرى السجار أن الصلاة على النبي تمحو سيئات المكثّر من الذنوب :

واكثر الذنب ايزيد في اصلاطو تمحا سياتو

وعاية المنى عنده ان يحج قبل ان يموت ، فبذلك يبدى روضه

ويتفتح زهره ، وهو مشتاق لزيارة البقيع والكعبة والحجر الاسود ، لو

وجد الى ذلك أحنة لطار ، وقد طال جرحه وليس له دواء غير الاقتراب من

باب السلام ، ولكن جسمه مثقل ، وليس له ريش يطير به ، فهو لهذا

راض بالقدر :

اتوجه يا بادى * نوصيك لسهر واعمل قبل الموت ر :

صح روضك بدى * وفتح الزهر والسوسدان من تغداد

ونقول آتفرادى * اعل لبقيع والكعبا واحجرت لسعاد

نو صبت امردى * واحناح طير زاعم تدنا به لبمساد

طال الجرح الكامى * مالم اصيب دون القرب الباب السلام

لكن ثقل اعظامى * والريش خائى وارضيت ابما افحكام

وانى على رجو من ممدوحه الا ينساه ، ويطمع ان يدخل فى حماه

ليسحو من حر جهنم ، فقد اثقلت كاهله لاوزار فلا يستطيع تحملها جسمه ،

ومدحه بصول وبفخر ويطلب الجنة :

أمحمد لا تدوز (I) مدحك طامع فى احماك ينجا من حر الضاه

حامل عن كهلى من لوزار * وامحمل عن اعصايا شسل نقواها

أمحمد لا تدوزى ربى يفسر للخلق كافا الو جمع اعصاه

(I) دار فات ولعل اصلها عن داس فى الفصحى .

مدحك اصول وبعسر * لك الجنأ اطلب وانت ممولاهـ
 أمجد من ادخل افحرمك سمحى وزرو لكريم لبعلك اجعل مأواهـ
 فالجنأ يهنأ ويستقر * در اليكرام ينكرم من وحمأهاـ
 أمجد لا تدوز مدحك طمع الخير فيك اجعل الجنأ محزأ
 كان اشفقتى ربأ اغفر * لنفسى الو اعيش فى وزر خطأهاـ
 ويرى العلمى فى احدى « حيلآياته » ان الصلاة على الرسول حرزه
 ورقبه وأمانه ، تحفظه وتصون دينه وأيمانه ، ويرأها زهوه ونزهته وسدواه
 وعزه وحرمة وشأته ، هى ورده فى كل وقت وحين طالما أمدت به الحياه .
 هى حرزى ورقيتسى هى الامأ * هى حفلى اوصون ديمى ويمانسى
 هى زهوى وانزاهتى هى السلوان * هى عزى وحرمنى هى شأنسى
 هى وردى اعلأ اندوام افكل احيان * ان شاء الله ما «عجات ابقانسى
 أما ابن الوليد فيطمع فى أن ينظر اليه لكى يصلح فسادة بجأه
 مديحه ، وان يشهد له بانتسابه اليه ، ويرحب به حتى يزول عنه الكرب
 والضيق وأن ينقذه من الاضرار ، ويدخه فى زمرة للجنة ، ويسقنه من
 حوص الكوثر ، وتلك أقصى غايات الضيافة :

وابغيت فيك نظرا تصبح بمدادها افسادى

وابغيت فيك تشهد لى بالنسبأ

بعد ثلقانى بمرحأ * اتزول عنى هاذا الكربأ * اكل نشبأ

وابغيت فيك تمقدى من لضرار واسقايم

وابغيت فيك ندخل فزمرتك بلجان زاعم

اكمال عز لضافأ

وابغيت فيك تسفينى من حوصك ما الكوثر

فاذا ما تمت به النظرة فى طه فرجت كل انكاده واغثنى بعد فقره ،
 وعلم ان الله قبله فى جنته واعفه من النار ، وحى له ان يصول بشرفه
 الحسنى مفتحرا دائم الفرح ، زاهيا منمشيا ، وقد سلم من كل عيب ، وهو
 يلح على الرسول الاعظم ان يجرود عنيه فى سخاء وعطف ورحمة .

ونا ايلا انشوفك ياطه سفعأ انكادى

ونعرف بين رب البيت اقدس
امن اعذاب النار اعتقسي
نعد فقري نصبح معي
شريف سمي
اصول رحمة فصول ارحمة
مفروح دمنا
شريف ابرو محمر من كحل عنب سالك
وسمعنا انوارا حداثح عطف ارحمي ياطن اصرار
وهو يريد ان يره في رسم حتى يعالج من ستمه وتزعج عيناه .
فهي رؤيته بشري وغنيمة :

هل يامدرا نلتاك في امامي
فمرا من اسماعلي
وبرهي اسماعلي
طرا تصويرك لكرما
بشرا على ارض واعين
ابو لال فطما

وعنده ان النظر اليه غاية طلبه ومنه :

اخيار كل ما نتمناه
فالدينا شوقا فيك بالعربي
هناك حد رغبتي
تمد كرسم ربي

ومثل هذا يذهب اليه التركمان حين يرى ان الصلاة على النبي مفتاح
كل المقاصد وغايتها :

طه واصلاتك الشريف مفتاح الكل امن اقصد * اعليتك اغايت لقصد
واما الغرابل فيريد من الرسول ان يكون له سندا يوم القيامة حيث
الامة كلها لاثمة بحماه ، فذوبه كثيرة ، وهو يخشى من ضيق القبر وعذابه
ويرجو ان يقبل مدحه هدية ويرضى عنه ويرشده وينظر في حاله ويأخذ

بيده حتى يصلح فساده ويخف حمل ذاته الثقيل :

أطه نفيك اتكون لي سنيد واسنادي * فيوم الا تجزي الوالدا
عن مولود او لا اسيد دونك يوم المعادي * والاما فحماك لايسدا
أطه ذنبي اكثير خوفي من ضيق الحادي (I) * يوم اتكون الذات فاقد
لا أهل لاخوان او لا عمل اويس التفرادي * لا توبنا للام هـ
أطه تقبل اهديتي برضاك وتمجداي * وارشدني حل لمرشدا
نظر من حالي اوخوذ بيدي يصلح افسادي * ذاتي حمل اشعيف راقدا
لعله واضح من هذا ان اهل الشعار من الرسول يكاد يحصر في

امرين : احدهما الفوز بشعاعه يوم القيامة والثاني زيارة مقامه .

اما الشفاعة فقد جر موضوعها بعض الشعراء الى الحديث عن يوم
القيامة وما ينم فيه من حساب وجزاء وعقاب ، وكيف يشفع الرسول في
المسلمين ، على حد ما نجد عند المغراوي في «هول القيامة» حيث يذكر انه
عنه السلام كان قد اخبر دعاه الذي طلبه منه الرب الكريم ليحييه عليه ،
الى يوم الحشر لجعله عما على آمنة خاصا بالشفاعة :

انجو الهاشمي باهيج انوار * ويقولوا جملت لاهل
جنا لك نطلب الشفاع يا مختار * يا عالي الجاه ولمقام
ويقول انا لها ويوم الموعود * وحرث احواب ادعوتني عنداسؤالي
عند امنابر ايقوم بمقام المعبود * كراس لوبنا سمس ايلالي (2)
ويسجد فالترا اينادي باوجود * وعدك شفاعت لورا تجسر حالي
ويقول لدايم لمسرمد * ارفع راسك من السجود
سبح نشفع يا محمد * واطلب تعطف اجل حود
و مولد الهاشمي لمجد * اعجل بفضاك يا ورد
اهل الجنا يدخوها وهل المار * يمشوا لها ابلرام
انا الشيع فمي وانت الفقار * يا عالي الجاه يا سلام
انقول الرب كونوا فجت رضوان * اهنبا جميع ما وعدت اليوم اكون

(I) اللحد ، (2) يتلألا .

الشوق والحنين للبقاع المقدسة :

واما زيارة مقام الرسول الاكرم فقد أناحت لكثير من لشعراء ان
يعبروا عن شوقهم وحنينهم للبقاع المقدسة وما يعانون من ذلك الشوق
وهذا الحنين ، فعبد الله بن احساين دائم السهر والبكاء من الشوق ،
معنى الصدر من التنهد ، لا شيء يطفىء من ناره غير زيارة أرض طيبة حيث
يريد ان يمرح وجهه على قبر الرسول ويتضرع اليه أن يمهجه الامان :

رني الله شاهد عن نفسي واللسان كل احيان

انبأت كنصل ابشوعي والدمع كايوم مـ

بتناهدى اتعلل صدري والصعب ما بقى يديان

حنى الارض طيبا بطفى ما فالقلب من يبران

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر سعدان

وانقول يا شريف لاسم مـاح طالبك للامان

ثم يعود الى منزله فرحان ليصلي ويصوم ويمدح الرسول :

وانعود من الحج امركاخى يا عنايتى فرحان

لمصوم والصلا وامديحك بين لحديث والقران

ويحاطب ابطالب لحسن حجاج البيت ، وقد تعلق بهم قلعه واربط

عمله ، متمنيا ان يقف مثلهم في عرفات ويبنى :

عقل طاش امكم يا ريار العدنانى

لجبل عرفا واعنا

مسي كيمسى

بفصل موى المسى

بحصن باجرم دماى

نوقف فى موقفكم

وانسى برحمانى

برحمنى بفصلكم

وانقول ابلفت امانى

وهو يامل ان يندوه فيقطع المسافات ليلحق بهم :

مـرـا بـ بـندجـان
نروى ببح الطرف
دهون يا عذاسى
صبـح فـى حـصـرتكم
مير نـعشـد اسـعـاسى

ومن اجل ذلك يرجوهم ان يدعوا له الله ان تتم له مشاهدة نور
العين والشرب من المعين ما دام يعشق وما دام الشوق يدعوه :

رغبو فـىـا المعـين
انشاهد نور العين
نروى من راس العين
عشق والشوق ادعاسى
فالمعلا تطركم
وانشاهد من يرعاني
كرموني بدعاكم
خايـف نـعـسى تـسـعـاسى

ومثل هذا نجده عند الكنديز الذى يخاطب الزائرين يرجوهم ان
يخبروا صاحب المقام بحال مهجته الغائية وذاته النحيبة من الشوق ، ففى
ليمه وبهاره تائه الجوارح ذاهل الروح ، لا يخلو له عيش فيرغب به ولا
يناديه الموت فيرتاح ، دمه متهاطل كالمطر لا يفتقر ، وسهره لا ينقطع من
فراق من سلبه ومنك عقله ، لا يزيد قلبه الا لظى واحترقا وقد حالت دون
الوصول اليه الروابي والجبال ، وهو وحده الذى يستطيع معالجة دائه :

خبروه ابـحـالى رامـهـجـتى ارشـات * من الوحش وذاتى بالشوق لاحـلا
اكما انفل الـلاى (I) بالشوق كـنـبات * ولـجـوارـح تـاهـو وـارـوح دـهـلا
ما زعى لى عيش اولا نـسـادـانـى اـمـاب *
من افراق اماكم لـجـبال هـطـلا

ليس نصر كعادتي (I) الساتر مني *

تاه عقلي شئ اسلافني ابحبكم

...

ويي ما سرت انشاهد ما ريت اخيال *

فالفكر واليقظ والذات فاهيب

اسمديني وملك عقلي سيد الرجال *

تاهت اسيار الذات امعاء داونا

...

من يدعي اني - على طه حرس *

يا لي عييم او ثين حدكم

اشم حشوي سمهرن كليل ليل *

من اهوى محبوبى فاقد راحي

...

درقوه اعليا لرواب الطواد *

ليس من غيرو كان الدبعي اطيب

كذلك يبعث الفلوس سلامه للرسول مع الذهب لزيارته ويطلب منه

تبنيغه نه من الفراق ينحب معذب اقلب هائل الدمع ملسوع الضمير ،

راحي ان يقرب لمقامه وحماه وقد طالعت غربته :

يا الغادى لمقام الهاشمي المرشاد *

بلغ اسلامي حزم نامي بسادي

من احبب من مرادى عدت احب *

وقلبي ابلقراي يا صاح متعذب

قل اللهيب دمع عيمي هائل اسكيب *

وصصري ابلقراي لا زال امنكب

من اللهيب ردت لمقامه قريب *

هادي مد اشحال ونا متغرب

امني لجماء وحياتي تغرب

(I) الودق كما في القصص المطر .

ونتوس الى الله بمن زاروا بيته ان يزين اسمه ويذكره وينعم عليه
بلقب الحاج ، كماية عن أدائه الفريضة .

يا لمولى زكى اسمى باسم الحاج * ابجاء من حج أطاف زار حرم طه
فما أسعد من زار مقام الرسول الكريم وادى الشهادة عنده ، وما
أسعد من رأى سكان طيبة وفاز بالعز والرشاد ، وما أسعد من شهد نور
الهدى المبهج ، فما مثل النظر اليه تنزه ، ولكن هل سيمسح بصره فى جمال
الرسول ليرقى عند رؤية صورته ؟

يا سعدات من زار امقام سيد لسيد يا سعدت من عدو أدى الشهادة
يا سعدات من شاف امقام تنك لوحد يوم طيبا فايز بالعز والرشاد
يا سعدات من رانور لهدى المبهاج ما بحال النظرا وشمايلو انزها
يا ترى ننظر فجمالو ابشوف نغناج عاد بترقى لما صورته الراهبا
وقد تناح الزيارة للشاعر فيحس هذه السعادة على حد ما تم له حاج
اعماره الذى غدا سعيدا وقد حج مع الابرار ، وطلب العفو عن اوزاره ،
وزار مقام النبى المختار ومتع بصره فى قسبه ، انعم الله عليه بالزيارة فتنور
قلبه ، وثلا القرآن فى مسجده الرسول وسبح فى ساحته :

سعد سعدى حجت امع لقطاب لبرار سعد سعدى وطلبت لعفو عن اوزارى
سعد سعدى زرت امقام النبى المختار سعد سعدى تمتت افقتو ابصارى
سعد سعدى نعمنى خالقي ابلمزار سعد سعدى واتنور ساكن السيارى
سعد سعدى فى مسجده اقرى لسوار سعد سعدى سبحت افساحتو البارى
لذلك فما شاهد - فى رأيه - شيئا من لم يشاهد مقام الانوار .
وما أدرك من لم يدركه ، وما أحس من لم يحس سر الاسرار فى مقام
المصطفى عظيم الاسرار ، وما فاز من لم يفز بالتح والذكر عند قس النبى
الكريم ، وما رشف من لم يرشف من ماء زمزم العذب خير الآبار ومظهر
المعقوب

آش شافوا من لاشافوا امقام لنوار واش ذركوا من لادركوه افبعمارى
واش حسوا من لاحسوا سر لسرائ فى اهام المصطفى عاظم السرارى
واش نالوا من لاناوا الحج واذكار فوق قبر بهادى لمشرفو البارى

واش رشفوا من لارشعوا افخيرليار سبر زمزم لعذيب امطهر السيمارى
واذا ما هيئت الزيارة لشاعر فانه قد ينقل وصفا لركب ومراحل
الحج فى قصائد أطلق عليها «المحمل» ، وهذا ما فعله عبد القادر بوخريص
الذى وصف ركب الججاج المغاربة وهو يستعد للرحيل من فاس ، وقد
ضم جماعات من سوسى ومراكش والحوز والعرب والبربر ومختلف القبائل:
أرواح أراسى انشوف هذا الركب السابر
خلا ناس المدوق سايقا لمقام المخار
مادامن قومان جات تمشى لدحج اتخاطر
من سوس امراكش الفريج جدوا احطار
واهن الحوز اوكل امن اتها واعرب وابراير
واقبايل شلا انصمها والطبا لخير
ويعطى صورة لآطار هذا الجمع الذى برز فيه اكابر اهل فاس ،
حيث نصبت الخيام واصطفت الخيول ولملت الخناجر والسيوف والبنادق
والرماح ، وحضر أبناء السلطان يحيط بهم الخدم والحشم ، ووقف رئيس
الركب يستعد للرحيل وقد فاضت عينه بدموع كالجواهر :
واخوابع هل فاس برزوا بمصارب وسحار
واخيام اعجيبا امتحف فرجا للنظار
واهجاين واخيول رايضا واصوارم واخناجر
وامكاحل واسنون والسيوف اقصر لعمار
واولاد الملك عبدو رضى اسناهم زاهر
حمت بهم ناس حفا واعبيد وحسار
والحاج الطالب (I) فاض بحرو دافى بجواهر
واتها لميز والسفر بالمال ولحوار

I - فى البحث الذى كتبه الاستاذ محمد المتونى عن «ركب الحاج
المغربى» ان ركب هذا العام (1326) حج فيه المولى ابراهيم ابن السيمطان
المولى سليمان وان الذى ترأسه هو الحاج الطالب بن حلون (ص 15 ط.
معهد مولاى الحسن - تطوان 1953) .
(32)

واجمال وابغال ولجمال والصايم والفاطر

واهوادج واجحاف صاينا واعوانس وابكار

ويستعرض مختلف مراحل الحج ، وتبدأ في رابغ حيث مكان
الاحرام — بالنسبة للمغاربة — والشروع في التلبية ، غالطوف بالمقام
ونعيل الحجر الاسود والوقوف بعرفات ، ثم لهدى والنحر في منى
صباح يوم العيد فرمى الجمار ، وبعد ذلك يؤدي العمرة ويقوم بزيارة
قبر الرسول في المدينة :

وافرايغ يحرم امن اتھيا للحج وهاجر

ويلبى للحى امن اصميم القلب البكار

ويطوف ابل مقام ولحجر قدمو يتجاير

وافعرفا نكمل حجثو ابرحمت الجيار (x)

وايضحي بمنى اصباح عيدر وايولى طافر

بفرايض وامناسكو او حجو يرمى بجمار

وايجب العمرا اعلى النهايا ويطيشر الزخاطر

وايجدد بالسير للشعب الماحي لحرار

اما اذا لم تنجح لزيارة ، فيكتفى برسول يبعث معه كتابا للنبي
الاعظم ، على حد ما فعل الحاج محمد بن علي المسميوى في «المرسول» الذي
يقول في حربته :

من الغرب اتسير ابلكتاب بالمرسول وصدوا لحمد طه خانم الوسالا

ويشير عليه بالطريق الذي ينبغي أن يسلك للوصول الى البقاع
المقدسة ، مع تحديد كل المحطات التي يمكنه أن ينوقف بها ، وهو في
البدء يوصيه ان يتجنب الصحراء لقلة الماء وصعوبة الطريق وينصحه ان
يسلك طريق الساحل وان يظل في ركاب الحجاج :

لا تفرق الحجاج اتنال كل تقراپ في جمعهم تدرك لمراد دون ريبا
جنب الصحرا تنجا من هول واشدغاب قلت الما فيها واطرقها اصعبيا
اعلى اطريرق الساحل تغدا وصغ للقول رايد النصحت بحدشى افد لمقالا

فى اسكندرية تلقى من لوفاحظ * لدمنهو اكلنف ابلشمى اكبالا
فوت دار الرهيان تدرك عز واقبول * بعباس المرسى اللى افدحظا
سیدی البدوى كان رايد اتصول * فطظا ما تحتاج لمراسمو ابدا
نكازيت امع بمها اتصيب فالحين * دنيا روح المصر يا رسول فرحان
ويوقف ثلاثة ايام فى القاهره ليزور مقام سيدنا الحسين والقلعة
وضريح الامام الشافعى ولسميدة سكية ويستمتع بصفاف النيل . وهو
خلال هذه الايام يتفرج على حفلات المحم بقبابه وهوادجه والمشاعل
والعساكر فى زيا الجميل والابواق والاعلام والطبول :

سر لمعام ولد ابهاشمى اتصيب فالحين لجاههم اسع الرب لورا المنان
اطع للقلعا لحصينا ومنع العين على لخبير الفتش من به حق ستعان
زر لام الشافعى انعود مشمول بالتنا والبركا ولا تر امهالا
كداك ست سكيئا (I) طب كل معول افحرمها زد اتدل غايست الدلالا
اجلس قنتيام افرجا ابغيتك اتسال بنزابه بين القنعا وساحل النيل
كل يوم افراجا بين لكهول واطفال فى يام المحمل اللى هو موكب احفيل
بالجوامر شع يميزها ابلهلال ولقبب وهوادج تشفى اسقام لعليل
ولعساكر نظهر فى زيا الكمول افلكسا وما دركت كيفها اعمالا
ابلعساكر واغوايط ولعلوم واطبول ايجددو داك الموكب كل ما اتبالا
أما الرسالة التى يحمل فسيبلغها عند شباك المقام ، حيث يوصيه أن
نضع يده ويخبر صاحبه الكريم انه جاء مبعوثا من محب فنى جسمه فى
حبه ، لو استطاع لقدم روحه مقابل وصله ورؤية نوره ، جاء برسالة منه وقد
تركه رهين الشموث يريد أن يشرب بطيب اللقاء ، والا يحرمه من رؤية
حمال وجهه وار فى المنام ، فكن رغبته وكسبه أن يجود عليه بالرضا
والعطف :

بعدها بوضع فالشباك راحت ايديك

قل لويا من روح النفس هاييم افداك

(I) الذى يحفظه الرواه هو «ست ستيئا» ولكن لا يعرف ضريح بهذا الاسم
فى القاهرة ، ورجحنا أن يكون تحريفا لـ «ست سكيئا» .

حيث من عند اللي جسمو افنا احبك
قال لك حق الذي بين لعماد نيك
لو ايصيب ابدل روجو ابطيپ وصلك
ايشوف بورك من سجدت لو اجميع لملك
حيث برسالا واتركتو ارهين شوقك
راد يتشرف يا سيدي ابطيپ ملقاك
لا تحرمو من تصرا في اجمال وجهك
حبها ولو في امنامو ايشاهه ابك
كان رقتو من بعد الرضا ابعطفتك
داك رغبو واكمال اجارتو امن اوفك
ومثل هذا نجده في القصائد التي يطلق عليها «المرحول» او «الورشان»
او «احمام» حيث يرسل الشاعر طائرا الى لبقاع المقدسة يحمل رسالته
لرسول ، مارا بنفس المراحل ومزودا بنفس التوصيات . من هذه القصائد
«مرحول» الحاج عمر المراكشي الذي يقول في حربته :
اولد احمام ادي لي عنواني نلصادق لمصدق رسول الله
ومنها كذلك قصيدة الحاج ادريس لحسن المشهورة بـ «حمام المدينة»
والتي يقول في حربتها :
هاك اكنابي يا حمام المدينة من أرض فاس سر اتزور المدني
ويوصيه اذا ما وصل الى الشباك أن يرمى بالكتاب ويبلغ الرسول أنه
مبعوث من طرف عبد أثقته الاوزار ، تحبسه وتقيده جرائم كبيرة ، وهو
يرجو شفاعته ليل نهار :
أوقف فالشباك الشريف الزاهر والى اكتب للماحي تاج انصارو
ثم قل اشافع لعباد الطاهر هذا كتاب عبد امثقل بوزارو
محبوس امقيد في اجرايمو لكبار يرجا شعاعك في لينو وانهارو
التوسل :
واذا كان الشاعر الشعبي قد عبر في قصائد الحنين الى البقاع المقدسة
والشوق لزيارتها عن حال ضعفه مثفلا بلاوزار ، فانه في قصائد التوسل

سبح ربك كبريا ، جعل من رحائه المدح في الله أن يتقنه ويعفو عنه ، من ربه يسأله أو إلى رسول الله الكريم وساطات مختلفة (I) .
ومن أشهر قصائد التوسل قصيدة العدمي التي يقول في حزينها :
يا من أبدى عافني ارحمك اذل ، خف ثقل يسرح يرتخا اعقالي
وفيها يطلب من الله أن يغفبه حتى يسرح كربه ويصرف همه ويهنا
خاطره ويسلو قلبه ، فليس له من عنت لا هو ولا من عنت كل حيله
رحمت ذكر في ساحتها ، وهو سر من عني حاجته في الحال منوسلا
اليه بالرسول والانبياء والاولياء والسادات والصالحين وكافة الاقطاب
والابدال وجبريل وملائكة العرش وعزرائيل وميكائيل واسرافيل
واسماعيل وابراهيم :

عننى بتفجأ كربي اندسوح لهوال * خاطري تنهنا قبي اعود سالى
لن يركن من بارت لو اجمع لحيال * اوعاد منزل ديونو ابلكدار مالى
دحين لك أهولاي بالانبياء والرسول * ادخيل لك اسيدى بجاه كل والى
ادخل لك السادات الصالحين لفضال * كافا لقطاب ولجواس وابدال
ادخله اسانتك بجاه حق جبريسل * اسم اذيك العرش هل السما العالى
اوجاه عزريل وميكائيل ويسرافيل * كل ما نطلب لك نغفبه ينحطالى
اوجاه اسماعيل ومول لمقام لخليل * حاجتى نغفها فالحين تمضى لى
وهو حين يتوسل إلى الله يعرف أنه غير غائب حتى يرجوه أو عاجز
سرى يندره ، وانما : كرب حاصر ناظر ، حزين العطاء والاحسان ، قادر
على أن يشفى ذات العبد من كل علة :

كنت شى غايب نرجاك يا جليل * اولاً انت شى عاجز تعدد بالمولى
تسبح حاصر ناظر معجنا احسانك اجزىل * بقدر يشفى من ذات العبد كل علا
أما هو فضعيف لا سمع بين الحين لا يعنده الناس في بلواه ، لا حول
ولا قوة له ولا جهد ولا حيلة ولا تدبير فيما قضى الله :

لبدان اضعيف والحمل حائر اعيل * رجاء ما تعدد حال من اتبلا
مايل قوا ولا جهد ولا حيل * ولا تدبير الخلقضا ولا حيل

(I) معلوم أن الله رأى في سرح التوسل إلى الله بالغير أو الوسيل
لغير الله ، ولكن ليس من غرض أن نعرض له في هذا البحث .

وامنه كبير في أن يبلغ مقصوده ، فالعبد اذا شكك لسيدته قبل
شكواه وحرره ورفع مرتبته ، لذا فهو يدعو ويرجو منه القبول والاسراع
فيه ، ما دام باب الاجابة غير مقفل ، وما دامت خرائنه مفتوحة
للسعة مثله :

اذا اشكك العبد اعلى سيده ازيد يقبل *

ابحررو و سبرو و سبرو و سبرو

باب اجابة عندك ما سيد يقبل *

امحازك مموحا لساعي بحالي

من عندي انا الدعى ومن عندك لقبول *

والحاجا ما تكون فيها تعطىلا

أليس هو القائل لرسوله : «واذا سألك عبادى عنى فامرهم
اجيب دعوة الداعى اذا دعانى » ؟ واذن فلن يخيب عبد دعاه وسأله ،
فهو سريع العطاء ، تنفيذ امره رهن بحرفى الكاف والنون ، وثبت قدرة
الجليل التى حارت فيها العقول ، وما حاول احد ان يحقق فيها الا وغاب
عن عقله وتاه :

حق قلت يا ربى للنبي المرسول * من دعاك فعبيدك حق تستجب لو
كيف يدعى عبدك واخيب بالمسؤول * يا سريع المعطى لجمع امن اطلب لو
درك بين الكاف وون حى مسمول * من تحقق يحقق واخيب به عقدو
ولا عجب فقدرته وسعت كل شىء ، اذا اراد شىء العليل واعنى
الفقير ورفع الوضيع وعلا شأنه وجاهه ، واسعد الشقى وعفر له معاصيه
وصيره من اوليائه . لذا فالواقف ببابه يطعم فى العفو الذى وجود به
على العصاة أمثله

اذا ردت بحكمتهك تشفى لعليل * وبذا ردت لعمير ترجع ذو مالى
ويدا ردت لوضيع يدنا للتنفصيل * ترفع جاهر ايعود فى منزل عالى
وبذا ردت اشقى اتسعدو بالجليل * تغفر لواقما اعصاك وتجعوا والى
بعفوك اتعود * عل العصاة ابحالى

وهو يرجوه الا ينظر الى قبائح أفعاله ، وان ينظر الى ضيقه وضعف حاله ، فلن تنفع الله طاعته ولن يضره جهله ، ما دام غفرا لا يحاسب على الضلال :

لا تنظر يا كرمم لقبايح فعلى *

انظر من ضيقتى وضعف حالى

ما تنفعك طاعتي ولا ضررك جهلى *

لك غمار ما تحافى بضلالا

فيه رجاؤه وعليه توكله ، ولا يريد ان يسلمه الى من لا يرحمه ولا يرئى له ، هو المتعالى يعلم سر قلبه وانه لا يفكر فى غيره ، مهما ضاق به الحال وفاض قلبه فهو لا يسعى لغيره ولا يفتر عن سؤاله :
من فيك المرجا واعنيك الاستكال * لا تولجى اليد من لا يرئى لى
انت تعلم اسر قلبى يا متعال * لا ينى ما ندير غيرك فى بالى
هما يقط ساكى ويضيق الحال * نسعاك اولا يغيب عنك اسوالى
ولا بن الوليد توسل رائع يقول فى حربه :

ناديت ابكرحتى اوصوتنى * وادفعت صوتى الرب الملكوت
وادعيت اقلت فى ادعوتى * يا من نجيت يونس فبطن الحوت
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى

وهو بتوسل به اليه ان يسمع دعائه ويلبى طلبه ، فقد وقف ببابه مملوكا يرجو ان يغنيه من احسانه وفضله الواسع ويهديه لذكوره ويجعل هذا الذكر قوته والذ فى لسانه من كل لذيذ ويكتب له فى قسمته قصرا بالجنة :

انلهم ابحقك امسولاي اعليك *

سلتك بك يالسميع المن ادعاه

كن اطلبى امريع اكما نطدب لك *

يامن صورت صورتى فى شين ارضاك

انت السطان ماينك فالملك اشريك *

ونا المملوك واقف فى بابك نرجاك

ياربنا اسألك * من فضلك واحسانك * وامت الخير عندك
ضافى اعلى اعبادك * اغتنى بفضلك * الواسع اخزانك
وجعل منروى اوقوتى * ذكرك فلسانى اغلى من لذ القوت
واجعل يا خالقى اقسمتى * اقصر امؤيد امجنت لعلا موروث
وله آخر يتوسل فيه الى الله باسمه وببعض سور القرآن الكريم ،
يقول فيه :

نتوسل باسمك ليك اوصاد اوطه واقاف والقرآن لمبين والرحمان اياسين
ولمولاي على شقور توسل يقول فى حربته :

ياالله نتوسل لك ابنورك يا سيدنا مولاي محمد لحبيب عندك
يرجو فيه الله ان يحن ويشفق على عباده ، والا يخيب من جهل
بأمره والا يعاقب العصاة لانهم ينتمسون رحمته ، فكل الخلق فى قبضته
وحكمه ، وكلهم يعرفه بقدر ما يريد هو ، بيده شفاء المريض لا يداويه
غيره ، وبيده القبض والبسط ، واحد فى ملكه لا شريك له :
حسن واشفق اعلى اعبادك ياسيدنا *

اولا اتخيب شى ياسيدنا من جهلك

لا تزعج ابلعقوبا اعلى الى اعصاوك ياسيدنا *

اوهمما ابلحبيب يرجاوا رحمتك

كل ما خنقت ياربى كلو فى احكامك ياسيدنا *

كلها اوما بينت لو منك

والى امريض امعلل ادواء بك ياسيدنا *

اولا ايداويه يسا سيدى من غيرك

يا باسط لنعام ابسط اعبادك ياسيدنا *

ابخيرك يا سيدى ونعمك

القبض والبسط كلو منك ياسيدنا *

فيه القت يا مولاي عبيدك

لا شريك امعاك اولاً مشرورك ياسيدنا *

واحد احد فى ملكك

ومن طريق التوسل الى الله لون جماعى يشترك فى انشائه اكثر من شاعر يطلق عليه « التويذة » او « الرحمة والشفاء » (I) ، وهو عبارة مساجلة يقصد منها الى طلب شفاء صديق مريض ، او انتقام من طاغية ، تتطرح فيها الشعر « عربيات أو اقسما تكون فى مجموعها قصيدة (2) وعن اروعها تويذة مراكشية شارك فيها الاشياخ محمد بن لكبير ومحمد بن عمر ومحمد بن بوسنة متوسلين الى الله ان يشفى صديقا لهم مصابا بداء الضيقة النفسية ، بداها ابن بكبير داعيا الشعراء الى طلب الرحمة والشفاء لهذا الصديق ومتوسلا الى الله ان يدركه بلطفه الخفى :

أسادتى اقوامى العلم الموهوب * امن كريم هبكم افضل وافى
عنكم اسلام فايق المسك افلجيوب * يعنى عن جمعكم ياهل لقوافى
وبعد مرو اقصدكم وجا مرعوب * مريض النفس طالب الله ايعافى
طلبوا له الرحمة العالم لغيوب * اسميح امجيب ابخطا ليس ايعافى
هو يعمو اعليه من هذا المكروب * يشمى ضرر افحين بدواه الصافى
وادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

(I) فى مراكش يطلقون على هذا اللون «التويذة» وفى فاس يطلقون عليه «الشفاء والراحة» . ومعنى التويذة الحصينة ، وهو اسم شائع عند افلاحين . وذكر لنا الشيخ ابن عمر المراكشى فى نشأة التويذة عند شعراء الملحن قصة اسطورية تقول ان ملكا كان له كنز لا يفتحه الا ايام المجاعة . وفى يوم من هذه الايام اراد ان يفتحه فلم يستطع فاستدعى العلماء فعجزوا فهددهم بالقتل . وكان احد هؤلاء العلماء متصلا ببعض اشياخ الزجل فحدثه عن الموضوع فقال له الشيخ : «انتم علماء الاوراق ونحن علماء الازواق» واخبر العالم السلطان فاستدعى هذه الطبقة من حملة علم الازواق — وهم الشعراء — فاخذ كل منهم ينشئ وينشد الى ان نيسر فتح الكنز .

(2) ذكر لنا اكثر من شاعر ان التويذة تقال قصيدة فى فاس وعربيات فى مراكش .

فأجابه محمد بن عمر :

يا نعيم المدحوب * السلام الا يزول من عند اولافى
 عندنا جن قولك والمخطوب * فثمان هذا الرجول من ضرر خافى
 له نسال اعلاج ضرر دون اسبوب * بشمعى سالى اسليم هالى متعافى
 ما بين اهدو ولا متو فارح مطروب * توب الراحا اكساه ليس بالوافى
 باليت بالمسقم ما بقى مشغوب * شهاده الله امن الضيقا متشافى
 من ١٠ م واسى كل نكوب * واهضى ضرر وعاد بدنو صافى
 له نسال لكريم وكفى منصوب * فدعنا كنقول يا نعيم الكافى
 ادرك هاذ لمريض باللفظ يخفى

ثم رد عليهما بن بوسته متجاوبا منهما فى الموصن :

تى مسطوركم ' يلامت لنجاب * واشرح صدرى امني ريتو بهدافى
 فثمان هذا الرجول بالضيقا موصوب * بالراحا بشروه ضرر متشافى
 وقاه الله بعلاج ارمى لنحوب * نجاه الله سار جرمو مترافى
 المهم ابجاء لحبيب المحبوب * طسه عين لوجود نعيم المقتفى
 اللهم بجاه ما ضمت لكتوب * وابجاء الساجدين فى كل الفتافى
 اسمائك بك لث عجل بالمطوب * من رى ونس ترى كشوافى
 ادرك هاد لمريض باللفظ الخافى

كذلك توسل الشاعر الشعبي للرسول على حد ما نجد عند ابن الوليد
 الذى يتوسل اليه بحرف ثقاف من القدرة ، وبحرف العين من عز اصحابه
 العشرة ، وبحرف العاء من فضل فاطمة وبحرف اللام من الملائكة المقربين ،
 ادخيل لك ابقاف القدر * اعين عز اصحابك عشرا * افا فصل فاطم الزهرا
 الام لملك لقرب عند مولاك

ويقف عند بابه يشكو متوسلا الى حماه ليعتق روحه من ايدى اعدائه :

هوها الخشن والشيطان اللعين :

واقف عند بابك شاكسى
 زكت يا محمد فحماك
 فادى روحى بفداك
 امن ايدين اعداها

نفسها واهواها لخشمين

والشيطان اللعين

ومثله توسل الطالب لحسن الذى يقول فى حربته راجيا من الرسول

أن ينجيه من حر النار :

فكنا من صهد النيران * يالعدنان * يا رسول الدنيا والدين

ويطلب منه الا يفرط فيه يوم اللقاء الكبير ، فهو صاحب الفضل

والبر والشفقة ، وان ينجيه كما نجا الغارقين مثله فى الذنوب :

يا رسول المعاهد لوثيق * لا اتفرط يسوم الملقى

يا فصيح اقوال التصديق * والفضل والبر اشفقا

يا مسك من كان اغريق * فالذنوب امثلي وابقى

ويتوسل اليه بعمر وعثمان والحسن والحسين والصديق وعلى وبقية

الصحابة الاركان واهل القرآن ، وبحمزة وفضلاء عقيل وبحرمة الكتاب

وصحف العلم ، يتوسل اليه بكل هؤلاء أن يفكه والمسلمين فى ساعة

الحساب :

ادخيل لك بعمر وعثمان * بالعدنان * والحسن واكداك الحسين

والصديق اجملت لركان * يالعدنان * ابلى وهل اللبين

ادخيل لك اجملت لصحاب * يالعدنان * ابحمنا وفضايل عقيل

ادخيل لك ابهرمت لكتاب * يالعدنان * والصحوف اعلم ادلين

اتفكنا فى سباعت لعقاب * يالعدنان * ياشريف النسب انفضيل

ويتوسل معجم بن الحسين العلوى الى اصحاب الرسول العشرة

الشرفاء المنورين الذين سبقوا الى تصديقه :

زكت فحما نعم العشرة اخيار لصحاب *

اصحاب معجم من لا كيفهم محسوب

زكت افحرم لصحاب نعم الاكرمين *

من بهم طابت لمكارم فلجسنا

هما الشرفا لمكارما فالعالمين *   

هما الى نورهم لكل اقتبسنا

هما الى صدقوا ابلحليم الامين *

مهما نور عل لفلان ارضا واسنا

فيما حابه صدقوا نور اشمسنا

ويتوسل الحاج ادريس لحنش الى أبناء الرسول اصحاب الجود
والفضل ان ينظروا الى حاله حتى يظفر بأمنه ويسلو وتهنا روحه ويزول
عنها الشقاء ، فقد جاء يسعى حماهم ، وهم اهل الوفاء والرحمة ، ونجوم
الدنيا الزاهرة ، عساه يقبل وينال الرضى ويذهى بالبشر حاله ، فقاصدهم
لا يخيب ، وقد صال عليه الزمان فاتاهم شاكيا تسيل دموعه :

اسادتى اولاد طه * شوفوا من حالى

جميعوا داتى امح ادواها * نظفر بىالى

واتربح الروح امن اشقاها * وانولى سالى

اسادتى اولاد طه * بغى نبرا من لعلال

شوفوا حالى افير حال * رفعوا عارى اوصارخونى تهنا روحى الحايرا

اسادتى اولاد طه * لحماكم جيت يافضال

قبلونى بالرضا انال * يادار الجود ولوفا وانجوم الدنيا الزاهرا

اسادتى اولاد طه * قاصدكم ما يرا انكال

لين ليعير ولغزال * اهرب لقام جدكم ياهل الرحما الناشرا

اسادتى اولاد طه * عنى هذا الزمان صصال

والدمع من لميسون سال * قبلوا من جا لبايكم شاكى يزها ابلعشرا

فليس له من دواء غيرهم ، فى رضاهم عنه ربحه وغناه ورسماله ،

وهو يرجو ان يقبل عبدا فى حماهم للخدمة ، فهم آل النبى الاصفياء الاوفياء

المطهرون ، أعطاهم الله من اسراره الباهرة ، وهم ابنا فاطمة القرشبية

الشريفة الكريمة ذرة الجمال الحسنة الافعال ، الشبيهة بحور الجنان :

شيدونى ابلا دواكم ياهل لمعالى

ربحى واغناى فى ارضاكم هو رسمالى

قبلونى عبد فى احماكم نخدم مدالى

انتم اهل الصفا ولوفا وانتم اهل النبى الآل

طهركم حق ذو الجلال
واعظاكم كامل لعطيا حسن اسرارو الباهرا
انتم اولاد الشرفا لقرنينا درت تجمال
لكرما ريت لعرس
مولاتي فاطما المتول بحريا القاصرا
والى اولاد فاطمة كذلك يتوسل الغرابلى فى قصيدته التى يقول فى
حربتها :

طلبكم ضيف الله سرخا ياهل بحسان *
من يقصدكم حاشا ايخيب ياهل البيت العدناني
لشراف الحسين

وفيها يقول موسلا اليهم بجدهم ونورهم السننى وشانهم العظيم
وطيبهم العطر أن يفكوا اسره ويغنوه ويجبروا كسره ويزيلوا ظلمته ويضيئوا
بجده ، تفتتح له أبواب الخير ويربح ويسعد فى آخرته ودنياه ، وطالما ان
حلقهم مستمر ، فهم رحمة للعصاة ومستين ، وكل من لجأ الى حرمهم لا يخاف ،
وهم يسمعون فى محبتهم فيدخل الجنة :

نبغى اسراح يسرى * وغنا فقوى * اوصب كسرى
نسعد وانفوز بدمريا حين اعطفو اسياذا
هل ثوبا صماني لشراف الحسين
وابحق جدهم نسألهم الماجدين
وابحق نورهم نوسم * وابحق شانهم الفاخم * وابحق طيبهم الناسم
نبغى انلوح ظلمى * يضوى نجمى * انور يسمى
وابواب الخير تفتتح افربح الدنيا از لآخرنا نسألهم عطاني
نسعد فالدارس

يا ولاد الزهرا الفاخرنا بشرى خبى عدنان
ما داموا فالدينا نجاههم آفة وعصيان
بهم مرحومين

كيف انخافوا واحنا. افجرهم يالمت لخوان

اشفعوا عالى جريم وبه من العلى عالى

يغم حور العين

ومثل هذا التوسل بأولاد فاطمة الزهراء نجده عند الفلوس اذ يقول :

يا فاطمة بنت رسول الله * انى يلقى الله
 من عباده من كان له * دى فيها كم تمموا العلى
 يا فاطمة بنت رسول الله * انى يلقى الله
 اذا عطفت عى روضى اعود ناعم * من اسقته ما يلقى اكلنج صامى
 يا فاطمة بنت رسول الله * ما يلقى الله
 ان عسى عى ايرىج والبال * كان وصل ارضكم على ارضى العالى

يا هل النور السانى جيتكم مكيود * سمر حرا سجنى بالشراف من اكيادى (I)
 يا هل النور السانى جيتكم مطرود * دوتكم ما عندى من ذا الغلال فداى
 يا هل النور السانى جيتكم موكود * عاملوانى يا آل المصطفى الهادى
 يا هل النور السانى جيتكم موكود * صارجوان نكم قصدى امع سؤلى

مدح الاشراف والاوتماء :

واذا كان الشاعر الشعبى يتوسل بأبناء الرسول فهو يمدحهم
 كذلك ، فابن الوليد يطلب من المشيد ان يفخر بفاطمة بنت رسول الله
 عروس يوم القيامة ، المصائلة بجمال الشرف على سائر بنات آدم ، ويطلب
 منه ان يمدحها ويتعنى بمدحها حتى يفوز بنظرة فى جمالها ويفرح :
 صول ياغانى وافخر ابلا فاطما الزهرا بنت ارسول الله اعريس يوم الفبا
 الصايلا ابزين الشرف اعلى ابناى آدم

وامدح للا فاطم بنت الرسول * غنى بالمدح وامدح حتى بالمدح

تربح نظرا فزينها وافراح

(I) مكيود : معمد ، والاكياد القيود ، (2) سائسل .

امدح يامدح أقول أزيد قول * عسى ان شا الله اتحوز نظرا

افزينها وتفوز كنز اعظم افلكنوز

ولكنه لا ينسى شرف المقام فينبه مخاطبه ويطلب منه أن يتعظ
ويتأدب ويتأمل ويستل ويطلب الامان ، ويهدي كلامه الجميل الى أم الجمال
حس يهدا من الفنة ويحوز الهناء وينال الغنى ويفوز بنظرتها في المنام
اتعظ واتأدب واتأمل يارجول

وامتائل واطلب لمان

واهدى كلامك الحسن

لم الحسن

وارتاح من الفتنة

واطلب لهنا

اثنال لغنا

وتفوز بعز لحلاما

ويذهب شقور في مدحه للاشراف حفدة الرسول الى انهم معروفون
في كل مكان ، لا يخفى سرهم ، من احبهم عظم وشرف وغدا سيفا مصقولا
لا يغفل ، ومن ابغضهم صار حزين ذليلا مهموما :

اولادك في اجيال ووطا ساروا بالعرف *
شوقوا بالناس سرهم عمرو ما يحفا

الى ايحهم صار اعظم اشريف *

سيغو مطحون عمرو ما يحفا

والى يبعضهم صار اخزيين اخميف *

كيف المغبون الى يرفله لحفا

وفي نطاق مدح الشرفاء حفدة الرسول والتوسل اليهم ، ممدح

الشاعر الشعبي مشاهير الاولياء والصالحين وتوسل اليهم (I)

(I) لا يخفى ان للدين رايًا في تقديس الاولياء والتوسل بهم او اليهم،
لا نعرض له ، فهو بعيد عن موضوع البحث . وكانت قد قامت في المغرب

هو مقام لخير وكهف الاحسان والحدود ، وهو القطب والسلطان
المرفوع الاعلام ، وهو القرشي الهاشمي المرشود الوارث للفضل والحلم ،
وهو سند المساكين والغرباء والمفقودين ، يلوذ به الفقراء والاعنياء واهل
المدن والقرى وساكنو الخيام والاقطار المجهولة ، يتوسلون به وينادونه
فتصيبهم جميعا رحمة الله :

يا مقام الخير وكهف احسان والحدود * يا لقطب السلطان الراقب ابنودو
يا لحسن القرشي الهاشمي المرشود * يا الوارث لفضل والحلم من اجدودو
اسميد المساكين والغرباء اوكل مفقود * او غائبين وفقرا بك كيلودو
او عن المدن وفريقت وساكنين احمام * وهل لقطار الا نعرف لهم اسم
كافا ترغب واسادى بعصيح لكلام * او كافا ترحام ابفضل لغني الراحم
ويتوسل اليه بحرا فاضن مأوه على الثرى * ويرجوه الا يترك روضه
يابسا وان يعطف عطفا تشفى من الادواء ، شبيهة بعطف الناقة على بكرها
بين العيس ، ويتوسل اليه ذا منزلة عالية لا تخفض ، ونورا يسطع ضياءه
كالشمس ، جاءه ولهان مستهام القلب مفتاظا متمتع الفكر مهموم القلب يرجو
ان يجود عنده بالعلاج :

يا من بحرو على الثرى دايم فياض * لا تترك روض غلتى ظمآن ايبيس
اعطف عطفا امخسر تشفى لمراس * عطفت ناقا اعلى ابكرها بين العيس
ياماسك امنزلا اعلاما ما يخفاس * يامن نورو انبا اعليك اضياء اشميس
اعرم لى ابالعلاج يا مولاي ادريس

فالذى لا يسقى غرس روضه من مأوه لن يفوز بزهن جميل ، والذى
يم يفتن او يربح فى حماء فان جيبه يبقى خاويا ويظل مفلسا على الدوام ،
والذى لم يعالج دمه بدوائه يظل مثألا من مرضه :

من لا يسقى ارياض غرسو من ماكم * ما يدرك ماينال بهجت زهر انفيس
من لا غنا وماز واربح فحسماكم * يبقى جيبوا على الدوام اصفر مفليس
من لا يبر اسقام داتو بدواكم * لازال ابضر عنتو معثور احسيس
وبرى الطالب لحسن ان ببركة المفضل مولاي ادريس شاع ذكر خير

مدينة فاس بين مدن المغرب :

امدينت فاس حيرها يفتكر بين المدون افغرب

اركتا معصل مولاي ادرس

ماس رمحه فظهر اعز والفرح ، حيث جنب الناس عتنة ، وملا

صبورهم بالعم وأبعد عنهم الوسوس :

عـا رـجـعـ مـسـ * هـ العـر مـرجـا عـبـم حـب نـعـان

لـجـمـر الصـمـور اـبـعـم التـمـر * دـعـب لـوسـسـواس

أما الخرابي فيرى له مجدا قديما متأصلا يصونه كرم الجدود ، يكفيه

نسب الطاهر الذي يقربه من الرسول :

لك المجد اقديم صائنا اكرام لجداد * بالعرفان أغايت الرضا ماهي مجودا

دربا تاصلا (I) صديها ما يحتاج اشهود

تكفيك النسب الطاهر وقريب الميعاد * من معدن الجود ولحظا نسبا محمودا

مديك بين الركي عيس ادى لجدود

دأمت عدومه في كل مكان مقنة يرويها كل الناس ، غزيرة لا تدرك الا

بجهاد :

واعدومت تاني اصقوعها في غايت لبعاد * متفونا يروى انساحها عمراوازيودا

مغزورا تغزير ساجيا مدروكا بجهود

وكالادرسيات «الجيلانيات» وهي المقصائد التي قيلت في المولى عبدالقادر

الجيلاني (2) على حد ما نجد عند العلمي حيث يصمه بأنه بدر لاجد للمعان

شعاعه ، يبهج بذكره الشباب والكهول والشيب في اركان الدنيا الاربعة

من عجم وعرب وانس وجن

بدر الا ينتهي امن اشعاعوا لمعان * الشريف الكامل الشريف الكيلاني

باسمى بك ايلغطو هل ربع اركان * شيب اشابا وكهل وشيباني

1 - الطائفة : الاصل ، وقد رقى الطاء

2 - الجيلاني (ويقلب نطقها باللام) او الكيلاني او الجيل ، ولده في

جيلان سنة 471 هـ وتوفي ببغداد سنة 561 ، واليه تنسب الطريقة القادرية ،

ولها عدة زوايا في المغرب .

شداين وانقري والعجم والعربان * تعبط كفا باسمم الجيلانى
 كمن لى لانس يت اينادى ايجال * سبجان الواحد لوحيد الوجدانى
 منحه الله من سره وقوته ، وولاه ملكا على كل السلاطين ، يرفع من
 اراد له الله العلو والرفعة فيصعد به الى اعلى الدرجات ويحط من شاء اهانته
 وتحطيمه فينزل به الى اسفل مقام :

والحق عن سلاطين كل اوطان * مستتر في امجاسن الملك الهانى
 رجع من راد به خير لعلو امكان * يصعد فالجين للمقام فوقانى
 برار امن ابغاه يسلب ويهان * ينحط اسريع للضيض السفلى
 ويمثل لمهانين بالسودانى الذى استولى عليه الكبر ورفض طاعة
 الشيخ وقال غاضبا الا طاعة الا لله الذى ولاه ، فكان ان سلب كل شىء
 وغدا حزينا وخرج من عالم النور الى عالم الظلام ، وتبدلت حلوة غسل
 لقبول الى مرارة الهجر :

كل افحل مد اريبتو طابع رضيان * اسوى ما كان امن احديث السودانى
 مسو رس بكلام الغضبان * ما يعرف حد دون ربا ولانى
 حين شهد الساب والحزان * رج اس انضمو للمقام لظلمانى
 لمن لقبول بمرار الهجران * معلوم الكبر ان اسباب الحرمانى
 وعند العدى ان تعظيم الاولياء جزء من الايمان ، يسئلوا لذكرهم خاطره ،
 ويخرج مزاحه ويلين قلبه ، ويتهدد من البشر وتذهب احراجه :

عسى ان يارب ايمان * ولا تعظيكم عمو سلوانى
 رآه يومئذ قلبي مرحان * كبرى سلككم من كثرت عذها لى
 قدسى العاسى ابلالها كدكم ببيان * سهل البدرى وينهب شيطانى
 حبه لهم قوة لمساعدته وحجاب يستتره من عيون الحساد :

دوت اشكال حبكم لعضودى عوان * احجاب اعلى اعين لحسود اخفانى
 وهو عبد له يخدمه عساه يوفيه بعض جميله عليه وعساه وجود عليه
 برؤية بدر وجهه فى المنام ، مثله حين يراه كمثل المرتعش من البرد ينظر
 الى قرص الشمس فيشفيه الله من داء البرد :
 عبد اخدمو اكون له من الخدمان * ولا تستورا البعض من شايين افغانى

عن من الحب شعب لمروا عرمان به ايلانا سمعت نور وجهك يكفاني
كيف انلى شاف دارت الشمس البردان * عن عسر البرد قال لكرم اشفاني
وكيف وفضله أعظم من ان يحصى أو يحصى ، فلو اجتمع الانس
والجن والحيوان ومخلوقات ما وراء الكون ، ولو اجتمعت دواب الارض
وطيورها وهوام اليم وحيتانه ، لو اجتمع كل هؤلاء ومنهم آلاف آلاف
الاضعاف ليشربوا من بحره لظن بحره ملآن فائضا :

ر جمع آسى و جن و حيوان * و ماشدين اورا الشد النورانى
وادواب الارض واطيور امع الجردان * ر ما فليهم ان اهوام وحيثانى
يرواوا اجمع والمحر يبقى ميان * وانملهم صعب آف آف ضعفى
لذلك فهو يتوسل اليه بجاه الرسول عليه السلام والصحابة وكبار
المتابعين ومشاهير الاولياء والعلماء فى كل مكان ، وبجاه الملائكة والانبياء
ولاماكن المقدسة والكتب المنزلة أن يعالج سقم ذاته ويحميه ويرعاه
وهو يستعرض أسماء المتوسل بهم على هذا النحو :

الجيلانى حرمت جندك بولستان * الهشيمى لهمام ذا سور المسنى
وابن ابى طالب الفضل روح الشجعان * ركب مجاهدين رضى ومباني
وبابكر لركى عمر وعثمان * رجا يوم الدعا ايكونوا رفقانى
واجمع الانبياء من ازمان الطوفان * زمان المحتبى شمع العصيانى
وبحق املايك لعظيم المستعان * واسددت المنتهى وعرش رحمان
ر من - - - - - من لهم ارجال ابلا اضمانى
ر احدى علم وخدمت - - - - - والايمان اوكن من لهم يانى
ر بسلافك ولحفاد واهل والجيران * داوى ذاتى او لود بيا وارغانى
وبمثل هذا الروح يتوسل اليه فى قصيدة اخرى يقول فى حريتها:
لا اله الا انت انت عبد القادر * صارخنى ماتخاف اولد رسول الله
وقريب من هذا نجده عند الطالب لحسن الذى يقول فى حربة
قصيدته الجيلية :

غشنى يا مولى بغداد * ادخيل لجواد * بك شجنى محسوب اعليك بك عانى
ويقول فى رجال مراکش السبعة :

ليقائنا يالفضلى * ياناس البهجا لبدور سبعة رجال

ويقول الفقيه العمري فى سيدي عبد السلام بن امشيش (I) راجيا
منه الرأفة والعون ومثبها اياه بالبدر لذى لا يتوارى ضوءه على طول السنين
وفد حجب أنوار كل الكواكب :

انا يا بن امشيش غارا بالرأفا كن لى اعوين

يا بدر انبا ولا اتوارى يضى ما طاللت السنين

يخفى لالهال ولنارا والسيرى الباقيين

ويشبهه الحاج ادريس لحنش بالهلال الذى اشرق نوره فى المدن
والبوادي :

انجد لالهال اللى اشرق اصياه * بين لمدون ولديا

امام يوسف ضيف الله * ابن امشيش غير اعسا

ويقف لحنش بباب حمى الجزولى (2) بحر الكمال وكريم النسب
المقرب من الرسول عليه السلام ، يرجوه أن يعطف عليه ويكرمه بشراب
ويعطيه من فضله ما يطلب :

عطفا اويا الجزولى * مولى ابن اسيمان بحر لكمال

عطفا اويامام غربا * العبد جالعندك يشرب

كره و فحماك ابشرى * واعطه ابلفضل ما يطلب

لنك ياشريف النسبا * من سيد لوجود امقرب

ويتوسل معجد بن المختار الشرايبي الى الله بالتباع صاحب الخير
العظيم والسعد الطالع والقدر الرفيع لكى يكمل قصده ويبلغ مناه ، ويرجوه
أن يسقيه من سر بحره الفاض الذى فاقت حلاوته الشهد حتى يفوز كما
رز اتباعه وقد هداهم الله بسره :

1 - هو شيخ أبى الحسن الشاذلى ، قتله سنة 625 هـ اصحاب المشعوذ
أبى الطواجين الكتامي بجبل اتعلم مدون هناك .

2 - محمد الجزولى صاحب «دلائل الخيرات» توفى سنة 870 هـ .

رسول الكيمياء * منه عمر اعلي
اطلب ربي قسريا * يكمل نيا قصدي
ن انوسلت لله * واجابه رسول الله
بدرك ما نصناه * شاع السعي
الله ارفع قدرك * اسفنا من سر
من حجر * احى من شهيد
ايا سميد الباع * ربحك منك لتياع
لاين سرك نفاع * بك المولى يهسي

ويصف الطالب لحسن عبد الرحمن المجذوب بانه طب كسره وصاحب
لاوقات :

في حق الله طب كسري * سيدي عبد الرحمان المجذوب لوفات
وقد حاه قاصدا منلها مطرودا من شدة الشفاء والسحب عماه يفك
أسره ويبشره بزيارة لمقام الرسول عليه السلام : فقد اشتاق له :
غارا لله جيت قاصد لك لهفان * مطرود ابلا طراد من شد التمحان
يا بو لوقات سبدنا عبد الرحمن

تبشر حالي اوفك حصري * شدي لمقام من اعليه اوحى لايات
سيدر رمضان بعد لسري * وحكم حكم لمين وجمع الاشيات
وللفقيه العميري نوسل الى بو عسريه (I) يفول في حربته راجيا منه
أن وجود عليه :

ضيف ربي غارا جود يا سيدي قاسم * لمخسر هيا حمر لكرون يا بو عسريا
والرغبة التي يتوسل اليه في تحقيقها أن يكون له خلف وعقب في

(I) لعله أبو القاسم بن أحمد بن الرشيد السفيناني المتوفى سنة سبع
وسبعين وألف والمدفون على ضفة وادي ارضم حيث له قبة كبيرة ، ترجمه
الافرائي في الصقوة (ص 157 - 158 - 159) قال : « واصحابه يسمونه بأبي
عسريه لانه كان يعمل بشماله أكثر ، كان رحمه الله من المولهيين في ذات
الحق سبحانه ومن أهل الاحوال الصادقة والشطحات الربانية . وكان في
ابتداء أمره معدودا من شجعان قبيلته ، ومن أهل الفروسيه التامة فيهم » .
ترجمه كذلك صاحب «ممتع الاسماع» ص ' 134 .

وأنهم افتتح المبين في قلوب العارفين الواصدين ، من لم يصل بهم تاه في
الطللمات ، ونهم مفاتيح كل المغلمات وعلوم الاولين والآخرين ، بهم يفتح
اعباد آقوال أبواب الله :

هما المسك اعطيو وعود (I) والورد امع النداء اعبر فوطا واجبالى
والحد فاح انسيم طيبها من طيبت لفضال
هما طيب الغرس ولعرش ميراث امن انسيم لجيب راحت لنجالى
هما صيب الثملين جن وناس واسما وارجال
هما الاصل والخلق كبهم افروع من اوجسودهم وحدى يبنى لى
هما لمودك اعلى الدوام بهم صايل من صال
عما الفتح لمين في اقلوب العرفان الواصلين حضرت لوصالى
من لا يوصل بهم تاه فالظلمة عن لوصال
هما اماتح لمعاليق الرقيقا وعلوهم اللولين والختم التالى
هما افيان الله للعباد امفاتح لقفال

ومن قصائد مدح الاولياء والصالحين بعد هذا ما يطلق عليه «الجمهور»
و «جمهور الاولياء» وهي قصائد - كما يبدو من تسميتها - تستعرض
مجموعة كبيرة من الاولياء ، ومن خير الامثلة عليها قصيدة العلى يقول
فى ولها

با من يشمى اضرار عبدو بعد السقم ❦ وايفرح من اقوات فالصدر احزانو
وفيهما يستعرض اولياء المغرب على هذا النحو حيث يذكر بعض رجال
مراكش كالفاضى عياض والامام السهيلي وابى العباس السبتي ويوسف
ابن على والجزولى :

(I) المقصود به العود الهندى وهو نوع من البخور معروف بطيب عرقه
حين يحرق ، وهو شائع الاستعمال فى البيوت المغربية حيث تصنع لاهراقه
مناحر خاصة تكون فى الغالب من الفضة ، ويطلق عليه فى المغرب «العود
قمارى» .

قاضى عياض والسببلى والسببى * ابو العباس غوثنا بسو تدرأوش (I)
هو يطفى ابصر خنثو صهد الهفتى * اكما يطفى الما الظاجوف العاطش
با يوسف بن اعلى انجيت ايلارفتى * عيطت اعليك عيطت المرو الداهش
الجزولى الشريف سبج لدعوتى * دعوت من اعلى العطف يبحث وايفايش

لاه الله يارجال حضرة مراكش

كذلك يستعرض العنمى فى هذه القصيدة بعض كبار المسلمين على
نحو ذكره الحسن والحسين وحمزة والعباس وسعيد وسعد وطلحة والزبير
وابى عبيدة وأنس وابن عوف :

باحسينين ياسياد اجميع الناس * عند اذكر جاهكم يصغر كل اكبير
ادخيل اعمامكم حمزا والعباس * واسعيد وسعد ثم طلحا والزبير
وابجاه ابا عبيد والسيد أناس * حرم بن عوف لا تركونى فى ضير
سالوا من رافتو اعلى ساير الناس * ساعد واشقى ومعتذر واغنى وافقير
يعطينى كل ما اطلبت اكثير الخير

ومن هذا النوع من القصائد ما يطبق عليه «المرحول» ويقصد به الرحلة
شبه لزيارة بعض الصالحين على حد ما نجد عند الشيخ البرى السلوى الذى
اعتاد أن يخرج لزيارة بعض الصالحين كل عام ، يزور وزان وصدحاء ثم
تأزروت ووليها سيدي يوسف ومنها الى جبل العلم حيث قبر سيدي عبد
السلام بن امشيش ، ومن الجبل الى بطوان ليزور سيدي بركة ثم الى طنجة
ووليها سيدي بوعراقيا ، ومنها للنصر الكبير لزيارة سيدي بوعانم ، ومنه
الى لال ميمونا والشريف ابن منصور ، فالى مولاي ادريس الاكبر بزرهون
وجاره سيدي محمد بلخير ثم الى سيدي بوعابة وسيدي غلال فى طريق
عودته الى سلا :

فى كل عام نقصدهم أوكل يوم بالحاجا مقضيا

طاحت اصحابها رقدوا احمال من طاح

...

(I) ابو الفقراء ، اشارة الى مذهب السببى القائم على أن « الوجود
يفعل بالحدود » .

أزرت وزان أسفت ارکان السعيد واضر غم لحبها
أزرت سیدی یوسف فی تارزوت مصباح
واطلعت للحبل لمکنی جبل لعلام بصناکر اعلى النيا
من ابن امشيش المولى عبده السلام نرتاح
أبعدها اخرجت لطاون قابط لفيافي والبريا
زرت سیدی برکاء الکريم فتاح

.....
من ابطانجا شایلاه ایشامنج نقدر بوغراقيا
اشکيت بالغربا واغرابی وتکلاح

.....
من اللقصر یاصاحی خویا قلت وبن البدلوسيا
وين بوغانم وين الساکنين لبطاح
وياک فالقصر تنغشم یا من لا اعرفت لو طویا
لقصر برجالو طول الدوام صلاح
منو الال میمون والخیر ماخطا رجل وولیا(I)

اقریت معروف لله واحتمست سورت افلاح
واخرجت کانسال اعلى الحد انا غشیم وطریقو ملویا
ماوصلنا حتی شفنا امسایف اقباح
منو اللعنيا بن منصور الشریف وارجال الصوفيا
ولبحارا ساداتی کلهم صلاح
والغوث ابن ادرس اکبیر الحاصل اخصایلو عندی مرويا
احداه سیدی محمد بلخير امن السیاح

.....
اصبح الصباح وارمات الشمس اعلى لبطاح واخطفنا سرود
زرت سیدی بوغابا باللسان لحلاح
واعلى اشجیع سیدی علال الشیخین عز المساويا
اممات المعمورا والفایز واسلاح

I يطلق اسم « النوبا » على المرأة

منو البورزيم افثوا واثنيت لمسافات المئينيا

اعلى اوصالى اسلا ثم ابروا لجراج
وقد لا تتاح للشاعر فرصة الزبارة فيكنفى برسول يبعثه ، وهذا ما نجد
عند الحاج ادريس لجنش الذى بعث مرسوه يحمل رسالة الى الولي ابن
المهيدي ، فى قصيدته التى يقول فى حريتها :
لعادى للرباط هاك اسلامى لسيادى * اللى بن لمهيدي
يبدأ الرحلة من فاس الى الرباط مستعرضا أسماء الاولياء الذين سيمر
بهم فى طريقه :

أمرسولى هاك البرا (I) * تدها لسيادنا لعلهار
من فاس الحضرا الزاهرا * لرباط الفتاح ولسرار
اطريقك سهل ظاهرا * اسمع لى لبيان ولخبار
زور الشيخ امع سيدي يعلى جارى * والمنطفى به لاح بدرى
باب المحروق فوتها واتوسل لبارى * بكفيك الستار كل شرى
بوعبد النور ولعقيه الشيخ الجرادى * سيدي مسعود طب ضرى
الشدادى اوبويكر اشموسى واقمارى * اتادب للباقيين واسرى
وهكذا الى أن يصل الى سلا حيث ضريح سيدي ابن عاشر وابن حسون
وسيدي موسى ثم الى الرباط حيث راوية الشيخ ابن المهيدي ليسلم الخطاب
الى مقدمها الذى سيتكفل بتسليمه للسادة الشرفاء :

هاغر اسلا اقريب بلسان الحال اينادى * وايقول اهلا زيد عندي
ثم تدخل قواسها * ناشط بنسيم لعشى اتميس
زور العازف عز ناسهها * بن عاشر والدر النفيس
بن حسون وتابح راسها * سيدي موسى نور اشميس
واقطع لمدينات الرباط هم اكدارك ناسى * غمام الحج افدوك نفسى
وادخل للزاويا اسعد تدفع قرطاسى * لمقدم صافحسو اورسى
هو يعطى اكنايا للسادات امجادى * للى بهم هاج وجدى
واقصد لضريح جدهم فمان لقصادى * بن امييدي للصلاح يهدى

ويذكر بعض أولاد الشيخ ، من مات منهم ومن لا زال على قيد الحياة ،
أمنال سيدي الحاج محمد وسيدي غلال وسيدي عبد السلام والسيد الجيلالي
والسيد المستقل وسيدي الحاج بنعيسى :

بن لمهيدي به عزا * له السر الواضح المبين
معظمها عند سلطانا * مدامت ليام واسنين
ولدو نال السر ولعفا * ورث ذلك الجاه لممين
عني سيدي الحاج محمد هو الثاني * ثم الاول سراج اعواني
سيدي غلال له جاء اعظم ربانسي * كان الربى والنبي اعواني
لوسيدي عبد السلام ام سيدي الجيلاني * سيد السئل بدوام حصني
يارب نعم لجميع افحنت رضوانسي * والى باقى منهم نعني
محل سيد الحاج بنعيسى سرو ساني * ادعي لى واكمل به ظني
بن عمق شامخ لقدر جملة لعيانسي * اسدى بومهدى اشريف سني
.....

ايطلبوا لى الله عند اتمام لوراد * يطلع بكمال اسرور سعدى
ملاحظة : العشق الالاهي

ونبحث بعد هذا عن العشق الالاهي في شعر الزجال المغربي ، فنفتقد
أو نكاد ، وكان الشاعر الشعبي ابنعد أو تعدد أن يبتعد عن النظر الى ذات
الله والتفزل فيها والتعبير عن حبه لها ، حتى في أبسط صور هذا الحب
انخالة من التفكير والامل والتفلسف ، وأغلب الظن أنه خشي الوقوع في
التجسيم وتشبيه الله بخلقه . ولعلنا لن نستغرب ذلك من شاعر شعبي
محدود الثقافة بسيط الايمان ، ينفى بسعره الى الجماهير تنشده وتنغني به ،
وهي بدورها لن تقبل على أى شيء لا يوافق مزاجها الساذج . ثم انه مهما
ارتفع المستوى الفكرى للشاعر وجمهوره فانه يظل محصورا في نطاق
الفكر العام ، ونعرف ن الفكر العربى طوال فترات التاريخ — اذا استثنينا
عهد الموحدين — كان يمسك بحرفية النصوص ويبتعد عن التأويل ، بما
لا يتيح المجال للنظر في ذات الله وصفاته ونعمها وبارئى للتفزل فيها
والتعبير عن حبه . ومن هنا اتجه الشاعر الى الرسول عليه السلام يفجر كل
صافة حبه الروحي وعاطفته الدينية .

ولا بعوتنا أن نشير إلى أن الشاعر المتصوف أبا الحسن الششتري ، وهو — كما سنرى — (I) أحد الذين نقلوا الزجل الأندلسي إلى المغرب ، كان ينظم قصائده وموشحاته وأزجاله في مذهبه متخنيا بحب الله ووحدة الوجود ، ولكن يبدو أن ابنس الذين كانوا يستمعون إلى أزجاله في الأسواق وحقات الذر ، لم يكونوا يدركون في هذه الأزجال ما تصور من جوانب مذهبه التصوفي الفلسفي ، ولم تكن تأخذهم غير واقعيتها المتجنية في شخصه وهو يجول في الأسواق ينشد ويغني ، وكذلك كان شعراء الشعب لا شك ، لا يفهمون مذهبه ، وربما كانوا سيقدمون فيه ويكفرونه لو فهموه .

ومع هذا فانا حين نتعدى نطاق هذه الطبقة من الزجالين الشعبيين إلى طبقة العارفين المتصوفين ، فانا لا نفتأ نعتز على بعض ألوان حب الله . ومن هنا لم نجزم في الحكم بعدم وجوده ، وقلنا في بداية الملاحظة أننا «نفتقده أو نكاد» ، وربما كان عبد الله الهبطي (2) أكثر من غيره تعبيراً عن هذا الحب ، يتجلى لنا ذلك في بعض قصائده وموشحاته كهاته التي يقول في نها :

لسرب شموعوني * يا أيها الرجال
للمحسرا وصدوني * حتى رى الحلال
وتفرقه عن قصيده أخرى

دي ديم اعظم حصار * — جهنت انوسو
ايغيب عنى ما بقدر * أو يحسرا امونوسو
حن لحمل عذبنى * — — — — —
فهر لجلال بقهرنى * من قريبو المعدو
من لطفو للعين * — — — — —
حفسى ولسو

وكقوله كذلك في «القصيدة التورانية من المسامرة الربانية» :

الحبيب في دي اسماني * التي سموى وعادل
قد ظهر لى بالعيانى * لا رائى بعد نفعل

(I) في الفصل الأول من باب «الاعلام»

(2) انظره في الفصل الثاني من باب «الاعلام» .

ان تقول بعد التجلى * ربما يسدل حجابو
يظهر لك لكن يولى * فى لحظا يضرب نقابو
لا تامن عند التجلى * أن يعرك من ثيابو

قد يقول قائل : وماذا عن قصائد التي خصصت لسبوك الصوفى
وبصيح المريدين ، أليست تعبر عن الحب الإلهى مهما كانت صور هذا الحب
وصفاته ؟ حقا انا نشم رائحة عشق ذات الالاد فى بعض هذه القصائد ، وان
كان يبدو من هذه الرائحة خط من حب الله والرسول . ونستطيع أن نمثل
لذلك بما ورد فى دالية ابن رمويه حيث يقول فى لغة تكاد تكون معربة :

هم فى الحب واتوه وفى القلب ردد الله
نم غب فى الله بالله كالجلى والجنيد
خلف ابكعب لوصال وافن ذاك لخيال
وفف عناء لحيال واشرب كأس التعريد
فحجنا مشروط وموقشوف ومنوط
على البذل والسموط وتمام الوعود
حجبت لهوا عاليت وبالنفس اشترست
وعلى الصديق هانت بها نال المقصود
اتجرد عن الحس وعن الحب للجنس
واقصد حضرت القدس لب باسم المقصود
اذكر ما دى طالب وفى وصغو راغب
حتى لا يبقى حاجب وتصل للمعهود

وحنى اذا كانت تشم من مثل هذا النموذج رائحة تتصل بالحب الإلهى ،
فلعله واضح أنها خالية من تناول ذات الله وصفاته وعلاقة السالك بربه وما
قد يصل اليه المرید من مشاهدة او اتحاد ، وانها محصورة فى التنفير من
الحب الجنسى والحث على الذكر .

وقد يقول آخر : وهذه الاشعار انتهى تنشم فى حلقات الذكر وخاصة
منها قصائد الحراق ومقلوعاته ، أليست هى لآخرى تدور ولو من بعيد فى

فلنك حب الله والتفضل في حضرته ؟ قد تكون، ولكننا لعدم وروح صورة هذا الحب
نميل في غير قلل من الترجيح الى أن الحراق لا يقصد غير حب الرسول
عليه السلام ، ولنستمع اليه يقول انه حين جن الليل وسطعت كواكبه لطف
الله به ووافاه بالمرغوب اذ ظهر له حبيبته وطلعت النضر منه ، فهو يهديه
روحه لا يطالب بها أبدا ، وهو له عبد مكسوب اذا رضى به :

جن الليل اعليا * حتى ظهروا كواكبوا

والطف ربي بيا * وافي ليا المرغوب

بان احببى ليا * ما ذالى ونا اراقبوا

ورحى له اهديا * عمري فيها مانطالموا

ويدا يرضى بيا * آت لو مكسوبا

وهو يرى أن كل من حلت النية في قلبه ظهر بالمحبوب :

والى فيه النيا * يعنى بالمحبوب

وقول كذلك انه حين تم له الوصول واشرق نور بهاء حبيبته نسي كل
شىء فليس يذعب عقله غير هواه

جاء اعنيا برضاه

لحبيب الذى حبيتوا * زارنى وانعم لى ابوصال

حين اشرق نور ابهاه

كل شىء بالقهر انسيتوا * ياهلى عقل داشموتوا

ما بى غير اهواه

ويذهب في موضع آخر الى أن ذكر الحبيب : . . . يسمى من شاء الارشاد .
به يضى الوجود ويجلى ظلام الحب :

ذكروا حقيق لنقيب ادوا * يشفيه امن اسقاموا اوهاموا

به لوجود كلوا يضموا * من غسق اهبوا واظلاموا

وعنده ألا أسعد من عشق الحبيب وجمع فى حبه العذار ودار فى حفة

الذكر ينشد الاشعار فى مدحه وحوله القوم سكارى من هواه :

باسعد امن اضحى يلح فيه اعذاروا * وايدور فى اسواح الـذارا

ينشد المحبيب اسجالوا وشعاروا * والقوم امن احواه اسكارى

ويشجعنا على هذا الرأي ما شاع في قصائد الذكر عند غير الحراق من
تمجيد للرسول صلوات الله عليه ، ومن أروعها قصيدة المفراوى التى يطلب
فيها من مخاطبته ، لعلها حبيبته أو زوجها أو نفسه ، ان تزغرد فرحا وطربا
بالمصطفى ، وأن لا تظل ساكنة ، وان تستوحى صوت زغردتها من وجده ،
ويستغرب منها صامته كأن نعمته لم تهزها ، ويشبها ويلج عليها فى الطلب
ان تزغرد بصوت عال على سيد الرجال والناس :

أزغرتى ليس ساكتا * من وجدى صيغى اوصيتى
مالك مبكوما أو صامتيا * ما هزك غيوان مايتى
كونى زكموطا أو ثابتيا * واعلى سيد الرجال زغرتى
واعلى سيد الناس زغرتى * بالصوت العالى اقوام
ويصح على ذلك أن يكون طول النهار ، وطلب منها أن تسد حزامها
وتكف عن المشى والحركة ، فقد حضر ضيف الحفل واشعل لشمع من
العشمى وفرشت الزرابى ورصت المخدات على اللحوف وأسدل الستائر
على القباب ليبدأ الذكر والصلاة فى هذا الجو ، جو الفرح بضيافة الرسول :
أزغرتى لا تمل شى * بن صلات الصبح ولعشا
شد احزامك مابقى امشى * ذ العرجا ضيفها اغشا
اشمعها يكدى من لعشى * ودطوف ازرابى امفرشا
و-خايد فوق اللحوف * واخوامى زينا اعلى اساط القبا سجاها
هل الحضر ايعظمو ويدكرو نعم الرؤوف * يصلوا اعلى خير خلق الله المعصوم
هكذا عرس اضيافت النبى محمد زين الحروف * صلى الله عليه والرضا لهلو والخيفا
ما دام ادم لفتى يحتر حضرا فيما ايشوف

فالليله ممتعة يجب السهر فيها وقد عب النسيم الطيب العطر ، وعين
العاشق بظر ، وكل من نظر الى الله ينصر
أزغرتى لازم السهر * ليلتنا لبلا امخسرا * هب انسيم الطيب ولعطر
واعيون عاشق نظرا * الى نظر الله ينتصر

الباب الثالث

الأعمال

الفصل الاول

مرحلة النشأة

اسماء ونصوص قديمة

ليس من شك في أنه من الصعب تحديد نشأة شعر اداته لهجة عامية دارحة ، وليس من شك كذلك في أن تلك لصعوبة تزداد حين لا تتوفر النصوص الأولى لهذا الشعر ، مروية كانت أو مدونة ، لذا فإننا نجد غير يسير علينا أن نحاول بحث أصل القصيدة الزجنية المغربية ونشأتها طالما أن الرواية الشفوية لا تمتد بعيدا عبر القرون ، وطالما أن المصادر المكتوبة لم تكن بتاريخ الآداب الشعبية وتسجيل نصوصها إلا في القليل النادر .

وقد لجأنا إلى هذا القليل النادر علنا نعثر فيه على ما يسعف فسي البحث ، كما لجأنا إلى الشيوخ الرواة وتتبعنا معهم تسلسل محفوظاتهم حتى انخبطت الأولى منها عسانا نقف على مرويات قديمة ، فتجمعت لنا من المصدرين مادة هزيلة ، ولكنها على هزالها ألقت بشعاع من الضوء رقيق لا يساعد على غير تلمس السبيل في متاهات مظلمة لسرى قد يحمد عند الصباح وقد لا يحمد .

وقد حاول الأستاذ محمد الفاسي أن يحدد البواكير الأولى لهذا شعر ، فوثف عند قصيدة نظمها ابن عبود في منتصف القرن العاشر ، واعتبرها أقدم نص . وفي هذا يقول :

« وكانت أقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنائش القديمة هي قصيدة «الحربى» للشاعر ابن عبود ، وهو من أهل فاس ، كان أيام الوطاسيين وكان مع سيدي عمرو الوطاسي قائد الجيوش الوطاسية في وقعة نادلا بين أحمد الأعرج السعدي وأحمد الوطاسي ، وهي التي أسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب ، وهذه القصيدة في وصف هذه المعركة ، واريخها سنة 943 هـ الموافق لسنة 1536 م (1) .

(1) مقال «الادب الشعبي المفسري الملحون» مجلة البحث العلمي العدد الأول السنة الأولى 1964 .

أما القصيدة ، ولم يذكرها الاستاد العاسمي (I) ، فهي التي يقول
شاعر (2) في أولها :

(I) اكتمى بالعليق عليها بقوله في نفس المصدر : « وقد اجيز ابن
عبود على هذه القصيدة بتلبيه طنبه في جعل محل بفاس رهن اشارته
لانشاد قصائده به يوم الموند البوي ، وهذا المحل هو ما يسمى مسيد
سيدي فرج بسوق الحناء بفاس وقد خلفه فيه اشاعر الكسير سيدي
عبد العزيز المغراوي . ولا زال شعراء الملحون في يومنا يجمعون يوم عيد
ابولد وينشون كلام سيدي عبد العزيز المغراوي وكلام النابهن منهم ،
ومن ادرك أن ينشد شعره في ذلك المحل البهيج فقد بلغ المنهى في تقدير
زملائه له »

(2) تجدر الإشارة الى أنه تطلق على الزجاجين المغاربة اسماء وصفات،
همها :

أ - الشعراء : يقول ابن علي في القسم الرابع من «السولان» :
واسلامي عن كل من حضر * منادب في كل حال بلشعار
هكذا سيوت هل لشعار

ب - النظام : يقول عبد الفضيل المرينسي في «الفصادة» :
قالوا مرحبا بالنظام

ج - الاشياخ : يقول امثيرد في نهاية مجاورته
قال اكمل لشيخ عز الودبا حبر النظام

د - أشياخ السجية (تميزا لهم من المنتسدين الذين يعرفون بأشياخ
لكريجة) يقول المرينسي في قصيدته المشار اليها :
شافوني احضرت اكبالتهم شيمروا لوندوا
رسموا في الخادم قالت ليا
من اكون ابصده النيسا
قلت لهم شيخ السجيا

هـ - أشياخ النظام (تميزا لهم كذلك من اشياخ لكريجة)
يقول المكي الصوبري في آخر «طومة» :
واسلام الله لشيخ انظام

و - أهل المطام : يقول محمد الشاهد في آخر قصيدة «معلوم الشوف
ما طفا نار الخوف» :

نتهي قولي مع انظامي * من فصل الا ينعام
احسنت اعلى الرضا اقسامى * برضات اهل النظام

ز - أهل القوافي : يقول محمد بن الكبير في «توزيعة» :
عنك اسلام فايق المسك افلاجيوب
يعبق عن جمعكم ياهسل لقوافي

مال الحيل السدى الخيط فميدان * صمكت هاذى لى واهلك الهاذى
والغبرا عمدت اكسات اعلى التيجان * حتى عاد النهار غائس قارصادى
ولسنا نوافق الاستاذ الفاسى على اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل
مرويا او مكتوبا فقد وصلتنا قبلها بعض النصوص منها ما هو من نوع زجل
القصيدة ومنها ما يختلف عنه ، وهى نصوص سنستعرض بعضها فى هذا
الفصل - بعد سطور - وسنترك البعض الآخر الى الفصل الثانى من هذا
الباب .

حقا ان قصيدة ابن عبود تعتبر من النصوص الاولى للزجل فى
الشكل الذى بدأ يستقر عليه وقد أخذ يجرز كيانه ، وحقا كذلك ان القرن
العاشر يعتبر بداية انطلاق مرحلة جديدة بالنسبة لهذا الزجل - كما
سنرى فى الفصل الثانى من هذا الباب - ولا نقول بدايته ، ولكننا نستبعد
أن تكون اللغة العربية قد تم انتشارها فى القرن السادس بشكليها المعرب
والدارج ، وتمر اربعة قرون دون أن يصدر شعر عن الناطقين بهذه اللهجة
الفنائين ، ثم فجأة يظهر فيها نمط من الشعر مكتمل جميع . وهو رأى تدفعنا
الى ترجيحه هذه النصوص التى وقفنا عليها ، على الرغم من انها مختلفة

ح - اقوامس الملحون : يقول سعيد التلمسانى فى رثاء عبد العزيز
المغراوى :

لو حد عبد العزيز قاموس الملحون * من لاحاطوا ابشرح معناه اقوامس
ط - اقوامس العلم الموهوب : يقول محمد بن لكبير فى استهلال
التويذة السانقة الذكر :

اسادنى اقوامس العلم الموهوب * يامن لكريم هبكم افضل وائى
ى - ارباب الموهوب : يقول المرئسى فى «الفصادة» :
واسلام ربنا لرباب الموهوب

ك - الودبا (اى الادباء) : يقول المدغرى فى «زهرة» :
واسلامى للشراف واطلبا قال القارى * ما دوحى انسام لعطر
واعلى الودبا اقوامس الموهوب الشعارا

(وانظر كذلك قول امتيرد السابق)

ومتباينة ، كما يدفعنا اليه ما ذكره الحسن الوزان (I) في كتابه « وصف
فريقية » ، فقد لاحظ في فصل منه بعنوان « شعراء بالعامية الافريقية » (2)
ان هؤلاء الشعراء كثيرون ، وانهم كانوا يتبارون لاطهار براعتهم الشعرية
في مناسبة ذكرى المولد النبوي حيث يتجمعون صباح يوم العيد في ميدان
رئيس القناصل (3) ويعتلون المنصة واحدا تلو الآخر لالقاء اشعارهم
وقد تجمهر عليهم الناس ، ثم ينصب أميراً لشعراء من احرز منهم قصب
السبق . وذكر كذلك ان السلطان المريني كان يقيم حفلا بهذه المناسبة
يستدعى له رجال العلم والادب ، وان الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه
فينعم على الفائز الاول بمائة دينار وفرس ووصيف وحدته التي يكون لابسا
في هذا اليوم ، ويمنح سائر الشعراء خمسين دينارا لكل واحد . ولاحظ
الوزان بعد ذلك ان هذه العادة انقطعت منذ انهارت دولة بني مرين (4) ،
وهي فترة تمتد عنده مائة وثلاثين عاما .

وهذه أسماء الرجال وما وصلنا لهم من أرجال او اجزاء من ارجال
على لاصح :

ابن غرلة

قال عنه الجلي : «وقد كان ابن غرلة الشاعر المغربي ، وهو من
أكابر اشياخهم ينظم الموشح والزجل والمزمن فيلحن في الموشح ويصرب

(I) الحسن بن محمد الوزان (901 - 956 هـ ، 1495 - 1548 م) ولد في
غرناطة ورحل مع أسرته الى فاس وقام بجولات داخل المغرب وخارجه في
الشمال الافريقي وبلاد المشرق . اسر سنة 926 في نابولي بايطالية وأخذ
الى البابا ليون العاشر فقربه اليه لعلمه وتجاربه ، ودعاه الى المسيحية
فتمسح وسمى بـ : جان ليون Jean Léon وهو الاسم الذي يعرف
به في اوربا . ويقال انه بعد موت البابا عاد الى الشمال الافريقي ونزل
بتونس وفيها توفي .

« Poetes en vulgaire africain » p 130 131
Description de l. Afrique - Jean leon Africain
Ed. C.H. SCEFER Paris

(2)

(3) Le chef des consuls لعله يقصد به رئيس القواد او الوزراء

(4) من 674 الى 869 هـ

فى الزحل تفصدا منه واستهتار ، ويقول ان النقص عن الجميع غلبة المعنى
وسهولة السبك ، وكان الورير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا
لم يثبت شيئا من موشحاته فى دار الطراز (1) ،

وقد كان ابن غرلة يعيش فى عهد الموحدين ، بل كان معاصرا للخليفة
عبد المؤمن الكومي ، وتذكر المصادر حبه لاخت هذا الخليفة ، وفى
ذلك يقول الحلى : « فمن موشحاته امرئمة الموشحة الطنائة الموسومة
بالعروس التى نظمها عن عشيقه رميلة اخت عبد المؤمن الاموى (2) ملك
الاندلس وقتئذ الملك بسببها لتوهمه من مطعها وما يديه الاجتماع بها ،
والواقعة مشهورة ، وكان حسن الصورة جليل القدر ذا عشيرة » (3)
وذكر له مطع هذه الموشحة ، واوله :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى * صيدى الفزالة من مراتع الاسد
ثم زاد قائلا بعد ذلك : « وقيل انه لما اخرج الملك ليقتله نظر الى
الناس وارتجل بيتا فى الورن يستنجد به عشيرته لاخت ثاره :

خذنا الاسيل * بدت منه انوار
سرا الكحيل * سر منه بتار

قد اسرت عبدا * ولم اك بالعبد * مت لا محالة * فاطلبو دمي بعدى (4)
وقبل ان نورد بعض ما ذكرته المصادر لابن غرلة من قطع جديدة
نصف قبيلة عند الباحث لاسك ان نقارىء سشيرها ، وهى اذا ما كان ابن
غرلة مغربيا حقيقة اى من المغرب الاقصى ، ام اذا كان اندلسيا ونسب
لمغرب على اعتبار ان النسبة بالمغربى كانت تشمل حتى الاندلسى نظرا
للمفهوم الذى يدخل فى المغرب كل المنطقة التى تقابل المشرق ، ونظرا
كذلك لان الاندلس عاشت فى وحدة مع المغرب الاقصى طوال عهدي المرابطين
والموحدين .

1) العاقل الحالى الورقة 20 وجه وظهر ، وسنعود الى موشحات
ابن غرلة .

2) هذا خطأ ، والصحيح : عبد المؤمن الموحدى .

3) العاقل الحالى الورقة 20 وجه

4) العاقل الحالى الورقة 21 وجه .

والواقع انه ليس من السهل التمسك في هذا المشكل الذي كثير ما
يعترض الدارسين لتاريخ الاندلس والمغرب وآدابهما ، ولكننا مع ذلك نرجح
أن يكون ابن غرلة غير اندلسي ، ونعتمد في ذلك على نص وارد عند الحل
لم يذكره فيه رغم اعتباره اياه من السابقين الى نظم الزجل . يقول الحل :
« . . . » ومما اثنى الاندلس المختصة بالمسلمين دون غيرهم اربعة وهي التي
خرج منها الموشح والزجل وهي اشبيلية وقرطبة وبلنسية ومالقة والذين
رحلوا منها من الزجالين سبعة وهم يخلق بن راشد ابن قزمان مدغيس
الحبيط البردعي الجمال ابن اللمنكة (1) »

وسنبن لنا - اثرتنا هذا الموضوع مع الاستاذ الصديق الدكتور احسان
عباس ، فكان رايه في ترجيح مغربية ابن غرلة انه لو كان اندلسيا لما جرو
على نظم موشحة في اخت الخديعة وان ذلك لا يتصور صدوره الا من مغربي .
وقد ذكر الرباط لابن غرلة في «العقيدة الادبية» اجزاء من الزجال
يقول فيها :

بنت قرمان في خباها * عند اباهها
العريس خاطب اباهها * وقد تبها
و يكن بزال * كان امعاء اموال * الا دا دجال
بالمحال يقني لاسن البراقع (2)

ويقول في جزء آخر :

ان كنت ريس ومالك عاقبة * هذا خبرك على الزلاقة
سمسى * ورمى (3)

بل انا نجد الرباط ينسب لابن غرلة قطعة « عروض البلد » التي ذكر
ابن خلدون لابن عمير - كما سنرى بعد - ويمثل منها بالبيتين الاولين ،
وهما

(1) المصدر السابق الورقة 22 وجه

(2) الورقة 45 ظهر ، وقد قدم لهذا الجزء بقوله : « وهذا الوزن لابن
غرلة مقرر من »

(3) المصدر السابق .

أبكاني بشاطئه الدهر نوح الحمام * على غصن في بستان قبيل الصباح
وكف الطلا يحكي مداد الظلام * وريثي النداء يجري بشجر الاقحاح
ويقدم لهما بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة رحمه الله مقر من
رباعي » (I)

كذلك ذكر له صاحب « بلوغ الامل في فن الزجل » بيتين قدم لهما
بقوله : « ومن لطائف ابن غرلة قوله في مطلع :

بعد ذبحك يا فروجى * واش ايفيد الجرى
كنت اجرى من قبل ما تدبج * وعنيقت يرى (2) »

عبد المومن الموحدي (3)

ذكر له الرباط قوله (4)

يا عصافير انجية * جس ربي نشاكم
الحمل طوله وعرضه * لم تد يطع احدكم

وهبله أخت عبد المومن

قال عنها الحلبي بعد ان ذكر علاقتها بابن غرلة : « وكانت هي ايضا جليلة
الفرد جميلة الخلق فصيحة اللسان تنظم الازجال الرائقة الفائقة » (5)
ثم قال : « ومن أزجالها الرقيقة الرشيقة الزجل الذي مطلعہ :
مشى السهر حيران * حتى رأى انسان * عيسى وقف
تقول في خرجة منه تصف خالا كان يخدمه :
اسيمر جنان * في شقة من نعمان * قد التحف » (6)

ابن خبازة

قال عنه صاحب « الحدود » : « ميمون بن علي بن عبد الخالق

(I) المصدر السابق الورقة 44 ظهر

(2) مخطوطة الزيتونة رقم 4467 ص 47 .

(3) تولى سنة 524 بعد وفاة ابن تومرت وتوفي سنة 558 هـ .

(4) العقيدة الادبية الورقة 38 وجه

(5) المعامل الحالي الورقة 20 ظهر

(6) المصدر السابق الورقة 21 وجه .

الخطابي نسبة الى مبيبة من صنهاجة من اهل مدينة فاس ، ويعرف بابن خبازة نسبة الى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة ، كان سريع البديهة باطما ناثرا مع الاجادة والتمنن في اساليب الكلام معرفة واتقنا في هزله وجده على اختلاف اللغات (I) ومثل هذا الكلام نجده في «ازهار الرياض» ينقده المقرئ عن « الذئب واسكلمة » فيقول : « كان متعمنا في اساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات » (2)

وليس من شك في أنه يقصد باللغات وهزل الكلام النظم على الزجل ، والاسف اننا لم نعر له على اثر لذلك .

ابن حسون

سماء الحلي ابا عبد الله محمد بن حسون الحلا المغربي ووصفه بالاستاذ والشيخ (3) وذكره لدى الحديث عن اسقاط الهمزة عند الزجاليين حيث ورد له بيتا من زجل يقول فيه :

كم نبت منك * من هواك وهجرتك يا مديح القد

يا مديح بمن سماك اش هذا التجنى

طول ما نشتهى قربك تبعد انت عنى

ان كان الرقيب بلغ لسك قضية عنى

اس انا في ذا اجد * عوذ بالله يا حبي الاخير هو اجد

وعنق عليه بقوله : « فقد اسقط الهمزة في موضعين في قوله ليك

بمعنى اليك وفي لفظة عوذ واصمها عوذ » (4)

(I) ص 208 وقد استمرت ترجمته حتى 214 . توفي آخر سنة 637 بالرباط ودفن بسلا قريبا من الشيخ ابراهيم ابي حاجبة . وقبره معروف بسيدي الخباز واليه ينسب الباب المعروف بهذا الاسم في سلا . انظر في ترجمته الذيل والتكملة ، ورابات المبرزين لابن سميد ، وتحفة القادم لابن الابار ، والعدد السابع من ذكريات مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون .

(2) الجزء الثاني ص 379 . (3) الورقة 36 وجه و 51 وجه .

(4) الورقة 30 وجه .

وذكر له كذلك مطلع رجل لدى حديثه عن اسقاط حرف الة ،
يقول فيه :

صحبة العيون اسود طرل صبرك الـ

انا في هواك هايم وانت ترضى هجرانى

قال بعده : « ووراده صاحبة العيون » (1)

ثم ذكره بعد هذا الاستشهاد على اقامة الخاتمة خذ ، بقوله :

قد ضحك صو الصباح * ففتح سر اسوار

لا زمان غير ذا الزمان * اندر على الرسول

خذ سر ذا المبرح * حذر جر الـ

ومكان اندع مكان * نفس فيه الـ

ولفاح امسح لفساح * دمسار امسح سوار

والطير قامت وقام * الـ مع الجوار

« فقوله خترا بمعنى خذ ترى ، وله مثبها في خرجة أخرى من هذا
الزجل :

لا تقن شرب وراح في الزجاج ولا عقار *

خترا ماء الغمام قد رجع من نور ونار» (2)

ومثل بمطلع احد ازجاله لادخال حرف النداء على قافية الالف واللام ،
وفيه يقول : (3)

احجر بانفزال واتدلل * واعمل ما تريد فمن بلى يحمل

كما استشهد باجزاء من ازجاله في الوصل في القافية ، فاشار
الى قوله :

ارفع قطيعك وطيب واتملا * والـ عمن ولى

فالوصل الالف بعد اللام ، ثم قال في احدى خرجاته :

وهذى عندي نصيحة في الله

فالوصل منها الهاء » (4)

ثم ذكر له مطلع زجل هو : (5)

(1) الورقة 33 صهر (2) المصدر السابق 36 وجه

(3) المصدر السابق (4) المصدر السابق 41 ظهر

(5) المصدر السابق 49 ظهر

سبعين وتلمذ عليه ، ويقال كذلك ان المتصوف المغربي اعطى تلميذه علما وطيب منه أن يتجول في السوق مغنيا ببيت زجل يقول فيه :

ابديت بذكر الحبيب * وعيسى يصيب

ومضى المشتري يغنى في الاسواق بهذا البيت وقضى يومين دون ان يستطيع اضافة شيء اليه حتى كان اليوم الثالث فأكمله وقال :

لما دار الكاس * ما بين الجلاس

عنهم زال الباس

اسقاهم ابكاس الرضا * عفا الله عما مضى (1)

ومثل هذه الحكاية تثبت لا شك ان ابن سبعين كانت له معرفة بنظم الزجل وان هذا الفن لم يكن غريبا على المغاربة الى حد انهم يسمعون في الاسواق .

ابن شجاع النازي

ذكره ابن خلدون على اثر ذكر فن «عروض البلد» (2) حيث قال : « فاستحسنه اهل فاس وولعوا به وظموا على طريفته وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكازي والملمعة والغزل ، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها » (3)

واورد له مقطوعتين ، يقول في بداية الاولى : (4)

المال زينة الدنيا وعز النفوس * يبهى وجوها ليس هي باهية
فما آل من هو كثير الفلوس * ووه كلام والرتب العالية

(1) انظر شرح احمد زروق على نونية المشتري التي يقول فيها :
ارى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بمكر رمى سهما فعندى به عدنا
(مخطوط الاسكوريال رقم 4186 ص 1-2)

(2) سننشير اليه فيما بعد .

(3) المقدمة ص 530 .

(4) المصدر السابق .

كروى من شمره وراو كان اصغير * ز - - - - - عرر - - - - - هم
 من ما يظن من سرى وى ذ يمر * كذا - - - - - ولا ارجوع لهدر
 وغول في نداه سائيه (I)

هب من نوح ما ملاح دا الزمان * اعمل يا فلان لا تلعب لحسن فيك
 - - - - - يبح - - - - - الا وخان * فبذل من عميه نجس ونجس عليك
 يهبوا على العساف وينصعوا * ويستعمرو تقطع اقلوب الرجال
 وان واصلوا من حنهم يقطعوا * وان عاصوا خانوا على كل حال
الكفيف الزرهوني

قال عنه ابن خلدون في مقدمته : « وكان لهذه العصور القريبة من
 تحولهم بزرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابداع في
 مذاهب هذا الفن » (2) ومن احسن ما علق لي بمحفوظي قوله في رحلة
 السلطان ابي الحسن وبني مرين الى افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان
 وبعزيمتها ونسبهم بما وقع لغيرهم بعد أن عيبتهم على غزائهم الى افريقية
 في ملعة من فنون هذه الطريقة بقول في مهنحتها وهو من ابداع مذاهب
 ابلاغة في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه وتسمى براعة
 الاسهل :

سمجان مالك خواطر لامرا * ونواصدها في كل حين وزمان
 ان طعمها عطفهم لذ مسر * وان عصيانه عقب بكل هوان
 . . . (3)

ثم ذكر له منها جملة أبيات . وقد وقفنا على القصيدة كاملة - وهي
 موزونة من واحد وسعين واربعمائة بيت - في آخر مجموع مخطوط في حراة
 مراکش رقمه 184 واوله شرح لمقدمة الوغندسة للشيخ زروق .

(I) المقدمة ص 530 - 531 .

(2) يعنى الفن الذى نظم فيه ابن شجاع التارى . وقد ذكر ابن خلدون
 من الذين نظموا فيه كذلك على بن المؤذن من تلمسان وكما لم يمثل
 لسطمه .

(3) المقدمة ص. 531 .

التهنؤء الاعمى

ذكر له الحلى (I) مطلع زحل هو قوله :

الحبيب ابيض يا حبيب * وكؤوس الحس حمر
نعم المزج بالرحيق * وطء ما يعرف المسلو
والطبيب فى حريق غريق * عديم مضى عجب لى
فاسفنى مع رشا رشيق * كرى من راء ميجسو

مولائ الشاء

وهو اقدم شاعر وجدنا ذكره عند الاشياخ الحفاظ ، ويقولون عنه انه من تافيلالت وانه كان يعيش فى أوائل القرن التاسع للهجرة ، وينسبون له قولة يذهب فيها الى أن «من لا يحفظ موهوب يبنى عقله مقنوب » ، ويستنتج بعضهم من هذه القولة المبكرة أن الشعر لشعبى المغربى كان يطلق عليه « الموهوب » او « العلم الموهوب » قبل أن يسمى « الملحون » او غيرها من التسميات .

وكل ما يحفظ الاشباخ من زجل مولائ الشاء مقطوعتان قصيرتان ، يقول فى الاولى :

لا نقولوشى يا حسرا على ازمان * الحس والسر افكل ازمان كايين
ما حد اكتاب الله فالصدور * اعلاء نبكيرا اعلاء
ما قاطعين ياس من رحمة الله * واحببنا الشدع رسول الله
فاش جا ذنب المحلوقين * عند رادع الفعرن
ويقول فى الثانية :

حوك عبدك وانت ديم الخوك مملوك

لا تاديه الله يهديك ما يؤدبك

لك عايش وانتيا له كاتعيش

لا تكونوشى طوب افشى ابنى اهشمش

عيشوا بالله والنبي والقرآن مع تحديث

وقد علق عليهما الشيخ احمد سهوم فى حديث اداعى نشر فى « مجلة

الاداعة والتنفزة المغربية فاعتبرهما تمثلا للملحون «قبل ان توضع له بحوره وعروضه ، انه مجرد كلام غير موزون وغير مقفى لكنه بليغ وهادف وفيه مسحة من جمال الشعر» (I)

عبد الله بن احسان

يقول عنه كبار الاشياخ انه كان معاصرا لمولاي الشاد و نه مثله من اصرا في تافيلالت ، ومن جملة ما يحفظون له قصيدة طويلة ، هذا نصها :

بسم الله انطامى يا الى انفا لوزان *

لوزان خير لى انيا من قول كان حتى كان

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يا لخوان *

بالشعر السليس الفايز هو ايكسون لى عنوان

حتى انهول ما قالوا عشاق المبهى افكل ارمان *

ونكون افلقريض الملحون اسا مادحو حسان

مداح مادحو بلسمانى والشموق له من لکنان *

وامادحو ابقلب اكنانو يرضاه ماعيا بلسان

الموغ والفا واللفوا بين اللهام مع اسنان *

والحب ذا الشميع الشافع فالقلب ذا الدحال اتصان

رائى الله شاهد عن قلبى واللسان كل احيان *

انبات كنضل ابشوقى والدمع كاينو لميزان

بشاهدى اعلل صدرى والصعب ما بقى يلبان *

نمشى الارض طيبا تطفى ما فالقلب من نيران

وانمرغ لخدود وتضرع فوق من قبر عدنان *

وانقول يا شريف الاسم مداح طالبك للامان

انب اشفع يا محمد والى راحم ورحمان *

واعبد بين شافع وارجيم ابعان لعفو نهفان

نن اسمعني ، محمدا ، لي تما حسان *
وما حسنت ظني فإله وفيك طالب الغفران
وانعود من الحج المراكحي يا عنايتي فرحان *
لنصوم والصلا ومديحك بين لحديث والقمران
، حج حدي «رخ» عند ارمائها الحكل ازمان *
والمقايدين كعاع امحضرا ونا فقيهم وراي
واسمي اقلامتى عند الله بن احسان الوزان *
اسايدن عني فاضرا عاصي ومعدن النفسان
نرجا من لكريم التوبا امن الرسول فالميزن *
اشفاعتو الهذا الاما ونا فوسطها فرحان
واسم ما نظم السبيدي من ذا العقب والعقبان *
اصلا موصلا للماحي ما ناح طير عل لفصان
واسلام ربما للمشرقا واهل نهذا افكل امكان *
والناظمين عن ميزاني ، بن اريد لو ميران
ونميل الى اعتبار ابن احسان من خلال هذا النص يمثل مرحلة
جديدة في الزجل المغربي ، لعلها فاصلة بين ما كان من قبل وما عدا
عليه . وسنعود اليه في بداية لفصل الثاني ما دما قد اعتبرناه كذلك ،
ويكتفى الان بملاحظتين :

الاولى : ان الشاعر يشير الى «كان حني كان» في أول بيت مقارنا
ببنه وبين «لوزان» ، ولعنه يقصد به «كان حتى كان» نوعا من الشعر
الشعبي يعتمد القص والحكاية كما يبدو من التسمية ، وبـ «لوزان»
الشعر القائم على الوزن ، وهذا ما يعزز الاعتبار الذي ملنا اليه في أن هذا
الشاعر بدا مرحلة جديدة في القصيدة الزجلية المغربية

الثانية : قوته في الرمز لتاريخ قصيدته به «رخ» فالراء بمائتين
والخاء بستمائة واللام ثلاثين ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة نظمه
نها ، وبهذا نستطيع تحديد تاريخ مرحلة القصيدة الزجلية الجديدة .

أصل القصيدة الزجلية

نحن بهذا أمام نصوص قليلة ولكنها على قلتها متباينة الاشكال متباعدة لفترات . ومع ذلك فهي تثبت وجود زجل في المغرب منذ عهد الموحدين ، - الزان من الزجل محصلة عن القصيدة المعروفة الآن ، وهي ظاهرة لا تدل على غير تطورها عبر الزمان . وعلى الرغم من ذلك يبقى السؤال قائما حول نشأتها ، وبمى كذلك متفرعة عنه جملة أسئلة عن الاصول التي استقت منها وتأثرت بها قبل ان تجرز كيائها :

- 1 - أهي امتداد للزجل الاندلسي ؟
- 2 - أم هي محاكاة مباشرة لفن التوشيح الاندلسي كما عرفه المغاربة ؟
- 3 - أم هي تأثر شعر اهل الامصار العرب الوافدين الى المغرب ؟
- 4 - أم انها استهوار لعروض البلد الذي استحدثه أهل المدن بالمغرب ؟

5 - أم انها تطور لأغان ومرددات شعبية محلية ؟

كل هذه أسئلة تراودنا في محاولة البحث عن المذور الاولى للقصيدة الرجبية لا نرانا نخرج منها الا بردود لا تقوم على غير التخمين والافتراض .

أما الزجل الاندلسي فقد « كما لنا ان المغاربة تطموا على نمطه في عهد الموحدين (1) ، ولكننا لا نعرف ان كانوا قد نظموا في العهد السابق . وعلى الرغم من ان النصوص لا تسعف ، فاننا لا نستبعد ان يكونوا نظموا في عهد المرابطين (2) » يدفعنا الى ذلك سبيان :

الاول : ان المغاربة في هذا العهد - وبعد ان تمت الوحدة بين مدين - كانوا يقلدون الاندلسيين ويحتذون خطاهم في مختلف مناحي الحياة ، وخاصة منها الحضارية والثقافية .

(1) من 524 الى 674 هـ .

(2) من 430 الى 524 هـ .

الثاني : ان الاندلس شهدت على هذا العهد ازدهار فن الزجل حيث لمعت أسماء كبار الزجالين وعلى رأسهم ابو بكر بن قزمان .
والذى كنا نستبعده هو أن ينظم المغاربة الزجل على عهد الموحدين لما نعرف عن هذه المولة من محاولة الابتعاد عن تقليد الاندلسيين وإيجاد كيان خاص بها يعبر عن شخصية أهم ما تمتاز به هو التأثير بالدعوة الموحدية والميل الى البساطة والوضوح والبعد عن الزخرف والتعقيد .

ويبدو ان هذه المحاولة لم تتعد الرسميات الى الشعبيات ، حيث صادفنا غير قليل من الزجالين المغاربة فى هذا العهد ، بل أكثر من ذلك وجدنا صاحب « العقيدة الادبية » يتحدث عن الاختلاف حول مخترع الزجل ويذكر من المختلف فيهم ثلاثة من المغاربة هم ابن غرلة والخليفة عبد المومن وأخته رميلة ، يقول : « اختلفوا فيمن اخترع فن الزجل فمنهم من قال ابن غرلة ، وقيل يخلف بن راشد ، وقيل ابن قزمان ، وقيل مدغليس ، وقيل عبد المومن ملك الاندلس ، وقيل رميلة اخت عبد المومن . والذى اتفق عليه الجمهور أن أول من تماشى به ابن قزمان وبعده القيم مدغليس وبعده ابن غرلة وبعده يخلف بن راشد وبعده سبع الاندلس عبد المومن وبعده رميلة » (I)

ولعلنا نستطيع ان نذهب الى أن نظم المغاربة لفن الزجل فى هذا العصر الذى كان يحاول منافسة الاندلسيين وعدم تقليدهم يدل لا شك على نظمهم له فى عصر المرابطين من قبل وان وجوده فى عصر الموحدين ليس غير استمرار لما كان من قبل .

وعلى الرغم من أنه لم ترو أزجال مغربية كاملة ، فانا من خلال النصوص الناقصة التى ذكرت لابن غرلة وابن حسون لا نرى اختلافا بين الزجل الاندلسى والزجل الذى نظم هؤلاء الشعراء ، وهى ظاهرة يمكننا أن نستنتج منها فى كثير من الترجيح أن الزجل الاندلسى انتقل الى المغرب عن طريق تبادل الوفود والرحلات . ويكفى فى التمثيل لهذا التبادل أن نذكر قدوم أبى الحسن الششتري الى المغرب ، فقد كان يتنقل

(I) الورقة 37 ظهر .

داخل المدن المغربية وينظم ازجالا يتفنى بها فى الاسواق كهذا الزجل الذى يقول فى مطلعہ :

شويخ من أرض مكناس * وسط الاسواق . يغنى

آش اعلى امـن الناس * واش اعلى الناس منى (1)

فهل كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تشبه فى الاسواق وحلقات الذكر دون أن يتجاوبوا معها ودون أن تبرز بعض المحتئين منهم لمحاولة المسج عليها ؟ نحن لا نشك فى أن تأثير الششتري كان قويا فى نفوس المغاربة ، وهو تأثير تدل عليه الازجال التى لا زال يرددها فقراء درقاوة حتى اليوم — وهم طائفة من الشاذلية — ، وتدل عليها محاولة بعض المتصوفة المغاربة تقليد الششتري فى بعض ازجاله على حد ما نجد عند محمد الشرقى فى قصيدة زجلية يبدو فيها التاثر واضحا بزجل الششتري السالف الذكر ، وهى القصيدة التى يقول الشرقى فيها :

انا ماى فياش * آش عليا منسى

نقط من رزقى لاش * والخالق يرزقنى

كذلك تدل على تأثير اشعار الششتري عناية المغاربة بنسخها وشرحها على حد ما فعل الشيخ أحمد زروق (2) وابن عجيبة (3) ، وقد كان بعض العارفين يحثون اتباعهم على قراءة هذه الاشعار وانشادها . يقول ابن عباد الرندى (4) داعيا الى ذلك : «وأما مقطعات الششتري وازجاله فى فيها شهوة واليها اشتياق ، واما تحليلتها بالنفسم والصوت الحسن فلا تسهل فان قدرتم ان تقدموا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك » (5). وهذا يجعلنا لا نشك فى أن المغاربة — حتى فى نطاق التصوف — حاولوا ان ينظموا فى هذا الفن الجديد ، بل انا نكاد نجزم بذلك خصوصا

(1) ديوان أبى الحسن الششتري ص 272 تحقيق الدكتور على سامى البشار الطبعة الاولى الاسكندرية سنة 1960 .

(2) المتوفى سنة 899 هـ

(3) المتوفى سنة 1311 هـ

(4) المتوفى سنة 790 هـ .

(5) انظر مقدمة الديوان ص 4 .

حين نجد مؤرخا كأحمد بابا يتمكنى (I) يقول : «وقد نسح الناس على
متواله كثيرا فما ابرقوا ولا اعدوا ولا قاموا ولا قعدوا الا من قل وندر
لأنهم ان اصابوا علما أخطأوا حالا وبالعكس » (2)

واذن فقد عوّف المغاربة الزجل الاندلسى ونظموا مثائرين به
ومقندين له ، وهذه حصة من حقائق البحث .

وما قلناه عن الزجل نقسوله عن الموشحات ، خصوصا وان عهد
المرابطين شهد ازدهارا لهذا الفن بظهور وشاحين كبار فى الاندلس أمثال
ابن بقى وأحمد بن على المشهور بالأعمى اسطيل وعلى بن حزمون المرسى
وابى بكر بن باجة ، وخصوصا كذلك وأن غير قليل من شعراء التوشيح
ومدوا على المغرب فى فترات مختلفة أمثال الحفيد بن زهر وابن حزمون
وانهيم المريبطرى وسهل بن مالك لغرناطى وابن الخطيب فيما بعد .

وقد رويت لابن غرلة أجزاء من موشحات ، فقد ذكر له الحلى طرفا من
موشحته المعروفة بالعروس (3) وهذا مذهبا واول أبياتها :

من يصيد صيدا فيمكن كما صيدى * صيدى الغزالة فى مراتع الاسد
كبف لا أصول * واقتنصت وحشية
ظبية تجول * فى ردا وسوسية
صاغها الجبيل * دهمى شبه حوربه

(I) المتوفى سنة 963 هـ .

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 70 طبعة فاس سنة 1317 هـ .

(3) لاحظ استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى أن هذه
الموشحة ليست الموشحة العروس التى ذكر ابن سناء الملك فى دار الطراز
فقال : «اذا قارنا عدد الأجزاء فى أغصان هذه الموشحة وأقفاها عرفنا انها
ليست الموشحة العروس التى أشار إليها ابن سناء الملك فتلك كما صرح
دار الطراز تتألف من افعال ذات سبعة أجزاء وهذه أقفاها اربعة أجزاء »
(انظر الزجل فى الاندلس ص 113) علما بان ابن سناء الملك لم يسم
ابن غرلة .

كذلك وجدنا في « كتاب مجموع موشحات » (1) موشحة لابن غرلة

يقول في مطلعها

يا من حكى هذه الشقائق * وما له في البها شقيق
تركنتي بالدموع شارق * لما بدا خدك الشريق

ويقول في خريتها :

بكر غدت في الدنان عاق * ما الحر من رهها عتيق
تلوح في الكاس شبه بارق * ان مزجت صرفها بريق

واورد له الشهاب الحجازي (2) موشحة هذا مذهبها واول ابياتها :

باسم عن لآل * باسم عن عطر
نافر كالغزال * سافر كالهدر
ي طوى ربيب * اى فيه ارب
ريه كصرب * الله كالضرب
يا له من حبيب * باسم عن حبيب

(1) مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم 4243 - السليمانية - اسطنبول
(الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر) وقد وردت نفس الموشحة منسوبة لابن
غرلة في كتاب « روض الآداب » للشهابي الحجازي - الورقة 98 وجه وظهر
(مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 2293 قصر توبكاي اسطنبول) كما
وردت في «سجع الورق المنتجة» الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر (مخطوط
مكتبة فاتح رقم 3918 السليمانية اسطنبول) ولكن منسوبة لعلاء الدين بن
إييك وليس لابن غرلة .

(2) كتاب «روض الآداب» الورقة 96 وجه و 97 ظهر مخطوط مكتبة
احمد الثالث رقم 2293 . وفي نسخة أخرى من الكتاب مخطوطة بمكتبة راغب
باشا باسطنبول رقم 1115 الورقة 190 انها لصاح الدين الصفدي ، وفي
نسخة ثالثة رقمها 4017 في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول (الورقة 91 وجه)
ان الموشحة لاحمد بن حسن الموصل .

وأورد له الحجازى كذلك موشحة ثانية (1) يقول فى مطلعها :

زايـر بالخـيال * زايـر عـن عـربى
باهر بالجمال * ناهر ناهر بالعجب

ويقول فى خرجتها :

صدئها وقال * وهو ينفى ثرى
نحظ. عيى نال * قلت آه واقبى

كما انه رويت لابن حسون فى سفينة مباركشاه (2) موشحة يقول

فى مطلعها واول ابياتها :

ما احمق * عن قطيع من دوق
الصباح قد اقبل والظلام قد ولى
والنجوم قد غابت فى حجاب علم الله
ونجوم الاعصان قد بدت ان تجلى

واذن فقد نظم المقاربة الموشحات على طريقه الاندلسيين ، وهذه

حملة ثانية من حلقات البحث .

واما شعر اهل الامصار العرب الوافدين على المغرب فمد حديثا عنه

ابن خلدون فى المقدمة فقال : « فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيغرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون فى الخروج من فن الى فن فى الكلام وهذبا هجموا على المقصود لاول كلامهم ، واكثر ابتدائهم فى قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون ، فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى

(1) نسخة راغب باشا الورقة 191 ظهر و 192 وجه وظهر ، فى حين انها فى نسخة مكتبة احمد الثالث (الورقة 97 ظهر) منسوبة لجمال الدين يوسف الصوفى .

(2) الورقة 25 ظهر و 26 وجه مخطوط فيض الله مكتبة Millet رقم 1612 اسطنبول .

الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ، واهل المشرق من العرب يسمون هذه النوع من الشعر بالبدوي « (I)

واورد من هذه الاشعار قصيدة على لسان الشريف ابن هاشم يبكي الجارية بنت سرحان ويذكر طعنها مع قومها الى المغرب (2)

قال الشريف ابن هاشم على * ترى كبدى حرا شكت من زفيرها
بعز للاعلام اين مسا رات خاطرى * يرد اعلام البدو وينفي عصيرها
وماذا شكات الروح مما طرا لها * عذاب ودائع تلف الله خيرها
واورد منها « قولهم في رثاء أمير زناتة ابي سعدى البقرى مفارعتهم

بافريقية وارض الزاب ورثائهم له على جهة التهكم » (3) ، هذا اوله :

تقول فتاة الحى سعدى وهاصها * وبها فى طعون الباكين عويل
ايا سائل عن تير الزياتى خليفة * خد النعت منى لا تكون هبيل
واورد منها كذلك «قول شبيل يذكر التساب الكعوب الى برجم :

نشايب وشباب أولاد برجم * جميع البرايا تشتكى من ضهادها

ومنه قوله يعاتب اخوانه فى موالاة شيخ الموحدين ابي محمد بن تافراكين المستبد بحجاجة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة ابنى اسحاق ابن السلطان ابي يحيى ... :

يقول بلا جهل فتى الحى خالد * مقالة قوال وقال صسواب

مقالة جيران بذهن ونم يكن * هريجا ولا فيما يقول ذهب

... » (4)

وقد كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشده وتروى ، وهذه حلقة ثالثة من حلقات البحث .

ونصل بعد هذا الى الحلقة الرابعة وهى « عروض البلد » ، وقد

تحدث عنه ابن خلدون فى مقدمته فقال : « ثم استحدثت اهل الامصار بالمغرب فنا آخر من الشعر فى اعريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم

(I) ص 510 . 2) ص 511 - 512 .

(3) ص 512 - 513 . 4) ص 517

الحضرية أيضا وسماه عروص البلد ، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من أهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج منها عن مذاهب الاعراب ، مطلعها :

بكناني بشاطئ اشهر نوح حمام * على الفصن في المسكن مررت الصبح
وكف السحر تمحو مداد الطلام * وماء المدي يجري بشفر الاءح
باكرت الرياض والطل فيه فتراق * سر الجواهر نرى لحوار الجوار
ودمع انواع ينهرق انهراق * يحاكي ثعابين حذفت بالثمار
لووا بالفصون خدعان على كل سماق * ردد الجميع بالروص دور السوار

...

فاستحسنه أهل فاس ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم » (1)

اما الحلقة الخامسة والاخيرة فالاغاني والمرددات الشعبية . وعلى

الرغم من أنه لم تصلنا نصوص لهذه الاغاني والمرددات ، فاننا لسنا بحاجة اليها لنثبت وجودها ، فلكل شعب - مهما كانت درجة حضارته وتقدمه اولية - اغانيه ومردداته ، بل «لسنا في حاجة لان نشأت من الناحية العقلية ضرورة وجود الاغاني في المجتمع الانساني كله وان الاغاني الشعبية قديمة العهد بين سكان المدن والبدو وان الحياة الاجتماعية بمناسباتها المفرحة والمحزنة قد حتمت التعبير الجماعي الذي يستعين بالآلة الموسيقية وبالتنظيم اللفظي فاصطنع فن يجمع بين هذين الجانبين الموسيقي واللفظي هو ما نصلح على تسميته بالاغنية الشعبية » (2)

وليس المغرب بدعا من الشعوب والمجتمعات ، فقد كانت له اغانيه ومردداته واناسيده يتنغم بها في مختلف اللهجات المنتشرة فيه ، وبالعبارة العامة منذ ان تم استعراجه على عهد الموحدين وربما قبل ذلك . هذه اذن حقائق اوجب علينا استعراضها ما نقرص اماكن اعتباره أصلا لنشأة المصيدة الزجلية المغربية ، فبأيها يا ثرى تربطها ؟

(1) ص 529 - 530 .

(2) الزجل في الاندلس لاساذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الالهواني ص 3 .

مننا نستطيع أن نقول بانها امتداد لتيار الزجل الاندلسي ، فالقجوة
الزمنية بعيدة بين الفترة التي وصلتنا عنها نصوص مغربية متأثرة بالزجل
الاندلسي وبين القرن الحادي عشر للميلاد ، ارجح المغربي محوراً كيانه وخصائصه
والاختلاف الشكلي ظاهر بين اللونين وخاصة حين نقارن بين الزجل
الاندلسي بـ ارجح المغربي في المراحل الاولى لبثوره الاخير ، وخاصة عند
أشبال الشماط وابن احسين .

ولمنا نستطيع لقول كذلك بأنها محاكاة لفن الموشيح لانا لا نقصد
تثنية على الموشيح بل نريد ان نذكر الرجل في الاندلس .

وإذا حاز لنا ان نتحدث عن محاكاة القصيدة الزجلية المغربية لنمط من الانماط الشعرية فاعلم الظن أنها لعروض البلد الذى أشار اليه ابن جلدون لاستحسان الناس له ونظمهم على طريقته . ويميل بنا الى ترجيح هذا الظن الشبهة الكبير الذى نجده بين النصوص التى نظم المغاربة متأثرين بعروض البلد كما عند ابن شجاع والكفبف وبين الزجل المغربى فى مراحله الاولى وقبل ان يحوز كيانه الحالى اى عند الشماط وابن احسان .

كذلك لا نخفى ميلنا الى الظن بان اشعار العرب الوافدين ، وخاصة منهم البلايين وحلفائهم ، القمت بظلال كثيفة على القصيدة الزجلية المغربية ، وليس من عيب المصادفة ان تكون القصيدة فى شكلها حالى ظهرت فى جنوب المغرب وان يكون اعذب اعلامها من الفيلانيين الصحراويين ، ونحن نعرف ان اولئك العرب الوافدين اقاموا فى الجنوب ، وليس من عيب المصادفة كذلك ان يتخذ الزجالون المغاربة من التقاليد ذكر اسمهم فى فضائدهم ، وهى عادة تعارف عبيد الشعراء العرب الوافدون ، (I) بل ليس من عيب المصادفة بعد هذا ان نجد فى الازجال المغربية اثارا للفصص والملاحم الشعبية التى جاء بها اولئك العرب ، تتمثل فى الاشارة الى اسماء عملة وجازية وعنصرة

(I) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب « لشكل » .

والشجعان الزناتيين (I) وفي التعليل لوجود هذه الاسماء بانها مقتبسة من القصائد الاصمعيات (2) .

ومع هذا فنحن نرجح ان تكون الاغاني والمرددات والاناشيد الشعبية المحلية هي الاصل الاول للقصيدة الزجنية ، وقد ذكر لنا الشاد ما يطلق عليه «الموهوب» كما ذكر منها ابن احساين «كان حتى كان» ، وبذلك تكون القصيدة نشأت شعبية محلية نابعة من البيئة ومتأثرة بها كغيرها من الفنون والآداب الشعبية ، ولكنها ظلت محصورة في نطاق ضيق محدود ، ونرجح كذلك ان تكون هذه القصيدة اثرًا طبيعيًا من آثار استعراب المغاربة وانسجامهم مع اللغة الجديدة وبطويعهم وبذوقهم لها في قلبها العامي حين عجزوا عن ذلك في قلبها المحرب ، وهي بذلك نتيجة الازدواج في اللغة تعاطاها العوام فيما بينهم ، ولكنها لم تصبح لونا ادبيًا معترفًا به اذ لم يتح لها الشاعر العنان الذي يعمل فيه موهبته وعبقريته ويقدمها في صورة فنية مكتملة . وظلت لذلك مدة طويلة تنفخ في جو شعبي خالص ، وبقيت بهذا ساذجها الاول مجهولة .

(I) على حد ما يقول امثيرد في «خديجة» :

لوصول اتحول * صولى يامولانى اخديجا *

صولت عبلا وجازيا * يا سبطانت الريام

ويقول مبارك السوسى في «زهرة» :

سلبت عقلى زهرا * بالها والحسن المكمول حازت اسرارى

بشمايل بها فاقت عل لبكار * فافت عن عبلا وجازيا وامحاسن لبكور

ويقول المدغرى في «ام كلثوم» :

كلثوم ترياق لسقامى *

كلثوم كنها ياقوتا في سلسلا امن اذهب تشعارو معلوم

كلثوما شمس اضوات فارسامى *

كلثوما ما ادركها عبسى فضخامتو اشجيع اسناحو مقيوم

ويقول محمد ولد افريجة في «خنانة» :

يا دات الزين الوارث * امنين امجيك امولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك اقد الرمح الصقيل ارايا فى تشجيع بين شجعان زناتا

(2) يستعمل الاشياخ مصطلح «الاصمعيات» دون ان يعرفوا انه يعنى

قصائد اهل امصار المغرب من العرب كما شرح ابن خلدون وكما سبق ان اشرنا لذلك .

ولكننا نرى ان الشعراء الشعبيين تأثروا بعد هذا بالازجال الاندلسية والموشحات فى محاولة لتقريب بين القصيدة كلون شعري عامى وبين الاشعار نسي كانت تلقى فى مجالس غير الهوام عند العلماء والحكام والملوك ، وفى محاولة كذلك لهرض وجوده وتوسيع نطاقه واقناع الطبقات المتحفة والارستقراطية بهذا الوجود ، وهى طبقات لا شك كانت معجبة بالازجال وانموشحات الاندلسية بل بكل ما هو تراث اندلسى ، لا سيما وان غير قليل من الاسر الاندلسية انقلبت لى المغرب وظلت تعيش على ماضى تعتز به وتتفخر ، وهو شعور يكاد يعم جميع المغاربة حتى الذين بسوا من اصل اندلسى .

والغالب ان هذه المحاولة تمت حين انتقلت القصيدة الزجلية من البيئات الشعبية الصرف الى بيئات راقية ان لم نقل انها بعيدة كل البعد عن الشعب . ومثل هذه النقلة تظهر فى التفنن لشكلى الذى اصبحت عليه وزننا وفافية (I) وفى المعانى والافكار التى بدأ يصورها الزجال المغربى والتى لا تمت بصلة للشعب ولا تمثل الا حياة لرفاهية والقصور والطبقات الغنية المنعمة ، وهى حياة يكاد تهويرها ان يكون اقرب الى نسج الخيال منه الى الواقع (2) .

على أنه لا ينبغي ان ننسى عاملا آخر ساعد على التأثر بالازجال وانموشحات الاندلسية ، وهو انتقال الموسيقى الاندلسية الى المغرب بنوباتها واناشيدها ، وهى موسيقى حافظ المغاربة عليها . وقد سبق ان راينا (3) انهم اضافوا الى الميازين الاندلسية الاربعة ميزانا خامسا هو الدرج وان الحاج علال البطللة استخرج طبع الاستهلال فى أوائل ايام السعديين . وكان طبيعيا ان يضم المغاربة - لهذه الاضافات على الاقل - مقطوعات كانت

-
- I) انظر لفصل الثالث من الباب الاول وانظر كذلك ، فصل المقبل عن تطور القصيدة الزجلية .
2) انظر فصل المرأة من باب الموضوعات وانظر كذلك الجزء الاول من 'الفصل الثانى من نفس الباب .
3) فى المدخل .

بلغة عامية فى الغالب ، ولعلنا نذكر «البراول» التى سبق ان جعلناها نوعا مستفلا من الزجل المغربى لا يختلف كثيرا عن القصيدة ،

وتتجلى عناية المغاربة بالموسيقى الاندلسية ومقطوعاتها - حتى بعد ذلك - فى العمل الذى قام به الحايك التطوانى فى اواخر القرن الثانى عشر الهجرى من جمع الموشحات والازجال التى تشد فى هذه الموسيقى فى كتاب يعرف باسمه .

ولعلنا ان نذكر بعد هذا ان القصيدة الزجلية حين دخلت مرحلة الغناء لم تجد غير ميازين الموسيقى الاندلسية ونوباتها تقسيم عليها الالحان .



الفصل الثاني

مرحلة التطور

رأينا فى الفصل السابق أن مرحلة جديدة من القصيدة الزجلية بدأت قبيل منتصف القرن التاسع للهجرة فى أواخر عهد المرينيين على يد عبد الله بن احساين ، وهى مرحلة بطورية كانت القصيدة خلالها تكتسب غير قليل من الجديد وتحاول احراز كيانها الذى ستستقر عليه ، سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وليست هذه المرحلة قصيرة ، فهى تمتد زهاء ثلاثة قرون ، ومع ذلك فانا لم نتتبع كل شعرائها وما أنتجوا من أزجال ، واكتفينا بذكر الاعلام الذين قدموا جديدا أو طوروا قديما ، ولم نقف الا عند النصوص التى اعتبرناها معالم فى طريق هذه المرحلة . والحقيقة أننا لم نقصد الى ذلك ، ولكن المادة التاريخية والشعرية لم تيسر لنا لاستعراض كامل نؤرخ به بهذا الفن ، والسبب انها لم تدون فكان مآلها الضياع ، وما بقى منها فى أذهان الاشياخ قليل ، وهو على قلته ملئ بالتناقض والخرافات ، يحتاج الى كثير من التصفية والغريبة حتى يستخلص منه ما يمكن اخاذه أساسا للدرس والبحث .

لهذا سنركز على المصائد نفسها ، نحاول أن نكشف منها ملامح هذه المرحلة وما يميزها من ظواهر التطور والتجديد ، وسنتتبع نصوصها من خلال استعراضنا لاعلامها ، حتى نجتمع بين التاريخ للقصيدة والتاريخ لمنشئها ، ونستبدأ بعبد الله ابن احساين ونختم بالمصمودي .

عبد الله بن احساين

من قبيلة «اضراء» بصحرَاء تافيلالت كما يصرح فى شعره . ولنا نعرف تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نستطيع القول بأنه عمر زهاء مائة عام معتمدين على أمرين :

الاول : ان احدى قصائده مؤرخة في سنة ثمانمائة وبلاثن ، وادا افترضنا انها من أولى قصائده ، فيحتمل ان يكون فالحا وهو بين العشرين والثلاثين من عمره .

الثاني انا بجده يذيل قصيدة لاحد تلاميذه يسمى الحمري ، وهي قصيدة مؤرخة في السنة العاشرة بعد المائة التاسعة ، وليس من شك في انه كان اذ ذاك في أواخر حياته .

ويعتبر ابن احساين - في رأى بعض الاشياخ (1) - صاحب مدرسة إسناد جيل ، وضع لمن جاء بعده من الرجالين غير قليل من التقاليد ابتدعها في زجله ، والاسف انه لم يصلنا منه غير قصيدتين سنحاول منهما أن نستخرج ما يعزله من ابداعات وأسبقيات :

أولا - البحر المثنى : يستشف سمقه الى النظم على هذا البحر من استهلال القصيدة الاولى حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامي ياللى ابغا لوزان

وران خير لى أنيا من قول «كان حتى كان»

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يالخوان

بالشعر السليس الفايز هو ا يكون لى عنوان

ويستشف كذلك من قوله في نهاية نفس القصيدة :

واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل مكان

والناطمين عن ميراني واللى ايزيد لو ميزان

نحو يريد أن يقول شعرا موزونا سلسا يراه خيرا من «كان حتى كان». وقد سبق أن راينا (2) أن «كان حتى كان» ربما كان نوعا من الشعر غير منظم ولا موزون ، يقوم موضوعه لا شك على حكاية القصص والحرفات ، كما يبدو من تسميته .

والجدير بالملاحظة ان هذه القصيدة على قصرها - فهي لا تضم غير سبعة عشر بيتا - ليست معروفة الا عند كبار الاشياخ ، وأول قصيدة

(1) هو السيد حميد سهوم الذى استفدنا من تقاييده غير قليل من النصوص والاعبار المتعلقة بشعر هذه المدرسة .

(2) انظر الفصل الاول من هذا الباب .

بحفظها أغلب المنشدين على «فيصها» هي «تصلية» ابن علي ولد ارببن
لتي يقول في حربتها

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام لتبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

ثانيا - البحر الثلاني : نظم فيه قصيدته «اللقمانية» ، وهي - كما
سرى حين نتحدث عن سبقه الى تاريخ الفوائد - منصومة سنة ثمانية
وثلاثين وثمانائة ، أي أنه ابتدع هذا البحر بعد ثمانى سنوات من ابتداعه
البحر الاول ، يقول في أول «اللقمانية» .

يا راسي نوصيك كيف وصى ولدولقمان . . . يا راسي كيف ماصفا ولدولبياني
واتوصى بوصايتي المرويا قوم اخرين

ثالثا - البعد بالبحر الثالث : يبدو في أول بيت من القصيدة «المثناة»
حيث يقول :

نبدا لسم الله انطامي ياللي ابغا لسوزان

لوزان خير بي انيا من قول كان حتى كسان

رابعا - نوجده في الباب الذي أورس : يقول في أول بيت من قصيدته
الشمسية

يا راسي نوصيك كيف وصى ولدولقمان *

خامسا - الإشارة الى تاريخ نظم القصيدة : يقول في أواخر أبيات
القصيدة الاولى

تاريخ حمى ربحى عن ربحى وكان يؤمن

والقاييس كاع محضر رسا نفهيم رذن

حيث ذكر به : ربح ل ، فالراء بمائتين والهاء بستمائة واللام بثلاثين ،
ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة التاريخ ،

ونقول مؤرخا لقصيدته لثلاثية ، مجددا تاريخها بالنسب ولهم .

واسمى عبد الله بي احساين تسدل العدنان *

مركاحى فاضرا وحدى فالوزن لسانى

«خرجى لى» جماد والشهر باقى لو يومين

أما السنة فمر من لها ب : خ ر ح ع ل ، فالخاء بستمائة والراء بمائتين
والحيم بثلاثة والهاء بخمسة واللام بثلاثين ، ومجموعها ثمانية وثلاثون
وبمائمائة .

وأما الشهر فجمادى ، وأما اليوم فقبل نهاية الشهر بيومين .
سادسا - ذكر الاسم : يقول بن قصيدته الثابتة مصرحا باسمه وبأنه
من شمس الأبرار .

واسمى إلهامى عبد الله بن إسماعيل الوزان
إسماعيل بن عني فاضر عاصي ومعدن النقصان
وكتب يقول بن «البقمانيّة» مشميرا إلى شرف نسبه كما تتضح من
آخر أبيات ذكرنا منها عند التأريخ .
سابعا - اهداء السلام والصلاة والدعاء : يعرض ذلك في الأبيات
الأربعة لقصيدته الأولى حيث يقول

رحا من لكرم سوبا امن الرسول فالميزان
اشفاعتو الها ذا الاما ونا فوسطها فرحان
واشفاعتو الها ذا الاما هي اذخرت ليمان
اشفاعتو الها ذا الاما هي الصامنا لجنان
واتمام ما نظمت السيدى من ذا لعقيق والعقيان
اصلا اموصلا للماحي ماناح طير عن لفصان
واسلام ربا للشرفا واهل لهذا فكل امكان
ر لناطمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان
وبقول فى اللقمانّة :

واتمام لمقصود فالصلا عن سيد عدى *

زين الزين الهاشمى احمد محبوب الغانى

والرضوان اعلى اجميع آلو وانصار الدين

ثامنا - هجاء الخصوم : بعثر نفسه أستاذنا وسائر الشعراء له تلاميذ .

حين يقول فى قصيدته الأولى :

والقائلين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان

فالقائلون عنده - وهم الشعراء - امحضرا ، وهو الاسم الذى يطلق على صبية الكتاب القرآنى ، أما هو ففقيه ، وهو الاسم الذى يعرف به مدرس الكتاب ومدرسه .

تاسعا : تذييل قصيدة التلهيد : وهو دليل اعترافه بشاعريته واجادته حيث يختم قصيدته بيتين أو ثلاثة . ويقال عنه فى الاصطلاح «اطبع لو» (1) ولا يكون الا بعد أن يراجع الشيخ القصيدة أو على حد قولهم «صغى لو لقصيدا» و «دور اعليه» . ويعتبر التذييل شهادة يعتز بها الشعراء مثبتيين تلمذهم على كبار الاشياخ الى حد قالوا : «شيخ ابلا اشياخا باطل شاخ» (2) . من ذلك ما نجده فى نهاية قصيدة لعماد الحمري ذيلها استاذة ابن احساين بهدين البيتين مشيرا فى البيت الثانى منهما الى أن الحمري يحفظ معانيه :

واسلام ربنا للشرفا وهسل لعنوم يا حصار
اعساد ما هطلت امن امطار وما لقحت من تزهير
فاشمار حافظ امانيما حماد رايق للتشطار
والحمد الكريم الدائم عما اعطى ابلا تقصير
وفد قدم الحمري لبيتى استاذة بقوله معتزا بسنده :
ولحمد والشكر فالحتما واصلا اتسير للمخار
من درع ابن احساين الحمري حماد رمزها «فلخير»
وتجدر الاشارة الى أنه رمز لتاريخ قصيدته بالفاء واللام والخاء والراء ،
فالفاء بثمانين واللام بثلاثين والخاء بستمائة والراء بثمانين ، ومجموعها
سعمائة وعشرة .

(1) نصادف هذا المصطلح عند محمد بن عمر الكفيف فى «الدعى» حيث يهجو الاشياخ الذين كثروا دون أن يكون لهم سند من حفظ أو رواية أو تلمذ على اشياخ بطبعون لهم ويجيرون :
فضحرو سوق اللغا ابعال الرتعا * اشحال منهم املوا ابقاعى
ما حفظوا مارواوا ما طبعوهم طباعا
(2) ويقال كذلك انه «سلك الطريقان» أى حصل على تجارب وتعرف الى مختلف جوانب الفن عن طريق تلمذه على شيخه .

هذه جملة الاسبيقيات التي استطنعنا استخراجها لعبد الله بن احسان من ثنايا قصيدتين هما كل ما وقفنا عليه من زجله ، وقد وجد من شعراء قيسه غير قليل من السخط بسبب اتخاذ الوزن ، وهو سخط يكشف عنه قوله في اواخر «الدفانمة» :

من عنك بكفك فيه خفف عنك عصيان ❦

كيعبونى فقسلتى عن طرر اوزانى

نرجا من ربى ايوب عن ساير المسلمين

ولكن احتضان بن احسان لجماعة من تلاميذه فى الفن ، سواء فى ضرا أو خارجها ، جعل ابتداعاته تنشر وتفرض وجودها فى بيئة الزجل ويعترف للسابق اليها بالفضل ، وهو اعتراف تكشف عنه هذه الابيات التى رثاها بها أحد تلاميذه الفاسيين واسمه الحاج اعمارة ملقبا اياه بأبي الشعر ، نقول مخاطبا شعره ، يحثه على البكاء على بيه حتى يسقى من دموعه جذور النخلة التى كان يجلس اليها ابن احسان لينظم قصائده :

ابك على اباك أشعري لبكا دشى امرا ثكلى

اونوح كينوح ورشان اغريب بوحدو فالليل

ابك على اباك أشعري واسق اجذور ذا النخلا

اللى اشحال من شعر احداها رصعو اباك اكيب

العيش بعد عبد الله او الله كاع ما بحسلا

ونايلامشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

حماد الحميرى

نعرف أنه من تلاميذ ابن احسان وأنه كان يعيش فى أوائل القرن العاشر كما تقدم ، وقد ظل ينظم على بحرى استأذه كما تكشف قصائده . فمن نظمه على البحر المثنى قصيدته «الريعية» التى يقول فى حريتها :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار
ايسبحو النعم الفنى والما افقلب كل اغدير

ومن نظمه على الثلاثي قصيدة «انتصبة» التي يقول فيها :

صلى الله اعنيك يا الهادي خاتم لرسال *
عد دواب البحر والاسماك التي فالما الى
العيش والى امضى ومن هو مازال اقبيلا

وقد ظل كذلك يسير على جميع التقاليد التي سنها استاذة ، ولكنه
— في رأى الاشباخ — لم يكتف بها وأضاف لها من عنده . واذا كانت كل
أسبقيات ابن احساين محصورة في نطاق الشكل ، فان ما أحدثه تميذه
الحمري يتصل كذلك بالشكل ، ولكن يتعداه الى المضمون . وينبغي لنا
ذلك من خلال قصيدة واحدة هي التي وقفنا الى تسجيلها كاملة ، وهي
«الرابعة» :

أولا : تطور المضمون :

وينبغي في كون القصيدة نطمت في وصف الطبيعة وجمالها أيام
الربيع ، وهو موضوع يؤكد كبار الاشباخ أنه لم يكن معروفا من قبل عند
الزجالين الذين كانوا لا يخرجون في أشعارهم عن المدائح النبوية و «التصليات»
والحكم والمواعظ .

وقد سبق أن مثلنا ببعض أبيات هذه القصيدة لدى الحديث عن شعر
الطبيعة (I) ، ونود هنا أن نلاحظ أن الحمري جعل ربيع شعره أزهى من
ربيع الزمان ، هنا ينقضى بمرور فصله ، وذاك دائم الازهار والاثمار لا
ينهى ولا يذبل ، يقول في القسم الثاني من القصيدة :

هاك ارياض يا من لاشاف ارياض في اريض اشعار
انزايه لفكار ارياضى الشعر فايبق التشجير
لخريف كايصف نهر والورد وبربى لزهار
وابورد والزهر فارياضى فيام لخريف اغزير
لشجار افلخريف اتفرد وانوح عن اشباب اقبار
ويجف ورقها ويفدقد ويصير كحطب لهجير

(1) أنظر الجزء الاول من الفصل الثاني من باب (الموضوعات) .

ونا اشجار روضى خضرا تسبى ارباع النظار
-حرف ولمشاتى والصف اربعها اربع اغزير
نصن ناع سمرارا والورق منها بخضار
واقططر النداء فـعـرـوق سايـر النـشـحـير

ثانيا : تطور الشكل :

يتمثل فى ثلاثة جوانب هي : تقسيم القصيدة ووضع لازمة لها
استعمال الحوار .

1 - تقسيم القصيدة :

قسم قصيدته «الربيعية» الى تسعة اقسام كل منها مكون من
خمسة أبيات وهذا اولها :

سارت لمشدى كالجيش ايلـا انهـازم افـكـحـار
سـي بعد زام طـنـو واتـنـصر سار افـنـقـار اكـسـير
وجا اهماما لسمى الربيع حاسـن الفـنـحـار
وصاب ما يصيب المنصور ايلـا امـشـى اعـداه احـمـير
ارمات السما ثوب حزنـها ولـسـت الافـتـخـار
وانحزمت بالسبع الوان اللى اهدى لها تخيـير
وتعديم لغنى سبحانو وسفات منها لشجـسـار
شلا احصى السان الفاصح سبحان ربـهـا لـقـدـير
اعراحن اشر فالتخلات الراكبات عـسـر لـجـدار
واعناقـد لعب فادولى سـالـو عل لـهـصـير اخـبـير

2 - وضع الحربة :

فقد جعل لقصيدته حربة اى لازمة تلتزم فى نهاية كل قسم ، هي
فوله :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسمقا واطبار
دايسحو النعم الفنى والما اقلـب كل اغـديـر

3 - استعمال الحوار :

وهو حوار بسيط وقصير أجراه فى القسم لثامن بينه وبين النحل

والفراشات ، وقد سماها «أم الوبرت» . فقد جاء على لسان الفراشات ما
ضمنه الحمري أول بيت من هذا القسم ، وجاء في رد النحل ما ضمنه في
الشعر السدي من البيت سائب ، أما هو فردده عنها بعداً من آخر البيت
رابع وبكم في البيت لحامس . نقول

«اهلا بالربيع الذي جانا بعد ما هزم لمطار
واهلا بالنسيم الذي هب حامل اشدا واعبير»
هكذا هانت أم ابوبرات الطائفات على زهار
لراشفا اعطور الوار افطاست الندى بغزير
سمعوا اقوالهم النحللات وجاوبو ابلا تستار
«لاصيف لاخريف : بغيا الا اربيعا لمنيـ»
تكلام ابلقدوب يتسمع فشدا امرايح النوار
ون بقلب قلبي صفتو وانطقت قلت : «كل اعير
ما راد غير راسو والهاى مارنا اعلى محتار
واللى الفى اغراضو وامرادو مايسالشى عن غير»

محمد بن علي بوعمرو

وهو كذك من تلاميذ عبد الله بن احساين اذ يتروح عليه في آخر
قصيدته «عبلة» ملقبا اياه برفيق النخلة . يقول :
لازم ايجي من يدري فضلى * والفضل الخالقي فالاول واتالى
ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا
ونعرف من تاريخه لاحدى قصائده انه كان يعيش بعد السنة الثلاثين
من القرن العاشر ، يقول في آخر قصيدته «عبلة» :
بوعمرو محمد لعشيق ابن علي * والرمز «الحب افيرنى قتالى»
فقد رمز ب : ر ح ب ق ه ر ن ق ت ل فاللام بثلاثين — وقد ذكرها
مرتين — والهاء بشمانية ، والباء باثنى عشر ، والقاف بمائة — وقد ذكرها كذلك
مرتين — والهاء بخمسة ، والراء بمائتين ، والنون بخمسين ، والتاء بأربعمائة ،
ومجموعها خمسة وعشرون وتسعمائة .

وقد أحدث بوعمرى - حسب ما انتهينا اليه فى البحث - بعض التطور على مضمون القصيدة وشكها ، يتمثل الاول فى سبقه الى الغزل ، ويتمثل الثانى فى ابتداعه وزنين : احدهما داخل البحر المسمى ، والآخر داخل البحر الثلاثى ، كما يتمثل فى نظمه قصائد غنائية خفيفة :

أولا : نظور المضمون : الغزل

يعتبر بوعمرى أسبق شعراء القصيدة الى النظم فى الغزل ، ولقب لذلك ب : «العاشق» . ومن محاولاته الاولى فيه قصيدة «زهرة» التى يقول فى حريتها :

زورينى قبل الانقصار * ياهل امدار زهرا

وقد كان لغزل بوعمرى وقع سيء فى نفوس معاصريه الذين استاءوا منه وسخطوا عليه لاتخاذ المرأة موضوعا للشعر ، وبالغوا فى ذلك فرموه بالزندقة والفحش على حد قول أحدهم - اسمه لمرانى - وهو من امدغرا :

زنديق ابن الزنديق الوغد الذى ايردنا فساق

يستاهل الرجيم ابلحجر حتى يموت بالتحقيق

ويلا يموت يتصلب عام وبعد دلتو يحراق

وانشتتو ارمادو وانقول هكذا بلى لعشيق

فهو عنده زنديق ابن زنديق ووغد دنس الشعر بنفسه ، يستحق الرجم حتى يموت ثم يصلب مدة عام وتحرق جثته بعد ذلك وبذر رماذها جزاء عشقه وقوله فيه .

وعن مثل هذا السخط العيف عبر أحد شعراء مراكش المعاصرين له اسمه حسون وتير فقال :

ملت امن السجيا ونى فيها العار والشنار

واغضبت اعلى الشعر الملحونالى ناظمو فاضرا

الفاسق اللثيم الزنديق الذى شنع بالبيكار

أولى اجناح انفدده وانطير له لنصحرا

الذي هو الكلب والسلاسل من الهمد للتشبيار

وانطوفو شهر وانجسوا عشر من عام في عشر

فقد من شعر الذي غدا فيه العار والشمار ، وضاق بالملحون الذي
سعى من اسرا حبيب ، وهو برميء بالفسق واللؤم والزندقة
والشتميع بالابكار ، ولو كانت له أجحة لطار اليه حتى الصحراء ليضع له
القيود في رجليه ويكمه بسلاسل الحديد ليقيده منها ويظوفه شهرا ثم
ليبدعه مدة ثلاثين عاما .

ولم يكن بوعمره يسكت عن حصوره ، وكان يرد عليهم بأنهم لا
يعرفون حقيقة ما به وأنهم لو أدركوا هذه الحقيقة لاتخذوه نبراسا يضيء
بهم بطريق وتبعوه ، وبأن سر ما يعاني كامن في رقة فديه ؛ يقول في القسم
الثاني من قصيدة تأملية :

واسباب ليعتى وامصابى حتى اوصلت للتخساق

فلى ارفع يا مكرانى صبي ابل اشعار ارقين

البعض راد لى تشنيقا والبعض راد لى حراق

والعض راد لى نصب بالسلاسل حين اعشيق

بأنه لون عرفوا ما سمكن فالقلب بالتحقيق

حتى يكون لهم شمعاً تضوى افضيق كل امضيق

وفي القسم الاول منها يرجو الله أن يطبعه بطابع قومه أو يطبعهم
بمادة من كالعاهل بين المجانيين أو كالمجنون بين العقلاء ، وحتى
يتفاهم مع مجتمعه الذي يحلل من الاشياء ، ويحرم ما يشاء :

يا حلق لحلايق خدمنى بطبايع ما لتسلاق

ولا ادلايفك خلفهم بحلايفى اتبان الطريق

ايلا اتقول لهم ياناسى هامسارب التحقيق

ايحيروا اللخرائف ويقولوا هانهديت التحقيق

والعاقل لفطيس ايلا كان امشى الحارب الحماق

هو ايصير لحيى والحوق عافلين بالتحقيق

... من ... وحرموا ...

... على ... ما ... في ...
... في ...
... في ...
ويطلب من ... أن يفهم ...

... يا ...
...
...
...
...

...
...
...

...
...

...
...
...
...
...
...
...

...
...

...
...

آل اليه شعراء وظل يرد على خصومه مؤكداً تمسكه باتجاهه فنظم قصيدة «عبلة» التي يقول في حريتها :

ايلا انعدبت اعذابى من النواجلى * ويلانا هيت واسعدنى فالى
اسابى فالها اغزالى عبلا

ولعله في اختيار اسم عبلة لم يكن يقصد غير الابتعاد عن أسماء النساء المألوفة ومحاولة اقناع خصومه انه لا يعنى بنت هذا أو زوجة ذاك أو أية امرأة بالذات .

وفي القسم الثاني يخاطب الذين شوهوا قوله ولاموه على هواه ، ويبين لهم أن الحب كمن حصل هو منه على قدر كبير ، وأن المحبة رضوان من الله يهبه للضعيف ويرفع به الوضع ويغنى به المعدم ويحول به الفقار الى جنان :
يالى شوهتو ليا افعايلى * لوموني افلهوا ونا فسجالى
نوريكم حب ماتوصدو خلا

لمحبا رضوان الخالق العالى * للى هو اعفیف الحب احلالسى
وايامو ابلهوا العذرى تحلا

ايلا اكون اوضيع افلعباد يالى * ما ساق اخبار لازم اينال لمعالى
ويعود ابلو اجنان ما كان اخلا

كم عادم فغناه اليوم بيان لى * الحب اكنوز يالى كايصفالى
انا بعدا ادركست منها شلا

وفي القسم الرابع والاخير يكشف لخصومه أن البون شاسع بين العشق والفسق ، وأن العاشق لا يمكن أن يكون فاسقا ، وأن العشق يبعث الرقة والنور في قلب الجاهل البليد فيصير فاضلا ليبيبا اديبا لا تمل مجالسته :

عاشق وفاسق ماينصاب فى اخلا * ولا فعمارى لمـدون ولطلالى
بين العشق والفسق عندى شلا

من اعشق يترقى لو كان كـرغى * وبصبر افضيل بين لامت لفصالى
البيب ادب عمرو ماتسلا

ويرفع شكواه الى اله من أولئك الذين اغتابوه وهاجموه فاسودت

صفحه وساء حظه :

يا بلى يفتبكم سعدى اسود سى * واشكايًا المكرم لجليل العالسى

لاقولا خافيا ولا عالا

ولكنه لا يفقد الامن ممن يدرك فضله ، فيقول فى آخر بيت من

قصيدته :

لازم يحى من يدرى قصصى * والقصص الحالى فالاول والتالى

ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا

وكذلك كان ، فقد جاء فيما بعد شعراء عرفوا قدر بوعمرو واعترفوا

بفضله ونزهوه عما اتهم به معاصروه ، من هؤلاء الجيلالى سيرة . . .

قال فيه :

ماوتينى حاشا لله * غير ساعفتى من تهواه

زاد لك اولاعا

الزهو فسطور انظمناه * ولهوا ساقى سميناه

ولودن سماعا

ومهم كذلك التهامى المدغرى شاعر الغزل الاول فانه قال :

لو كنت فى ازمان «العاشق» * انكون لو الخو الشقيقتى

واحق للجحود احقايقى * وانقول يالنايم فسق

والحقيقة أننا حين ننظر فى قصيدة «عبئة» لبوعمرو نكاد نلتمس

العذر لثورة معاصره الذين لم يالفوا فى الزجن غير المدائح النبوية

واتوسلات والمواعظ ، ثم فجأة نسمعون لشاعر مثل هذا القول :

انظم وايضى سعدى اسكام لسى * وانقول افعلتى وشعرى واسجالى

فى محراب لغرام هى انقبلا

ليس من شك فى أن بوعمرو كان جريئًا على مجتمعه المحافظ حين اعتبر

الحبيبة قبلته فى محراب الغرام ، بل ان لا نجد شاعرا آخر من الغزلين

الذين جاءوا بعده استطاع أن يجرؤ على مثل هذا القول باستثناء التهامى

المدغرى الذى قال فى قصيدة «غنية» :

اخلعت لعدار فى محراب لهوى وصليت * وامطارب لخير تركع لصلاننى

ومن عجيب أن الموقف الذي اتخذته معاصروه منه بسمع تداول كل شعره وما نتج عنه من انتشار قصائده الغزلية في بيئات خاصة حمى هذه القصائد من اسنف والضياع في حين ضاع كل ما عداها من زجله .
ثانيا : تطور الشكل :

وسال عند بوعمر في ابتداعه وزنا قصيرا لكل من البحرين الثماني والثلاثي ، وفي نعام قصائد خفيفة للغناء .

1 - الوزن الاول للبحر الهنئي :

ويعتبر أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وقد سبق اليه في قصيدة «زهرة» التي يقول في حريتها :

زوريني قبس الانقباز * ياهلال الدارازعرا

ويؤكد الاشباح أن أحدا لم ينظم في هذا الوزن غير التهامي المدغري في قصيدته «فروح» التي يقول في مطلعها :

مال ذاك العجج الذبح * كابر يد العلب المجروح

2 - الوزن الاول للبحر الثلاثي :

ويعتبر كذلك أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وكان أول نظمه عليه في قصيدة «عبلة» وهذه حريها

ايلا اتعدبت اعنابي من التواجلي * وبلا نا هنييت واسعدني فالي

اسبابي فالهنا اغزالي عبلا

ويؤكد الاشباح كذلك أن أحدا من الشعراء لم يوفق في استعمال هذا الوزن كما وفق العقبة العميري ، على حد قوله في إحدى قصائده :

بارت احيال لعفالا فجيلنا * والحق اغبر ولعلايم كبلا

وعلاءاب المسيح لنا وصلو

3 - قصائد خفيفة للغناء :

اضطر بوعمر الى ضمها تلبية لطلب جمهوره الجديد بعد أن أعرض الاشباح عن شعره ومنعوا تداوله ، وهو جمهور - كما سبق أن ذكرنا - محصور في نطاق النساء والشباب . وقد وقفنا على قصيدتين من هذا النوع الغنائي الخفيف ، يقول في الأولى على لسان فتاة سافر

أَرَادَ أَنْ يَنْجُو	نَجَّى
جَمَعُوا فِي رَأْسِ	جَمَعُوا
مَا بَدَأَ الْفِيلَ	بَدَأَ
لَوْ أَعْمَلَ كَيْفَ كَانَ الْكَيْلُ	كَيْلٌ
تَأْسَيْتُ بِالْعَذَابِ أَشْجَالُ	تَأْسَيْتُ
دَلَّسِي أَحْرَامَ أَوْ أَحْلَالَ	دَلَّسِي
جَنَنِي الْبَارِحَ بِأَهْلَامِ	جَنَنِي
وَأَشَدُّ السَّارِحَ عَدِيمًا	وَأَشَدُّ
أَقُولُ غَابَ هَذَا عَمِ	أَقُولُ
تَاللَّهِ أَحْلَالَ أَوْ أَحْرَامِ	تَاللَّهِ
لَا تُدْرِي أَمْ لَا	لَا تُدْرِي
لَاغِيَا لِي أَعْلَى عَمِي	لَاغِيَا
أَهْمَشَ عَنِّي نَحْمِي	أَهْمَشَ
دَلَّسِي أَحْلَالَ أَوْ أَحْرَامِ	دَلَّسِي

ونقول في الثانية مستعرضا مجموعته من العنايات السردية في
 من المرافقة تتحدثان باللهجة الشامية والعربية ، وقد لمع جبينهن كالبدن
 ريشي متروك من أحمر من نادر ، وما كاد يراهن حتى أحس بدوار ،
 من بعض من حوار حيث سألته على عكاز قدومه فرد بأنه من منطقة ورغة
 من أرضنا ليسر الى طعنان الجمال في خدهن وليعاني من جفائهن
 ريشي

دوح التوفيق الزين يابلى ما شاف الحسن قام دوعا
 طفلات افيمه لبلسوغ
 صا صا داي زين اعلى ورغا رافديسن صيغا
 صا صا داي زين اعلى ورغا رافديسن صيغا

اجبين كالبدن والتيوب مقروعين اعلى لخدود فرغا

واين اللي راهو ايروغ

مهما ريت ابهاهم دوخوا دماغى يا صاغى ولا وجدت وين انروغ

قالوا لى امنين اتكون قلت لهم أنيا من احواز ورغا جابتنى رجل انزيغ

انشوف الزين افخذكم طاغى * وانتما حبكم باغى

جفالات كلكم غواغيا * مزيمكم بسلامغا

ولجدير بالملاحظة أن مثل هذه الاغنيات خرجت فيما بعد من نطاق

مجالس النساء والشباب ودخلت مجال الانشاد حيث اتخذها المنشدون

لحقتها مقدمات للقصائد الكبيرة يضبطون بها ايقاع النغم واللحن ، وقد

تطورت هذه المقدمات الى ما عرف فيما بعد بالسرايات كما سنرى فى

الفصل الثالث من هذا الباب .

وقد ظل بوعمر طول حياته ينظم فى الغزل لم يتراجع عنه الى أن

وافته المنية ، قرأه أحد رفاقه فى التلمذة على عبد الله بن احساين هو

الحاج عمارة الفاسى بقصيدة منها هذه الايات :

مال دمعى عن خدى واد * مال ذاتى فيهما رعبدا

مال قبي خافق فدفا * جرحىو ألف غدا

مال عقى ياوحى باد * مال شمعى ما تسدا

آح اعليا يا لعباد * من احراق احبيب الكبد

النيل الفد النشاد * سيد من غنى أو اشدا

بوعمر لمنير الوقاد * احبيب الا ليه افدا

الحاج اعمارة

من شعراء فاس كما يصرح فى آخر قصيدته «الحجة» اذ يقول :

والذى سالك عن اسمى ابجهار * الحاج اعمارا مادح درت النوارى

من امدينة مولاى ادريس صيل لطهار * امدينة العلم وأرض النور افنطارى

وهو من تلاميذ عبد الله بن احساين ، وقد ذكر لنا بعض أشياخ فاس

أنه نشأ فى طرانة بالطلعة الصغرى ، وأنه عمر طويلا حتى فارب المائة

عام ، وأنه دفن بمقبرة باب الفتوح فى نفس المدينة . وعلى الرغم من أننا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته فإنه من المؤكد أنها بعد وفاة بوعمرو لأنه رثاه .

وقد وقفنا من زجبه على أبيات فى رثاء ابن احسان وبوعمرو سبق أن أشرنا إليها ، وعلى قصيدتين : أحدهما «فاطمة» والثانية «الحجة» . وعلى الرغم من أنه ظم فى الغزل قصيدته لاول فان أحدا لم يثر عليه ولم يحاصمه ، ولعل مرد ذلك لمرين :

اولهما : ان ثورده الاشياخ ضد الغزل كانت قد هدأت لا شك ، ولعلمهم بدأوا بالقونه ويعجبون به ، عما بأن قصيدة «فاطمة» مؤرخة خمس سنوات بعد قصيدة «عبدة» لبوعمرو الذى ربما كان توفي حين نظم الحاج اعمارة قصيدته ! ويتضح تاريخ نظمها من قوله :

رمز الحلا يالى اصفى «غالى» ذاك اقوام * مهديا لام النيوت مولاتى فاطما
ذت الزين الفايز الدكى سسالت لكرام

فقد رمز ب : غ م ل أما الغين فبتسعمائة وامام اللام فبثلاثين أى أن نقصيدة نظمت سنة ثلاثين وتسعمائة .

الامر الثانى : ان الاشياخ بدأوا ينتمسون التبريرات للحاج اعمارة ويحاولون تأويل قصيدته زاعمين أنه لا يقصد غير فاطمة الزهراء (I) .

وبامعان لنظر فى قصيدتى الشاعر يتبين لنا جانبان من جوانب التطور يبدو أن الحاج اعمارة سبق اليهما ، أما الاول فوزن جديد للبحر المسمى يعرف ب «قياس لمشركى» ويظهر فى قصيدته «الحجة» وأما الثانى ومقدمات الاقسام المعروفة ب «النواع» وذلك فى قصيدته «فاطمة» .

اولا : قياس المشركى :

وهو وزن من المحر المسمى سبىق أن رأينا (2) أنه أسهل أوزان هذا

(I) فى حين أن اواقع غير ذلك كما بينا فى الملاحظة الثانية بآخر فصل «المرأة» من باب (الموضوعات) .

(2) أنظر الجزء الاول من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

السحر ، وكان أول ما نظم فيه قصيدة «الحجة» التي يقول في حريتها :
يا لحضرا قولوا بالسحر ولجهار ❖ الصلا والسلام اعلى النسي المختار
وهي قصيدته حدث فيها عن أدبه لقريضة الحج ، ويبدو أنه نظمها
في بيعة المقدسة ، ومن هنا جاءت تسمية وزنها بـ «المشركي» منسوبا إلى
المشرك ، بل اننا نراه يؤكد ذلك حين يقول في البيت الرابع من القسم الاول
انه أمي به من مكة :

واش كنزوا من لاكنزوا قباص لشعار ❖ وم حبه من مكا تربت الطهاري
ويقول كذلك في أول بيت من القسم الخامس :
هالك ياراي درا من ادرار الشعار ❖ من قباص اشرك من بلدة السماري
والملاحظ ان

احسن من التهامي المدعري في قصيدته «هروح» التي يقول في حريتها :
مانروح النفرح ولا نروح بالراح ❖ دهن راحة روح اللوامح افسروح
ثانيا : مقدمات الاقسام (النوع)

اعلمنا ضهرت في مرة في قصيدته «فاطمة» التي يقول في حريتها :
المس في اعلى اهوك اباشت لريام ❖ وت مقطوما اعلى اعذابي باطما
والتي مرتنا يلما ما طالمت ليام
بعد ذلك نرى في ثلاثة ابتهاء من القسم الثاني دون الاول
الذي ان فيه على وجه التحاح اشعار ، ثم نرى في القسم الثالث وفيه
بالسرابة .

في القسم الرابع نرى في «نوش» القسم الثالث من القصيدة ، وفيه

كم سمين ركم من اشهور ❖ واشحال من البالي روا ريس
رما صميمي بهجسور ❖ صميمي معايي ريسراي لري
بعد الصبر اكتبتم مسطور ❖ مرسول سار به وعانيت اشماير
وبها من القسم حيث يقول :

هناك جا اكتابي فابح بنسام ❖ اخطا رجاوب جانسي لا نسميت
اطردني مرسول عاشقك وانسميت ليام

اولا : البحر الرباعى :

فقد جعل البيت مكونا من أربعة اشطار على حرف واحد فى القافية وبحركات مختلفة ، والتزم نفس الحرف والحركات فى كل القصيدة ، ويتضح ذلك من حربتها التى يقول فيها :

صلى الله امع املايكو عل لحبيب السارى * وامر هل ليمان اقلبشر
بصلاة الهادى امع اسلامو بايات اسوارو * صلى الله اعليه وافرا

فانه التزم قافية الراء فى كل ابيات القصيدة وجعلها فى الاشطار الاولى على الكسر وفى لدية على السكون وفى الثالثة على الرفع وفى الرابعة على العتج .

ومن الزجالين الذين نظموا على هذا البحر بنفس الوزن محمد بن على ولد اوزين فى قصيدته «الوصية» وان لم يلتزم بنفس الحرف والحركات المختلفة ، وفى لازمتها يقول :

بعض الناس احباب درتهم نوجدهم اعدايا * من عدالى كرهنا احصل
واعيت انهادى افحيهم ماداروا بهدايا * كل مادارو لنا اوصل

ثانيا : البحر الخماسى

نظم عليه قصيدته «طامو» التى يقول فى حربتها :

قالت يما انقول طامو * قلت او ابىك يالطام
يا قد اعلام فاللطام * قالت ترا يفول طامما
نترات ابقسول فاطما

ويذكر الاشياخ أن أحدا لم يستعمل هذا البحر فى نفس الوزن الذى وضعه له ابن احساين كما استعمله التهامى المدغرى ، ومن الامثلة على ذلك نصيدته «فارحا» التى يقول فى حربتها

سندك بهباك يالرايح * مات سكران دون راح
ونا عقى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس ريحا

ثالثا : التجنيس (1) أو الجناس

ويتضح سبق محمد بن حسان إلى استعماله في هذا البيت من
قصيدة «طامو» حيث يقول :

كيفى بنا انهار ناموا * عيني فعيون موحرام
واعفنى من الهام هام * بالحدال اللي افقلب شاما
فوق السوردا الناسما

فالهام الاولى بمعنى الراس والثانية فعل لنيام .

رابعا : التصريف (2) :

وهو أن يصرف الشاعر في كلمة باستعراض عدد من اشتقاقاتها ،
ركانه نوع من الجناس ، ويصح ذلك في حربة قصيدة «طامو» .

خامسا : التضمين (3) أو التلزم :

وهو أن يجعل الشاعر قافيته على أكثر من حرف شبيها بوزوم ما لا يلزم
في الادب المعرب ؛ ويتضح سبق ابن حسان إليه في حربة طامو السالفة
الذكر حيث جعل القافية على حرفي اطاء واليم .

سادسا : الشعر القصصى :

فقد حكى في قصيدته «طامو» قصة حبه لها بدأها بأول لقائهما واعجابه
بجمالها الذى وضعه في القسم الاول حيث تشجع على أن يسلم عليها ويسألها
فى نهايته عن اسمها ، فقال :

قلبي فيها القى اغرامو * زعم نطقى اعلى السلام
ماودت بالحيا اسلام * جرت قبظتها ازعامسا
قلت اسمك بالناسم

1،2،3) أنظر الجزء الثانى من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

فأجابته بأن أمها تسميها «طامو» ، وحين سألها بم يسميها أبوها ردت
بأنه سره ساذج بطامة وتارة بفاطمة ، وفيه ضمن هذا الاسجواب في حربة
مقصده .

فزاد جوابها لوشه وسرى في جسده كالخمر وأسكره وأفقدته وعيه
وعقله ، ولكنها لم يدبث أن لاذت بالفرار وكأنها الغزال حين يحس بالخطر
الصياد يحوم حوله ، ولم تفعل كالنعامة توهم نفسها أنها بعدت عن الخطر
بدفن رأسها في الرمال ، وسعدتها عن الفرار أقدام شابة حرة لم يقدر على
مسيرتها بوهن حنينة ، فحسب عن سره طائفة كحمامة وتركته كالقمرى
ضامى ، ر ب ما يحكيه في القسم الثاني إذ يقول :

صوت العذراء مع انغامو * نرا فمفاصل لجسام
خمر ذاتي أبلا مسام * رنتت العقل والفهام
صدقنت هي الفاسما

دارت مادار في اوهامو * نزال ارائع لوهام
حس بالصياد به حام * ما درق راس كالنعاما
ننى طيار فالسمما

الماهي عانتو ادمو * ونا لموهن لعظام
ماطلقت لجري ابلقدام * والخودا كنهها ايهاما
فتلول الرمل هايمما

حتى ختفات سا عديمو * قلبى من ليعت لغرام
من بعد اسنم وكلام * طارب كطيرت لحمامما
مرت كمرى لها اظما

يعمل في القسمين الثالث والرابع يحكى أثر حبها عليه معذبا مسهدا
صوال شهر الى أن كان يوم خرج القوم للصيد وخرج معهم على حد ما يقول
في آخر بيت من القسم الرابع :

حتى لليوم فاش قاموا * انصيد اسياتل لخيام

ونا مالد لي امكام * واخرجت امع اهل الزعاما

ليوت اضراغم لحما

ويحكى في أول لقسم الخامس أن الناس تشبثوا في البطاح والآكام

بحثا عن الصمد - من - في النهار وعاد الجميع ، وقد اصعد بعضهم

النعام والغزال آخرون ، أما هو فعاد ومعه فاطمة :

كلا نسياق في اقوامو * ما بين ابطايح لوهام

وتستنا على ذكام * ضليبا كفا هيما

من مور اوحوش هايما

حتى عكب لضبا اظلامو * عدا بجميع في اسلام

شي منا قانص النعاما * شي جاب من لغزال لاما

ويبا حبت فاطما

ادريس المريشي

الثورة على عبود الوزن والقافية

من شعراء مراكش ومن معاصري محمد بن عبد السلام بن الحسن بن
سنرى من مسانديه له في دعوته المجديديه ، ذلك أن الميرني ضاف يقيود
الزجل المثنوية في الوزن والقافية ، ودعا الى التحرر منها في ثورة عليها
تكشف عنها هذه الابيات .

أنا ابغيت نظم والحرف ابدا انفور

اعلاه ما يكون اسعر ابلا حرف

عير حس اوقول الكلمات

ولودن سسمع ماقتنى

ولقلوب اغنى بضاك

بابعا تندد لمعنى

ولا اعنات ابشى قافيات

.....

لاشى نحبس فكري فالحرف

ونحبس عقلي فالسبييت

ولفكار اتمائل لطيور

مارضات افقر من لبيات

جايب اسلوكو من لحروف

والركايز من لقياسات

فهو في هذه المقطوعة يوضح فكرته وبدافع عنها بروعة ، انه يريد أن ينظم ولكن القافية تخونه ، ولم لا يكون الشعر بلا تقفية ؟ لم لا يكون مجرد كلمات تعبر عما يحسه الشاعر ، تسمعها الاذن ويتغنى بها القلب متجاوبا مع ما فيها من معنى رائق لذيد دون اعتماد على القافية ؟

ويتساءل في الجزء الثاني منكرا تقييد الفكر في القافية والعقل في لوزن ، في حين أن الافكار كالطيور لا ترضى أن تحبس في قفص الابيات المشبهة اسلاكه بالقوامي وركائزه ب «القياسات» .

والعجب أن المريني لم يتعرض لنقد معاصريه الذين لا شك فوجئوا بهذه الدعوة التحريرية ، وربما كان السبب في سكوتهم أن عميد الزجل في وقته وهو محمد بن عبد الله بن احساين لم يتخذ من دعوة شاعر مراكشي موقفا معاديا ولا حتى سببيا ، بل على العكس من ذلك وقف منها موقفا ايجابيا كأحسن ما يكون الايجاب وأفواه ، فنظم قصيدة على نسق مقطوعة المريني دليلا على تجاوبه معه ومساندته ايام ! والاسف أنا لم نقف من هذه القصيدة الا على هذه الابيات القليلة التي يقول فيها :

وصف لهوا وعدو خبرو به لكتوب

اصغ انصف احساب اعدادو

للذي سول بحنادو

وجاه محال افترشادو

ونكاد نجزم بأن هذا السجديد في نظام الوزن والابيات والقافية هو

الاساس الذى انطلق منه مكسور الجناح والمشتتب والسوسى .

عبد العزيز المفراوى (1)

عميد زجالى عصره كما يكشف وصف الاشياخ له بأنه «شجرة الكلام» عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر وأول الحادى عشر ، وكان معاصرا للمنصور (2) السعدى ، حيث نجده يرثيه بقصيدته التى تسمى «لعزو» والتى يقول فى حزينها :

عام شبابى مات يدهى خيار لرب ، ما بقى للسعدى باش ايرجحو
وهو من أمرا فى صحراء نافيلا ، وقد ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز
أن أحد شعراء فاس - واسمه باحدو - كان يتهاجى مع المفراوى فيعيره
بصحراويته ، فكان المفراوى يرد عليه بمنزل هذا القول معتزا بأصله
وشرف نسبه :

فيلالى ياحزين ما نكر حسبي من جد الجد

من اعرش الى عثمان

(1) وجدنا فى بعض مصادر التراجم المغربية ذكرا لعالم يدعى عبد العزيز المفراوى من تفيلا ت كان قاضى الجماعة بفاس وكان يعيش فى نفس الفترة التى عاش فيها شاعرنا الزجال ، ولكننا لا ندرى ان كان هو أم غيره ، وقد سألنا عن ذلك من عنوا بالتاريخ لعلماء فاس فلم نظفر بجواب . ومهما يكن فانا نورد ما وقفنا عليه فى تلك المصادر . يقول محمد الصغير الافرائى المراكشى فى «كتاب صفوة من اشهر من اخبار صدحاء القرن الحادى عشر» : «ومهم الفقيه القاضى أبو محمد عبد العزيز بن على الفيلالى المركنى المفراوى قاضى الجماعة بفاس ، كان فقيها مدرسا أحد عن بن مجير والمنجور والحميدى والسراج ، ذكره سيدى لهرى القاسى فى تاليفه المعمول فى شهادة اللبيب حسبما ذكره الشيخ ميارة فى شرح الزقاقية ، توفى رحمه الله عام أربعة عشر وألف» . (ص 102 ط فاسية) .

ويقول أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري فى «نشر المثانى» : «ومهمهم الفقيه العالم القاضى عبد العزيز المركنى المفراوى الفيلالى ولى قضاء فاس بعد أبى مالك عبد الواحد الحميدى ، وفى وفاته قال المكلا تى :
فواها لاحكام توارى شهابها » بعبد العزيز المركنى المعزل»
(ج 1 ص 98 - 99) .

(2) هو أحمد المنصور الملقب بالذهبى ، تولى على اثر وقعة وادى المخازن سنة 986هـ وتوفى سنة 1012هـ .

وانعيم السرمد لموهب * لاهل الاسلام افخلود

من آمن بالله والرسول لخيار * سعدو الرحمان واستقام
واكمل اسعادت الهدى نعم المختار * الماحى صاحب لحسام
وعلى الرغم مما يقال من أنه لم ينظم فى الغزل فقد وقفنا منه على
عروبيين مرتبطين بحادث وقع له يستنسخ منه الاشياخ صلاح الرجل وسمو
نفسه وتقواه . يحكى فى هذا الحادث أن المغراوى كان خارجا من جامع
القرويين فلقى فداينين يوادعان فقال لهما معلقا : «وأنا أين اذهب ؟» فردت
عليه احدى الفاتين : «اذهب الى الحبس» فما كان منه الا أن ذهب فعلا
الى السجن وأقسم ألا يخرج منه الا اذا حضر الشخص الذى امره بدخوله ،
وكانت للمغراوى مكانة وسمعة فى فاس فاضطر باشا المدينة الى أن يطلق
البراح» أى المنادى يجول فى الاحياء يطلب حضور الشخص الذى دعا على
المغراوى ، وكان خارجا من القرويين ، أن يدخل السجن . وسمع أبو
الفتاة النداء وأخبر به أهله فعلم أن ابنته هى المعنية بالامر فذهب بها فأطلقت
سراحه . ويقال انه بعد أن حضرت الفتاة لتسريحه أشأ هذا العروبي
— ويبدو أنه كان مولعا بنظم العروبيات حتى فى غير القصائد — :

ركبت اعليا عنسى من طاق الطاق

وكن طاق ابظاقر

عينى رات شى ازواق داروه الحداق

مر مر العاشقين منو يحماقو

هذا حال لغرام يا من لاذاقو

وتذهب الحكاية الى أن الأب قدم ابنته للمغراوى زوجها له ، وفى ليلة
الزفاف دخل للمغراوى غرفة زوجه ، ولكنه لم يلبث أن خرج منها دون أن
يشعر به أهل الدار ولا أن يعرفوا من أين ولا كيف فعل ، ووجدوا مكتوبا
على ورقة — تركها لهم — هذا العروبي :

أنا عاشق مانا فاسق

نعرف ربى احقيق

مرجان واعقيق فيدى متلاقى

الدنيا ما ندوم سبحانه الحي الباني

أما بعد هذا عيّن لنا المصنف في هذا الباب ما هو من شأنه من
الصحراء إلى فاس فإن مجلس جماعة وأعضاء الصوفيّين ، فصحت عنه
أهل فاس ، ولكنه حين - - - - - ردت يوم عدل بعض - - - - -
درسه أن يهزأ به وسقط المجلس فأتى مع حادثة له أن ثانيه أثناء المدرس
وتزعم بأن البغل مات ويحتاج إلى معجراوى ليقيوده ودفنه ، وكانت العادة
ألا يقوم بذلك أهل فاس ، - - - - - مقامه - - - - -
- وهو يلقي درسه - وطلب منه أن يقوم لدفن البغل فليس القدر - - - - -
الجامع وذهب مع الشخص إلى المكان (I) المعين فوجد العمل منه - - - - -
فأخذ لمغراوى يعجبه من كراعه مارا به من حي إلى آخر ، وكلما مر بهي
انهدمت بيوته ودكاكينه فأدرك الرخص والناس صلاح المغراوى فأخذوا
برجونه أن يتوقف عن السير .

وبحكي عن صلاحه بعد هذا أن «بلغته» ظلت جديدة طوال سبعة عشر
عاما لم يلحقها التلف ولبي لأنه كان يسكن المدرسة المصباحية ولا يخرج
منها إلا للدخول إلى جامع القرويين لأداء الصلاة .

هذا وقد وجدنا في أول ربيعة من كدش (I) يضم فصائد للمغراوى
قائمة بعلم كاديا أحمد الجلالى يقول فيها «يوجد ضريح صاحب هذا
الكتاب بمقبرة تسمى باسمه بين عبيد القادر للجالى جنوبا وامبارك بن عرى
شمالا ولا رتب أحد السمعة . - - - - - بعمسا - - - - -
وبعضها جالس بقصر امسيقى فرقة الغرفة ، وهم دار علم وكرم - - - - -
وتقوى وصلاح ، وقبره فيه ثلاثة مئذات مرسية وليس له معه حب - - - - -
أنه كلما بنوها عليه تهدمت . وانقصده الناس من كل حدب وصوب للبركة .
ويقال : كل طويل خاوى سموى المحبة والمغراوى ، كما يرمعون أن الشفى
- وقانا لله - هو الذى لا يزور قبره» .

I يقال انه هو المعروف الآن ب «زقاق البغل» وإن سبب التسمية هذا
الحادث .

(I) مخطوط الجريدة المسكية رقم 860 .

من كبار أشيخا القرن الحادى عشر ، وهو امتداد للمغراوى وعميد الزجل بعده كما تكشف القولة اسائرة «المغراوى شجرة الكلام والمصمودى فرع من فروعها» . ويراه أشيخا الزجل انتقاد مقعد الفن وحقة وصل بين مرحلة سابقة لا يعرفون عنها الا لليل ومرحلة لاحقة كاد الركود يأتى عليها فى البداية ، ولكنها لم تثبت أن شهدت ازدهارا كبيرا سنتحدث عنه فى الفصل الثالث من هذا الباب .

وابواق أن المصمودى يعتبر آخر شعراء مرحلة التطور الذين وصلنا أخبارهم ، فقد انتهى بنا البحث الى أنه شارك فى تطوير القصيدة بشيئين : أحدهما شكلى يتمثل فى محاولة وضع تعديلات جديدة لعروضه ، والثانى يتصل بالمضمون وهو السق لى أسلوب المراسلة فى الغزل .

أولا : مالى مالى :

اشتهر المصمودى بثورته على «دندنة» المغراوى وتبديلها ب «مالى مالى» حيث يروى عنه أنه قال «زولوا عينا داني داني وات وقتها واعملوا لنا مالى مالى» . وقد سبق أن رأينا (2) أن «مالى مالى» لا تكفى وحدها لضبط الإيقاع ويضطر الوزن بها إلى أن يضبط إليها بعض الكلمات التى يشد بها الميزان مثل «ارادا - سيدنا - ناعولاتي لا» وذكرنا من الأمثلة على تطبيقها قولهم فى هذا البيت من «وردة» ابن سليمان :

لا تلومونى فى ذا الحال جيت نشهد ونودى *

با عدولى فالعوت اسبابى خد اورد

لا يامولاتى لا ويا مالى مالى *

لا يامولاتى لا ويا مالى مالى

ثانيا : المراسلة :

(1) من لصيف الاتعاف أن يطلق «المصمودى» على بعض الإيقاعات الموسيقية حيث يفرق فيها بين لمصمودى الكبير والمصمودى الصغير .

(2) أنظر لجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول .

وفيه صبر لا مرة في سنة «يامنة» لى يقول في حريتها :
قولوا ليامنا تهليل العثماني * مينا يامينا امعاك شرع الله

فبعد أن طالعت عيبتها واشتدت لوعته بعث لها خطابا مع رسول .
ولكنها طوب الخصاب وطردت الرسول وهددته ان عاد الى مكانها وطلبت
منه أن يرجع الى صاحب البيت وانه ، وأقسمت بصوم عامها ألا يطفر مرسله
بها أبدا ، فقد جاءت بعد ايام ، وهذا حال الجمال ولا بد
نعاشق أن يرضاه . ذلك ما ضمنه القسم الثالث من القصيدة حيث يقول :

صعقت اللغزال ابرأتى * مرسولى امشى طرداتو
اقرالها احروف ابياتى * فبطبات مصولا عن مخطوطة
قالت لو : «ابصوم اسناتى * بيا لا طفر فحياتو
من ذا النهار ما تصور فمكاني * وللى العندو ابكى انت واياه
بعد موصل ردت انهجرو بلعاني * هذا حال الزين عاشق يرضاه»
وارحمت البكا بالدمع الطوفانى * كتابى نطوا ودرت له اعزاء

ولكنه لم يباس وأرسل مبعوثه مرة ثانية بعد أن حنه على عدم اللين
وأغراه بالمقابل ان قضى حاجته . وما كاد يصل الى دارها ويقر الباب
حتى وجدها فى الانتظار وقد انتفخ دموع عينها ، والكناب بين
يديها مفتوح تقراه ، فرحبت بسلامه واعترفت بخطأها معللة توربتها الى
الله ، وطلبت منه أن يبلغ حبيبها أنها ستدحق به يوم الاثنين ويسم
الموصال . وكذلك كان حيث أوفت بوعدها فسمعت قلبه وطابت له الحياة .
هذا ما يحكيه فى القسمين الرابع والخامس - وهو الاخير - اذ يقول :

شاود فت : «يا مرسولى * تراى سرح ورجع امها
نادر لا تكون املون * لى حبيبى غصبتها
احكى لى وكس انفسولى * ربا نشارتك نعطيكاه
ولى بعد ولى كمانى لى * نهر باب الدار صابها ترجاه
وادموع عنيدا غلب دمع اعننى * واكتسبى محلول فيهما تقراه
مرسولى غصبتى عو بعد حابى * اهلا بسلامو تابىا لله

لله يا رسول احبيبي * ول أو ورح نكسود
ولي وكر أو بنسوي * ناعظه السدلال السعدو
ويلا وتيب يستر عني * حاسا مما نحالف عهدو
يوم لنين هو العاهد رحي * وانقمو فرجا اعلى احسان ارضاه
وافات يامنا في عساهدها ثاني * فسي من بعد الصدود طاب اهناه
اما بعد المصمودى فقد تشعب شعر المراسلة وتعدى نطاق المحبوبة
الى اعناق البقاع المقدسة ومقام الرسول عليه السلام ، وغدت قصائده تحمل
أسماء مثل « لمرسول » و « الحمام » و « الورشان » اى الطائر ، بل
تطور عند بعض الشعراء الى الحديث عن الرحلة والنجوال على حد ما نجد
عند الكندوز في « الرحلة » وابن على في « الطوموبيل » ، وهى قصيدة
مشهورة جال فيها بسيارته كل بقاع الارض ، وفى حربتها يقول :

سعدى زارتنى اخيلتى لفرال ام ادلال
وازهينا بعد لوصول واركننا طوموبيل
واتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول



بالشيخ المصمودى تنتهى هذه المرحلة فى أوائل القرن الحادى عشر
بعد ان بدأت بعبد الله بن احساين فى أوائل القرن التاسع ممتدة عبر
ثلاث مئات من السنين شهدت القصيدة خلالها تطورا لم نستطع لضعف مادة
التاريخ والنصوص ان نقف عند غير بعض اعلامه ومعالمه ، وكان منتظرا ان
تستمر هذه المرحلة ويظهر اشياخ كثيرون ، ويبدو انها استمرت بالفعل وان
الركود اصاب الرواية ولم يصب النظم لانه سينين لنا لدى الحديث عن
سعيد التمساني أنه حين قدم الى المغرب فخر عليه الزجالون اشعارية
وعابوا عليه الموازين الجزائرية البسيطة ، وسينين لنا كذلك فى الفصل
القدام انه ما كادت تمر هذه الفترة حتى انطلق الرجل ناهضا مزدهرا ،
وما كان له ان ينطلق أو لم يستمر سيره دون توقف .

وإذا كنا نرى ذلك فانا لا ندري الاسباب التي جعلت الرواية تركسون .
وعلمهم لم يركدوا وانما اهتموا قصائد الزجالين المغاربة فلم يتداولوها
وتداولوا بدلها قصائد الزجالين الوافدين من الجزائر ، والدليل على ذلك
أن المستمدين المغاربة يحفظون حتى الان كثيرا من هذه القصائد وان بعض
التكمائيش التي عثرت بشدوين الزجل تضم منها غير قليل . وربما كان
المعامل في هذا التحول «عاب الزرة» بافئاج الشعراء الوافدين وما كان
لهم من مكانة عند السلاطين جعلهم يبسطون نفوذهم على الحفاظ ويفروهم
برواية قصائدهم . وتلك عادة جبل المعاربة عيها ، يؤخذون بما يأتي
به الغريب ويبهرون به حتى ولو كان تافها غير ذي قيمة ، ينطبق عليهم
ما يقال في المثل من ان «مغنية المعى لا تطرب» .

والاسف انه حتى بالنسبة للزجالين الوافدين ظلت الرواية محصورة
في شعر واحد او اثنين ، ولا سيما في قصائد سعيد التمساني ، ولعل
السبب في ذلك انه كان متصلا بموك الدولة .

وكم كان يكون مفيدا لو ان الحفاظ قدموا لنا أسماء اغلب الوافدين
وكثيرا من قصائدهم ، ولو انهم رويوا كذلك الى جانبها أسماء المغاربة
وقصائدهم ، ولو انهم فعلوا لكان في امكاننا ان ننظر في انتاج هؤلاء
وأولئك ومدى التأثير المتبادل بينهما والمنافسة كذلك . حقا لقد وصفتنا بعض
الزجال الصوفية في هذه الفترة ، ولكنها محصورة في نطاق ضيق يجعلها
بعيدة عن أن تكون موضوع لمقا .

مهما يكن فقد دام هذا الركود زهاء قرن ونصف لم ينقش سحابتها
الا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر على عهد السلطان سيدي
محمد بن عبد الله (I) حيث بدأت فترة نهوض وازدهار هي التي سنخصصها
بالحديث في الفصل التالي من هذا الباب . ومع ذلك فقد لاحظنا خلال مدة
الركود تلك ظاهرتين نرى أن نعرض لهما : الاولى انتشار الزجل في بيئة
المصوفين ، شامية فدوم بعض زجالي الجزائر الى المغرب .

(I) سمي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ولد بمكناس سنة ١١٣١ هـ
في ربيع ١١٦١ هـ وعي ١٢٠٤ هـ .

اولا : زجلون متصوفون

نقدمهم هنا مصادر الترجمة المغربية لهذه الفقرة ، وقد وقعنا منهم على هؤلاء : (I)

عبد الرحمان المجذوب :

سبق أن ذكرناه كشاعر «الحكمة» الاول واشربنا الى مصادر ترجمته واستعرضنا نماذج من أبياته المزدوجة في هذا النوع (2) .
ونضيف هنا أنا وحدنا في « تحفة الاخوان ببعض مناهب شرفاء وزان » (3) لحمدون بن الطاهر الجوطي ، لدى ترجمة مولى سهامى انوراني وكان ايضا من الزجلين : «انه ذكر بين يديه كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب ، وهو :

غيبت نظري الخنطرو * وافنيت عن كل فاني
حققت ما نظرت غيرو * اورحت والقلب هاني

(I) ليس مقصودنا استقصاء كل المتصوفة الذين كانوا ينظمون الزجل فليس معظم رجال الصوف كان لهم ميل الى طمسه لاتصالهم بالجهالير . ومن هنا لا سبيل الى تتبع هذه الظاهرة ، ومع ذلك ود ان ان نضيف الى من ذكرنا : السيد الغزواني . فقد وجدنا في كتابه عبد الله الشرقي (مخطوطة الخزنة الملكية رقم 5956 وهي مجموع من الكراريس ولاوراق) : «ومن كلام سيدي الغزواني نجل سيدي محمد الشرقي نعم الله بهما آمين :

ريت لعريس اعرس ربحو ايهوس من شرق وغرب ايهوس يا بابا
اخضر الى يابس يفجى الدحامس ابيض الى ناعس يا بابا
جوابه لاييه نعمنا الله به آمين :

هيا اترافد نضر اسمك فوق المعاني * كان اتسأل نعطيك اخبار يا بابا
لا بد من لهوال عقبي السالى * مارس اعديك احوالى يا بابا ... »
وهي قطعة من عشرة ابيات .

(2) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشمكل » لدى الحديث عن « الحكمة » كنوع من لزجل .

(3) ص 100 - 101 طبعة حجرية .

فقال مولاي المهامى رضى الله عنه. هذا انما قضى حاجة نفسه ولم
غنى حاجة غيره فانا لا اقول هكذا فقييل له وكيف تقول يا سيدى ؟
قال رسول :

من حان له حرام من * يمشى القلور عسثمن

الحى مدرس يسمى بهرا * وسيدنا محمد ضامن »

هذه الموشى :

سبق ان ذكرناه كذلك في نفس الموضوع (I) وصيغته هنا مرادفة
لرجلية دارت بينه وبين ابي المحاسن الفاسى (2) تدل على أنه كان ينظم
فى غير المزدوجات الحكيمية ، وقد ذكرها محمد المهدى بن احمد بن على
ابن ابي المحاسن يوسف الفاسى فى «كتاب مصبع الاسماع فى ذكر الجزولى
والاتباع وما لهم من الاتباع » فقال : «وكان الشيخ صاحب الترجمة
صاحب فيض وقوة فى حاله فكان لا يعتبر أحدا يشكره لكنه ذا وجد من
هو اعلى منه أنصف له واعترف ، وقد كان وقع له انكار فى جانب سيدى
يوسف الفاسى بسبب كلام بلغه عنه حملة على غير وجهه فكتب - اعنى
صاحب الترجمة - اليه كلاما يعرف فيه بحاله ويصف له مبالغ الرجال
ويدعوه الى صحبته ، فلما اجابه سيدى يوسف وتعرف به اعترف بتقدمه
عليه . وذكر ذلك هنا مما كمل لما فيه من وصف صاحب الترجمة بحاله
وهو اعرف بنفسه من غيره . قال صاحب الترجمة :

الملك والمنكوت وصفهم منعوت اهل الجبروت ما عيبوا عدا
نوح لسموت على ارباب القوب بدر لا يفوت عنك وقت
شموس القلوب تشاهد المحبوب فى عالم الغيوب شرابها مختوم
السرق والجنوب فى طيها مكسوب تخفى الحبوب للمواحد الثيوم
رياح اصبا تاتى على شبا وارباب المحب ما خفاهم حال

(I) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكك » لدى الحديث عن
«الحكمة» كنوع من المزجل .
(2) المولود سنة 937 هـ بالمصر الكبير .

القلب نبأ من سررك اقربا والروح جادبا في حضرة الجلال
نفحات محب من رياض العرب بها لم يزل روضا زاهيا
اذا سقي شرب اشراق الرشيق سم شامو ليلى كما عيا
قولوا لنسوى اتيجع بوى نعت الكوى من حيك الحواف
اعيب نسوى تركب هوى نوى دلوى لى نسوى فى راكب لىراق

فبلغ سيمى يوسف خبر هذا الكلام قهس ان يدحل يده وانه
قاله معرفا له بحاله لما بلغه عنه وانه مع ذلك انكر حاله فكتب اليه كتابا
يذكر له توجيه ما اراد بكلامه فى شأنه وانه ليس من دابة البحث فى
الخلق جملة فضلا عن مثله ويعلمه بانه ممن يحبه ويحسن انظر به ويعرض
عليه حاله على جهة اتهامه نفسه لما بلغه عنه من انكاره وتنازل معه فى
ذلك كنه غاية التنازل ثم دخل يده كلامه فاجابه عنه بكلام على وزنه
وفافيته معرفا بحاله هو نصيحة له وتاديبه لحق كتبه ، فقال :

الملك والملوك فى طيبا معوت حتى الجبروت لا يختفى عنا
جملتها مبتوت حتى الرحمت وقتات اوقوت هو وقتت
شمسو دا التحقيق قد تعطى حقيق لمن سير وصديق للواحد القيوم
عفوف بالتوفيق فنعتو ارشيق قريستى الرحيق الصافي المحتوم
رياح الصبا ما انتهى عنا والعالم الاسى هو مصعد الكمال
قلب لمعنى والروح متهونا ولسر يتعنى من سرذا الجلال
نفحات لمحب وكذلك المحبوب فارياض التعريف احوال مستويا
لكن والتهذيب يحتلف لسطاب حتى فى التشريف اسرار سرىا
من هو متهنا ما يخشا لعا بشرب يتعنى يمسى من السباق
موصول المنا من كل ما يتمنى محفوف بالعا فى الواحد الخلاق (I)
هذا وينسب له بعض الاشياخ القصيدة «المياشية» التى حريتها :

انى على فداى به وراش عنا مرسى

كما ينسبها له جامع الكناش ك 3027 (I) من مخطوطات خزانة
الرباط العامة ، مع ان المعروف انها لشيخ عبد الوارث .

محمد بن عبد الكريم بن يحيى المازي :

ترجمه محمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر في «دوحة الناشر
لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» (2) وعنه نقل الحضيكي
في «المنافى» (3)

قال عنه ابن عسكر : «وحدثني بعض الفضلاء من اهل بلده قال : كان
شيخ رحمه الله عاشقا لا يكاد يفارق السماع ساعة واحدة ، وله قصائد
كثيرة :

خرجنا واحد الصباح * اشاهدو روضا ابهيا

واطيار تشهد يصاح * لله بالوحدانيات» (4)

وقال عنه كذلك في نهاية ترجمته : «ولسه توشيحاح وقصائد
ومقطعات كلها رائقة وله على بردة الامام البوصيري تخميس عجب ، وله
في فن التصوف العجيب من النظم والنثر .. توفي في آخر العشرة الثانية
والله اعلم» (5)

محمد بن يحيى البهلوي :

ذكره ابن عسكر في «الدوحة» فقال عنه : «كان هذا الشيخ ممن لازم
باب الجهاد وفتح له منه ، وله فيه اشعار وقصائد زجلية وغيرها .. وله
زجلية ومقطعات حسنة في البحث على الجهاد منها اللامية المشهورة
التي خاطب بها السلطان ابا عبد الله البرتغالي ، ومطلعها :
قل تلامير محمد يا طلعة الهلال * الويمة فالسواحل من افضل الليالي

(1) ص : 2

(2) ص 51 - 52 - 53 - 54 ط. حصرية

(3) الجزء الثاني ابتداء من ص : 17 .

(4) ص 51 - 52 .

(5) ص : 54 .

ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مراد والعشر يا كرام * نفسي على الجهاد سببت والسلام» (I)

عبد الله بن محمد انهبطي :

ترجمه صاحب « الدوحة » فقال انه «الشيخ العالم الزاهد المحقق حنيد زمانه وقطب دائرة أوانه الهضبة الراسخة والحجة الدامغة الناصخة» (2) وان «أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة ايمتنة (3) » وان « له تأليف عديدة بن منظوم ومسنون وله في علم المشاهدة الشمان الذي لا يدرك ... وكان الشيخ ابو الفاسم بن علي بن خجو يقول هو غزالي هذا الزمان ولقد من الله علينا وعلى المسلمين به » (4) . ثم ذكر له كرامات وختم بقوله : «توفى ... سنة ثلاث وستين وقد نيف على الثمانين ودفن بزاويته بموضع يعرف بمواهب » (5) .

له «كتاب الاشادة بمعرفته مدلول كلمة الشهادة» و «الفية في تاريخ الدولتين الوطاسية والسعدية » . وقد وقفنا في الخزانة الملكية بالرباط على كراس ، لم يرقم بعد ، يضم له ست قصائد زجلية كلها في الذكر والشوق بالحضرة ، منها هذه القصيدة التي يقول في اولها :

ربي اعظيم يا حصار * قد حملت انعموتو
ايغيب عني ما تقدر * او يحضر انموتو
حب لحمال عذبنى * افسوم العمدو
نهر نجلال يهرسى * من فربو البعدو
من لطفو معين * سحننى ويمو

احمد بن منصور المكناسي :

ترجمه القادري في « نسر المشاني » (6) والحضيكي في « المناقب»

(I) ص 45 ، 46 ، 47

(2) ص 7 .

(4) ص 7 - 8 .

(5) ص 1 .

(6) ج I ص 255 .

حيث قال عنه «وله كلام ملجون يغمر بالمغيبات طهر أكثرها ، توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين والف ودفن داخل مدينة مكناس » (I)

أبو البهاء عبد الوارث بن محمد الياصلوبي :

«رحمه الله تعالى في شهر المصاني » وذكر ان « له زاوية بناها قرب دره روفى بحجر ... بهاس يقرأ فيها أصحابه الأحزاب ، يقرأون صبحا المعشرات وحزب الفلاح وصلوة مولاي عبد السلام بسن مشيش والحزب الكبير لنشادى ، ومساء حزب الفلاح ولا اله الا الله مائين .. وتوفى رحمه الله يوم الاحد الثالث من ربيع النبوى سنة ست وسبعين والف ودفن بزاويته المذكورة » (2) . وقد وقفنا له على قصيدة فى الذكر حربتها :

لا اله الا الله

يقول فى اولها :

لحمد لله والشكر لله على فضل الله لا اله الا الله
استمع القولى واعلى النبى صلى وبصوتك على لا اله الا الله
يا من هو راغب فالخير وطالب افضل المآرب لا اله الا الله
وينسب له كثير من الاشياخ القصيدة « الفياشية » التى ذهب بعضهم انها للشرفى كما تقدم ، وهذه حربتها :

انا مالى شش * واش اعليا منى

وفى اول أقسامها يقول :

انا عبد رب له قدرة * يهون بها كل أمر عسير
فان كنت عبد اضعيف القوى * فربى على كل شيء قدير
منى آش اعليا * وا عبد مبرك
والاشيا مقصيا * ما فاجع من اشكوك
رى بظفر ليا * ولا نظرى مبرك

(1) ج 1 ص 7 - 74 .

(2) ج 1 ص 261 .

ونؤكد ما سبق ان لاحظنا فى مدخل الرسالة لدى الحديث عن الانشاد ان هذه القصيدة جمعت بين العرب والملحون حيث نجد فى بداية كل قسم بيتين معربين يستهل بهما بعد الحربة ، وهى ظاهرة لم نعر عليها فى غير هذه القصيدة ، على أننا نلاحظ فى الرجال المتصوفين عموما سواء فى هذه الفترة او غيرها ، لغة هى اقرب فى كلماتها وتراكيبها الى الفصحى منها الى العامية ، لا تكاد تنفصها غير الحركات لتصبح معربة سليمة .

محمد بن على بن ريسون :

ترجم له الشيخ محمد التاودى بن سودة (I) فى فهرسته ، (2) فذكر ان ولادته كانت سنة ثمانية عشر ومائة وألف ووفاته عام سبعة وثمانين ومائة وألف ، وقال عنه : «وله كلام مؤثر فى القنوب بتحقيق معانيه ويفهمها ارباب القنوب ، فمن كلامه صدر قصيدة فى المدحون :

الى يرفقنا فمحبت سيدى الرسول * هو احببنا واحنا له احباب
ومن كلامه صدر قصيدة اخرى :

انا سيدى عندى طبيب * ويعالجنى بسد . واه
متولع ابحب لخبيب * سيدى رسول الله
ومن كلامه صدر قصيدة :

الروح فالجسد والقلب امعاكم * ما خاب فيكم ظنى
الى اتركبوه يحسب امعاكم * واتقربوه بدنى
لله انظر كم ما عاد ينساكم * اهل لكمال نعى
ايا هل لكمال قلبى يرعاكم * هذا لكريم رادنى
ومن كلامه صدر قصيدة :

العيون الجاريا فيض اعلى * من ابحور محمد عليه السلام
ومن كلامه ايضا صدر قصيدة :

ما بكيت اعليكم الا اترحمونى * والدموع من عينى تجرى الحبكم

(I) المتوفى سنة 1209 هـ .

(2) مخطوطة الخزانة العباسية رقم 3388 من صفحة 86 حتى 91 .

ومن كلامه في هـ، المعنى كثير .

وقد وقفنا من هذه القصائد على سابعة ، وهي من خمسين بيتا .

احمد بن علال السرايلى المراتشى :

ترجم له الشيخ محمد التاودي ابن سودة في فهرسته (I) حيث ذكر ان له ديوانا من كلامه بالمدحون بين توسلات ومقامات ، واورد له نص قصيدة مطلعها :

بسم الله الرحمن الرحيم حلا نبداها

في اسبوك الذهبان والحوهر تشرق بجمالو
كما ترجم له عباس بن ابراهيم في « الاعلام بمن حل بمواكش واعمال
من الاعلام » (2) نقلا عن فهرست ابن سودة . كذلك ترجم له محمد بن
عبد الله الموقت في « السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحصرة
المراكشية » فنقل بعض ما جاء في الفهرسة السودية وعلق عليه بقوله :
« ولم يذكر وفاته وما كان ينبغي ... ولا شك وانه من اهل القرن الثاني ،
ويعمل له موسم في اوائل كل ليلة من رجب الفرد ، وينشدون
ازجاله » (3) .

ثانيا : زجالون جزائريون

يبدو ان كثيرا من الزجالين وفدوا في هذه الفترة من الجزائر الى
المغرب فارين من حكم الاترك او مقيمين ، ولكن المصادر لم تقدمنا بخبر
اسين من اكبر زجالي القطر الشقيق هما : سعيد السمسامي واحمد التريكي ،
علما باننا وقفنا على غير دليل من الذين لجأوا الى المغرب فيما بعد هذه
الفترة ، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر ، (4) وهو دليل على ان

(I) المخطوطة السالفة الذكر من ص : 77 حتى 82 .

(2) الجزء الثاني ، ص 203 — الطبعة الاولى سنة : 1936 فاس .

(3) ص 154 — المطبعة الحليية — مصر — سنة 1341 .

(4) خصصنا جزءا في آخر الدليل الملحق بالرسالة لفصائل الشعراء
الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب والذين لم يقدوا ، ولكن كانت
قصائدهم منتشرة فيه .

هجرة المتنورين الى المغرب من ابناء هذا البلد الجار ظلت مستمرة طوال عهد الظلام المتمثل في حكم الانراك والاحتلال الفرنسي .

ابو عثمان سعيد التلمساني :

زجال تلمساني اشتهر بقصيدة في السيرة النبوية تسمى «العنقية» نسبة الى وادي العقيق في الحجاز ، وفد الى المغرب في أول السولة العلوية وادرك مكانة عند سلاطينها وخاصة المولى اسماعيل (I) . ذكر صاحب « الدر المنضد » لسدي حديثه عن المولى محمد بن الشريف (2) قال :

« وكان سخيا جوادا حتى انه اعطى الاديب الشهير المتقدم في صناعة الشعر الملحون ابي عثمان سعيد التلمساني نحو من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه ، وحكايته في هذا المعنى شهيرة » (3)

اما قصيدته العنقية فهي التي يقول في أولها :

كيف ينسى قلبي عرب لعقيق والبان * والعقيق اعينى بقلايدي انهلسو
وقد بلغت من الشهرة انها نشرت بالجزائر في نصها العربي ومترجمة
الفرنسية ،

وذكر المشرفي في « الحسام » انها « قصيدة طويلة مشحونة باللغة والحكم وامثال العرب تنافس علماء وسطه لمغرب في شرحها ومنهم

(I) اخو المولى رشيد نولى سنة 1082 وتوفي سنة 1139 حيث دام ملكه سبعا وخمسين سنة. عند العربي المشرفي ان لشاعر ديوانا ضخما في ملحون الشعر جده في المولى اسماعيل « الحسام المشرفي في الرد على اكنسوس المراكشي » (ميكرو فيلم خزانة الرباط العامة) مصور عن مخطوطه ابن سودة رقمه 1207 ص 423

(2) بايعه اهل تافيلالت سنة 1050 وقتل سنة 1075 .

(3) الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن والفاخر لابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير بالكردوى توفي بفاس يوم 11 رمضان 1268 هـ (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم I584 D الورقة 113 وجه)

الشيخ بو راس الناصري ثم المعسكري فقد جعل عليها ثلاثة شروح اصغر
واكبر ومتوسطا بينهما « (I)

وتوجد بخراطة الرباط العامة نسخة من احد هذه الشروح رقمها D 1656
نحمل عنوان :

« الآداب الرفيعة في شرح العقيدة » وان شئت قلت الدرة اللينة في شرح
العقيدة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية » ، وتحسنت
المشارح في مقدمة شروحه عن الناطم فوصفه بأنه «الشاعر المفلق ... الشيخ
الرباني والهيكل الصمداني العلامة ... فان له اليد الطولى في آداب
العربية ومقاييسها ومعيار حكمة الوضع وقسطاسها ، فقد كان تشد له
في ذلك الركاب » (2) وذكر ان المولى اسماعيل نفاء ثلاث مرات وانه
توفي « بعد الخمسين من القرن الثاني عشر ودفن بسجلماصة فهو هنداسي
نجارا وتلمساني منشأ ودارا وسجلماصي مدفنا واقبارا » (3)

ونجد لسعيد التلمساني في اواخر « العقيدة » بيتا يفخر فيه
بان هذه القصيدة فاقت كل قصائد المغراوي عميد الزجل في عصره ، وهو
البيت الذي يقول فيه :

تفني العشاق ما تخلي عداوى * ما صمت منها خزانة مغراوي

وفي كتاب « كشف القناع عن آلات السماع » لابي علي الفوئي بن
محمد لجزائري تعييق على هذا البيت ذكر فيه ان التلمساني « لما قال هذا
الشطر راي الشيخ المذكور في المنام معاتباً له فلما أصبح رثاه بالقصيدة
التي أواها :

بوفارس الفارس في كسل اعلوم * بحر المحيط ما تنهيه اقراص » (4)
وفي نفس الكتاب « ان الشيخ سعيد لما قدم المغرب الاقصى ولقي
الاکرام من المولى الرشيد ... حسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين
ن موازين اشعار المغرب لاوسط يقدر على الاتيان بمثلها صبياننا لان

I الحسام المشرفي (الميكرو فيلم ص 423)

(2) ص 2 . 3 ص 5 .

(4) ص 73 - مطبعة جوردان بالجزائر .

غالبها يتمشى على حرفين فلو ارتكبت ما تركب من السفن لما وجدت معنى أصلا فعندنا من ينظم الرباعي والخماسى حتى العشارى (والخماسى والعشارى ... الخ عبارة على أن القصص أى البيت الواحد يشتمل على خمسة أو ستة أو عشرة قواف) فلما رأى الشيخ سعيد رحمه الله من شعراء المغرب ذلك الإنكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة لا من السداسى ولا من السباعى بل من الثنائى عشر واتى بها اليهم فعلموا حينئذ أنه بحر لا يطاق ولا يقاس وسلموا له . وطالما بحثت عن هذه القصيدة ولم قف لها على خبر الى الآن « (I) .

وقد وقفنا للزجال التمسنانى على غير قليل من القصائد التى منح بها السلطانين المولى رشيد (2) والمولى اسماعيل ، منها قصيدة فى مولى رشيد يقول فى أولها .

حياتك ريح الصبا بالفين اسلام * واسقاك اغمام السما رحما وانعيم
ومنها قصيدة فى لمولى اسماعيل هذا أولها :

بين اكرم الفعل والعيا ميماد * بيدهم يرموا على الصدق احوالو
وقصيدة اخرى فيه مطلعها :

برقا جرد صارمو فى ساحت نجد * ذكرنى فى امانزل اشهابو
كذلك وجدنا فى كتب « الكنز المكنون فى الشعر المبحون » لقاضى محمد الجزائرى قصيدة قالها حين خرج من فاس على ائسر غضب المولى اسماعيل عليه ، يقول فى أول ابياتها .

هذا حد اودعنا بوفى واكمال * مددا لى فالتحدث نغدى وانسولى
بعد اثلاثا (3) ماقى لمرء احلال * غير ايلامات حسن تالى يعلى
حليماكم بالسلا ما غضال * سره سره صرف اولاد على

(I) المصدر السابق .

(2) تولى بعد موت اخيه مولى محمد سنة 1075 واعلن ملكا سنة 1079 بعد ان استولى على مراکش واستمر فى الملك حتى سنة 1082 .

(3) فى هذا تأكيد لما ذكر شارح العتيقية من أن السلطان نهاء ثلاث مرات ، وهو فى الشطر الثانى من البيت يشير الى أن المرأة التى تطلق للمرة الثالثة لا تحل لزوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره .

وفى تقديم القصيدة ذكر مؤلف الكتاب حكاية ذهب فيها الى أن المولى اسماعيل « كان له شاعر آخر مغربى اسمه خباب فامرهما ذات يوم بنظم قصيدة يمدحان بها جارية له اسمها سلمى . اما سيدي سعيد المنداسى جعل استخارة ورآها فى المنام فحكى على حسب ما رأى ، واما السيد خباب قال من غير رؤية ، ولما تلووا القصيدة على الملك قال لخباب : سعيد افضل منك ، فأجابه بان سعيدا ولعله رآها ، وأما انا فلم ارها ، فعند هذه التهمة خرج سيدي سعيد من مدينة فاس واتى الى مدينة تلمسان فكتب له الملك ليرجع فابى وبعث له هذه القصيدة » (1)

ولكن يبدو انه عاد بعد ذلك الى المغرب بناء على ما نعرف من ان وفاته ومدفنه بسجلماسة .

والتلمسانى لم يكن شاعر ملحن فقط وانما كان شاعر موزون كذلك ، وقد ذكر له صاحب « الجسماء المشرفى » قصيدتين :

الاولى يجيب فيها بلسان المولى اسماعيل على رسالة بعث بها اليه احمد بن محمد الحاج الدلائى مستدعيا للحرب حين ثار عليه ، يقول فيها (2)

ناهب ليوم الحرب فالحرب عيد * لنا وعليكم محنة ووعيد
سنعلم اشقى الناس يوم لقائنا * اذا قمقمت تحت العجاج رعود
فسر نهلت الناس عاوعنكم * متى قابلت جنس الاسود قروود
دعوت محييا فارتقب ما طلبته * فانا بما تبغى عليك نجود
عدمنا فحول الخيل ان لم تصلحكم * عليها من الابطال منا اسود
اتصلب دار الملك من غير قدرة * وانت من المجد الاثيل بهيد
اساتم فكنا المحسنين وعدتم * الى السيئات بالعقاب نعود
عمونا وكان الظلم منك سجية * ستبغ من غي الصبا ما ترد

(1) ص 22-21 (المطبعة الشمايلية - الجزائر سنة 1928) .

(2) الميكروفيلم ص 422 - 423 حيث وصفت القصيدة بأنها رائعة ومشملة على سهام راشقة

والثانية في الامام مالك وموطاء منها هذه الابيات (I) :
فلا مالك في الارض فام لسمه * وشدت له بالخافقين المناطسق
سوى المدى المطيب الاصل مالك * اواء على الاسلام بالخرب خافق
فرقى فوطا بانحوطا مواطنا * سمعنا ولم يسميه للففتح سابق
موطاه الاسلام في الارض كعبة * فوطا بها لسالكين شواطي

احمد الخربكي :

تلميذ لسعيد الهنداسي ومن تلمذان كذلك . قال عنه الفوئي في
« كشف الغناع » : « وقد نفته دولة الاتراك من قطر الجزائر سنة ثلاث
واثمانين وابعدوه الى المغرب الأقصى وآوى الى جبل بني زناش قبيلة مرفبائل
المغرب قريبة من وجدة فمكث هناك اياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف
فيها حال بعده عن اهله وعشيرته واطوانه ... منها قصيدة مشتملة على
ثمانية ابيات كل بيت يشمل على عشرة اغصان وطالع مركب من ثلاثة
اغصان ، يقول في مطلعها :

طال نحبي وادموعي كل يوم زراب *

والفراق اكواني كيا ابلا اسباب

من اسموه وسيب لي فالدليل مشهاب *

ما وحدث الضرى حكما اولا اطبيب

شاب راسي يا ربى من افراق لعباب *

بهم اجمع شمل ايا المير حقبه (2)

وقد وقفنا من شعره على قصيدتين : الاولى في مكة المكرمة ، يقول

في مطلعها :

شعلت نيران اكبادي * واعيت ما نبكي ولا انفعني نواح

اما الثانية فرببعة ، يقول في حربتها :

اتبسمو وضحكوا غصون اللقاح * يسروا من اعشق ومن هو وال

(I) المصدر السابق من 434 حتى 438 .

(2) ص : 80 .

الفصل الثالث

مرحلة الازدهار

ما كادت سحابة الركود الكثيفة تنقشع ويروى كادوسما .⁽¹⁾ حتى انطلقت القصيدة الزجلية فى نهضة مزدهرة وصلتها بماضيها لتستكمل معالم كيانها وملامح ذاتها ، وهى نهضة كتب لها أن تمتد فترة غير قصيرة ، تبدأ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ونستهى فى أوائل القرن الحادى بعد أن فشأ فى الشعراء الضعف والوهن وأصيبوا بداء الجُمود والتبليد . فقد بدأت على عهد لسلطان سيدى محمد بن عبد الله الذى يقال انه كان ينظم الزجل ون كما لم نعثر له على أثر ، ولكننا لأشك فى أنه كان يحتضن هذا اللون من التراث ويشجع فنانيه . وليس غريبا أن يفعل ذلك فقد شهد عصره نهضة شامة عمت جميع مرافق الدولة ومناجى الحياة ، وكان حظ الثقافة منها غير يسير (1) .

ثم كتب لهذه المرحلة أن تجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدى محمد بن عبد الرحمن (2) الذى كان بدوره من شعراء الزجل كما سنرى حين نتحدث عن صديقه التهامى المدغرى .

وكان آخر برىق لنهضة فى هذه المرحلة أيام السلطان المولى عبد الحميد الذى كان من عماء عصره ورجاليه ، وسنخصص بوقفة قصيرة ، وقد بلغت هذه الفترة من الازدهار حدا جعل لعارفى العلم يضمون عليها «الصاها دلشياخ» أى موسم الاشياخ لأنها تعبىر أخصب فترات الزجل فى المغرب لكثرة ما نغ فيها من الشعراء . ولكننا لن نشبعهم جميعا لان هذه التاريخ والنصوص لا تسمحنا لذلك ، وسنكتفى بالوقوف عند الاعلام البارزين .

(1) كان السلطان سيدى محمد بن عبد الله من العلماء والمؤلفين وخاصة فى فن الحديث ؛ ومن المؤلفات التى تسمب له :

- أ - الفتوحات الالهية الكبرى (من منشورات المطبعة المكية)
- ب - الفتوحات الالهية الصغرى
- ج - مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعنيمة للصبيان
- د - طبق الارطاب فيما اقنطفنا من مسانيد الائمة وكتب مشاهير المالكية والامام الخطاب
- هـ - الجامع الصحيح للاسماء المستخرجة من ستة مسانيد

(2) بويح سنة 1276 هـ وتوفى 1290

الجيلالي اميرد

وهو فبلالي الاصل ، ولكنه ولد ونشأ في مدينة مراكش حيث كان له مكان واسع الحظير . ولسمنا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نعرف انه من سيدى محمد بن عبد الله كان شاعرا مكتملا ومجددا ، شمين لما ذلك من حريته - وهو - بل حراز عرفه تاريخ الزجل - حيث يذكر من حملة الصفات التي تكرر بياها الى محبوبته صفة «مخزني» للسلطان سيدى محمد ، وفي هذا يقول :

من سماعتي ارجعت امخزني مشهور امن اصحاب الملك
الله بنصر سيدى محمد

ويبدو أنه عمر طويلا حتى أدرك بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى على حد ما يذهب الاستاذ الفاسي من أنه توفي «في اواسط سلطنة مولاي عبد الرحمن حوالى سنة 1840 م ودفن بمقبرة سيدى علي ابن الفاسم بجوار مسجد الكتبية تحت مناره (I) »

ويقال في تعليقه بامترد على صيغة التصغير أنه كان ضعيفا بنية نحيل الجسم ، ويحكى أن السلطان المولى عبد الحفيظ كان اذا ذكر في مجلسه الشيخ الجيلالي بهذا اللقب صدق بقوله : «بل هو مترد امعمر بالتريد» وهي قولة تدل على المكانة التي كانت للشاعر حتى بعد عصره ، واكثر منها في الدلالة على مكانته ما قلناه التهامي المدغرى :

«لو كان احضرت لامترد كنت انكون لو عبد اشوييرد»

ولا عجب فقد كان عميد زجالي عصره - او كما يقل في المصطلح عندهم شيخ الاشياخ - لقبه معاصروه في مراكش بـ «الفاكيه دالشيياخ» : فاكههم ، ولقبوه في فاس «عرصت لشيياخ» أى روضهم ، وبلغ من تأثير قصائده على الجماهير أن المنشدين أطلقوا عليها «الشعالة» بلجواهم اليها في تحريك السامعين وإثارة انتباههم اذا ما أحسوا منهم ضيقا بما ينشدون وعدم تجاوب .

(I) مقال «لادب الشعبي لغربي الملاحون» مجلة البحث العلمى العدد الاول السنة الاولى 1964

ويعزو العامة نبوغ الشيخ الجليل الى حادث خرافى يقولون فى حكاية
 أنه «كان يذهب كل عشية منفردا لصهرريح ابن الحداد خارج باب الحميس
 من محروسة مراكش وهو محل مخيف فيه مياه راكدة تسكنها الضفادع ،
 وكان الشيخ الجليل يجلس هناك للتفكير والاعتبار ، فخرجت له ذات يوم
 ضفدعة وكلمته وقالت له : يا شيخ انى أريد أن تحضر عرسى وتغنى لى عقب وجاء
 فى يوم موعود فأعوض عينيه ووجد نفسه فى عالم آخر فأحضروا له آلة تقول
 هذه الخرافة الشعبية لم يكن له عهد بها فغنى لهم وجازوه بما يستحق ثم
 أرجعوه لصهرريح ابن الحداد فوجد لى يده تعريجة فرجع الى امدينة وحكى
 للناس ما وقع له ، ومن ذك الحين صار يأتى بالمعجز من القول ، وتظن
 العامة انه لم تكن التعريجة معروفة قبل هذا وهى من اختراع الجنة (1)
 وقد كانت لامتيرد جملة اوليات نرى حسب ما وصلنا من نصوص (2)
 انه سبق اليها فى تطوير القصيدة الزجلية شكلا ومضمونا ، سذكر منها
 ما أمكننا أن نستخرجه من القصائد التى جمعها له :

أولا : فى المضمون تظهر ابتداعاته فى الموضوعات الجديدة التى
 طرقها وهى :

1 - الخمريات :

يعتبر امتيرد اول الزجالين نظما فى الخمريات ، فتح لها الباب بقصيدته
 «الساقى» التى يقول فى حريتها :

الساقى وكفى لريام رد بالك للنوب لا تغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

وكان الشعراء قبله لا يجزؤون على مثل هذا الموضوع ، وبين أيديهم

نص يثبت ذلك ، نجده عند الحمري فى قصيدته «الربيعية» حيث يقول فى

(1) المصدر السابق

(2) نلفت النظر الى أننا فى كل ما نعرضه لـ زجالين من اسبقيات لا نعتمد

على غير ما وصلنا من نصوص وما بلغ الى علمنا من أخبار ، وقد يكونون

مسبقين بغيرهم فيما نسميهم بهم من اوليات ولكن بين أيدينا من

نصوص وأخبار لا يسعنا فى اثبات ذلك .

آخر بيت من القسم الاول :

اعراضنا اثمر فالتحلات الراكبات على لجدار

ر عاقده لعنب فادواى سداوا على لعصير اخبر

فهو يذكر عنافيداعنب فى الدواى ولكن يحيل السامعين الى خبير يسألونه

عن عصير هذه العاقيد .

2 - الشمعة :

لعله أول من تحذ من لشمعة فى احشراقها ودوبائها موصوعا للكشف

عما يعانىة المحب فى مقارنة بين حالة وحالتها ، مستعرضا على لسانها ،

ما تمر به من مراحل قبل أن تصبح شمعة تبكى لتضى بالآخرين . ويتضح

هذا من شمعته التى يقول فى حربتها :

لله يا الشمعا كثرى واعلاش دالواح والناس الفراح

وانت اجواهر ادمسوع ابكاك السلا اهطيللا

ومن عجيب أن شمعة امترد لم تلق من الشهرة ما لقيته شمعة ابن

على ، وهى التى يقول فى حربتها :

الله يا لشمعا سلتك ردى لى اسؤالى * واش بك فالىالى تبكى مادالك اشعلا

3 - الحراز :

بدو أن امترد كان صاحب فكرة التنكر لتوصله الى المحبوبة فى

محاولة لاغراء محرزها والايقاع به ، وذلك فى حرازه الذى يقول فى حربته

حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصرانى * كيف عارو مــــــازل

وهنا كذلك نلاحظ أن حراز البغدادي (I) حاز شهرة أكبر من حراز

امترد ، وهو الذى يقول فى حربته :

مال حراز الدامى ما يثق بيا هيهات * حارس فى كل اوقــــــسات

اعلى الدوام ايجنب ولا يرومنى كطعيا

وفد تحورت عند انشددين الى قولهم :

مال حراز الدامى ما يثق بيا هيهات * غير حاضى لوفــــــسات

فى اثيابو مسلم افعايلو روميا

(I) - موفى فى نهاية لقرن اماضى

4 - الضيف

كما كان صاحب فكرة النكر في هيئة «ضيف» للوصول الى حبيبته
على حد ما فعل في قصيدته «ضيف الله» التي يقول في حزينها :
أصيف الله رد لجوب اصغ لي .. لا تحشم رد السلام
فقد طرق باب دارها ليلا يطلب ضافة الله ولكنها لم تبت بعد أن
أدخلته وأزال الشأم أن تبس لها انه حبيبها لجأ بهذه الحيدة حتى يصل
اليها .

5 - القاضى

وقد كان - على ما نعلم - أول من فكر في اللجوء اليه للفصل
بينه وبين محبوبته بعد أن جارت وطال هجرها ، يقول في حربة قصيدته
«القاضى» :

القاضى لك ادعيت لغزال خنارى
اعلاش دون سبا هاجر لوكار
جفنت من رسمى قامت لعنا بودواح ازهور
زينت لاسم زهيرا

6 - الخصام

ظهر أول نظمه له في قصيدة «بت الحصر والعربية» التي يقول في
حزنها :

امى حنا ايلا امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحصر والعربيا
ايلى امى لوريت يا فاهم اللغا

7 - الخلخال

ويتبين لنا سبقه الى نظم هذا النوع من القصائد في «خلخال عويشاه»
حيث يحكى أن محبوبته بعد أن زارته قدمت له خلخالها تذكراوا يحتفظ به
لتخليد الزيارة وحسب لا ينساها ، ووضع الخلخال في جيبه ولكنه ضاع منه
فأخذ يبحث عنه على كل مكان فلم يجده واضطر الى اللجوء لعفيه منجم يكتب
الخط استطاع بواسطة الجن ان يحضر له الخلخال . يقول اميرد فى
حربة هذا الخلخال :

خدخل انوشه ددرت لبها في مكتوبى يا فهم ددرتو وامشى لى
كيف المعمول ايللا اتسالى مولات الخلدل
وقد فتح اميرد بهذا الخلدل يايا لمن جاء بعده من الشعراء الذين
جعلوا موضوع قصائدهم : الخلدل او الدمليح او الخاتم او الضيلون ،
وهو بهذا طور فى الواقع جانباً من جوانب القصة فى القصيدة الزجلية

3 - الفصادة

فى قصيدته «لفصادا» سن من جاء بعده من الشعراء أن يصفوا
الحفلات التى تقام النساء بمناسبة حراج اسم جيت يبرون مرسلات
متحبات دمحمر احى واحسن اشباب ، وشى لى بول فى حريبا
أش را من لاحضر امع اوحوه لريام » يوم حنطو فشاب العز اللفصادا
ثانياً : فى الشكل تتمثل براعة اميرد فى الجوانب الآتية :

1 - السرابية

فهو - حسب ما انتهى اليه علمنا - اول من اتخذها فى التمهيد
لقصيده ، ويذكر تبار الانساج أنه قبل ان ينظمها كان يقدم ناعى وعمرو
لحمية . ومن أول السراب لى نظم اميرد هذه السرابية لى بول فى
أوبها :

اعلاش امحبيب خاطرى تحفينى » الجافينى واعلاش دالجفـ
حببتك من خاطرى ولا ردينى » كاتمينى يا شارد لعفـ
خالفت فالقول باش واعادتنى » ولاوصلتى الرسمى قاسيت ما كفا
(قالت ناس الشعر والفواشى » الزين ابلا تبه صورتو تعذاف)
والخير صاحبو يعرف

ويذكرون أنه يقصد بقوله «قالت ناس الشعر والفواشى» لشاعر
بو عمرو ، وعوله «الزين ابلا تبه صورتو تعذاف» شطرا واردا فى قصيدة
بهذا الشاعر تعرف به «باهى لحروف» ، وأنه لجأ الى هذا الاقتباس تخبدا
لذكرى بو عمرو واشعارا بأنه الموحى بفكرة السرابية .

2 - وزن البحر المشنى

فقد وضع فى «لساقى» وزن البحر المشنى لم يكن معروفا من قبل ،

نميل الى انه اول من سبق الى النظم عليه ، وذلك في قصيدته
 «الحرار» التي يقول في حريتها :

کیف عارفو مبارک

كنا قد رأينا في الفصل السابق أن فكرة الحوار بدأت عند الحمري في قصيدته «الربيعية» ولكن امتد طوره وجعله يمتد في كل القصيدة ، وقد ساعده على ذلك نظمته في موضوعات تستدعي تبادل الخطاب أمثال الحراز والقاضي والخصام .

من مدينة مراكش ، وهو ربيب الشيخ الجيلالي لان هذا الاخير تزوج
أمه بعد أن توفي أبوه على النجار . ويقال ان النجار سجل قصة هذا الزواج
سائرا ومستهزئا في عروبي سماه : «عولاه الريبه» وهو بالتالي مساعده
في الدكان وتلميذه في الفن . ولعبه دخل الكتاب القرآني قبل ذلك حيث
تعلم القراءة والكتابة وغنا في سن مبكرة يدون لشيخه بعض قصائده .
ومن هنا زاد تعرف النجار الى الزجل ينسخه ويحفظه ويردده ،
ومن هنا كذلك بدأت تظهر في النظم اولى محاولاته التي كان زوج أمه لاشك
ينعدها بالتصحيح والتنقيح .

ويحكى الأشيخ أنه حدث في الوقت الذي أخذ النجار ينضم ان
اصيبت البلاد بجفاف دام سنتين ، أصبح معه من المتعسر على النجار أن
يضل عبثا على امتيرد ففكر في الرحيل الى فاس ، واتفق يوم سفره أن يظهر
كسوف في السماء أرحه البحر في قصيدته التي قالها في توديع مراكش

واشيخها . يقول في مطلعها ملتصقا من اهله الدعاء له ان يحقق مناه
في فاس :

لله يا هلى سمحوا فى شى مات
وادعوا لى اصبىب اغنايا
فى بلد فاس كنز اغنايا
عند الشراف هل لعنايا
يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا
نيسط لكفوف ضى وادجا
لنخالق ساير لحلايق يعفر الواتى فجميع السيات
ويقول فى حربتها :

الين وين الشمس فالسما ريناها كسفات
حتى ظهوروا النجوم فالنهار الكهار العاتى
والظلمة سدات

ويسجل فى القسم الثانى ما اصاب البلاد من جفاف ، ليقول فى اوله:
عامين يا هلى هاذى مرت ما اشتات
عامين ما اعطت الصابا
ولا ابقى احسان ايهايا
واقوا الرهط دالنهايا
وفى آخر قسم يؤرخ للقصيدة ولسفره فيقول :

تاريخ حلتى «مشقانى والدال» * دال اعلى ترتيب ابياتى واسميك المعنات
فقد رمز ب : م ش ق ن د ، فالميم بأربعين والشرين بألف والقاف بمائة
والنون بخمسين والدال بأربعة ، ومجموعها أربعة وتسعون ومائة وألف (I) .

(I) وهذا ما تؤكد كتب التاريخ على حد ما نقرأ عند الماصرى فى الاستقصا
حيث يقول «وبعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى
الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف انكسفت الشمس وظهرت النجوم
لكثرة الظلام ثم انجلت ورجعت ل حالها بعد نصف ساعة ونحوها ، وفى اعوام
تسعين ومائة وألف كانت المجاعة الكبيرة بالمغرب . وانحبس المطر ووقع القحط
وكثر الهرج ودام ذلك قريبا من سبع سنين» (ج 4 ص 128 ط المصرية)

ويقال ان أشياخ فاس تفاعلوا بمقدم النجار لانه ماكان يصل الى عدينتهم حتى كانت الامطار تنهاطل ، ويبسوا أن من اول الفصائد التي نظم في فاس فصيدته التي يقول فيها مخبرا انه سكن منطقة فاس البالي :

دعت اهلي وارسامي » واسكنت بلد فاس البالي دار لهما

القوم رعأت اذما مي » واما نزول ابراعي لها الدم

ولسنا نعرف شيئا عن أخباره في فاس ، وكل ما نعرف انه استطاع أن يفرض وجوده ويصبح «شيخ الاشياخ» و «مداح النبي» .

ونقف قليلا عند اللقب الاخير الذي اكتسبه لكثرة مدحه للرسول عليه السلام ، فان بعض الاشياخ اعتمدوا عليه وذعبوا الى أن النجار لم ينظم في غير هذا الموضوع ، وهو رأى جانب الصواب .

حقا نجل قصائد النجار في المديح النبوى والصلاة والتوسل ، ولكن له قصائد في الغزل ، لعبها ليست كثيرة ولكنها كافية في اثبات ما نقول . فقد وقفنا له على «البسول» و «ام كلثوم» و «مسعودا» . يقول في حربة البتول :

داوى اجوارح اعليلا » أشوم ليعنى بفراق البتول

ويقول في أول قصيدة «ام كلثوم» :

الأيمنى فهوى اشبهت الدامى دمنى وكف خلى اجوارحك اسليما

واعادريا لأبم حال ، المعروم

ويقول في حربة «مسعودا» :

ما هالخودات ريم الشابه مسعودا » مسعودا رايت النصر بأشمت كل املاح

مسعودا مولوعا او ساعدا

ومن يدري فلعل هذا التنويع في الموضوع حدث بعد أن استقر في فاس وطابت له بها الحياة ، بل انا حين ننظر فيما بين أيدينا من شعبيه نلاحظ ظاهرة لاشك أنها متأثرة بحال عيشه في مراكش وما آلت اليه حياته فيما بعد بفاس . هذه الظاهرة هي طغيان النفس التامى الجاد - وامتشائم في بعض الاحوال - على قصائده في مراكش وأول مدة إقامته في فاس ، نسيم

تقر هذا النفس بعد ذلك ، وقد علمته مسحة من التناول . وتلك لنا هذه الطاهرة حين نُنظر في قصيدتين : احدهما في تأمل الناس والحياة ، والثانية في يوم عاشوراء . يقول في أول القصيدة التأملية : قد مل الدنيا ومحها ولم يعد يتمنى غير الموت :

مل قلبي من دنيا كلها امحسان . ولا ابقى يشرجي الا ايموت هاني
ويقول في حربة لفصيذة الثانية فرحاً مبتهجا :

احی التّشوف یا من لاشاف الهاججان بمماری

کیف شیفہ عین حسن یوم عاشقـــــــــــــــــــــور

عبد القادر بن عبد الرحمن بوخريص

فيلالي الاصل لكنه ولد ونشأ في فاس ، وهو تلميذ للنجار كما يقول
في أول القسم الثامن والاخير من قصيدته «مرحول للمشرق»
بهيت القطعا الرايقا واسمى عبد الفساد
ابن عبد الرحمن بوخريص تلميذ النجار

ويعتبر من الزجالين الذين كان لهم حظ واسع من الثقافة، بل يزعم بعض الاشياخ أنه كان من كبار العلماء وأنه تولى قضاء مدينة فاس، في حين أن نقاضي غير الشاعر، وهو سميه وجده، كان قاضيا بفاس، توفي سنة ١١٨٤ هـ

كان بوخريص متأثراً أشد التأثير بالنجار من حيث الاكثار من النظم فى المدائح النبوية والتوسلات والمواظ حاصة الى حد يطلق الاشياخ على قصيدته فى الوصاية «المدونة» وهى التى يقول فى حربها :

بالسأهى عما يعنيه واعمره فان ٥٥ قم واعزم واخمس يكفى امن اتفرعين
وياكد هذا النفس المشبع بعاطفة الدين فى قصيدته «مرحول للمشرق» وهى التى يقول فى حربتها :

أرواح أراسي اتشوف هذا المركب المسابير

حلا ناس الدوق شايقا لحام المحسبات

وكما لاحظنا عند النجار نلاحظ كذلك عند تلميذه ، فهو لم يقصر نظمه على الموضوعات الدينية والتأملية كما يظن غير قليل من الاشياخ ، ولكنه نظم نبي عرشه عن حمد ما تشمت قصيدته النجار الذي يقول من حريتها :

حاري يا جاري حن وشفق واكرم من له حار
واعظم لو كـاري ولا اتخى رضى عجم

هذا وقد وقفنا عند أحد كتبي فاس على ديوان لبوخريص بخطه ، يضم حوالى مائة قصيدة كلها فى التوسل ومدح النبي والاولياء ، كان جد ضمين به لم يسمح لنا بغير تصفحه ولبضع لحظات ، ومازلنا لحد الساعة نقاوضه فى اقتنائه ، واذا ما تهيأ بنا الحصول عليه فانا ننوى أن نحققه ونقيم دراسة خلصة عليه .

محمد بن على العمرانى

ويكنى ولد ارزين ، يصرح هو نفسه بذلك على حمد ما يقول فى نهاية قصيدة «الشبعة» مؤكدا شرف نسبه :

واسمى انبينو ما يحفى موضوع فى اسجال

محمد الشريف ابن على ولد ارزين صيلا

وعلى حمد ما يقول كذلك فى آخر قصيدة «حجوبة» :

واسمى محمد ولد ارزين القمب تلقاب وافضل من كل انساب

حقيق نسابى من اولاد المخار الى اعليه منسوب

وهو من تافهيلات حيث ولد فى مسيفة على ما يؤكد جل الاشياخ ، وهم يذهبون الى أنه نشأ فى بيت علم لان والده كان صاحب كتاب قرأنى إقاج له فيه فرصة التعلم وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون التى جرت العادة بحفظها فى الكتائب وقد قضى فى هذا الكتاب وبجوار والده فترة لا شك أنها لم تكن قصيرة ، ظهر خلالها نبوغه المبكر متجليا فى سرعة الحفظ والادراك ومحاولة نظم ما يتلقى من فوائد وفواعل على طريقة نظم المتون . ولم تنته هذه لفترة الا بسفره مع أسرته الى فاس لتسنى له الدراسة فى جامع المرويين . وعلى الرغم من أن لا نعرفه طول المدة التى قضاها

طالبها في القرويين ، فانا لا شك في انه حاز حظا وافرا من العلوم المتخلفة التي كانت تدرسي بها ، وفي أن تكوينه الثقافي انعكس على بعض شعره وخاصة في قصائده «السولان» و «الوصاية» و «هول القيامة» و «الندرة» بل انا نجده في بعض قصائده يصرح أنه يستقي من الكنب ويقتبس منها على حد ما يقول في اوائل انقسم الثاني من «حجوبة» :

ثم نبهنيك اشوقيني افعين من يعرف لمرات « واطالع كل اكتاب
حين اكتابي «فارس» فمايتي واثراحي افلكثوبي
ويقال انه ما كاد يقضى بضع سنوات في فاس حتى هلك والده فاحس
فسوة لوحده والغربة على لرعم من أنه كان قد تعرف الى النجار واتخذ
صديقا وأستاذا ، فعاد الى مسقط رأسه في الصحراء حيث نظم قصيدة في
مدح مولاي علي الشريف جده الملوك العلويين ، تعتبر من أروع المدح على الرغم
من أن ابن علي لم يكن الا مبندا ، وهي التي يقول فيها مخاطبا ممدوحه :

ياحلاوة تمر الصحرا ويا حفيد امام العشرا

يا سنا الصحاري يا مولاي علي الشريف
ولكنه لم يلبث أن عاد الى فاس لينظم القصيدة ندو الاخرى ولصمغ
«اعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر (X)» ويحرق لفهم «المعلم» قبل وفاته
«سنة 1237 هـ (1822م) وقد تجاوز الثمانين (2)» .

وقد كان ابن علي مكثرا ومجيدا ومنوعا في موضوعاته ، ومن المصنف
أن نجده في قصيدة «حجوبة» يستعرض أسماء بعض قصائده ، وهي التي
يقول في حزينها :

ياي زينت فاق الشمس والقمر والبرق مسجوب « صلتني بحروف اعجاب
صمغ لوجابي «عالجي بوصولك يا لريم حبوبا
وفي انقسم الثاني منها يخاطب حجوبة ، بعد أن وصف مجلس الانس

Anthologie d'auteurs arabes par M. Bekhoucha et A. Akkal p 74. (1)

المطبعة المهدية - تطوان سنة 1934

(2) «مقال الادب الشعبي المغربي الملحون» للاستاذ الفاسي بعدد الاول من
مجلة البحث العلمي سنة 1964

الذى يتمنى ان يجمعهما ، يريدان ان تستمع فيه الى قصيدتين له فى «الحجامة» وقصيدتين فى «المرسم» وقصيدة «القاضى» و «الورشمان» وقصيدتين فى «السالف» وقصيدة «الشمعة» و «الحراز» و «جمهور البنات» يقول فى هذا القسم :

ثم نبغيك التسمعى «حجامة» اللولى والتالى باسمباب ❖ ما غتبتهم غتساب
دون غتابسى ❖ اولاً يردوا قولى الا اعقول «مقلوب»
ثم نبغيك التسمعى «لمراسمى» ابزوج «قاضى» للباب ❖ و «الورشمان» الخباب
ماسك اكتابسى ❖ «والسودف» زوج «اشمعا» اضوات مرثوبـ
ثم نبغيك التسمعى «حراز» حارسو فمناصف لجواب ❖ دور افذهب التذهاب
ايحير الصابسى ❖ وقت مايتذكرو اتصيب لحسود مرهوبـ
ثم نبغيك التسمعى «جمهور لبنات» الممعنى ودب ❖ فيه اسميات اعراب
طرز بغرابسى ❖ كيف نحل ماياتى فالنظام معروبـ
واذا ما امعنا النظر فيما بن ايدينا من قصائد لان على فانا نلاحظ
خمس ظواهر :

الاولى : انه - على ما نعلم - اول من نظم زجلا سياسيا على حدة
ما ثبتت قصيدته «المصرية» التى يكاد يجمع كبار الاشياخ انه قالها فى حمة
نابليون على مصر ، والاسف أنا لم نعثر على أثر لهذه القصيدة التى لاشت
تكشف عن تجاوب المقاربة مع اخوانهم المصريين فى هذه النكبة التى حلت
بهم .

الثانية : انه ربما سبق الى قصائد «السولان» يوجهها لخصومه
يحاول تعجيزهم ان لم يستطيعوا حل سؤالها بل الاسئلة التى تصمنها ،
وهى فى الغالب معميات والغاز ، منها قصيدته التى يقول فى حربتها :
بسـؤلك استفححر يا حفاظى ❖ اولاً ابحال عند الى عارفين سولان
وفى أحد أقسامها يسأل من جملة ما يسأل عن ماهية علم الشعير
والمواهب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن أقسامها التى لا يعد شاعرا من
يجهلها ، ويرى أن كل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه
الله الموهبة ، ويوصى راويه الايهاب الداعى فهو أعجز من أن يأتى بمثل

هذا السؤال أو هذا الشعر مهما طال به الزمان :

وانسأل امن ادعا واعلى عثم الشعر والمواهب

واعلى شمعون سبيل يدخل للجسام

كان لهم فالخدي ارسام

قسموه الفهام اقسام

من لا يدريه لا يقول شاعر فالقول ايجيب

والى داخل بحر لهوا ابجهو يبقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

والى ادعا عليك ابجهو بالك تسهانو

ما جاب عوض سولانى

الو يعيش ما عاش المرو ولا يحيب لوزان

الثالثة : انه وضع وزنا للبحر المثلث هى قصيدته «زينب» التى

يقول فى حربتها :

يا بدر ما غطاك احجاب « فى ادجيا شمس لنهار السعيد يازنوبا

ياين العهد يا زينب

وهو فى الواقع تطوير للوزن الذى وضعه (متروى للبحر المثنى فى

قصيدته «الساقى» التى يقول فى حربتها :

الساقى وخض لريام رد بانك لمنوبا لا تغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

فقد لاحظ ان « لفراش» أطول من «القطا» فجعله فسمين .

الرابعة : أنه عدل بعض الشئ من «فياص لشرقى» وجعله على نحو

ما نجد فى قصيدته لنى يقول فى أولها :

يا هلى ريت اجبال الغرب تـ « و جبال الصخر اسن - ر العصب

وقد نظم أغلب مطولاته على هذا الوزن ، ويقال ان الغزل الدمنانى كان

أكثر الشعراء تقليد له فيه على ما يلى فى قصيدته التى يقول فى

أولها .

يهلى البيت اسيدى لامت لشرف « زكت بهماكم قبلو بهت ارضى

وكان هذا «القياس» قبل ذلك على نحو ما تكشف عنه قصيدة
«الحجة» لابن احساين ، وفي حريتها يقول :

يا حضرا قولوا بالسر ولجهار ❦ الصلا والسلام اعلى النبي المختار

الخامسة : أنه - حسب ما تثبت النصوص التي وصلتنا - أول من
أطال القصائد فجعلها «ملاحم» كما يقولون . حقا ان للمغراوى قصائد طويلة
مثل «هول القيامة» فان أبياتها وصلت الى مائتين ، ولكن ابن عدي هذا
الطول بما يزيد على ضعفه . ومن خير الامثلة على قصائده المطولة «الندرة»
التي ضمنها ما كان معروفا في وقته من معارف كونية ، فهي تضم ثلاثة
وستين وخمسمائة بيت ، يقول في دخولها :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب

وقدس المولى تقديس الحجاب لقرب

سبح المولى مآشرق الضياء وغرب

قدس المولى مدام الضيق وغيب

ويقول في حريتها :

يا ساهي من نومك فسق سبح الرب

لمنا وانت تايه فالفرور لواب

الصلا والسلام اعلى اخار لنسب

سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

ويقول في القسم الثاني منها :

منها اللوح انشاء ابفوتو وحولو ❦ ومنها الروح والعقل كيف شا وقدر

اللوحي جعلو خمسين الف اسنانا فطولو ❦ والفن في عرضو كيف جا امعبر

ولقلم طولو ألف اسنا ايقولو ❦ كلهم فالكرسى نقط الديام فبحار

لقلم والكرسى والروح مكتوب ❦ والسموات والارضين والتلول وارواب

ولحجوب ولشيا فالعرش كل تذهب ❦ خرس منسى فقفر قال النبي الاواب

وقد سبق ان رأينا في المدخل ان مثل هذه القصائد لم تكن تشد في المجالس وإنما كانت تتردد في بعض المناسبات وخاصة في زعماء البيت النبوي .

واشتهر ابن علي بعد هذا بالمعارك الحائرة التي كان له مع ابن سليمان ، قد نعرضنا لها في الفصل الثالث من باب موضوعات

هــ بن سليمان

هو من بني فاس ، وهو تلميذ من بني حنظلة الذي كان صديقه معارك هجائية شهيرة ، لم ينس في غمرة حادها اعتراجه بالفضل لشيخه علي حاد ما . من هذا البيت يصغه منه

رجلي اعلى اقفات العكلى (١) حجاً ايلا او طيت ابن علي
الكنى بعض الامم حـ الموهـ وياؤا في حـ من اسـمـ
الشاعر والعل الذي ينس :

رجلي اعلى اقفات ابن علي حجاً ايلا او طيت ابن علي

و دعيت لاسمـح من حكاية قصة حياته الى دريسن : يقول الاولى ان اياه الحاج ادريس بن سليمان كان رجلاً رقيق الحال يشغل بالمرزوق ، والى الثانية ان والده كان من اكبر اغنياء واعيان هس ، وان كان معه اضطرب الملحون يحيى لياليه في بيته ، وأنه كان صديقاً لشيخ ابن علي .

ونحن نميل الى هذه الرواية الى نذهب الى أن ابن سميان الابن ثامر لاشك - وهو طفل صغير - بهذه الليالي التي كان يقضي والده ، والى ان تجمعه لابن علي بدأ في هذه لفترة بيت والده .

وتحاول هذه الرواية أن تربط بين وضع أسرته وما ترتب عنه من تأثير كبير على حياة الابن فتغيب أن والده توفي وترك له ثروة طائلة كان فيها ورثه الوحيد ، هم يذهب - وهو في أول الشباب - الى منطق للحياة

(١) نبيل .

اللاهية الماحقة في غلو واسراف كانت نتيجهما أن أصيب بداء القلب الذي أودى بحياته ولما يتجاوز الثلاثين من عمره

وتعتبر قصائده التي نظم في حال مرضه وهو طريح الفراش من أروع ما أنشأ الزحالون صدقا وإبداعا ، تشتمل منها رائحة الموت تكاد تخنمه وهو يحاول الفرار منها في خوف وتثمت بالحياه ، من ثم قصائده في هذه الفترة «الطيب» و «الوردة» ولعمهما آخر ما نظم قبل موته ، يقول في حبه الأولى :

الطيب يعرف دأبا والدوا سموه غالى

عالجوني يا ناسى لا نموت موت الغفلا

ويقول في حربة الثانية :

لاتلوموني في ذا الحال جيت نشهد والودى

يا عدوى فألوت اسبابى خد الورد

وقد كانت لابن سليمان عمارة بأسلوب زجله تمثلت في كثارة من التضمين - وهو كما سبق أن رأينا (I) بناء القافية على حرفين - ومن الأمثلة عليه عنده قصيدة «المرعد» فقد التزم في قافية الاشمطار لاولى للابيات حمراء الياء والميم على حد ما يقول في هذه لآيات من الدخول :

المرعد روم طبلو من بعد اقاصم السمايم

والبرق سمل سديفو ويطال من اخمل

والدريج فالرس ايشمالى

عن اعيون العلفات اتلى اللغا امشمل

سرح شمد بسندو المفرجا اعساكروا تلامي

واحرك اشمطار البهدا حتى اجرات ويدان

سالى اجهسا سالى

كذل فج اصبح مسن ذك الضباب خضر

(I) انظر الفصل الثانى من الباب الاول ، وانظر كذلك الفصل الاول من الباب الثالث لدى ذكر محمد بن عبد الله بن احساين .

فى شان شرحها يقول : ومن قال هى لى ؟ ويسكت . فلما لمحيث عليه القول قال لى : تم وغدا ان شاء الله يظهر لنا ولك ما يكون عند فسكت وما سألته بعد ذلك الا ما يكون من أمر الدهاء الصالح « (1)

« ترجمته لزورج المرحوم عبد الرحمن بن زيان فى «أتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناش» (2) باعتباره من صلحائها فذكر أنه «عبد القدر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الادريسي العنبري الحمدوني ... نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى اتخذها بعد وفاة والده زوية وبها أقبر ... وكان رحمه الله من أهل المقامات العالية والاحسول السنية لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لزحرف الدنيا وزينها كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الاحياء منهم والاموات » (3)

ونقل ابن زيدان عن ابي عبد الله محمد لامين الصحراوي المراكشي فى «مقدمة الارتجال فى مشاهد ومشاعر سبعة رجال» قوله : «قال لى السولى سيدى عبد القادر العنبري انه مكث بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال او يزور الاربعة المتعاربة : سيدى ابي العباس السبتي وسيدى محمد بن سليمان الجزولى وتلميذه سيدى عبد العزيز التباغ وتلميذه مولانا عبد الله الغزواني ، او يقتصر على زيارة ابي العباس السبتي (4) » وزاد ابن زيدان : «وقد لازم دهرنا طويلا زيارة ضريح المولى ادريس الاكبر وبالاخص يوم الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بمسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة ، وكان ذهابه لزروهون كل جمعة على اثنان له وكان يتطاول على شريف تلك الاعشاب ويتضرع الى مولاه فى تنوير سريته وصفاء باطنه وتطهيره من الرغوبات النفسانية ثم بعد مدة لازم داره وصار لا يخرج منها الا يوم الجمعة . وفى آخر عمره لما كبر سنه ووهن عظمه واعمره ما اعتراه من الجذب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو اربعة اعوام ... ترك حتى لجمعة وكان يتحرى صلاتها بجامع الزيتونة اجد المسجد الشهيرة بمكناس (5) »

(1) ص 289 - 290

(2) جزء الخامس من ص 336 حتى 352 (الطبعة الاولى - الرباط) .

(3) ، (1) ص 336 ، (5) ، ص 336 - 337 .

ربما اعتنى بتحديد مدة حذبه على ما ورد عند الطيب محمد غريبط - وهو من تلاميذ العلمي وملازميه - في رجز له يسمى «رياض انس الفكر» .
قال فيه (1) :

والحذب معه نحو أربع سنين وعشنا معه من السنين
ومع ذا سنائر الأذكار يصدع بالليل
حتى قضى غرب بحر لا ليلة يوم سادس وعشرين
ودهب ابن ريدان الى أن السنين لرحمن كان «من خصاصة
محمي المترحم ومعتقديه يذهب لزيارته كلما حل بالحصرة المكاسبية ويستشير
في كل مهم عن له ويقف عند حد اشارته ، وقد شاهد له كرامات وخوارق
عادات (2) » .

وقد عنه كذلك انه كان «سيدا حصورا لم يحنم قط ولا عرف معنى
الانداد كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا في صغره ولا في كبره ، ولا يأكل
دسما ، جل قوته الخبز والزيتون وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات
وأسرار وقصده وفود الزوار من سائر الأنظار (3) » .

وذكر له من مشايخه : (4) العارف السيد الحاج المختار البقال المتوفى عام
خمسة وخمسين ومائتين وألف ، وسمى عن بن عبد الرحمن المعروف بحمل
دفين فاس المتوفى عام أربعة وسعين ومئة وألف ، والشيخ بدر الدين .
ومولاي الطيب الوزاني ، وسيدى محمد بن أحمد الصقلي المتوفى عام اثنين
وثلاثين ومائتين وألف . وذكر له من تلاميذه السيد فضول ابن عزوز والسيد
فضول السوسي والسيفان مولاي عبد الرحمن والسيد محمد غريبط والعارف
محمد بن عبد الحفيظ الباع والامام محمد صالح الرضوي وسيدى عمر
بن المكي الشرقي والسيد عبد الرحمن بن التهامي الادريسي الزرهوني
وسيدى العربى بن السائح الشرقي دفين الرباط .

(1) ص : 337 . (2) المصدر السابق .

(3) ص : 339 .

(4) ص : 342 .

ثم تناول شعره فقال : « وما ينسب للمترجم من الأجزاء هو له حقيقة ، وقد كان له رواة ينلقونه منه ويكتبونه عنه منهم العلامة السيد محمد غريبط ولسيد الحاج قاسم بن مير والسيد الحاج احمد الدقيوق وغيرهم حيث أن المترجم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك قد ضمن تلك الأجزاء من أنواع فنون السلاغة ورفائقي المعاني ما أخرس المصحاء وأبجل البغاء وودعها من الحكم والمواعظ والامثال ما حير أولى الالباب وألزم المعاند حجة ، أما تغزلاته فقد أزرت بنسيم العسا ووسيم الصباح وكلها أما هي الحضرة العلية أو التسمية النبوية أو الأكابر من الأولياء والصالحين ، شئسنة نظام العرب والمصحابة التابعين وسيف الامة وخلفها المثقفين في تغزلاتهم فسمى أعارهم الفائقة الرائقة لا فيما يفهمه بعض الاوغاد من أنه في معنى لا يحسن حاشا أهل الفضل والدين من ارتكاب ذلك والحوم حول ولوح وخيم تلك المسالك . ولو دون جميع ما قال من الأجزاء لحاء في عدة أسفار ولا ، منه ما لعبت به أيدي الاتلاف ومنه ما مات بموت حفاظه ومنه ما أحرق على عهد المترجم بأذن منه ، وما بقي إنما هو قل من كثر (I) » .

ودكر له من شعره نماذج في موضوعات مختلفة ، أتبعها فبطل أن ينهى الترجمة بذكر ولادته ووفاته فقال : « ولد بمكنسة الزيتون سنة أربع وخمسين ومائة وألف ... تولى عن مائة وأسى عشر سنة بداره الكائنة بقصر درب ابن العود من مكاس في البست يمين الداخل قرب فجر يوم الاثنين ليلة سادس وعشري رمضان ، عظم عام سنه وستين ومائتين وألف ، كما صرح بذلك تلميذه غريبط المذكور في رجزه بقوله :

حنى قضى بفجر يوم الاثنين ٠ ليلة يوم سادس وعشر ٠٠٠٠٠
مين رمضان سنه وستين ٠ ألف اثني مائتين ٠ ثنتين
وصلى عليه بحامع الزيتون ودفن بدار والده التي صيرها زاوية في
حياته بحومة ابي الطيب (2) » .

(I) ص : 340 - 341 .

(2) ص 351 . كذلك ورد في نسخة « فانه » مكان « فانه » في الاستقصا للناصبي .

ج 4 ص 351 (الطبعة الأولى) .

كذلك كتب عنه المستعرب بوري بحثا بيوسر فيأمي مجلة هسبريس (1)
ذكر فيه أن سونيك نشر قصيدة للعلمي في «أغاني المغرب العربية» (2)
عن نسخة في الرقم الثاني عشر ، وان فيشر في مجموعة الاغاني المغربية
التي نشر (3) رد له قصة تد في الارقام السابع عشر والسادس والعشرين
والثاسع والعشرين والاربع والثلاثين ون كان لا يذكر اسماء مؤلفي أغاني
مجموعة . ثم نمل كلام الناصري في «الاسمقصة» عن وفاة للعلمي وبمسئس
ما جاء في ترجمة ابن زيدان له . كما قال من مؤلف للشيخ عبد الحى لكتاني
كان أطلعه عليه عنوانه «مواهب الرحمن في صحبة القاضي أبي محمد عبد
الرحمن» أن العلمي توفي في السنة السادسة والستين ولكن عن مائة
وعشرين سنة وأنه كان على اتصال بقاضي الجن شهروش الذي كان صديقه
وروى بوري عن شخص من فاس الجديد حكاية مفادها أن العلمي كان
حاضرا في أحد الاعراس ، ورغب بعض المدعوين في الاستماع الى قصيدته
«طامو ابهيح الخداد» ولكن المنشد لم يجزؤ على تلبية هذه الرغبة لانه كان
يعرف أن صاحب القصيدة موجود وأنه لا يليق انشاد قصيدته غزلية فسي
حضرته ، وعلم العلمي بالامر فاذن بانشادها مؤكدا أنه لا يعرف لا طامو
ولا طومو .

وختم المستعرب المذكور بفائدة عشر عليها في كناش يضم قصائده
للعلمي يقول كاتبها ان السلطان المولى عبد الرحمن أود أن يعرف ان كان
العلمي في اواخر حياته مازال ينظم سمعته وزيره سني محمد بن ادريس
يطلب منه بعض فتاوده تمركا ، وقابل الوزير اول الامر تلبية محمد غريط .
فاكد له أن الشيخ لم يعد بعنى بالظم ، وكذلك قال العلمي نفسه للوزير
ولكنه أبدى استعدادا لتلبية رغبة السلطان التي اعتبرها أمرا تجب طاعته
وطلب من السيد غريط أن يكتب ما يمل عليه ، وأخذ يرتجل القصيدة
لنى أولها :

- 1) M. T. BURET : Hesperis 1038 1er trimestre, dans ; communications
« Sidi quaddur El-Alami - Notes biographiques »
- 2) Sonneck : Chants arabes du maghreb
- 3) A. Fischer : Das liederbuch eines marokkanischen sangers (Leipzig 1918)

عشق لجمال طبع اغزير افمن هو البيب

ولعلنا من خلال هذه الاخبار ومن خلال ما يروى على السنة الاشياخ وعامة
الناس ، ثم من خلال ما وصلنا من شعره ، وهو غير قليل ، نستطيع ان
نتحدث عن العلمى من خلال خمس نقاط :

الاولى : أنه كان شاعر الحكمة الاول وفيلسوف الزجل دون منازع
ولكن يبدو للكثيرين أن فلسفة سديمية يائسة تقوم على التشاؤم من الناس
والحياة ؛ والواقع أنها ليست كذلك أو بالأحرى ليست دائما كذلك . كما
اننا نجد روح التشاؤم تطفئ على العلمى فيرى أن كل أبناء جيله مطبوعون
بطابع واحد ، فشا فيهم النفاق والتحايل والخداع والرياء وانعدام الاحسان
والصدق والحياء والعرض والحسب ، وهي كلها علامات الخراب :

هاذو اشروط اعلامات الخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

.....

بالحيلة والمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطلبايعهم مقلوبا

.....

مذهبهم ندرية خممت اولاد جينا سماع بعضا وحدا مضروبا

شاع الريا ولحسن اغبر والصدق غاب

وترفع لحياء والعرض والحسب

ويرى ان الصلابة غشت وسيلة للاغراض وأن من يصاحب شخصا

يريد أن يشمت فيه بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم لصحبا اسباب

الى التخلطو يبغي يشمت فيك

.....

غير تركن لو يغدر فيك

ما يخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

وهو لهذا يرى ضرورة معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلاطف ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايف بالرفقا والشدة بالبرو بالعدا

ولكنه لا يلتفت أن يعتدل في نصرته فيرى أن الحجة لا تجوز من الحلاوة

والمرارة ، فيقول في قصيدته «الدار» :

يوم شذوق به يوم الحلو ويوم زهوم به يوم حسنعيل يوم غلب والزهد
ويقول في «طامور»

معنوم كمف ما دامت رحفا ما تدوم شدا

هذا أصواب احكام اصروف الدهر

ولا من طعم الثمر

ويوم كمثل الحنظل مر

ثم ان فلسفه لم تكن دائما سلبية حيث نجده يقدم نصائح ايجابية

في ادب السلوك يدعو فيها من اراد السعادة أن يتحلى بخمس خصال ويتجنب

خمسا أخرى ، ن يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة والفنعة وترك الملام ،

وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من احفظ خمسا دالحسنات حفظ محكما

أفیه رسخوا كرسخ الوشم المعاصم

الصمت والعزلة والهدى وترك الملام « ولقاعا من كاسبهم امن ابنادم

يعتدل ميمونو والسعد له يستقام « يرتفع بعد الخفض الهمة الضراغم

ومن اترك خمسادالسيات ترك عزام « من اجملت المحروم الى اعليه حارم

الحسد والكبر وخفا وصيق لشيام « والطمع بيت الدل اماسب لحشام

كل سيا من دا السيات ضر سمام « هاق سم الحيات الرقط السوام

لثانئة : ان العمى كان ينظم في العزل ، ولكن الناس يذهبون الى أن

هذا العزل غير حسي لم يقصده الى المرأة ، ويحاولون بذلك تاويله كقولهم

ان قصيدته «صامو بمع الخدادا» لا يعنى فيها غير فاطمة الزهراء ، وقد سبق

ان لا حظنا (I) أن مثل هذه القصيدة لا يمكن أن يكون قالها في بنت الرسول

وفيها مثل هذه الابيات .

بتنا وبات الخمر يزاذا

من سحر سحر من سحر سحر

لا عدو لا واشي لا حزن احسيد
فساط امحتفل مرقادو
الكاس والشمع موقود
لبا ادراعها بات اوسادا
وريقها بات اشرايى نرشفو الذيد
بشردو امن احلا تورادو
غفران ربنا موجود

ونحن حين نذهب الى هذا الرأى لانريد ان نسمى عن لعلى صلاحه
وولايته ، ولكننا نريد فقط ان نجعل فى حياته مرحلتين : الاولى مرحلة
عادية كان فيها سبب حياة السامية ، بحب ويستمتع بحبه ما أمكه ، وفيها
نظم قصائده لغزلة والخمربة ، ولعل الشعر الذى ذكر ابن زيدان أنه
أحرقه بآدنه كان صادرا عنه فى هذه المرحلة . والثانية مرحلة زهد وانقطاع
عن الدنيا وابتعاد عن منعه ولذاتها ، وفيها نظم معظم نوسلاته ومنه نحب
النبوية ومواعظه ووصاياه .

ولعل حادثا ما لا نعلمه جعل الرجل يغير اتجاه حياته ، وان كنا نستحسن
بما ذكر لنا بعض الاشياخ من أنه حين نظم قصيدة «المحجوب» وحربتها :
كيف ايواسى الى افرق محبوبو وبفى ابلا عقل فى نرسم الفريد
كيف اجفاى احبيب فلسى ما احلا غير صورتو وادعو واخلالو
امن لا عمري نظرت زين لمبدر ابخالو

عارضها أحد معاصريه — لا نعرف اسمه — بقصيدة فى مدح الرسول
عليه السلام قال فيها :

كيف ايواسى الى عشق محبوبو وبفى ازيارتو لكن جاه ابعيد
وناكيف اعشقت سيدي العربى ما نهوا غير صورتو وابها حمنو .
فكان لهذه المعارضة تأثيرها عليه ، آلى بعدها على نفسه الا ينظم فى
الابتهالات ونوسلات والمواظف ومديح النبى والاولياء .

الثالثة : انه كان يقابل احترام السلطان له ومحبة اياه بغير ميل
الى تعظيمه . بل كان يمدح رسل الله واولياءه ونسبته النبوية . روى

هما «الجافى» و «المزيان» .

أما لاولى فتقول حربتها :

رف ادايل لعيان

يا بو حجين امعرقا وزينا

زور لعشيق يزاك امن التيهان ياغريل بمتانى

واما الثانية ، فتقول حربتها :

حن واشفق واعطف برضاك ياالمزيان

لاسمحا ميعاد الله يالهاجر

وأخبرنا شيخ مكساس السيد بنعيسى الدراز أن من الشعراء كانوا

حقيقة يظنون وينسبون للعلمى ، ولكنه كان يقول فى حقهم داعما عليهم

بالفقر والمرضى والموت على غير ملة :

«الى ايقوننى شلا قلت اليه ايرزقو القلا والعلا والموت من غير ملا» .

وذكر لنا الشيخ الدراز كذلك أن الطيب الواسطرى حاول أن يضيف

لاحدى قصائد العلمى الادريسية هذا العروبي :

ياتاظر د' البيات بشعاع المفلات

امرهم بالتباب تصعاب اكلامى

السب من الثقات نبي جديك احلات

اتبين لنداب كالندر لسمي

مصيبون عل لوشاب بسدوف وحربات

مفهوم لنداهات عراف انظامى

لندافطها احلات ولكائب زهات

والسامعها ادوات

قالت افوهامى يوجب عنى القول ربحو العلمى

وعلم سبيسى فسور بذلك فعال له فى انكار: «واش انا شكارتي اخوات»

يقصد : هل خوى وفاضه حتى يحتاج لغيره يكمل له ، وفى هذا مايرجح أن

تكون القصيدتان المذكورتان للعلمى وليستا لدواسطرى كما يظن .

كذلك وجدنا بعض الاشباح يخلطون بين قصائد العدمى وقصائد أحد معاصريه ، وسماه محمد بن الوليد التميمي الدرعى العدوى ، وهو من كبار الزحاليين ، وقفنا على غير قبيل من شعره ، ولكننا نستبعد هذا الخط لان ابن الوليد يذكر اسمه في كل قصائده ، على عكس سيدي قدور .
الخاتمة : ان العدمى لا يسمى نفسه في قصائده ، وهذه حقيقة ؛ ولكننا عثرنا على قصائد في شعره سماه ، لانه سماه في قصائده التي حاربها :

الصلا والسلام على النبي المبرور « عدا ما خلق الله اعيان الف مرا
فانه يقول في آخرها :
والباحث عن سميتى بعد السوران « عبد لقادر اعلام رب العوالم
والثانية قصيدة «بسم الفتح المعبود وحربتها :
يارسول الله غننا يا يمام لرسال
خذ بيدي واعنق حالي امن النكيس
فانه يقول في آخرها :
وارحم سماح القصد العدمى

منهجه الحراق

الف عنه تلميذه ابو عدا لله محمد بن العربي البساطي (1) كتابا سماه «النور الالامع البراق في ترجمة محمد الحراق» وقفنا منه على منهجه

(1) الدلائل المجاطي لتوفي بالدار لسنة يوم الجمعة 15 شوال 1285 هـ (1868م) ، وكان هو أيضا من لرحاليين ، وقفنا من قصائده ومقطوعاته على خمس ، كلها في الصلاة والذكر ، وفي أول إحدى هذه المقطوعات يفسر منغاضبا شيخه الحراق :

مر عرام اساقى عني سواقى ناديت يا حراقى يا بابسا
شاد ندم لدمى نرهى ادوقى والوقت حين ايلاقى يا بابسا
اذا تحرب اراقى رعد خلاصى فسبيل هل لنواقى يا بابسا

مخطوطة بمكتبة تطون العامة تقع في سفر متوسط ، وهو عبارة عن مجلد
يضم رسائل الحراق وما يده ، قصائد ، وشروحه ، كلام بعض
جعله المؤلف على خمسة أبواب وخاتمة :

الاول . في الرسائل .

الثاني : في الحكم .

الثالث : في التقييد على آي قرآنية وأحاديث نبوية وكلام بعض
أئمة الصوفية .

الرابع : في قصائده وتواشيحه وأبياته ومقطعاته مرتباً ذلك بحراً
بحراً .

لخامس في شروحه لبعض كلام العارفين وذلك كالصلاة المشيشية
والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وبعض كلام الششتري
ونبذة من شرح الحكم العطائية .

الخاتمة : ذكر فيها بعض دعائه وقصائد مدحه بها بعض تلامذته

ثم ان المؤلف صدر كتابه بمقدمة عرف فيها بالحرق قال فيها عنه أنه
«العلامة القدوة الفهامة مصباح الضلام وحجة الاسلام شيخ الطريقة ولسان
الحقيقة شريف النسبتين ومفتي المذهبين الشريف الحسني القطب الرباني
أبو عبد الله محمد بن محمد الحرافه (1) وأنه كان «اماماً جليل المדר
متضلعا في علم الظاهر والباطن انتهت اليه فيه الرياسة مشاركا في ...»
من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعتدل بجميع فنونه . «اما الادب والشعر كاد
ان ينفرد به في عصره قد شهد له بذلك كل من عاصره او خلطه أو وقف
على كلامه (2) » .

وتحدث عن طريقته التي أخذها عن مولاي العربي الدرقاوي (3)
بأنه جمعها «بين شريعة وحقيقة حتى سهلها للسالك ونهجها فـ»

(1) ص : 1 .

(2) ص : 2 .

(3) أبو عبد الله محمد العربي الدرقاوي 1150 - 1239 هـ .

أوضح المسالك وأتى فيها بالعجب العجائب من علم الإشارة بالطف بيان وواحد عبارة وكشف غوامض من إشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم وأسس طريقته على أربع قواعد : ذكر ومذاكرة وعدم ومحبة (I) « وقد أخذ هذه الطريقة عن الحراق » خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس وأهل الاعتناء بدسهم من حاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهليل وجبل كنذر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجم غير من أهل تطوان . واما شفشون فكاد أهدأ كلهم ان يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده الى ان بلغ الى الرباط مع أنه لم يصلها بنفسه (2) . واستمر يدعو الى طريقته « الى أن توفي ... يوم واحد وعشرين من شعبان سنة احدى وستين ومائتين وألف ، فحصل ان مدة عمره ثلاث وسبعون سنة .. وفي رواية عن بعض ملازميه ان عمره خمس وسبعون سنة (3) .

وللحراق ديون صغير (4) متداول يضم سبعة أرجال وعددا من الموشحات والقصائد المعربة ، وهي في أغلبها مقطوعات قصيرة في حب الرسول عليه السلام والسفر في حضرته والسكر من خمرة ، أنشأها لاشك لتنتشر في مجالس الذكر وحفلاته ، على حد قوله في ذكر الحبيب

وان حبه يشفى من داء الاوهام ويضيء الوجود ويحل ظلمة الحب :

الحب احقيق لقلب ادوا به يشفيه امن اسقامو اوهامو
به لوجود كلو يضروا به من غسق لهوا وظلامو
وعلى حد قوله كذلك وقد تم له الوصال مع حبيبه وأشرق نور بهائه
مسي كل شيء :

(1) المصدر السابق .

(2) ص 10 وتجدر الإشارة الى أنه توجد بالرباط زاوية يطلق عليها «الزاوية الحراقية» يجمع فيها فقراء هذه الطائفة وهم فرقة من درفاوة .

(3) ص 12 ونشير الى أن السيد التهامي الوزاني ذكر الحراق في أماكن متفرقة من كتابه «الزاوية» (مطبعة الريف تطوان 1942) ضمن منشورات مكتب النشر .

(4) توجد منه طبعتان : احدهما على الحجر بعاس ، والثانية من نشر وتوزيع مكتبة المعارف بمكناس .

حساد اعدا برصاه

لحبيب اللى جيتو * زارنى وانعم لى ابلوصل

حين اشرق نور ابهاه

كل شى بالمعير انسى * يا هلى عقلى اذا شفتوه زال

ما بيا غير اهواه

ومن قوله فى الحمر الصوفية :

اغنىم كاس الراح * هاحبك زار

اسبق او دور * انى الشمور

طول الدهور

صل لشراب * فالكند غساب

والخير صاب

رشق لكواب * امع لحباب

عين الصواب

فازها فيامك * لى اتعيش انهان

ظرافالحبيب تمحى كل اجرايم * والرحمن اكريم يالى نرجساه

اذا مارضى ماتنفع اعزاييم * لوبعمال الخير كلها تلقساه

أما موشحاته فمنها هاته التى يقول فى أولها :

زال عن قدى توله الفنا * وصفا أمرى

اذ عدا لى كل ربع وطننا * وانتفى نكرى

كل ماء قد حوته شرنى * فانا ريان

لست يوما احنسى من خمرتى * وأنا نشوان

من رآنى ثابتا فى حيرتى * ظننى وسنان

وأما قصائده المعربة فأشهرها وأطولها تأثيته التى يستهلها بهذه الايات:

أتطلب لبللى وهى فىك تجلست * وتحسبها غيرا وغيرك ليست

فذايله فى ملة الحب ظاهرا * يكن فطنا فالغير عين القطيعة

ألم تمرها القت عديك جمالها * ولو لم تقم بالذات منك اضمحلست

تقول لها اذن وهى كلك ثم ان « حبتك بوصل او همتك تدلست
عزيز لقاءها لا بنال وصالها » سوى من يرى معنى بغير هوية

التهامى المدغرى المسعودى

أصله من امدعرة بافلايت كما هو واضح من اسمه ، ولكنه نشأ وعاش
فى مدينتى فاس ومراكش . وكان صديقا للامير سيدى محمد بن عبد
الرحمان وملازما له أيام الدراسة ثم حين ولاء أبوه الخلافة ، ولكنه لم
يدرك عهد سلطنته لأنه توفى سنة ثلاث وسبعين ومائين وألف قبل أن يتولى رهيبة
الامير الملك بأربع سنوات (I) .

وقد بلغت الصحبة بين التهامى المدغرى وسيدى محمد بن عبد الرحمن
حدا من العلاقة جعل المولى عبد الرحمن يضيق بها ويخشى منها عليه أن
يفت فى تربته وسلوكه فلا يقدر على تحمل أعباء الملك بعده . ويحكى أنه
سأل مرة أحد وزرائه ان كان ابنه مجدا فى دراسته فأجاب بأنه « بين الشقى
والعاصى وملذ المعاصى » يقصد بالشقى مولاي السعيد وبالعاصى أخاه مولاي
الحصيص وبملذ المعاصى صديقه التهامى المدغرى ؛ ويروى تكملة لهذه
الحكاية أن المدغرى علم بها فاغتنم مرة كان فى حضرة السلطان وحاول
بلبقة أن يجعله يثير الموضوع ليرد عليه ويصحح ما وصفه به الوزير فقال :
« بل أنا ملذ المعاصى يا مولاي » .

وتتحلى هذه العلاقة واضحة فى غير قليل من القصائد قالها المدغرى
فى صديقه الامير ، منها قصيدة « غزيل » التى يقول فى حريتها :
دام الله اجمال صورتك يا شادى « انت اعنايتى وامرأى
اغزيل يا سالب من جا ايصيرو » زنجار فى عين حاسدى سيدى محمد

(I) فى « اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس » لابن زيدان
(ج 3 ص 575) أنه توفى بفاس ضحوة يوم الاحد 2I محرم 1273 ؛
وقد ذكر لنا الاستاذ عبد السلام بن سوادة أنه سجل فى وفياته المسماة
« اتحاف المطالع » أن المدغرى توفى سنة 1271 .

ولم يكن المدعري ينظم في الزجن فقط ، وإنما كان ينظم في الشعر
المعرب كذلك . قال عنه المشرفي في «الحسام» مبرزاً مكانته عند الأمير ومدى
ذوق شعره : «هو الشاعر المفلح الحائز لفصاحة المغرب والمشرق ، ملحونه
من الهموم يبرى ، وموزونه على أنحر الخليل يجرى هو والله واسطة عقد
الدهر في صناعة الشعر الملحون والموزون ، كان بهما يسلى قلب المحزون ،
شاعر تاج الدولة العلوية المنسوب إليه والمشهور به لأنه الذي جذب بضبعه
ورفع من قدره وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار شعره فيه سير الشمس
والقمر وطار كلامه بالملحون في البدو والحضر وكادت الليالي تنسده والأيام
تحفظه » I .

ثم ذكر له من شعره المعرب قصيدتين طويلتين (2) في صديقه
الأمير :

الأولى قالها حين ختم جامع البخارى ، مطلعها :

حديثى غريب عن تواتر لوعتى وأمرى عجيب عن غراهمى بميتى
روته عدول عن تلاق وسجلت سجدولا بأخدود الخدود وأدت
وأنت قاضى الوحد رقى بجبرتى وقد كان رقى ما نويت بهجرتى

وفيهما يقول متحدثاً عن البخارى :

تراجمه كأنما النخل أينعت قلاندعا لم ازدت وتنابت
وأحكامه الوفاة التبر أحكمت يداها لعمري منتقى كل حكمة
إلا واضربوا أكبادكم لصحيحه وجدوا كما جدت مطى الاعنة
والثانية أنشأها بمناسبة ختمه كتاب اقليدس (3) سنة 1271 ، يقول

فى أولها متحدثاً عن الهندسة :

برزت على قدر لنا أشكالها من خدرها فى طيها أشكالها

(1) ص 380 - 381 (المصورة 1207)

(2) الأولى واردة فى ص 381 - 382 - 383 (المصورة) والثانية فى ص 271

272 - 273 من المخطوطة لـ 2276

(3) وهى واردة كذلك فى «اتحاف أعلام الناس» (ج 3 ص 575 - 576)

وحكت مقالتها المقادر بعدمها * صحت نتائجها وصح مقالها
 أشكالها تحكى قباب مجلس * تحت الخبفة خبثها ورجالها
 أوخلتها شجرا صغيرا مثمرا * فاجن الثمار ولو أبت عدالها
 أو خلتها حلا بدت عريضة * برباطها قبل العدا أبطالها
 ما شئت من قوس رمت أو تديرها * ترمي البغاة سهامها ونصالها
 رمت وأنت بسى من أفكارها * وحمت مناشرها الحما ونضالها
 إلى أن يعول .

في طر لهدمه تلاشى حصه * لولا الخليفة ما بدت أضلالها
 لولا الخليفة بنها في غربتها * غربت ضعيفة شمسها وخيالها
 وعلى هذا النحو يستمر في إبراز ولع الخليفة بالهندسة وحياته لها
 ولعن شهرة المدغرى في الزجل طغت حتى عطت على ما سواه ، وهي شهرة
 لم يدركها غيره حيث كان يعتبر شاعر المرأة والخمر الاول ، ليس في هذه
 الفترة فحسب وانما على كل فترات الزجل ، ويعتبر بالتالى أكثر الشعراء
 قبولا لدى الجماهير ، وهي ظاهرة جعلت كثيرا من قصائده يصل لنا سواء
 عن طريق الرواية أو التدوين ، على أنه من المؤكد أن بعض شعره قد ضاع
 أو اختلط مع شعر غيره لانه لم يكن يذكر اسمه فى قصائده ، وقد سبق
 أن رأينا (I) فى سبب ذلك أن صديقه الأمير كان ينظم الزجل كذلك وكان
 لا يريد أن يعرف ذلك عنه ، ولعله كان يخشى من والده ، فاتفقا على أن
 ينظما القصائد دون ذكر الاسم على غير عادة الزجالين حتى تنسب كلها
 لمدغرى ، وهذا ما يجعلنا فى ريب من أمر غير قليل من شعره ، فليس من
 شك فى أن بعضه من إنتاج سيدى محمد بن عبد الرحمن ؛ فقد ورد أنه
 «برع فى نظم الأزجال وفاق ، يأتى بالخيالات العجيبة والتشبيهات البديعة
 والنوادر» (2) وقد تبيّن بعض الاشياخ لذلك وحاولوا تحديد بعض هذا

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

(2) الانجاء ج 3 ص 303

الانتاح ، فذكروا «ته قصيدة «عزبا وشابا» (I) فانهم لا يرونها للمدغرى
— وان نسبت اليه — ويقولون ان سيدي محمد بن عبد الرحمن نظمها على
اثر زيارته لاضرحة فاس عشية يوم جمعة وكان قد شاهد في طريقه بزقاق
الحجر ثمانين تطلان من شباك . وعنده القصيدة تقول حربتها :
أنا عشيت الجمعا شاب أشابي ۞ هكتنسى عزبا وشابا
من شاهدهم يسخا بشبابو

ومثها قصيدة «الزمو» التي يكاد يجمع الحفاظ على أنها لسيدي
محمد وليست للسي التهامي ، وهي التي أولها :
الزمو في طبلا حسن ۞ لبرارد زوج وكيسان
لونهم يهوانسى ۞ احكيتهم خرجت بعمسان
ولسنا في حاجة الى الكشف في هذا الفصل عن شعر المدغرى ، فقد
بسطنا عنه القول في باب الموضوعات ولا سيما ما يتصل منها بالمرأة والخمر ،
ولكنا — اتماما لذلك — نضيف بعض الجوانب عساها تكمّل التعرف اليه .

أولا : كان المدغرى ولوعا بقافية الحاء الى درجة لقب بـ «حياح الحاء»
ويحكى أنه سئل عن ذلك فأجاب بأن هذا الحرف يجسم كل أحوال الانسان
وأنه . قاسم مشترك بين المتعة والالم لان الانسان اذا ارتاح أو التذ قال :
«أح» واذا تألم أو تعذب قال «أح» كذلك ؛ والامثلة على ذلك أكثر من أن
تعرض ، نجل قصائده على هذه القافية ؛ ونكتفى بالاشارة الى قصيدتين :
الاولى «فارحا» ، وفي حربتها يقول :

دسنى تحت لخلال بين ادروعك للاح
والبها والدواح وانهداتك تفاحا
خفت ايشوفونى ايجرحونى يا فارحا

الثانية «رابحة» وفي حربتها يقول :

(I) وسمى كذلك «عشية الجمعة» .

زين الدواح عطفى بالغزال رابحا

يا عين الدامي السارج أطاوس فادواح

يا بدر اصوا ابكوكب اوضبح

وقد دفعه ولعه بهذا الحرف الى أن يتخذ منه قوافى داخلية ، كما هي واضح في الحربتين ، بل ان هذا الولع جعله يقع في عيب من عيوب القافية (I) ، وهو ألا يكون حرفها موحيا بالموضوع ، وينبغي لنا ذلك من قصيدته «زيب» التي يقول في حربتها :

زينب كنزى وارباحى * زينب للقلب اصلاح
زينب زهوى وافرأحى * زينب للسعد افراح

فقد كان لازما ، حتى تسلم القافية من هذا العيب ، أن تكون على حرف الباء ، ولكنه أتى بها حائية . ومثلها كذلك قصيدة «طامو» التي يقول في حربتها :

صرو رايت لكفاح .و وجناب الوصاحا

والشاما والخال والشفر والغنج الدباح

طامو يا قوت الروح

فهى على حرف الحاء ، وكان يجب أن تكون على فافية الميم .

ثانيا : سبق (2) المدغرى الى «النشب» (3) وهو استهلال البيت بكلمة أو شطر من البيت السابق عليه ، ويتمثل فى قصيدته «فارح» على حد ما يقول فى القسم الثانى منها :

رفدى ياللا الطايح * بهواك اعيابفولت أح
ما بين الهبض والسواح * سرو بين لحسود بايـح
مدامك يالمالحا

سرو بين لحسود بايـح * يا كنز الكنز والرباح

(1) انظر الجزء الخاص بالقافية من آخر فصل فى الباب الاول (قوافى صيادية)

(2) على ما نعلم .

(3) انظر الجزء الثانى من فصل «الغنة والعنية» بالباب الاول .

ياروح الروح والنجاح يا دامي فالفجوح سايح
بين ازهارو المامحا

با دامي فالفجوح سايح » كمن مفسروم بك سايح
حس الخلخال به صايح » صايح الخلخال والوداوح
فى تجايح لمكايح
صايح الخلخال والوداوح » من حسو ما يلى انجايح
ما ريت الغاه فاكبسيح » فالليل ايهيح النوافسح
وسط الميحا البلايحا

فالليل ايهيح النوافسح » ما يقبل عالهوى الحسايح
رحمى يا ريس لايح » رحمة الله النى ايصايح
ويدارى بالصايحا

ثالثا : كان المدغرى بارعا فى نظم السراب ، ويحفظ الاشياح
مها سرابة يعتبرونها من اروع ما نظم فى هذا الفن ، يقول فى أولها :
أنا الى ابلغرام قلنى مجسروح » ولهو منو فانى ما جبرت رايحا
أش اعمال انبات مجروح انوح » طول داجى وادموع انوايلى سياحا
من فلكد الى اهويت نعت الدبوح » ياترى تعطف لى واتجود بالسماحا
رابعا : يظن الكثيرون أن المدغرى لا ينظم الا نسي الغزن
والخمريات ، ولكننا وقعا على بعض قصائده فى غير هذين الموضوعين ،
ندكر منها :

1 - قصيدة «ربيع النبوى» نظمها فى ذكرى مولد النبى عليه السلام ،
يقول فى حريتها :

لله الحمد جاد من هو نتاح » فاتح البيان ابفتاحو
مفتاح الخير والرضا والرحما الفتاحا

2 - قصيدة فى مدح «العرصة الشريفة» يقول فى حريتها :
ايهاك اشهد لجباحك » صفى امصفيا واصفيا من برهما
شهدا من طيب امصالك » شهدا امصفيا من نسبا قرشيا
3 - قصيدة فى مدح الاشرف ، يقول فى حريتها :

غاراً مولاي ادريس بن ادريس أمفتاح الغرب والشريف الفيلالي

سبدي مولاي علي الشريف الينبوع خصال

وقد استطاع المديني بهذا وغيره أن يشغل عصره ويفضي على كثير

من الأشياخ الذين عاصروه ، نذكر منهم :

I - ابن ابراهيم : وهو من مراكش ، وقد اشتهر بقصيدة «مباركة»

التي يقال انه رمز بها لمكة المكرمة ، وفي حريتها يقول :

حرمت عم لغى الثالث . دبري يالا معاك

شرع المولى ايلا اهداك

نستحسن في ابها اجمالك . أمولاتي امباركا

2 - العقبة ابن الفاطمي المراكشي : ذكر لنا الشيخ محمد بن عمر

المراكشي انه كان صاحب كتاب قرآني بحى ازبسط بمراكش ، وقصا من

زجله على قصيدتي «الرياض» و «الجافي»

3 - الرحراحي : وقفنا على غير قليل من قصائده .

4 - الحاج عبد الفضيل المريني المكاسي : وقفنا له على قصائده

«جمهور الخودات» و «المحبوب» و «الفصادة» ، وكان تلميذا

للتجار علي حد ما يصرح به في القصيدة الاولى حيث يقول :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المريني الا احفات اخبارو

الذكي تلميذ النجار

5 - علال الكحيلي المراكشي : يقال انه كان شيخ الاشياخ في مراكش،

له قصيدة «زهور»

6 - محمد الحبابي الفيلالي : اشتهر بقصيدتي «مباركة» و «خنائة» .

7 - محمد الشاوي : من أشياخ فاس ، وقفنا من قصائده على

«الحراز» و «صارم الطعن» و «عيشا» و «الوصاية» وقصيدة خامسة في

الهجاء .

8 - الطاهر فعيص : لعله من مراكش ، لم نقف من شعره على شيء

9 - الحيار : ولعله من مدينة الرباط .

10 - الققيه القرعي .

- 11 - أحمد امريقق المراكشي : ذكره الادريسي في «كشف الغطاء»
فقال انه كان شيخ الاشياخ (1) له. «زينب» و «راضية» و «وأمنة» ، ذكر
لنا بعض الحفاظ أنه كان من العلماء وأن له قصيدة «الخدام والحبرة»
وقصيدة «بستان الفكر» يقول في حريتها :
دير الوجه امرايا شف صنعت الله
12 - أحمد ابجيوات : وقفنا من زجله على قصيدتين : «عرصة الرضا»
و «ساطمة» .

13 - أحمد بن علي الغنيمي : ترجم له محمد الكانوني في «جواهر
الكمال في تراجم الرجال» - وهو القسم الثاني من «تاريخ أسفى ومـ
اليه -» فذكر أنه «كان استاذًا حافظًا للعرايات السبع عارفاً بأحكامها معروف
الصلاح مشهور الاحوال من رجال الفضل والدين والسماحة ، له قصائد
ملحونة (أزجال) منها ما هو في المدح النبوى ، ومنها ما هو في أحوال الزمان
الحاضرة والمستقبلة ... توفي حوالى سنة 1290 ودفن بمقبرة أسلافه» (2)

أحمد الكندوز

من كبار أشياخ الزجل ، وهو من الرباط ولكنه انتقل الى فاس حيث
اقام مدة طويلة . كان يعيش في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه
سيدي محمد أى في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، ويثبت لنسب
ذلك أن له قصيدة يرثي بها مولاي عبد الرحمن ، وهي التي يقول في حريتها :
الله اعظم اجرنا واجركم يا اسلام فالشريف العلوى
ينبوع الحلم وعلم نعم مولاي عبد الرحمن
وقد امتدت به الحياة حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث عاصر
الغرابلى والتركماني على حد ما يشت هجاء هذا الاخير لهما في أواسر
قصيدته «الداعى» حيث يقول :
وللشيخ الكندوز اخرج فعراضى نحسبو اعقيل وامودب ذوقى صارمو اصقير
واحمد لغرابلى افشر لين منو سمعت لعراض او قالوا
وقد شرح لنا الشيخ محمد بن عمر سر هذا الهجاء فذهب الى أن

(1) ص 113

(2) ص 25 - 26 (المطبعة العربية - دار البيضاء) .

الغرابلي حين حاطب التركماني بقصيدته التي حربتها :

يالداعي بالعرف اصنع اهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

لم يصرح باسمه فيها أول الامر وشيع أنها للكندوز ، ولكن التركماني

عرف أنها للغرابلي فجمعهما في الهجاء . ولم يصف الغرابلي اسمه الى

القصيدة الا بعد أن كشف الامر . وقد علل الشيخ ابن عمر محاولة النستر

هذه باحساس الغرابلي بالضعف والخوف من الشيخ المدني .

ويحكي الاشياخ أنه قيل مرة للكدوز : «انك تنكر فضل ابن علي ،

ولو كان حيا لما حرؤت على ذلك» يقال ينصعه :

قالوا تنجحد ابن علي وشهدو بعقود الزور

ونا لو جبرت الزاد كل يوم انجدد لمزارو

واجب لو يزار .

وربما كان في هذا ما يدل على أنه أدرك ابن علي العمراني وتلميذ عليه.

وقد اشتهر الكندوز في قنين :

أولهما : التضمين والتجنيس .

فقد كان أبرع الشعراء في استعمالهما حتى قيل عنه أنه «رايس

التضمين والتجنيس» . أما التضمين - وهو جعل القافية على أكثر من

حرف - فيظهر في قصيدته «غاسق لنجال» وهذه حربتها :

ايا غاسق لنجال عذبتني بالتيه يا شملاي

زدرسمى يا مول الخال كم لي نرجا لوصال

يقول في أول القسم الثاني منها :

احكم ابتيهانك يا الخيل

لكن بعد التيهان جد واعطف

قلبي امعاك نخطف

نبغى ابهاك نقطف

نقطف من الورد الناسم

وانقلد الحبين الواسم

وانقول يا رفيع الاسم
لنا اسمائك احباب

ويظهر كذلك في قصيدته «البتول» التي حربتها :

كبل يا رفاض للرضا واحتال * لوصول بوشفر قتل
لـمـرواح تـال * حسن ابهاها لالا البتول

وأما التجنيس فيبين من قوله في القسم الاول من «غاسق لشجال» :

بحفالك عمدا لي عدت انجيل
ما شفق تعذابي اولا امحاني
سيف لجفا امحاني
لعباد لامحاني

فامحاني الاولى جمع محنة والثابة من المحو والثالثة من اللمح (I) .

الثاني : ذكر حمادشة .

وهي قصائد نظمها ليشدها «حمادشة» في حلقات ذكرهم ، ويطلق عليها «الدراع» ويحكى الاشياخ في تعليق هذه التسمية أن الكندوز لم يكن يعتقد في الطائفة الحمودشية أو غيرها من الطوائف الطرقية ، ولكن كان له ولد ينتمى لهذه الطائفة ورآه يوما يمر في استعراض الطوائف في حالة حماس وجذب فأخرجه من الصف وحاول منعه من الاستمرار في هذا الاستعراض ، ولكن الولد استطاع أن يفلت من أبيه ويعود الى ماكان فيه . أما أبوه فأصيب للحين في ذراعه التي طلت مريضة منتفخة تنتن من القيح الى درجة أنه اضطر - لشدة الرائحة الكريهة التي كانت تصدر منها - الى ان يعتزل الناس في غرفة عالية . وذات ليلة صعد اليه في الشرفة مؤذن جامع الحي - وكان حمودشيا - وضربه على ذراعه فكان في هذه الضربة شفاه . ومنذ ذلك الحين تراجع عن رأيه بالنسبة لهذه الطائفة وبدأ ينظم القصائد للحمودشيين . والاسف اننا لم نوفق في الوقوف على نماذج من هذه القصائد.

محمد الموقت

من اشياخ مراکش ، ولعبه والد المؤرخ ابن الموقت صاحب «السعادة

(I) انظر الجزء الاخير من الفصل الذي من باب «الشكل» .

الإبدية في التعريف بمشاهير «الخصرة المراكشية» . ويبدو أنه كان معاصرا لعميرى حيث وجدنا في الكناش الذي ورد فيه زائيتة المعروفة بـ «الساهى» تعديقا على هامش الحربة كتب فيه : «على قصيدة الموقت» (I) كأنها قيلت في معارضتها أو الرد عليها . أما الحربة فيقول فيها العميرى :
اشروط عل لنفلا بـ بشرأ امقلزا ۞ أوجوه اصلا بـ ولقلوب افتكريز ولحيا انرا
والمسكين بين لشواق كيتحزا
وقد اشتهر الموقت بجفريانة، وخاصة قصيدته «الزائية» التي يقول في حريتها :

أسايلنى انفيدك ابكفر باريز ۞ استفد آكن عايق وانبع الغرزا
وله كذلك من الجفريات عروبي مشهور تحدث فيه عن الواقع المؤلم الذي أصبحت عليه الأحوال ، يقول في أوله
سبحان الله صيفا ول شتوا ۞ وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف

مولاي علي بن أحمد شقور الحسنى العلمي

ذكر لنا السيد هاشم السفياني الشاواني أنه ولد بالشاوان «شفشاوان» سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف وأنه توفي بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف حيث دفن نزوية تعرف باسمه لا زال أتباعه يقيمون بها حلقت ذكر كل يوم جمعه . وذكر لنا كذلك أنه كان ساجا ويمارس الفلاحة والبيطرة في نفس الوقت وأنه كان ولوها بالطرب يعزف على آلة للجمبرى . وحين زار اسلطان مولاي الحسن الأول مدينة الشاوان سنة سبع وثلاثمائة وألف أعجب بالشيخ شقور بأصنافه مع عشره من رفاقه المصريين منه تسعة منهم في قصره فاس ، وأهداء وصيفا وكسوة وبغلا وخمسمائة ريال وأخرج له مردود «قاعة» (2) الشاوان ، كما أهدى كسوة لكل من رفاقه . وكان الشيخ شقور يطعم من هذا المردود فقراء المدينة كل سبت حيث يقدم لهم الخبز «والبيصارة» (3) بالزيت .

(I) انظر الكناش المخطوط بخزانة الرباط العامة رقم : 165 قصفحة 509

(2) السوق الخاصة ببيع السمن والعسل والزيت .

(3) شربة الفول ، وينطقها أهل الشمال بفتح الباء.

ويعتبر مولاي على شقور من كبار أشياخ الزجل في الشاون ،
وقد ترك وردا لاتباعه وديوانا صغيرا يضم أربع عشرة قصيدة ومقطوعة
معظمها في الذكر والشوق لحضرة الرسول عليه السلام والسكر من
خمرة ، وقد تفضل السيد السفيناني فانتسخه لنا عن مخطوطة لديه ،
ومازال أتباعه في الزاوية ينشدون هذه القصائد ويذكرون بذلك الورد .

يقول في إحدى مقطوعاته :

بسم لكريم نظرا فيكم	»	وهو الحاكم فيكم
سبحان امن اتجلى فيكم	»	كريم الا ايسوم
لا تصحب من لا ايسوم	»	لابدا ايفر بك النوم
يا وافي كل مظنون	»	يا معاهد لفنون
ما بين الكاف والنون	»	اذا يقول كن ا يكون
لا اله الا الله	»	لا اله الا الله
والله بالله يا لله	»	ما يكون غير ماكون الله

ويحفظ أشياخ الشاون قصيدة في مدح مولاي على شقور من نظم
محمد العملي ولد زبطاة ، يقول منها في نفس جفري :

مولاي احمد اعلا امقامو	»	اهدي اهديا امن امكانو
امحابق من اشغلنا	»	موكنا ولات ابدقنا
هل الضلعا اتقبنو	»	فالصولا ارجعنا للحرطين

كذلك يحفظون في مدحه قصيدة معربة لعبد الهادي الصقلي ، يقول
فيها :

وتحية أنسية قدسية	»	تهدي مع الرضوان في المنشور
لفريد هذا العصر قطب زمانه	»	ووحيد بالمصيب المشهور
بحر المعارف والعوالم شمسها	»	من أشرقت أسرارها كالنور
ذاك الوالي الواصل الفرد الذي	»	حاز العلا مولى على شقور

شاعرتان من شفشاون

أخبرنا عنهما صديقنا الدكتور عبد السلام الهراس :

الاولى : الشاعرة التوردانية

وهي ابنة العفيف السورداني (I) الشفشاوني ، كانت تعيش أيام سيدي محمد بن عبد الرحمن وعمرت حتى أدركت عهد الحسن الاول ، وكانت تنظم الشعر ملحونا ومعربا ، وكانت متزوجة بالسيد أحمد بوخنة . ومن أبياتها في مدح امرأة ريسونة اسمها العزيزة بنت أحمد ، وكانت جميلة وغنية :

للاعزيزة يا بنت أحمد .. يا بنت الجاه العالي

الثانية : الشاعرة الوردية

من أسرة الوردية ، وما يحفظ لها قصيدة في مدح سيدي محمد بن الحسن الريسوني الموفى سنة 1131 هـ تقول فيها :

القطيب لهما .. شافنو عيني افلمنام
لابس لحريير .. دايرنو خضر

أحمد بن علي الدكالي السلاوي

ترجمه والدنا حفظه الله في الجزء الاول من كتابه : «أعلام الفكر المغربي المعاصر في العودتين : الرباط وسلا» فقال انه : «كان ذا زهد وورع وتعفف مع أدب ومكافة، يحسن علم التوحيد ويتقن التلاوة ، وله معرفة بالملحون على اصطلاح أهله .. وهو جد المؤرخ الكبير أبي عبد الله محمد بن علي الدكالي .. اخذ عن جماعة كالعلامة العربي أحضري والعالم أبي عبد الله ، وكان أديبا متقنا ، توفي عام اثنين وعشرين وثلاثمائة والفاء (2) .

وأخبرنا الشيخ بنعيسى الدرازي أن ابن علي كان من كبار زجالي عصره وأنه كان من جلساء السلطان الحسن الاول وأنه اشتهر بقصيدته «زينت الغبا» التي يقول في حريتها :

يا زينت الغبا حزت من لغزال الركب

يا توكلت الركببا نسل لقراهب

ربك وانا اعجائب واستولى ابلحكام عل لقلوب

(I) اندثر هذه العائلة من شفشاون . (2) مخطوط المؤلف ، ص 51 .

الحاج ادريس بن علي السناني لحنش

أكبر شعراء الزجل بعد النهامي المدغري ، كان ينظم في كل الموضوعات فيجيد على ما يبدو من النماذج المتعددة التي مثلنا بها من قصائده في «باب الموضوعات» ؛ وأغلب شعره محفوظ . وهو من العلماء المؤلفين ، له رسالة بعنوان «المقامة الفنية عن المدامة المسماة بروضة المدامة والايانس في لطف محاسن وادي فاس (I)» ، وله كذلك ديوان من الشعر المعرب أسماه «الروض العائج بأزهار النسيب والمدايح (2)» نقتطف منه قوله في مدح آل الميت: (3)

بربك هل تحت ظل السماء * أناس كأنجمها ثلبي السناء
وابهى من الشمس وقت الضحى * ومن دارة البدر حال الضياء
سوى آل فاطمة اذ لهم * لباب المعالي وكنه العلاء
فمن مثلهم في الوري «منصباء» * أما قدرهم والسما ذو استواء
وان شئت قل قدرهم فوقها * تكن قد أصبت مرامي السماء

(I) تقع في ثمانى صفحات مطبوعة على الحجر بفاس .

(2) فرغ من جمعه سنة 1316 هـ ، عدد نساها ثمانية عشرة وأربعمائة تضم احدى عشرة وثلاثمائة مقطوعة وقصيدة مرتبة على حروف المعجم . توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة الرباط العامة رقمها 1678 ، وهي بخط ابنه محمد الرضى السناني ، انتهى من نسخها سنة 1327 . كذلك أورد له ابنه المذكور مقتطفات من شعره في كتابه «الشذرات» المسمى «التقاط الفوائد وغرر العوائد» وهو مطبوع في جزئين بمطبعة بوشنتوف في الدار البيضاء (ص 28 من الجزء الاول وص 39 - 143 - 156 - 163 - 164 من الجزء الثاني) وقد وردت له أيضاً قصيدة تقريبية بآخر كتاب «الابهاج بنور السراج» وهو شرح للسيد أحمد بن المأمور البلقيشي على منظومة سيدي العربي بن عبد الله المساري (ص 228 - مطبعة محمد أفندي مصطفى بصر سنة 1319 هـ) والقصيدة موجودة بالديوان كذلك من ص 225 الى 229 وهذا أولها :

شرحت سعاد صدورنا بمزار * نبت محاسنها بلا استعار

(3) ص : (IO) .

وقوله متوسلا الى الله (I) .

يارب عامتنا بعطف شامـل * بصباحه ليل المكاره يدمـغ
يا رب الـبسنا لباس سلامـة * من حفظك الكافي علينا يسـبـغ
يا رب هب أمانا لنا ووقايـة * ننجو بها وحمى أمانك تبـسـغ
انا تشفعنا بأعظم شافـع * قد فاز وجهه فى حماه يـمرغ

وقوله متغزلا (2)

يا رب سائلة الاعراف غانيـة * مليحة من ذوات المجده والحسب
غزاة قد غزا الاكباد ناظرهـما * بصارم سن قصـد الفك والعطب
تخـال كالرمح او كالـفـصـن قامـتا * تلفعت بلباس الحسن والادب

حـاتـ تـمـيل بـكـاس الـراج قائلـة * أجب لكأسك يا ادريس واقـنـرب
فأطربت بلذيد اللفظ واحتـجـبت * فغاب عـقلى لما قد نلت من طـرب
حكى لنا بعض الاشياخ انه كانت لحاج ادريس مساحلة مع شيخ سلا
عبد الرحمن بن حمدوش أثناء زيارته لهاس حيث استضافه جماعة من
الاشياخ كان من بينهم الحاج ادريس ، وهو الذى «قام» (3) الاتاى ، ولكنه
حين وزع الكؤوس مد لبضيف كأس «التشيلة» (4) فسكت ابن حمدوش
ووضع الكأس بجانبه ونظم قصيدته التى حربتها :

من دق الباب * ما يليه غير اجوابو * غربه من جابو

من ضربتو الضرسا جبا الكلابو

ويقال ان كل الاشياخ ردوا عليه وان الحاج ادريس برز فى رده الذى

ضمنه القصيدة التى حربتها :

قصر لعنان يالى عرتو نفسو وطول السانو

وبقى ايكون شيخ ابقوة لغنان

كانت وفاته سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف .

(I) ص : 372 (2) ص : 48

(3) قام الاتاى : هياه (الاتاى : الشاى)

(4) تطبق التشيلية على الماء القليل الذى ينظف به البراد بعد أن توضع

فيه حبوب الشاى . وقد جرت العادة أن يصب فى كأس تبقى فسمى

عسيبة ، وكثيرا ما تختلط بكؤوس لشاى لاتخاذها نفس اللون .

(42)

ترجم له عدس بن إبراهيم المراكشي في الجزء الثاني من «الاعلام بمن حل بمراكش واغلمات من الاعلام (I)» «فقل ما كتب عنه الحاج عبد العزيز بك المصري في رسالته المسماة «مخططات الشوق من مقتطفات الذوق» (2)، حيث قال : «احتضنت بشيخ ذاكر مذكر مغربي الجنس والمقام وأدبي الخلق والكلام يقال له الشيخ أحمد الحداد بن عاشر صحبته رضى الله عنه أياما بعد رجوعه من الحج والزبارة فوجدت في ظاهر أحواله على عمارة باطنه أكبر إشارة ووقع بيني وبينه من المحبة والالفة ما أهني لأخذ أوراده جميعها من غير كلفة ، وقد كفاني في فضله ما رأيت له من الأوراد والصلوات الإلهامية مع ما هو عليه من الأمية والعامية كما إلى استدلت مما يظهر عليه من الوجد والهيام الذي يجذب له كل من رآه من الأنام أن الشيخ رضى الله عنه خارج من حضيض أراضى الطوائع والعادات عارج في أوج السعداء والسادات (3)» وذكر ابن إبراهيم أنه وقف له على مجموع أحزابه ويسمى «مجموع الأحزاب وتيقظ أولى الالساب ومفتاح الأبواب لمن أراد القرب من رب الأرباب» وقال انه سكن مدة أربعة أعوام مدينة مراكش حيث قال متوسلا برجالها السبعة قصيدته التي حبرتها :

أهل البهجة الحمدرا اسيوكم بطار « مال سيفي ما بين اسيوكم قاصه
وفي دخولها يقول :

أهل لحما فحماكم زايكت اوزار « واش عمار اعليكم سربت لغنادر
أليوت الحضرا يا باهيين لسراد « بالنبي نتشفع خير لورى الطاهر
أنجوم اضياها ويا سحوب لمطار « للذى أرضو عطشنا ابشوم قاهر
ثم ذكر أنه توفي في تاسع ربيع الثاني عام ست وعشرين وثلاثمائة
والف .

(I) الترجمة 129 من صفحة 271 إلى 276 (الطبعة الأولى - المطبعة الجديدة - فاس)

(2) مطبوعة مع الحزب الأعظم للقاري شارج الشفا سنة 1300

(3) ص : 272

كذلك ترجمه والدنا حفظه الله في الجزء الاول من «أعلام الفكر
المغربي المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا (I)» حيث ذكر أنه دفن بالزاوية
الحرفية بدرب الزهراء في الرباط .

محمد بوزيان

من كبار أشياخ واس في نهاية القرن الثالث عشر وأوائل الرابع
عشر الهجري ، اشتهر باستعمال نشب الكلمة على حد ما تثبت قصيدته
«المحبوب» التي يقول في أولها :

محبوب خاطري من فكدو عمداي » عمداي والنوم ضاحر من لنجال
لحال عل الخد دمعها سلسالي » سلسالي تهوا كما لمطر هطال
هطال من افرق اللي زاد اهباي » اهباي من فكد من اهويت اغزال
اغزال اقلبها غيرو ما يحلال » يحلالى وصو ايلا انعم ابلوصال

الحاج أحمد الغرابلي

من واس ومن كبار أشياخ هذه الفترة ، كان يشتغل بالدرازة ثم
تركها للاشتغال بكتابة الحروز والتمائم . كان بارعا في «التضمين» كما
يتضح من قصيدته «ملكة» التي يقول في القسم الثالث منها وقد ضمن
قافية حرفي الدال والكاف :

ايلا اوفا ميعادك

روحي انهب لفداك

ننكي اعداي واعداك

نبغي اتودني من ودك

وازيارتي اجعها وردك

حتى احبيب مالي بعدك

بامن اقوام قدك

(I) من صفحة 9 الى 13 (مخطوطة المؤلف)

مرهاف اصفيل هازم اعدوك

ويحد من ايحدوك

اضفاير اسوالف بالطيب انسيما ادكا

تسبي عقل الى ايشاهدك

واترصع لدرار دي اتناسب ديكا

كذلك كان بارعا في نسب الكلمتين على حد ما تثبت هذه الاشطار من

قصيدته «عين الرحمة» :

أعين الرحما الرحما يا قرت لنيام

يا قرت لنيام حد لي يا بحر التعظيم

يا بحر التعظيم والفضل يا عين الرحما

وفد كانت له مع معاصره ابن ريسون منافسة شديدة تجنت في خصوصتهما

التي سبق أن ذكرناها (I) والتي تدخل هاشم السعدني (2) لا صلاحها

بقصيدته التي يقول في حربتها :

الصلاة اعلى الماحي سيد كل ما فالحي ادرج * لفضل طه وازواجـ

زين الفلجـ

وكانت له أيضا مع احمد المدني التركماني المراكشي (3) مساجلة

مشهورة دارت حول الايمان والعمل سبق أن ذكرناها (4) ، قال فيها شاعر

مراكشي قصيدته التي حربتها :

اللايم خلى لعباد كل واحد في حالـ

الشهادا باله وبالرسول تكفى مولاـ

(I) الفصل الثالث من باب «الموضوعات» لدى الحديث عن الهجاء

(2) من كبار أشباح هذه الفترة ، يقال أنه كان يتاجر في البلغة بسوق

السباط في العطارين ، وكان له كناش بالدكان يدون فيه قصائده .

ووقع مرة حريق في السوق فأحرق الدكان والكناش . وقد نقل عنه

أنه قال بأنه لا يستطيع من حفظه أن يعيد كتابته ، وبهذا ضاع غير

قليل من إنتاجه . وقد اشتهر بقصيدته «دخول وجدة» التي يقول في حربتها:

يا لاسلام ابكوا اعلى ادخول وحدا * دون حرب اغنمها لعدو ونال المراد

(3) كان درازا بحى أبى صالح بمراكشي

(4) الفصل الثالث من باب الموضوعات

وقال فيها شاعر عباس قصيدته التي حربتها :

الداعي بالجهل اصبح الهن العلم وما قالوا

الشهادا من غير اعمال لبس تكفى مولاها —

ورد التركمانى بقصيدته التي يقول فى حربتها :

الداعي شهيد والشهادا بالله وبالرسول تكفى

واكفات وكافيا وخير فالدنيا ولاخرا اكثر

والمومن نيتو افضل من اعمالو

ومن القصائد التي اشتهر بها الغرابلى قصيدته «لطف الله الخافى»

التي يقول فى حربتها :

يا لطف الله الخافى » العطف بنا لما اجرات به القدرا

وقصيدته «ملكسة» التي يقول فى حربتها :

أرايت للملكا يا مولاتى المالكسا » لك العبد وكل ما ملكك

نصرو ملكا احمايت الملك

وقصيدة «المرسول» التي حربتها :

خبرنى يا مرسول عن اسراج اعيانى» وشمس انهار نظف بوهالو عراض الزين

الله ينصر مولاي المزيان

وقصيدة «الخادم والحررة» وهى التي حربتها :

قصا اجرت للخادم والحررا » يوم ظلوا فحصام اكثر على المعيار

وقصيدة «لشراف الحسين» التي يقال انه نظمها فى مسجد سيدنا

الحسين بالقاهرة ، وكان يزورها فى طريق عودته من الحج ، وقد ضاع منه

زاده ؛ ولكنه لم يلبث أن عثر عليه بعد توصله بأبناء فاطمة الزهراء ؛

يقول فى حربتها :

طالبكم ضيف الله سارخونا يا اهل لحسان

من يقصدكم حاشا ايخيب يا هل البيت العدنانى

لشراف الحسين

كذلك اشتهر بنظم قصائد للمذكر كهاته التي يقول فى حربتها :

يا حب الهادى ضى لرمساق » مللى نظرا فبهاء برمافى

كان للغرابلي تلامذة أشهرهم محمد جوسوس وعبد الهادي العامري الذي وقفا من شعره على قصيدة «فاطمة» ، وهما من أشياخ فاس . وكان له معاصرون لم يرقوا الى درجته ، منهم :

1 - الحاج العربي الرجوى الفيلاي : من فاس ، يقال له «المعلم» وهو من فقراء طائفة احماشنة ، اشتهر بقصيدته في «المحمل» ، وفي حربتها يقول :

غارا لله يالوالى مولى مكناس جد برضاك اعليا

2 - عبد الهادي بناني : له قصيدتان مطبوعتان على الحجر بفاس ، اخبرنا بهما الفقيه الباحث سيني ادريس بن الماحي :

الاولى : «الدرة البهية في مدح رجال الشاوية» في ثمانى صفحات.

الثانية : في شرح ما وقع عند الفتنة التى حدثت عند طلع المولى عبد العزيز ، في أربع صفحات . وقد وقفا من شعره على جملة قصائد .

3 - عبد السلام الزمري : من أشياخ القصر ، ولكنه أقام مدة فى

فاس ، اشتهر بقصيدته «خبخال يامنا» التى يقول فى حربتها :

خبخال يامنا تفكيرا حلا وواشى لى عجبي افيوم توفى واتقول اراه مايقول
وله كذلك «الساقى» الذى يقول فى حربته :

كعب يا ساقى كاس السراح كاس اعراقى وعراقى
وتض الى طايح وكعب للساهى باش ايطيح

4 - الغالى السماتى : من فاس ، وكان رفيقا للزمري وتلميذا له كذلك ، له قصيدة «مولد النور» التى يقول فى اولها :

ابديت بسم المولى نعم لغنى الستار

باسمو نستمتع يا صاحى فاشعارى

وله قصيدة فى المدح والتوسل يقول فى حربتها :

يا رسول الله غثنى فنهار الميعاد

يا رسول الله ما يلى دونك حد اسنيـد

وقد اشتهر بقصيدة فى مدح آل البيت والتوسل ، هذه حربتها :

يا هل البيت اسياى لامت لشرف

زكت محماكم زوكت لوصيف

دا تـوزوى يوم الموقف لعصيف

السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي

هو ابن السلطان الحسن الاول (I) ، كان حليفة في مراكش لأخيه المولى عبد العزيز الذي تولى من سنة احدى عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة إلى خمس وعشرين ، ثم اعتلى العرش بعد موت أخيه حتى سنة ثلاثين حسب نمازل لأخيه المولى يوسف بعد أن أمضى عقد الحماية الفرنسية على المغرب (2) يعتبر من العلماء والمؤلفين ، له :

1 - العذب السلسيل في حل ألفاظ خليل
2 - كشف القناع عن اعتماد طوائف الاستداع (في الرد على أصحاب الطرق)

3 - نيل النجاة والفلاح في علم ما به القرآن لاح
وهي كلها مطبوعة ، وله كذلك :

1 - منظومة في مصطلح الحديث
2 - الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع (في أصول الفقه)
3 - ياقوتة الحكماء في مسائل القضاء والاحكام

وكان المولى عبد الحفيظ الى جانب علمه وتأليفه شاعرا زجالا ، له ديوان طبع على الحجر بفاس دون تاريخ ، يضم تسعا وثلاثين قصيدة أغلبها في الغزل ، وبعضها في الهجاء والتوسل .
ويبدو في غير كثير من هذه القصائد ميل الى العناية بالاسلوب يتجلى في استعمال النشوب والتصمين .

(I) يقال ان ابا آحر للسلطان الحسن الاول كان ينظم الزجل وهو الماهون، وكان خليفة لوالده في فاس . وتنسب له قصيدة «زعمريا» التي يحكى أنـ قالها اشتياقا لزوجته حين تركها في مكناس وسافر الى مراكش . وهذه القصيدة هي التي تقول حربتها :

خاطري سلبتولى ياولد سيدنا زعمريا ابقات فى مكناسى الجسمسرات
وتنسب للتهامى المدغرى .

(2) كان عقد الحماية في II ربيع الثانى سنة 1330 الموافق 30 مارس 1912 وكان تنازل المولى عبد الحفيظ لاحبه فى 13 عشت من نفس السنة .
أما وفاته فكانت سنة 1937 في انجان لوبان حيث كان مبعدا عن المغرب ثم نقل جنماه الى فاس .

أما التضمين فسلم عليه قصيدته «زهرة» على حد قوله فى القسم الاول
منها جاعلا قافيته على حرفى الياء والسين :

وهو ياسيدى واهواك زاد ليا واعيت امعاء افلمقايس
وافنيت من اشغل هجرى اياسى « كيف ما يعياوا اعياس
لاش مانفها فقياس

بنشئ قولى من سر صورتك ما يسب لكياس

كيف ايسبو فكرى اعيونها من دون القياس

من اتيه اشغال الزين والكياسا

امتا انشوف وجهك ما بين اغراس حق ياسى

مرياض طابت الياسو

الورد والزهر والخيلى كحوان جار ياسى

وأما الشب فيتضخ من حربة قصيدته «الحاجبة» حيث يقول ناشبا

بكلمتى الراس والناس :

من اسموم الهجرا والته شاب لى راسسى

راسسى الحاجبا يهوى بدر الناس

الناس الى تعشق حالها ما تعذر بقياس

يا حسرا الانفاسسى

وقد ساورنا شك كثير مى أن يكون المولى عبد الحفيظ باطم هذا الديوان

حقيقة ، وسألنا غير قليل من الاشياخ فوجدناهم يشكون كذلك ، بل أخبرنا

بعضهم أن الديوان نظم له أيام كان خليفة لاختيه فى مراکش ، وأن الذين

نظموه هم ثلاثة من كبار زجاني هذه المدينة كانوا من جلسائه ، وهم :

1 - الحاج أحمد الزغبات

2 - الكبير بن عطبة النى يقال انه كان كاتبا للشا ابن دود وأنه

توفى فى نهاية الربع الاول من هذا القرن ، وهو صاحب

قصيدة «بودلال اهنيا»

3 - الاحمر المرياق الذى كان معروفا بالوجد والدى يقال انه توفى

سنة خمس وستين وثمانمائة وألف .

والواقع أن سبب الشك عندنا يرجع الى جملة ظواهر لا حظناها في

الديوان :

أولها : وجود قصائد بأكملها في الهجاء بالاضافة الى أن معظم

قصائد الديوان مختومة به ، فهو يقول في حربة أحد أرحاله :

لاش تطلم قوسك تركو لمن عتن • من لا يسبح في ابخور امواجو محسوب تحشنا

خلي ريحو ما فلبت اسفان

وفي دخوله يقول :

مادري رمز امعاني نايم الجفس • ولا يوصل للدواخل لمدارك في اعلوما

من لا يدرك نهج اعيانو

مادري كيف ارقاوا الناس فالدهن • حتى صادوا من امعانيها كنز ما فئا

بيان ابنا اقويم عن تيقانو

مادري من لا عتق الحسد من اسجن • يرمى جهل لعموم فاقفر خيان من ابلا

يقطف مسموم ويهيج في تفنانو

واش تعتدا بفكرت الجاهل الفن

من لا يقرأ اكتب علمانو فاهم كيف اصنعنا

وقت ما يروى ايزيد امحانو

ويقول في آخر قسم من «المرسم» :

شتم اقدسم شاننى • ما نرصاصى ابقولهم

فحسب نهبك تركسى • من شانس فى انظامهم

من يتعاطم ما يلوشان • حسبو ادميم مالو فالخلق امزيا

ما يرقى فى ادروج اسنسان • طبعو ابهيم ما فاز ابكل انويسا

حتى لو طالوا بهتان • فالحين ما يرجعو الا مخزيسا

ويقول كذلك في القسم الخامس والاخير من قصيدة «كنت هانى» :

كل دعوا بفنون القول صاهضا • ناس الدعوات ما يلهم تفويض

ماداروا امعاني ترجيح ولقضا • حتما ليا انجبههم بي ترييض

كل مايا يفصح بها امخوضا • ليس يسوا اكلام ناس المخويض

ما نالو كلاب الزور اعين • حق لهم جيت معراض اعريض

ولسنا نتصور شخصا جمع بين مركزين عظيمين : الملك من جهة بما يفرضه من سلطة وسلطة ، والعم من جهة ثانية بما يكتسب من صبغة التجربة والاحترام ، ثم يكون له في نفسه هذا الاحساس بالمنافسة وما يترتب عليه من خصام وهجاء لرجالين آخرين ، مهما علا شأنهم فهو دون الملك العالم ، وما نطمح كانوا يجروؤن على مواجهته أو مبادلته نقسا أو معارضة بده الخصام والهجاء ، وهو فن لا شك يقوم على المواجهة والتبادل .

الثانية : تغزله في نساء يذكر أسماءهن مثل :

«حجوبة» التي يقول في حربة قصيدتها :

واعلاش يا محجوب نساك وافراقك عز اعلا

وادموع اعياننى لضناك ساهرا داج

و«رقية» ونقول في حربة قصيدتها :

اليوم نبغى ارمزك يلعب بالشفير » زورى رسمو ايزول حقا تخمامسو

بشرى بمجيك يالريم ارقيا

ويقول فيها قصيدة أخرى هذه حربتها :

كنت امسلى اقديم من قبل انشوف ابصارو

من صالت بسالزيين ولفخسر

تستاهل فالريام تعظيم النصر ارقيا

و«امينا» التي يقول في حربتها :

شير بحداقى » واعط امدام صافى بالرضا الاشواق

بوجود امينا ليلت لبها شارقا

و«لالا ربيعا» وفي حربتها يقول :

الله ينصر وهو اللحظيسن » والظرافا مصباح الزين لالا ربيعا

لوجيبا نور المطبوع

وله فيها قصيدة ثانية يقول في حربتها :

ربيعا قوت الروح » من امواها نرجا منو اصلاح

يوم اتواصل بعطوف عاينا بفصاحا

و«زهرا» وهذه حربتهما :

لازلت امنى اهواك ما زايسته واعراس
كيف نقطع منك يبا زهرا اياسى
وله فيها قصيدة ثانية هذه حريتها :
عنوا الموم زرت زهرا لرسام ناكرا
نكروا قلب السى ما ادرى
من حزرات اللحظ منها واسهوم
وهنياه ويقول فى حريتها :
دام الله ابها امحاسنك من فاقث لهلال
قد اسهوم البين ولمزارى دون ادزى
من لازال القلب كاي راجى بك اهنيا
وهى ظاهرة نراها تتناقض مع تقليد الملوك العلويين التى تقتضى عدم
الكشف عن نساء القصر والتصريح باسمائهن حتى لا يعرفن ، وخاصة من
تكون لهن مكانة فى نفوسهم .
الثالثة : المعاناة من الحب واظهار الخضوع والطاعة للمحبوب
على حد ما يبدو من حريات القصائد المشار اليها سالف ، وعلى حد ما يقول
فى الابيات الاولى من قصيدة «الغروب» :
ذكرنى لغروب فى اصغورتو لونو مغير
ظن اخليل اصفا من اقوال العادل بهديسر
واتوارى لحجاب ترك رسمو منو مهجور
وافجات اسراى وحالتو عيبت المدرار
من طعنوه اشفار الريام باللعنا فاضمير
واتهدم صبرو لادرى من حكمو مشهور
واتمادى هولو من اسكاب ادموعى فسحار
واتحكم قولو افساكنى واسرع بالنذير
يا حسرا لسموم مالكى من صعبو بالنفور
ما حادر عيبي ولا دهم ابشارت لشفار
كن اطلام الليل حامل من قبحو تفيير

خلانى بضناء فى امهامه حكمو مقصور

واقنايا واصفورت ورقتى يعطوك لخبار

لاش اتزيد اتسال امن احوالو يكفبك اخبر.

والعارف من شوفت لعيون ايميز مدعور

ويقول فى حرية قصيدة «زهرة» :

بالثيه وليها والشفرين اتزاد هول اعياطو

من يوم فيه زارت زهرا ونا فى احكام شطط

ويقول فى آخر قسم من قصيدة «هنية» :

من بايع للزين وليها والتيه الدلال

وامطايب لحديث كاتخامر به اغنياسا

ما مثلو سلطان امن اسلاطن سعدويا

فمثل هذا الشعور لا يحسه ملك ما نظن الا ان الحياة كانت متيسرة

له بمحتف امكانيات اللهو ووسائل الامتاع ، وأنه كان يأخذ منها ، ان لم

يكن فى اسراف ، فيما يكفيه لوعة الحرمان . وحتى ان كان يحس شيئا من

ذلك الشعور فتخوة الملك تحول دون اظهاره والتعبير عنه ، الا ان يكون

حديثه فى ذلك من باب المحاكاة والتقليد .

ومع هذا فنحن نلاحظ ظاهرتين لعلهما تحولان دون ترجيح الشك الذى

ساورنا ان لم تنفيا : :

الاولى : ان السديوان طبع فى عهد سلطنة المولى عبد الحفيظ كـمـسـا

يتضح مما كتب فى الصفحة الاولى عنوانا له ، حيث نقرأ :

«هذا ديوان فائق ومجموع رائق بارع عظيم الشأن شامل الدرر المعانى

وفحوى البيان جمع من الملاحاة أصفاها وأعلاها ومن الرقائق واحكم أوفاهـا

وأعلاها فأصبحت به نفوس ذوى الادب فى ابتهاج وهمم العوانى فى تحريك

وانزعاج ، وكيف لا وهو من بنات افكار من لا يضاهى تجاره ولا يماثل

فخاره ، كوكب الادب الوقاد ، الناظم النائر ، المشارك الحجة النقاد سلطان

البلغاء الذى تاهت العقول فى تصايفه وحارت الالهام فى فنون تصاريفه

أمر مؤمن ناصر ، مله والدين مسدنا ومولانا عبد الحفيظ ، لازال حسامه

منتصباً لكن فظ غليظ ، أدام الله نصره ونأييده وخد مكنه وماثره العديدة آمين» .

الثانية : تتجلى في النفس الذي يعلو هذه الأزجال ، وهو نفس - يبدو من الشعر الذي سبق أن مثنا به - أنه عبر طبعي ، بحس فيه بعض التكلف ، كأن الناظم ، لطغيان اللغة المتفغة عليه ، يجد صعوبة فسي استعمال اللهجة الدارجة وتطويعها للتعبير . ثم ان لا نثبت بلا حظ بعض المعايير العربية التي لم نألفها عند الزجالين ، منها استعماله «حيص بيص» في آخر بيت من أول أمسام قصيدة له في النوس والاستغانة حيث يقول :

من اعلا واطفى اتهد ذاتو يا لجليل

حتى يبقى ايشوف نفسو لدليلا
في حيص وبيص ما سالى بالحيلا

واستعماله المثل العربي «الصيف ضيعت اللبن» في آخر دخول قصيدة له في الحكم حيث يقول :

عاد يبحث الشخص افير ما تقن » قل المن جايرمي اشهاقو في اكلامنا
الصيف ضيعت البانو

واستعماله «خط عشواء» في أواخر أبيات قصيدة «الداعى» حيث يقول :

لاتعاند جاهل يهوا امخابا » خط العشوا ما مثل تخباطك
والى معدور ما تخط اخياطا

ادريس العلهمسى

شيخ أشياخ فاس بعد الحاج احمد الغرابلى ، أخذ عن الشيخ القهامى الغربى الفيلالى الذى كان مقيما في فاس يحترف البناء . كان يقصده الاشياخ من كل مدن المغرب ليأخذوا عنه كلامه ، ومن خارج المغرب كذلك حيث يقال ان بعض أشياخ الحزائر كانوا يقدون عليه أمثال الحاج محمد العلقا وقاضا الثصاب وعبد الكريم دالى والمنور التلمسانى ومولاي الجيلالى الرياضى .

كان بارعا في قصائد «التصليية» ومدح الرسول عليه السلام ، على حده

ما تثبت قصيدته «عين الرحمة» التي يقول في حريتها :

يألهادي عين الرحما الحلال ضاق * غثنا يا محمد طيب لخلسوق

ومن تصلياته هذه التي يقول فيها :

صلى الله اعليك ياالمحى محمد ياشريف لاسم سيد لملاح

يا من بك الناس فارحنا

من شهد بك نال ربحو واصلاحو

اصلاتك كنزى ورأس مالى وربحى واذخيرتى اصلاتك هى المفتاح

تفتح لى لققال قاصحا

واتلين لقلوب بعد يقصاحو

وكان بارعا كذلك فى قصائد التأمل والموعظة ، ومنها قصيدة وقفنا

منها على هذه الابيات :

لا غنى يرحم ابلفقير معنا لقلوب اقساها

اقسى من لحجر يفجر سيل ابمساء

لا صغير ابوقر لكبير قلت الناس احياها

والخمر والميسر والزنا جاهم يا محلا

لاصلا فى اوقتها ولامن فيهم اداها

من غير الغيبا امح اشتهم والكذاب الخساء

غرتهم الفانيا وعادت لهم انزاها

ولا انساوا الآخرا وكل واحد ماذا يرجساء

ابسطنا لكفوف للى خالقها مولاها

وينجنا سامع الدعا من شر ويلاه

يكرمنا بالدين وليقين والخمسا واصلاها

والتقديس والحمد وشكر للمعبود اللـ

وقد ظهر تفوقه فى الغزل من قصيدة «غارو لعواتق» التي لم نوفق منها

الا الى هذه الابيات :

غاروا لعواتق من اجمالك ياد البدر الشريف ياذهو العاشق

ياللى زييك ها رينساء

مكوانى فايق امن اجفاك اولفى حفى وسيف تيهالك واسق

كل كهلى بحمول اسفساء

مدرا يا حادق واش قلبك عن محبوبو اشفيق من حالو شافق
ياللى غيرك ما نهواه
بالقول الصادق يالندر عوضك مالى اصدق لن حبك سابق
افلكان امورث مثواه
والسابق لاحق امن اجبينى كتب اقلام اترقيق سبجان الراق
ما يواخذ عبديو بخطاه
وقد وقفنا فى أوراق للشيخ أحمد سهوم على قصيدة فى رثائه لم يذكر
ناظمها ، نسوق منها هذه الابيات :
وكتب لعيون يا حبيبى من لدموع
والقلب من لفراق محسبوك امتطوع
والجسم ابد العذاب يا سيدي مصروع
والعقل امع الضمير بالشوق اتزعزع
واسيارى واهنا اوجدانى ملسوع
والنفس املاحقا امصدري المبيع
والروح السايبر امع النعش المرفوع
يمنا تسخا ابذاك لطرييح اترجسع
الصبر اعلى لفراق ما عطاني طوع
بعد ما كان عند الشدات امطوع
باكى شاكى افريد ما رايم لجموع
اقين ناصبا ومسى صرع

محمد المدغرى المكنى العيساوى الفلوس

آخر كبار أشياخ فاس ، توفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف
وهو دون الستين . اتسخنا غير قليل من قصائده من كتابنا لحد حفاظ
شعره كان يشتغل معه فى الدرازة هو السيد ادريس المرونى الفاسى ،
كان ينظم فى كل العنون ، ولكنه اشتهر بالقول فى الموضوعات
الدينية ، ومن خير الامثلة على ذلك قصيدته التى يقول فى حربتها ، وهى

فى مدح الرسول عليه السلام :

صلى الله اعليك ياالتقى محبوب الباقي * يا مولد الحجا الواثق
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى * لغرامك لخلاق شايقا
وقصيدته التى يقول فى الشوق للديار المقدسة ، وهذه حربتها :

يا مولى زكى اسمى باسم الحاج * ابجاه من حج وطاف وزار حرم طه
وقد اشتهر كذلك بقصائده الوطنية ، ومنها هذه القصيدة التى مدح بها
محمد الخامس ، وفى حربنها يقول :

دام الله ايام صولت النور المحمدي

من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد

حاز الفخر ومجد ولزيا نجل المهتاد

سلطان المغرب بوربا سيدى محمد

ومنها قصيدة «النجمة» التى رمز بها للحرية ، وقد جعل الليل والنهار

يتصارعان من أجلها ، يقصد بالليل الاسنعمار ، وبالنهار الوطن ، يقول فى
حربتها :

سمعوا يا حضار ما جرى للمضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكم

وانصار الضى وحازها الرسمو وانحاز اللوم

وقد ذكر لنا الفقيه السيد محمد بن الهاشمى الفاسى - وهو من حفاظ

شعر الفلوس - أن كثيرا من قصائد هذا الشاعر الوطنية ضاعت بسبب

احجام المنشدين عنها لخومهم من سلطة ادارة الحماية ، بل ان الفلوس نفسه

خشى الامر بعد أن حذره رجال السلطة فأخذ مجموعة من قصائده الوطنية

ودفنها فى احدى المقابر حتى لا بعثر فى بيته على شيء منها اذا ما فتش ،

علما بأنه كان غالبا ما يخفى اسمه «محمد» فى قصائده بمثل هذه الرموز :

(1) اسمى لللا والبا .

(2) اسمى كعب .

(3) اسمى عبك .

وهى كلها كلمات مجموع قيمة حروفها اثنان وتسعون ، وهى قيمة

حروف م ح م د ، ولكن السلطات الاستعمارية كان لها من عبورها
وحواشيسها من يدركون مثل هذه الرموز .

بنعمسي السدرازي

أكبر زجالي مدينة مكناس منذ بداية القرن ولا زال . وهو رحل
من يهاجر سمادين ومي كان شغل بالدرازة ومنها اكتسب لقبه ، زار
في بيتا بناس سماد أملي علينا حلالها بعض قصائده وقصائده غيره ، وأفادنا
بأخبار ومعلومات كثيرة يتصل حلها بمعاصريه .
يكاد كل شعره يكون في الغزل ، ومن قصائده التي يعتز بها «زهرة»
التي يقول في حبيبها :

بمزاري همزاري بي جدلي بوصالت نبرا

سا مولاتي رهرا

ويقول في دخولها :

سلطان حبك اسكن لي فصميم السيار

يا راحت لعقل يا قرت لبصار

يا طلوع البدر السيار

شف دمعى هاوى مدرار

ورخ اسطار

فوق لخدود بجهار

والبين زاد حسرا

وكند جمرا

اكدات حمرا

ما تطفيا امياه لنهارى

ولا اطييب يوقى من ذا التشحار

خضاري خضاري * افا وبرجا مول الفدرا * يشمى ذاتى تبرا

الحاج محمد بن عمر الملحونسي

شيخ أشياخ مراكنس ، زرناء في بينه حيث قضيا معه يومين أملي

سُبْحًا وَبَارِئًا قَدْسًا يَاقُوتَ الْبَرِّ

وحدوده من بعد از آنکه منتهی شد

في ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ

كما ثبت هذه الإيات من «أمنيسا» :

— 51 —

الطريق إلى

[illegible]

لا بد ان يكون المحامي ذا خبرة في العمل

کیمیت انقیب ولہدات : منظر مکہ مدنی

امینا قلمی میلان . ————— راجہ سزان

المسألة الأولى: ما هو الفرق بين التفسير والتحقيق؟

أكبر شيوخ الرباط المعاصرين ، ومنهم كانت تشهد اليهم الرحلة

والأسف لنا لم ندرکه چیست کاف قد توفی حد. بلدنا یعنی بهذا الفن .

كان كثير المهتمين في الالتزام بسببية والإحصائية على حد ما تكشف

ثم، فمجيئة له في التوبة ، يقول في رسالته

یا طالب المسکن بمسکنی ۱۵ فقرہ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلسه ۱۴۴۴

والسلي زاد ابيهم

فَالْوَا نَاسِ اَزْمَانِ دَرِ اَمَّا عَشَرِ اَلْاَلِ . تَحْمِيصِ

لو طاروا جحشان ما بدی فیدرا مشهور است

و شش ایامی در این ایام کیداین امر معروف عندنیست

من غیر من گره اغلب ایپدر املی

مسائل اجلی : _____ و الحادیث : ایضاً بروک : بغایت مستعجاب

وانصت للقسراء لا تحسن على لهوام مؤمنين
 واحزن هل احسان ❧ احسان او دعيت خير عملا
 لا تشهد مصداق ❧ مصداق الى سؤل امةتنا
 لا تعمس عرب ❧ غير ربح الى هر اسباب اذنتنا
 لفسق واشيطان ❧ خالف امرهم قبل اشاهد لنا
 ومن شعره في غير هذا الموضوع قصيدة في الهجرة النبوية ، هذه
 حريتها :

يا محمد يا خير خلق الله ❧ صلى الله اعيت يا طه

عبد القادر الجراوي

من كبار أشياخ الرباط وأحد أعضاء جوق الاذاعة للطرب الملحون ،
 وهو تلميذ الشيخ عثمان الزكي ، تذاكرنا معه غير ما مرة فأفدنا منه ؛ ولعله
 أكثر الاشياخ المعاصرين ثقافة ومعرفة بأصول الزجل وقواعده . له ذكان في
 حي قران الزيتون ببيع فيه الدقيق ، وكان من قبل يحترف فيه النجارة .
 من انتاجه قصيدة في أزمة البون «بطاقة التموين» يقول في حريتها :
 حرب ابقت ليزار والفاخر
 والزيت والسمن والصابون امع السميد عاد اهموم السكر
 وقصيدة في الذكر حريتها :

اللهم صل على النبي راكب البراق

محمد الزكي نعم المجيد ،سقى
 وله في معارضة «الداعي» (I) لعباس بوستة لمراكشي قصيدة هذه
 حريتها :

تأج بشار السعد ومرحبا اكمن

ومن اظلمنا القى افعالو واعمالسو

سويس رام لو ❧ ولى عند الناس فالمهلا

(I) وحريتها :

راب سور الدعى واتشيت الشمل ❧ وارجالو ما جزوا ليه اعلى مالو
 جاء عامللو ❧ لمرقى شانو افكل اعمالا

وفي أحد أقسامها يشير إلى فرنسا وما لاقت من ويلات في الحرب العالمية
وما واجهت من الوطنيين في حركة «اللطيف» المشهورة ، فنقول
يا من أعما كملو بثقال الدحمل * فالحين ارميه جاب ربي حمالو
اللى ايجملو * ملا كان افطرفو لحمالا
غير جابر كان امن بجور ليس من * ويقول اهمام ابلجيوش وعمالو
ومن حتملو * وارضوا اشروطو ابغير ايما
كان ظنو باى دالشرط ينكمس * لكن الله جاب لو من رتمالو
ابشر دام لمر * بسيوف اللطيف والبسملا
بعد عزو فيامو صادف لهمل * ضاع املكو وزاد يهلو وابمالو
الهم شاملو * عاد يشتبى طرقت احمالا
بات ملك واصبح يتكس لخمى * ويختم فى بلاه شى ايكون اعمالو
واسقام لو * ليس اوجد لبدو اولا لكمالا
ومن اروع شعره قصيدة «ألف باء» تنسج فيها حروف الهجاء ، ليس في
أول الأبيات بحسب وإنما في القافية كذلك ، يقول في حريتها :
يا راسى من لورار تب * واسترجع من وهم لعبوب
تنتهى واترك فعل الذنوب * خاف الله التوب
بيدها بقوله على حرف الالف :
اسم المرنى فالمسرا * ساس النظام افما انشما
واللى بها جيحو املا * يدرك بها مرتسبات
لى أن يقول على حرف الياء :
يارب كمل لى ارجساي * جاوز عى ومجى اخطاي
يوم اسوالى ايجصرو امساي * ليس يعجز ابلجواب
ثم يختتمها بتوسل يتشع فيه لحروف على هذا النحو :
بالالف الف بيننا * وآتى بالبصر الديننا
اسحو مهاج انقيس * يعود حكمنا علاب
بالا سر امر ضعيف * عبه القادر يمشى احميف
... .. سم يمسع سمساب

« صيغ الرقص » تحت عنوان « الرقص » في كل الأبيات ، ولكنه نوع في قوافي الاضطار الثلاثة لاولى من كل بيت . وقد ذكر لنا أنه يطلق على هذا الاسلوب اسم الدربلة والعزودة والمرشوش (I) واشيخ الحراري بعد هذا مشهور بقصيدته في « المعراج »

لصديقي الشيخ محمد بن عبد الله

شيخنا الشيخ محمد بن عبد الله « حيدر » « الطرب الملهون » بالاذاعة المغربية ، وهو على قبط لا يسى به من « حيدر » « حيدر » في السموي الرابسية للخطر ، أطلعنا على بعض كنايشه التي « حيدر » « حيدر » أكثر نظمه في الغزل ، من ذلك قصيدته « فورية » التي يقول في حريتها :

صل بجمالك عن جميع لبنات يا قلب الرابيا
ياخدود الورد المفتوح ياغزالي فوزيا
وقصيدته « نزهة » وهذه حريتها :

أش بزها من لايزها ايزين مولاتي بزها
أش را من لاغنم مع لغزال فرجا وانزاهها
وقصيدته « كريمة » وفي حريتها يقول -

جسد الغايت لمرام « يا مصباح الخودات لالا كريميا
بردنسي رانا المشروم « نضحني سالي مكروم
ومن أروع قصائده « لحيام » ، يقول في حريتها :

بالله لأحيام ادي عنواني امع السلام
لسبغت النواجيل آمنة زينت السميما
و « الحاتم » وحريته :

خاتم ولقي تاح لبها توتر وامشني لي -

كيف المعول ايلا اتسالم عنو درت لجمال
كما أن له بعض القصائد ينظمها في المناسبات الوطنية كقصيدته التي قدم في الصيف الماضي بمناسبة ذكرى « ثورة المدك والشعب » في العشرين

(I) الدربلة المرقعة ؛ العزودة : دودة سموداء مخططة بالأصفر ؛ المرشوش

من غشت ، والتي يقول في حربها :
من اعظمها ذكرى يأمن الشمال تاريخ امخلد
وردة التي مع شبيب يوم : ١٠٠٠
لكن المولى بعد ذلك : ١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠ من ... من ... من ... من ...
١٠٠٠ من ... من ... من ... من ...
الفضل أن تسمع من أسماء بعضهم مرة واحدة حسب مدني :

أولا : هراكنس :

١ - العباس الحرار : صاحب «الشبيبة» التي يقول في حربها :
بالعاط فاحوال القانيا استرحم : شرف الدنيا بعد اكلها 'بب'ضدت
وبه «الفجر» ، يقول في حربه :
تلك جفنتك يساينايم : قم اودى حق الكريم من لادم
مولانا خيرو دايم

وقد وصف له من قصائده على «الوصاية» وعلى قصيدة فخرية .

2 - احمر عباس : ... في قلب القصائد ومسخها ، وقد
سبق أن مثلنا لذلك (2) .

3 - عباس بن يوسف : كان قروجيا ، وفقنا من شعره على ثلاث
قصائد ، اصداق في أحول الناس وأنتن نبي الهجاء . - كذلك قصيدته
التي يقول : ...

تقرب من تقرب مع لفاريس : الغرب اشريب سايرا فيه اغرور
من اغرايو عن اهلو غربا

كان ... من ... من ... من ...
... من ...

(1) انظر دليل الملحق بالرسالة .

(2) انظر آخر ... من ... من ... من ...

يحصد حب الكذوب من أزرع المحال

4 - محمد الروداني ، له «خديجة» ، وفي حربتها يقول :

ياهي رغبو غيا نوشفار وداحسا ۞ شمس الضحا الواصح كمرأ في داح

في داحي في داحي كان راجي لك الخدوج

5 - محمد بن موسى الشريف : كان بارعا في النظم على وزن مكسور

الجناح ، ومن شعره نسوق هذه الابتهالات :

مرعت في ابواب رحمتك هاذ لخدود

وانويت فبك يا سيدي طن اكميل

ايلا اعصيت أنا عبد ادليل

طامع فالخير اقريب اجزيل

ما بحاف امن الدنيا ايلا اصفات ايماني

ومن اطلب شي يقصدو ايلا اصفات النيا

وقد وقفنا من قصائده على : «لزال محمد» و «الحجامة» و «زينب»

6 - عبد الرحمن بن الحاج الطاهر : كان دباغا ، توفي منذ نحو ربع

قرن ، له «شمعة» ولكنه جعلها خصاما بين بنت البئر وبنت البحر ، اذ

أن الشمع اما ان يتخذ من شهد النحل أو مسحوق السمك ، وهي فريدة

من نوعها ، يقول في حربتها :

غنمي عايت لفراج الشمعا بك أبنت الطميم لخلق زاهيا

عیدی لی سبت لبکا من قادم للآن

7 - ولد احجاسم .

8 - مولای ابيسه .

9 - محمد بن لكبير . من كبار الاشياخ المعاصرين ورئيس «جمعية

هواة الملحون» ، قابضاه في احدي زيارتنا لمراكش ، وهو مسن يناهز الثمانين

ومن قصائده التي يهمن بها قصيدته قسي حرب فلسطين الاخيرة

وهذه حربتها .

الده أهل لسلام بادروا بالتوبا واستعصروا وطلبوا مولانا

يصجى هذا الغما اعلى لجميع ايشقى لمصائب

.. محمد صابر الشرايبي ، الشهير بتقدمته «مول الكمية» المعى

قالها في الشيخ عبد العزيز السباع . ونذكر - ونحن في سن الطفولة - أنه كان يزور السيد الوالد كلما حل بالرباط وأنه كثيرا ما كان ينشد قصيدته المشار اليها و«الغياشية» ، وكنا نحفظ غير قليل من أبيات القصيدتين لكثرة ما كان ينشدهما .

وهو ينظم في المعرب كذلك ، ومن شعره فيه قصيدة يمدح بها السيد فتح الله بناني الرباطي شيخ الطريقة الفتحية الدرقاوية ، يقول في أولها :

آل فتح لكم جمال بديع « طاب أصلا ومنه طابت فروع
لائحا في الوجود بدرا منيرا « ماله مشبه ولا من يروع
طلعت شمس على الكل بالفتح يراها « من كان فيه ولسوع
طبق الارض ذكره وله « في كل افق من الفتوح جموع
بل ان اللغة المعربة كانت تطفئ عليه حتى في زجله على حد ما يبدو

من الابيات الاولى لقصيدته «مول الكمية» حيث يقول :

أمول الكمييا « لله غير اعليا
اطلب ربي فبسا « يوفى ليا قصدي
بك اتوسلت لله « وبجساء ارسول الله
قدرك ما نتمناه « اصالح السعد

II - محمد بن بوستة : من الاشياخ الناشئين ، قابلهنا في بيت شيخه الحاج محمد بن عمر بمراكش فأملى علينا نص «التويذة» التي اشترك في نظمها مع الشيخين ابن الكبير وابن عمر والتي تقول ردمتها (I) :
وادرك هاد لمريض باللفظ الخافي

ثانيا : فاس :

I - الهادي بناني : كان عطارا

2 - محمد الجابري : كان درازا وكان معروفا بالوجد ، له «فاطمة» .

3 - محمد لخلو : صاحب قصيدة «البون» التي حريتها :

يانعم الستسار « جد برحمتك ياكريم غشنا
توفى منذ سنوات قليلة

(I) للتويذة «ردمة» كالمروبي ، وهو الاسم الذي يطلق على آخر شطر .

4 - عبد العزيز بن ادريس الوزالي : وقفنا على قصيدة «سابع الشمس»
وأخرى في المدح النبوي ؛ ويقال ان له قصيدة في «الزهو» فاق فيها التهامي
المدغري . ومن أشهر شعره قصيدة في مدح الرسول عليه السلام ، يقول
في حريتها :

عول ياساهي اعلى الرحل احتال * اصغ الخابت الرسال هالك لشـال
واتعلق فاسحي اورك * سليل اترك لحـال

5 - عبد العزيز اعنون : وقفنا من شعره على «أم كلثوم» .

6 - محمد الشنقوي : له «الياسمين»

7 - العظم الدباغ : له التوسل الذي نقول في حريته :

عاري اعليك يا محمد * لله لا اتشافي فيا لعدا

8 - محمد الدباغ

9 - غلال العلوي : هو أخو محمد بن عرفة الذي نصبته حكومة
الحماية الفرنسية سلطانا على المغرب بعد أن نفت محمد الخامس . وهو
مقاول في البناء ، قابله في فاس ، ووقفنا من إنتاجه على قصيدة «المجدد»
من مطالع قصائده فوله :

انا تكلى فبالله يوقيني * لعديم الدائم من لا ينام اولا اترام اعيان
حيند لجاد الا ايحافيني * المالك لكريم الغنى من لا تنطرد من بادوسعيان
ومن قوله في المدح النبوي قصيدة هذه حريته

صلوا على الرسول التقى طه ايمام من ليفين

محمد الشميع اشافع من جا ابشين بالفران

ومن شعره في الوعد قصيده «الفجر» التي يقول في حريتها :

يارب جد جدلي * بالتوبا أباسطه المستر
نخلف ما ضاع افلعمير * نفدي ما صماغ لـي
اخطيا وانعود امقابل لفجر

أخبرنا شيخ مراكش الحاج محمد بن عمر المدحوي أن الشيخ

أحسن زحالي فاس المعاصرين .

10 - عبد القادر الودغيري : تصيّد بوزيان ، كان درازا في فاس ثم

أحسن في مدح «الودغيري» .

لَوْ هُوَ إِلَّا بِنَاؤُهُ أَمْفَادُ الصَّغِيرِ فَاللَّهِ

عند باب التوحيد احميس حق بحميه

لو ايكون فحلقوم اللت فاتح المساه

يَحْضَا ابْقَادَةَ السَّمِيعِ مَا يَحَادِيهِ

ولو ایگون اقمصیب الحار حاط بعضاه

تبعی افادی ابراہیمیم ما اثا دیسہ

ولو ایكون اعلى نحره من سيف مضاعف

ينفذ مقدمي اسماعيل طوع أبيه

ولو انكون ادخل بطن الحوت بسبت اخطاه

منقدا مفیدی ابن کعبان یونسی انجیمہ

هكذا حال من اختبروا الحبى مناز

لصیر پنحاز افر اجو ایبادر ایہون

ومن شعرة الغنائي قصيدة «جمهور البنات» وفيها يقول :

آش را من لا را چشیدم

والباقي فالزهو الا فيها بماس

د کورنۍ د خدمت په برخه کې د ژوند په پرتله

غير لو تاراجي الفنا اسمحيت سي من صوت الباهيات وكنض لحساس

حيث وقفوا للحرق فاحداث كبريتي ڀڄي ڏي عن هاڏي اتميس ڪفنن الباس

٢٦ - أحمد سهوم : من أشيخ فاس المقيمين في الرباط ، كان له

دليل مدينة خميس وستين وتسعمائة وألف برنامج يقدمه في الاداعة بعنوان

«ركن الادب الشعبي» استفدنا منه . وقد اطلعنا على بعض الاوراق والتقايد

فأخذنا منها غير قليل من النصوص والمعلومات ، وهيها وففنا له على قصيدتين :

أحدهما «محكمة الضمير» والثانية هي تحية مؤتمر القمة العربي الذي

اعقد بالدار البيضاء في سبتمبر من السنة المذكورة .

ومن شعوره كذلك قصيدة قالها في مدح الملك الحسن الثاني بمناسبة

الدروس التي يعطيها في شهر رمضان المعظم ، يقول في حديثها :

بدر احب لرواح ولقدوت امم لفقار

والمهجات ولكباد يا رمز وحدة شعبنا

يا تاج اوطانا الحسن الثانى

وله من القصائد الغزبية «سعاد» ، وفي حريتها يقول :

يا لى سعدى بك اسعاد * فى اركابك سايير لسعداد

سعداتى ياسعاد منك اسعدادى * سعد سعدى بهلال اسعود السعديا

ثالثا : الرباط :

1 - الشيخ فاضل : كان حجاما

2 - الشيخ التهامى : ابنه ، ويذكرون أن له قصيدة جفريه قالها
فى التنبؤ باحتلال فرنسا للمغرب تسمى «الموبدو» ، والاسف أنا لم نهتد
اليها

3 - المعطى بن صالح الشرقى : وقفنا من شعره على قصيدتين فى
«الذكر» .

4 - محمد بن احمد الشرفاوى : شيخ عثمان الزكى ، له قصيدة فى
قبة بناها السلطان الحسن الاول يقول فى حريتها :

نرحوا يا اهل النيا جل افرايح * اعلى فرحتنا يفرح كل اوطان
اعلى قبتك ومولاي الصالح * بانيتها لهما سيدنا مولاي الحسن

5 - الشيخ محمد الضعيف : وقفنا من شعره على قصيدة فى مدح
الرسول عليه السلام .

6 - التهامى بنانى : كان «مجادليا» أى حرارا وكان من الدكرين
وأهل الجذب ، وهو شيخ الريش

7 - المكى الريش : كان ينظم فى الذكر وهذه حريبات بعض قصائده

أ - اللهم صل اعلى لحبيب المحبوب اسنى * محمد خير لورى انعميقو

ب - يا عشاق النبى الماحى * صلوا وسلموا اعلى كوكب للماح

ج - تهاميا ناسى لحسان * تسعى من قلبى ولسان

نحارا يا قندل وزان * يا مولاي عبد الله

8 - بوعزة الدريكي : من قصبة الودايا ، اشتهر بقصيدته الحسى

حريتها .

عذروني يا هلي ولاش اتعودى هكذا افحالي

سروا خلوا كل حال ايسير اعل حالـ

9 - محمد بن يوسف : اتمنح لنا من شعره قصيدة في المـ

السوى .

10 - محمد الفلوس العلمى : كان خرازا ، اشتهر بالذكر ، وهذه

حربة بعض قصائده فيه :

ا غنى ابنى هـادى صبرا وسيموا اعل شافع لعباد

11 - الشيخ احو اشتهر بقصيدته «رهره» ابنى يقول فى حرمـ

اب اهرارم اذن من اسلطان سور

اللا اهرور

من بك طلعت الزهرا وانت لا ازهرو

12 - الطاهر افير : كان حرارا

13 - ادريس بن يوسف : ويعرف بالفيط مازال على قيد الحياة

ويقول فى المناسب

وايسا : سالا

1 - أنجار : صاحب «الدهبية المشهورة» .

2 - محمد الشيخ : له قصيدة «الكاس»

3 - الحاج محمد بن على : وهو غير محمد بن على اسنيوى نزيل عامه

المدينة ودينها

4 - العربى معينو : ذكر الادريسي فى «كشف القطا» (I) أنه كان

صاحب كتاب قرآنى .

5 - الشيخ البرى : له «المرحول» لزيده بعض الصالحين .

6 - حمان النجار

7 - حسن البقوبى : اشتهر بقصيدته «العصرية والزمنية» .

خامسا : ازمور :

1 - احمد بن ربه وقفنا من شعره على قصيدة «الشمعة» . له

قصيدة في «الزهو» يقول في حربتها :

الزهو فكتوب التنزيل والسرار الي موهوبا من لجيل العالي
ولعراسا في هل لعقول

2 - البصر الزموري : انتقل الى العرائش وبها زعمى ودعى . يقال
ان له «بحران» و «الادريسية» و «اليوسقية» وعلى قصيدة في
سبنا يوسف

3 - ادريس الزموري : يعتبر من كبار الاشياخ ، وكان شعره به
لاتصاله بسطة الحماية ومدحه لرجالها وأعوانها . وقفنا من
شعره على قصيدة قالها في تدشين محمد الخامس لمدرسة باب
شالة . وهو أخو المرحوم أحمد الزموري الذي تولى قضاء مدينة
الدار البيضاء .

سادسا : تطوان :

1 - محمد المودن التطواني : له قصيدة في مدح محمد الخامس .
2 - محمد حسن : أمدا بغير قليل من النصوص ، وله قصيدة في
ذكرى المنظري مؤسس مدينة تطوان .

سابعا : أسفى :

1 - ابراهيم السوفاني .
2 - محمد بن علي الدمناني : انتقل الى أسفا وبها زعمى ودعى ، وقفنا
على جملة من قصائده .

ثامنا : وزان :

عبد العزيز الوزاني : أحد أشياخ هذه المدينة وعمائها ، له قصيدة
في الشوق لزيارة البقاع المقدسة يقول في حربتها :

الرياح في اصلاطو هما واتجارا
أيارب لعباد كمل قصدى بمشى النجح ونطوف
ونشاهد لبقيع والبيت وعرفا

تاسعا : شفشاون :

محمد العلمي ولد زبطانة : وقفنا عن قصائده على «فاطمة» و «التوبة»

مصادري : قصصهم لئلا يصيبنا .

مصادري أحمد بن الحسين : ذكر الأديبي في «كشف القفا» (I) أنه من طلبة عبد العزيز المخرأوى .

السادس عشر : صفرو :

الحسين بن محمد : يقال أنه نظم في إحدى الليالي سب قصائد في «الغنى» ، ثم مات في سنة ١٠٠٠ هـ في خمسة عشر عاماً .

السابع عشر : بسني هلال :

مولاي عبد الرحمن بوطيب .

الثالث عشر : الدار البيضاء :

مولاي أحمد بن عبد السلام العوي : من علماء هذه المدينة العدول ، اطلعنا على ديوان له نظم أغلب قصائده في فترة الشباب وقبل أن يسافر دراسته بالقرويين . اتصلنا به أكثر من مرة وحاولنا مذاكرته في الفن ولكنه كان يصرح لنا بأنه لم يعد يحوز فيه .



وهذه ، فإذا كان لنا أن نقول كلمة عن القصة الزجنية في العصر الحديث فهي أنها تجددت في صور ونماذج غدت لها سيطرة على هؤلاء الاشياح الذين ذكرنا وعلى غيرهم ممن لم نذكر ؛ خضعوا لها مشدودين الى من سبقهم من الشعراء ، يتبعون ظلهم ويحتدون نمادهم ، قانعين برؤيتهم لا ينظرون الا من خلالها ، ويتعابروهم وأساليبهم لا يحدون عنها ، عاجزين عن الانطلاق في ميدان التجربة والابداع ، لا نجد عندهم غير أفكار وصور متكررة تنردد بنفس اللفاظ ، بعيدة عن احساسهم الذاتي وعن روح العصر . وحتى الذين هموا بتجربة ما لديهم لا يحاولون استيعابها والتعبير عنها من خلال واقع حالهم الوجداني وتعمقه لاستخراج أفكار ومعاني وأقوال جديدة ، ويكتفون بالنظر الى ما عند غيرهم يقتسمون منه دون محاولة لتكييفه أو تطويره ، وذلك يسمى دحس الجمرات وسقليد ، لا يعقبها الا الفناء والموت .

المصادر

مصادر عامة

أولا - المخطوطة :

- 1 - ابتهاج لقلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب
لعبد الرحمن العاسي
خزانة الرباط العامة : نسختان 326 ك - 2302 ك
- 2 - أعلام الفكر المغربي المعاصر في العدوتين الرباط وسلا
لعبد الله بن العباس الجراري (والدنا حفظه الله)
مخطوطة المؤلف (الخزانة العباسية)
- 3 - الاقنوم في مبادئ العلوم
لعبد الرحمان العاسي
خزانة الرباط العامة : نسختان 21 د - 15 ك
- 4 - بلوغ الامل في فن الزجل
مخطوط الزينونة 4467
- 5 - ثمرة أنسى في التعريف بنفسى
لسليمان الحوات
مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد أعراب
- 6 - جميع نوامس الكنيسة والقانون المقدس
المكتبة الوطنية ببيدريد 4879
- 7 - الحسام المشرفي في الرد على اكنسوس المراكشي
لمعربي المشرفي
أ - مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 2276
ب - نسخة مصورة بخزانة الرباط العامة رقمها 1207
- 8 - الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا علي الشريف من المحاسن
والمفاخر
لابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالي الشهير

بالكردودي

خزانة الرباط العامة رقم 1584 D

9 - الروض الفائق بأزهار التسميم والمناجيح (ديوان شعر معرب)

للحاج ادريس بن علي السناني لحش

خزانة الرباط العامة 1378 ك

10 - روض الآداب

لأحمد بن محمد بن علي بن علي

مكتبة أيا صوفيا (السيمانية - اسطنبول) 4017

مكتبة أحمد الثالث (قصر توبكابي - اسطنبول) 2293

مكتبة راغب باشا (اسطنبول) III5

11 - رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد

لمحمد الطالب بن الحاج

خزانة الرباط العامة 396

12 - سبع الورق المنتجة في جمع الموشحات المنتجة

للمسحوي

مكتبة فاتح (السيمانية - اسطنبول) 3918

13 - السفينة (الجزء الرابع)

لمبارك شاه

مكتبة الله Feyzullah مكتبة ملت Millet (اسطنبول) 1612

14 - شرح على نونية أبي الحسن الششتري

لاحمد رزوق

مكتبة دير الاسكوريال 4186

15 - شرح عقيدة العقيدة لشيخ التلمساني وتسمى : «الاداب

الرفيعة في شرح العقيدة» ، وان شئت قلت الدرر الاثقة في شرح

العقيدة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية»

لمحمد بن ناصر المعروف بابي رأس

خزانة الرباط العامة 1656 د

- 16 — العاقل الحال والمُرخص الغالى
لصفى الدين الحلى
مكتبة بايزيد (اسطنبول) 5342 (علما بأنه مطبوع ، نشره
هوينرباخ)
17 — العقيدة الادبية فى السبعة فنون المعنوية
لاحمد الرباط
مكتبة اسمعاد أفندي (السليمانية — اسطنبول) 2867
18 — فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح المختار
لابراهيم التادلى
خزانة الرباط العامة 3285 د
19 — فهرسة
لمحمد التاودى بن سودة
الخزانة العباسية رقم 3388 (خزانة السيد الوالد) .
20 — كتاب الحايت فى الموسيقى الاندلسية
الخزانة العباسية (غير مرقم) .
نشره فرناندو مارتينيز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايت فى
التعريف بالنبوت وترحمته دون ايراد النصوص (انظره فى
المطبوعات الاجنبية) .
21 — كتاب مجموع موشحات .
مكتبة ايا صوفيا (اسليمانية — اسطنبول) 2243
22 — لحن انعامه
لابن هشام اللخمي
مكتبة دير الاسكوريال — نسيختان : 46 — 99
23 — مجموع قصائد وموشحات فى المديح النبوى مرتبة على نوبات
الانشاد .
لاحمد بن محمد العربى احصرى المراكشى (مخطوطة خاصة
بالكاتب)

24 - مسالك الإصدار وممالك الإصدار

لنعمري

جامعة اسطنبول AY 4355

25 - مطومة في الموسيقى

للحوات

المكتبة الملكية بالرباط 4229

26 - موسوعة المغرب العربي (يشرف عليها المكتب الدائم لتعريب بالرباط

مادة : الآلة (اموسيقى)

لعبد الله بن العباس الجرازي

27 - النور اللامع البراق في ترجمة محمد الحراق

لمحمد بن العربي الدلائي الرباطي

مكتبة تطوان العامة (وتوجد نسخة بخزانة الرباط العامة

رقمها 960)

ثانيا : المطبوعة :

أ - الكتب العربية :

28 - الابتهاج بوز السراج (شرح على مطومة سيدي العربي المستري)

لاحمد بن المامون البلغيشي

مطبعة محمد أفندي مصطفى - مصر 1319 .

29 - ابن سناء الملك أو مشكلة العقم والابتكار في الشعر

للدكتور عبد العزيز الاهواني

مكتبة الانجيو المصرية - القاهرة 1962 .

30 - البيان والتبيين

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1948 .

31 - البيان المغرب في أخبار المغرب

لابن عذاري المراكشي

طبعة لبنان

- 32 - اتحاف أعلام الناس بحمال أخبار حاضرة مكناس
لعبد الرحمن بن زيدان
الطبعة الاولى - الرباط .
- 33 - أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
للمقدسي
طبعة ليدن 1909
- 34 - الاحكام في أصول الاحكام .
علي بن حزم الطاهري
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - مصر
- 35 - الزاوية
للتهامي الوزاني
مطبعة الريف - تطوان - 1942
- 36 - أزهار الرباط في أخبار عباض
لاحمد المقرئ - تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد
الحفيظ شبيبي نشر المعهد الخليفي للابحاث المغربية - بيت
المغرب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1940
- 37 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
لاحمد بن خالد الناصري
طبعة القاهرة 1894 - طعة دار الكتاب 1956 (الدار البيضاء) .
- 38 - الاعلام بمن حل بمراكش وغمات من الاعلام
لعباس بن ابراهيم
الطبعة الاولى (المطبعة الجديدة) فاس 1936 .
- 39 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب
لمحمد بن الطيب العنمي
طبعة حجرية
- 40 - الانيس المطرب للقرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس

لمحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن أبي زرع

طبعة حجرية

41 - تاج العروس من جواهر القاموس

لمحمد مرتضى الزبيدي

42 - تاريخ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر

لمحمد المحبى

المطبعة الوهبية - مصر - 1284

43 - تاريخ عمدة الرحمن بن خلدون (كتاب العبر وديوان امبستدا

والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى

الشان الاكبر)

مطبعة بولاق

44 - الترحمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا

لابى القاسم الزياتى

نشر عبد الكريم الفيلاى - وزارة الانباء - المغرب 1967 .

45 - التشوف الى رجال الصوف

ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن الزيات - تحقيق

أدولف مسور

نشر معهد الابحاث العليا المغربية - 1958

46 - تفسير القرآن العظيم

لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

الطبعة الثالثة - مطبعة الاستقامة - القاهرة 1375 (1956)

47 - جنوة الاقتباس

لابن القاضى

طبعة حجرية

48 - جواهر الكمال في تراجم الرجال (القسم لثاني من كتاب

أسفى وما اليه)

لمحمد الكانونى

لطبعة العربية - الدار البيضاء

49 - دائرة المعارف الإسلامية

الترجمة العربية - القاهرة

50 - دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

لمحمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر

طبعة حجرية

٥١ - ديوان أبي الحسن الششتري

تحقيق الدكتور علي سامي النشار

الطبعة الأولى - الاسكندرية 1960

52 - دكریات مشاهیر رجال المغرب (العدد السابع)

لعبد الله شنون

53 - الرحلة

لابن بطوطة

طبعة باريس

54 - رسائل اخوان الصفا وخلق الوفا

لاخوان الصفا

طبعة صادر - بيروت

55 - رسائل موحدية

نشر ليفي بروفنسال

56 - ركب الحاج المغربي

لمحمد المنوني

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1953

57 - رياض النفوس

لابي عبد الله المالكي - تحقيق د . حسين مؤنس - القاهرة 1951

58 - الزجل في الاندلس

للدكتور عبد العزيز الاهواني

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957

59 — السعادة الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشيه

لمحمد بن عبد الله الموقت

المطبعة بحلبه — مصر — 1341

60 — سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر

لابن معصوم

طبعة مصر

61 — الشذرات (التقاط الفوائد وغرر العوائد)

لمحمد مرضى السمانى

مطبعة بوشنتوف — الدار البيضاء

62 — صفوه من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر

لمحمد الصغير الافرانى

طبعة حجرية

63 — العقاطيق الشعبية

جهجة صدفى رشيد

نشر اللجنة الموسيقيّة العليا — سلسلة نرائنا الموسيقيسى

القاهرة .

64 — العربية دراسات فى النقة واللهجات والاساليب

ليوهان فوك Johann Fück ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار

مطبعة دار الكتاب العربى — القاهرة 1951

65 — فى اللهجات العربية

للدكتور ابراهيم أنيس

الطبعة الثانية — لجنة البيان العربى — القاهرة 1952

66 — القاموس المحيط

لفيروزبادى

67 — قصة الموال

لميلاد واصف

القاهرة

- 65 - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجنوب
تصنيف نور الدين عبد القادر
المطبعة الشعالبية - الجزائر
- 66 - كشف القطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء
لادريس الادريسي
الطبعة الاولى - الرباط 1935
- 70 - كشف القناع عن آلات السماع
لابى عيسى القوثى بن محمد الجزائرى
مطبعة جوردان - الجزائر
- 71 - الكنز المكنون فى الشعر الملحون
لفاضى محمد الجزائرى
المطبعة الشعالبية - الجزائر 1928
- 72 - لعن العوام
لابى بكر محمد الزبيدى - تحقيق الدكتور رمضان عبد الوهاب
لطبعة لاولى - القاهرة 1964
- 73 - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الاثير
طبعة الحلبي - مصر 1939
- 74 - المحاصرات
للحسن بن مسعود اليوسى
طبعة حجرية
- 75 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبى المحاسن
لمحمد العربى بن أبى المحاسن الفاسى
طبعة حجرية
- 76 - المعجب فى تلخيص أخبار المغرب
لعبد الواحد المراكشى - تحقيق سعيد العريان ومحمد العدى
طبعة القاهرة

77 - المغرب في حلى المغرب

لابن سعيد تحقيق الدكتور شوقي ضيف

طبعة دار المعارف - القاهرة

78 - المقدمة

لابن خلدون

مطبعة برلاق

79 - ممتع الاسماع في معرفة العرب لابن جرير الطبري ١٠٧٠ هـ

لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي الحسن النحسي

طبعة حجرية

80 - المناسبات

لمحمد بن أحمد الحضيكي

الطبعة الاولى

81 - المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم

الوارثين وظهر المهدي وتاريخ الموحدين

لابن عبد الملك البرجي المعروف بابن صاحب الصلاة - تحقيق

عبد الهادي التازي

82 - نشر المثاني

لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري

طبعة حجرية

83 - نقد النثر

لقدامة بن أبي جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد

لعباسي

نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1938

84 - النهاية في غريب الحديث والاثار

لمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير

85 - نوبة الاصبهان

نص من Aracadio de Larrea بمساعدة الفريق الإسباني

نشر معهد الجنرال فرانكو للابحاث العربية الاسبانية -

تطوان 1956

86 - نيل الابتهاج بنطيريز الديباح

لاحمد بابا الممبكتي

طبعة فاس 1317 هـ .

87 - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان

لاحمد بن خنكان

طبعة القاهرة 1355

ب - الكتب الاجنبية :

A. BEL 88

La religion musulmane en Berbérie (établissement et développement de l'Islam en barbarie).

E.F. Gautier 89

Les siècles obscurs du Maghreb

Fernando Valderrama Martinez 90

EL concionero de EL-HAÏK

Instituto General Franco de estudios E investigation hispano-arabe Tétuan 1954.

H. de castries 91

Les gnomes du Medjdoub - Paris 1896.

Jean Léon Africain 92

Description de l'Afrique

Ed. CH. SCEFER - Paris

J. Scelles - Millie et B. Khalif. 93

Les quatrains de Medjdoub le sarcastique, poète maghrébin du XVI S

G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

Louis Brunot : 94

a- Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain.

Mélanges W Marçais - Paris 1950.

- b- Introduction à l'arabe marocain. 95
G.P. Maisonneuve et Cie Paris 1950.
M. EL FASSI 96
Chants anciens des femmes de Fés
Editions Seghers - Paris 1967.

ج - المجلات :

- 97 - مجلة الاذاعة والتلفزة المغربية - العدد 12 السنة الثانية
يوليوز غشت 1966
(الملحون بين ماضيه وحاضره لاحمد سهوم)
98 - مجلة البحث العلمي - العدد الاول - السنة الاولى ، يناير -
أبريل 1964 (المغرب)
(الادب الشعبي المغربي الملحون لمحمد الفاسي)
99 - مجلة البحث العلمي - العدد الرابع والخامس - السنة الثانية،
يناير غشت 1965 .
(لغة الملحون لمحمد الفاسي).
100 - مجلة البيئة - السنة الاولى - العدد الرابع - غشت 1962
(المغرب)
(نظرة عن الادب الشعبي بالمغرب لمحمد الفاسي)
101 - مجلة تطوان - العدد الخامس 1960 (المغرب)
(من أدنا الشعبي لعبد الله كُتون)
102 - مجلة هسبيرس (المغرب)
Hespéris TX 19.0 Fas 1 (G.P.S. Colin : notes de dialecto-
logie arabe)
103 - مجلة هسبيرس
Hespéris 1938 1^{er} trimestre (M. T. Buret : «Sidi quaddur EL-
alami notes biographiques» dans : communications)
104 - مجلة الفنون الشعبية - العدد الاول - السنة الاولى -
القاهرة 1965

أ - (المأثورات الشعبية للدكتور عبد الحميد يونس)

ب - (الشعر الشعبي في تونس لمحمد المرزوقي)

105 - مجلة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - العدد الخامس 1957

(الدكتور محمود مكي)

Egipto y la historiographia arabico - espagnola

106 - مجلة معهد المخطوطات (جامعة الدول العربية - القاهرة)

المجلد الثالث 1957

(الفاط مغربية من كتاب ابن هشام الحمي في لحن العامة)

للدكتور عبد العزيز الاهواني .

Annales de l'institut d'études orientales Faculté des 107
lettres de l'université d'Alger T. 4 1938 - P 8

(مقال حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مرسي)

W. Marçais)

مصادر النصوص الزجلية

اولا : المخطوطة (مجاميع وكنايش)

1 - مجموعة الخزائن العامة :

1 - خزانة الرباط العامة :

108 - مجموع رقم 774 حرف د

109 - مجموع رقم 960 حرف د

110 - كاش رقم 1518 حرف د

111 - كاش رقم 1656 حرف د

112 - كاش رقم 2067 حرف د

113 - قصيدة رقم 1115 حرف د (الجمهور للعلمي)

114 - قصيدة رقم 1458 حرف د (دالية ابن رموية)

115 - قصيدة رقم 1480 حرف د (ذكر لعبد الورات)

116 - ديوان في البناء على حمدون بن الحاج (روضة النبلسر بناء

الناس عليه وبعض مفاقه التي هي أعظم من الادهر) : رقم

383 حرف د

- 117 - كناش رقم 108 حرف ج
118 - كناش رقم 595 حرف ج
119 - كناش رقم 1644 حرف ك
120 - كناش رقم 3027 حرف ك
121 - كناش رقم 165 حرف ق
122 - قصيدة رقم 1017 حرف ق (المياشية)

2 - مكتبة تطوان العامة :

- 123 - مجموع رقم 589
124 - مجموع رقم 866

3 - خزانة مراکش :

- 125 - قصيدة الكفيف الزرهوني في هزيمة أبي الحسن المريني
بالقروان في آخر مجموع رقم 184

4 - المكتبة الوطنية بمراكش :

- 126 - مجموع اشعار غير مرتب رقم 5307

5 - مكتبة دير الاسكوريال :

- 127 - مجموع رقم 523

ب - مجموعة الخزائن الخاصة :

1 - المكتبة الملكية بالرباط :

- 1-9 - مجموعة قصائد للمغراوي رقم 860
129 - كناشة عهد الله الشرقي رقم 5958
130 - كناش رقم 1502
131 - كناش رقم 2097
132 - كناش غير مرقم يضم قصائد لعبد الله الهبطي

2 - خزانة الاستاذ ادريس بن الماحي :

- 133 - كناش أغلب قصائده لعبد القادر العسمى (رمزنا له ب : م 1)
134 - كناش يضم قصائد للتهمي المسغري (رمزنا له ب : م 2)

3 - خزانة الاستاذ عبد السلام بن سودة :

135 - كناش (رمزنا له ب : س)

4 - خزانة الفقيه محمد الهسكوري :

136 - كناش رمزنا له ب : هـ

5 - خزانة الشيخ الزجال مولاي احمد بن عبد السلام العلوي :

137 - ديوانه (رمزنا له ب : ع)

ج - مجموعة الكاتب الخاصة :

138 - كناش رقم 1

139 - كناش رقم 2

140 - كناش رقم 3

141 - كناش رقم 4

142 - كناش رقم 5

143 - كناش رقم 6

144 - كناش رقم 7

145 - كناش رقم 8

146 - كناش رقم 9

147 - كناش رقم 10

148 - كناش رقم 11

149 - كناش رقم 12

150 - كناش رقم 13

151 - كناش رقم 14

152 - كناش رقم 15

153 - كناش رقم 16

154 - كناش رقم 17

155 - كناش رقم 18

156 - كناش رقم 19

157 - كماش رقم 30

158 - كماش رقم 21

159 - كماش رقم 22

160 - كماش رقم 23

6 - كماش رقم 24

161 - كماش رقم 25

ثامسا : المطبوعة :

163 - ديوان الاخضر بن خلوف (الجزائري)

164 - ديوان فائق ومجموع رائق للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي
طبعة حجرية

165 - ديوان محمد الحراق

1 - طبعة حجرية

ب - طبعة مكتبة المعارف بمكناس .

166 - كتاب نوح الازهر ووصف الانوار واصوات الاطيار ونغم
الاولاد .

Anthologie d'auteurs arabes

اختيار القال عبد الرحمان وبخوشه محمد

المطبعة المهدية - تطوان 1934

Sonneck - 167

chants arabes du Maghreb - 1885

A. Fischer - 168

Das liederbuch eines marokkanischen Sangers (Leipzig 1918)

ثالثا : النشدة : (نظر كدك فهرس الاذاعة الملحق بادليل)

169 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 18 (تسجيلات الكاتب الخاصة)

170 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 21 (تسجيلات الكاتب

الخاصة)

د	نصديير للدكتور عبد العزيز الاهواني
	مقدمة :
1	دوافع تناول الموضوع
2	متاعب ومصاعب :
2	موقف المهتقين
4	المصادر
7	منهاج البحث
9	عرض الدراسة
19	مدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي
20	أنواع الغناء في المغرب
21	انشاد القصيدة الزجلية
24	الآلات المصاحبة للانشاد
28	كيفية الاداء
35	طريقة السرد
37	شعبية القصيدة الزجلية
	الباب الاول : الشكل
45	الفصل الاول : مفهوم الزجل وأنواعه
46	أولا : مفهوم الزجل
46	معنى الكلمة
47	أصل التسمية
50	سبب استعمالنا لكلمة زجل

54	أسماء أخرى :
54	الملحون (أصل التسمية به)
57	العلم الموهوب
58	السجينة
58	لكلام
59	النظم أو النظام
59	النمير
60	القريض
60	لوزان
60	الفا
61	العلم الرفيق
61	كريححة
62	ثانيا : أنواع الزجل
62	تسميات مختلفة :
65	البرولة
67	العروبي
69	المزوكي
70	المسوال
70	السلامات
70	العيطة
75	الطقفوفة
77	اعيسوع
78	الدقة
79	غيوان بن يازغة
81	أبيات الحكمة

الفصل الثانى : اللغة والفنية

84

85

مراحل التعريب

96

نشأة العامية

103

خصائصها

104

خصائص عامة

108

ظواهر خاصة

111

جوانب بلاغية :

111

البلاغة والشعر العامي

114

التجنيس أو الجناس

115

التصريف

116

التضمين أو التلزيـم

117

النسب

118

استخدام نوع معين من الكلام

121

فنية الاسلوب :

121

التشبيه والمقارنة

123

الحركة والحياة والتشخيص

124

الحوار

125

القصة

126

الرمز

127

لمحات نقدية

130

الفصل الثالث : العروض

131

البحور :

131

أساس بحور الزجل

133

تفعيلات خاصة

135

المبـيت

140	مكسور الجناح
142	المشتب
144	السوسى
147	بناء القصيدة :
147	مقدمة القصيدة : السراية
149	أجزاء القصيدة
160	القسم الأخير
167	الدريكة
169	نموذجان للإيضاح
174	نظام القافية :
174	البراعة فى التفتية
175	القافية فى الأقسام
185	القافية فى المقدمات
189	القافية فى الدريكة
190	عيوب القافية
	<u>الباب الثانى : الموضوعات</u>
197	<u>الفصل الاول : المرأة</u>
199	أولا : المحبوبة
199	ألقاب وأوصاف
204	أوصاف عامة مفصلة
207	صورة مكتملة
217	أوصاف من خلال المفارقة
219	الوشم
223	ثانيا : المحب
223	الشكوى

233	الطاعة
235	المعانة
241	محاولة الوصول :
241	بالرجاء والاستعتاف
242	بالتعاب
245	بإرسال مبعوث
247	بالفضاء
251	بالحيل
257	لوصول:
264	ثالثا : الحب
264	صورته
266	حكمة من تجربة الحب
270	رابعا : ملاحظات :
270	التغزل في أكثر من واحدة
271	الغزل بالمدح
273	الرمز بالغزل
275	مدى الصديق في الغزل
277	الفصل الثاني : في الحياة
280	الخمر والطبيعة :
280	أولا : الخمر
280	أسماءها
282	أوصافها
283	قصتها
285	الساقى
287	نظام الشرب وأدبه

287	آواني الشرب
288	الوقت المفضل للشرب
291	مجلس الشرب
296	الرفقة
296	الاعراض عن الخمر
297	الاعراء بالشرب
300	الاستمتاع بمنذات الحياة
302	الاستغفار
303	الخمر الصوفية
305	ثانيا : الكون والطبيعة
306	1 - الكون :
306	الغروب
309	الليل
314	الفجر
315	بين الصبح والليل
318	2 - الطبيعة :
318	الربيع
320	الازهار والاشجار
324	مناسبات التنزه
325	ملاحظة : شعر الفكاهة
331	الزهد والحكمة :
332	النظرة الى الدنيا
335	الموت
336	الضييق بسلوك الناس
341	نصائح وتوصيات
345	أدب سلوك ومعاملة
348	الحفريات والتشاور

354	الاحداث والتأمل
369	ملاحظات :
369	مدى التجاوب مع المجتمع
372	الخطاب في الوعظ
375	قصائد للتذكير بعظمة الله
377	<u>الفصل الثالث : مع الناس</u>
378	المدح
389	الثناء
397	الهجاء :
404	هجاء متبادل
412	لعراض او المعارضة
419	الفخر
420	السولان (السؤال)
423	الخصام
441	ملاحظة : تخيل الخصام في غير الانسان
451	<u>الفصل الرابع : في همى الله والرسول</u>
453	حب الرسول
456	أوصاف الرسول وشمالله
466	المولد
472	الوفاء
478	المعراج
479	التصلية (الصلاة)
487	الغاية من المدح والصلاة
493	الشوق والحنين للبقاع المقدسة
501	التوسل

511	مدح الاشراف والاولياء
525	ملاحظة : العشق الالهى
531	<u>الباب الثالث : الاعلام</u>
533	<u>الفصل الاول : مرحلة النشأة</u>
534	أسماء ونصوص قديمة :
537	ابن غرلة
540	عبد المومن الموحدى
540	رميلة اخت عبد المومن
540	ابن خبازة
541	ابن حسون
543	ابن سميع
544	ابن شجاع التاذى
545	الكفيف الزرهونى
546	المنصور الاعمى
546	مولاي الشاد
547	عبد الله بن احساين
549	أصل القصيدة الزجلية :
549	الزجل الاندلسى ؟
552	الموشحات ؟
554	شعر العرب الوافدين ؟
555	عروض البلد ؟
556	الاغاني والمرددات الشعبية ؟
561	<u>الفصل الثانى : مرحلة التطور</u>

- 562 عبد الله بن احسان
567 حماد الحموي
570 محمد بن علي بوعهرو
578 الحاج اعمارة
581 محمد بن عبد الله بن احسان
585 ادريس المريثي
587 عبد العزيز المفراوي
592 المصمودي
594 ركود في نهاية هذه المرحلة
596 زجالون متصوفون :
596 عبد الرحمن المجذوب
597 محمد الشرقي
599 محمد بن يحيى البهاولي
600 عبد الله بن محمد الهبطي
601 عبد الوارث البياصواني
602 محمد بن ريسون
603 احمد بن غلال الشرايلي
603 زجالون جزائريون :
604 أبو عثمان سعيد التلمساني
608 احمد التريكي

609 الفصل الثالث : مرحلة الازدهار

611 الجيلالي اميرد
616 الحاج محمد النجار
619 عبد القادر بن عبد الرحمن بوخويص
620 محمد بن علي العمرواني

625	محمد بن سليمان
627	محمد بن قاسم العميري
629	عبد القادر العلمي
639	محمد الحراق
643	التهامي المدغري
649	بعض معاصريه
650	أحمد الكندوز
652	محمد الموقت
653	مولاي علي شقور
654	شاعرتان من شفشاون
655	أحمد بن علي الدكالي السلاوي
656	الحاج ادريس بن علي السناني لحش
658	أحمد بن عائش الحداد
659	محمد بوزيان
659	الحاج أحمد القرابلي
662	بعض تلاميذه ومعاصريه
663	السلطان مولاي عبد الحفيظ
669	ادريس العلمي
671	محمد العيساوي الفلوس
673	بنعيسى الدراز
673	الحاج محمد بن عمر الملاحوني
675	عثمان الزكي
676	عبد القادر الجراي
678	الحاج محمد العوفير
679	زجالون آخرون :
679	مراكش
681	فاس

684	الرباط
685	سلا
685	أزمور
686	تطوان
686	أسفى
686	وزان
686	شفشاون
687	تافيلالت
687	صفرو
687	بنى ملال
687	الدار البيضاء
688	المصادر
704	الفهرس



تنبيه واعتذار

نلفت نظر القارىء الكريم الى :

1 - أننا عمدنا الى كل الكلمات التى يستهل نطقها بسكون ، فبدأناها

بحرف ألف حتى يسهل الاهتداء الى هذا النطق .

2 - أننا لم نتمكن فى كل الرسالة من كتابة القاف التى تنطق جيمًا

مغلقة ككافا بثلاث نطق ، كما جرت العادة بذلك ، والسبب ان

التصنيف تم فى ثلاث آلات (اللينو) لم تكن تتوفر منها على

الكاف المنقوطة الا واحدة . كذلك حاولت الثانية تميزه بكتابه

بالاسود ، اما الثالثة فلم تميزه وكتبته ككافا مجرداً

ونعتذر له عن الاخطاء المطبعية التى قد يصادفها والتي حاولنا جهد

الامكان تلافيها بالتصحيح اكثر من مرة . كما نعتذر عن

بعض الهفوات التى حدثت عند الطبع النهائى ، والتي لاحظنا منها

خلال المراجعة السريعة اثنتين :

1 - فى صفحة 593 سطر 9 وقع خلط فى عجز البيت ، وصوابه :

قبطات لكتاب اطواتو

2 - فى صفحة 630 نسيت كتابة سطر ، محله بعد السطر الثانى وهو :

الله فتمت الى الصباح فوجدت القار اكل سواد الصحيفة دون

بياضها